الإمام علي شيعياً

معروف لدى الناس أنهم إذا قالوا: إن هؤلاء من الشيعة.فإن ذلك يعني أنهم من شيعة أهل بيت النبوة: أما إذا خصصوا فقالوا: هذا من شيعة بني العباس، وهؤلاء من شيعة بني أمية، كان ذلك يعني شيئاً آخر من الخلافات الإسلامية المعروفة

وقرأتُ في الآونة الأخيرة كتاباً عنوانه: " مشاهير شعراء الشيعة " وهو يقع في خمسة أجزاء من تأليف الأستاذ عبد الحسين الشبستري

والكتاب من إصدارات " المكتبة الأدبية المختصة " وقد طبعته مطبعة "ستارة ـــ قم " في إيران

و " المكتبة الأدبية المختصة " قام عليها في إيران أثناء سنوات القهر الفاشي: ويقوم عليها في مدينة النجف الأشرف الشاعر السيد الفاضل مهند جمال الدين نجل الشاعر الكبير السيد مصطفى جمال الدين

وقرأتُ الكتاب بمتعة غامرة فوجدتُ فيه أن الإمام علي بن أبي طالب من شعراء الشيعة، وأنّ الإمام الحسين، والإمام زين العابدين منهم، ووجدتُ من آل البيت السيدة زينب، وأختها أم كلثوم الكبرى وسكينة بنت الإمام الحسين، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام جميعاً، ووجدت سواهم

هذا وقد نسب إلى الإمام الصادق عليه السلام بيتين هما

تعصي الإلهَ وأنتَ تُظهِرُ حبَّه

هذا لعَمرُكَ في الفعال بديعُ

لو كان حبُّك صادقًا لأطعتَه

إنّ المُحبَّ لمن أحبَّ مُطيعُ

والبيتان في ديوان الإمام الشافعيّ رضي الله عنه، ويُنسبان إلى محمود الوراق، وفي روايتهما خلاف يسير

وأقول: إذا كان أهل البيت شيعة فلمن يتشيع الشيعة إذاً؟

نعم لو قيل: إنّ أولئك الكرام من حملة القرآن الكريم، ومن حفظة سنة الذي أُنزل عليه لكان في ذلك الصواب كلّ الصواب، أمّا أن يكونوا من الشيعة فلا؛ لأن الناس قد شايعوهم على مارأوه من إسلامهم، ومن تضحياتهم في سبيل الدين الحنيف .

وليس ما في الكتاب كل هذا، وإنما فيه أشياء أخرى منها أخبار تفوته فممّا فاته أنّه حين ترجم لسفيان بن مصعب العبدي ـــ وهو من أصحاب الإمام الصادق ـــ لم يذكر أنّ الصادق أمره بنظم شعر في رثاء الإمام الحسين تنوح به النساء مما يؤرخ لتأريخ المجالس الحسينية

ومما فاته تناؤه على تشيع علي بن حماد العبدي البصري على حين يترجم له علماء الرجال على أنه من الطيّارة، أي من الغلاة، حتى لقد بلغ الأمر بالعلامة الحلي أن خلط بين العبديين سفيان وعلي فروى حديث الإمام الصادق في شعر سفيان؛ فعقب على قول علماء الرجال عن علي أنّه من الغلاة، فقال: " أنا فيه من المتوقفين " .

ومع هذا فقد بذل مؤلف الكتاب جهداً واضحاً في جمع مادته، ولكن " لن تعدمَ الحسناءُ ذاما"

رئيس التحرير

النَّسِيءُ

بين الجاهلية و الاسلام

الدكتور محمد نايف الدليمي

تعدُّ الأزمنة من الأسس المهمة جداً التي تبنى عليها حركة الكون وما يشتمل عليه من كواكب ونجوم، وما خلق الله سبحانه وتعالى مما نعرف أو لا نعرف، فأيّ حركة في جرم سماوي أو اي شيء ممّا خلق الرحمن عزّ وجلّ يرتبط ارتباطاً مباشراً بالزمان.

وإذا عدنا إلى هذا اللفظ لننظر في دلالاته، فإننا سنجده على وجوه عدة يبدأ من أصغر وحدة زمنية قد تكون تحت الصفر إذا عددنا الصفر أصغر وحدة قياسية له، وإلى الزمان الممتد الذي لا تعرف له نهاية، وكل ذلك ورد في كلام العرب وأشعارهم، فضلاً عن وروده في القرآن الكريم، فمثال الزمن القصير قول ذي الرُمة يصف قمراً خرج من خلال الخصاص - وهم الغيم - فقال[1]:

أصاب خصاصهُ فبدا كليلاً
كلا، وانـــغلَ سائرُهُ انــــغلالا

ومراد الشاعر أن سرعة خروج القمر من خلال الخصاصة كسرعة قولك لا. فكم يستغرق قولك لا من الزمن؟ والشـــواهد على مثل هذا وغيره من تجزئة الأزمنة كثيرة جداً، ولكل جزء من أجزائه مفردة تدل على طوله أو قصره أو امتداده أو ما إلى ذلك[2].

ومن جانب آخر فإن لفظة زمان لم ترد في القــــرآن الكريم، وإنما ورد ما يقرب من سبعين لفظة تتحدث عن اجزائه، ولكل مفردة دلالتها التي تعطي معنىً يختلف عن معنى المفردة الأخرى[3]. والزمان في القرآن الكريم نوعان، ظاهر تحدده المفردة كالحين والدهر والسـنة والعام وغير ذلك، ومخفيّ يظهر من سياق الآية القرآنية الجليلة كقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[4]. فهذان زمانان مخفيان أحدهما أقصر من الآخر يظهران من خلال السياق، والنصوص القرآنية الجليلة على الزمن المخفي كثيرة.

وكذلك حركات الكواكب والنجوم كلها ترتبط بزمن، سواء على صعيد الطلوع أو السقوط، ومن بينها منازل القمر التي عليها اعتماد العرب في حالتي طلوعها وسقوطها، فحياتهم ومعاشهم وتحركاتهم كلها تعتمد على وقت طلوع هذه المنازل وسقوطها، فطلوع أية منزلة من منازل القمر وسقوطها عندهم نوء، ترتبط حياتهم به، ولذلك قالوا: لابدّ لطلوع كلّ منزلة أو سقوطها من أن يكون معها حرّ، أو برد، أو مطر، أو ريح، أو سحاب أو غير ذلك. وحسابات العرب كلها وفي كل الأوقـــات تعتمد على هذا، وأن تغير الأزمنة والفصول الذي تقوم عليه حياتهم ومعاشـهم وتجاراتهم وكل أشكال تعاملهم تعتمد عليه، ومن هنا حصل النسيء على وفق ما سنبينه، فما النسيء؟.

تقول المعجمات العربية: نسأ الشيء ينسؤه نسأ وانسأه، أخّره، والاسم النسيئة والنسيء، ونسأ الله في أجله، وانسأ أجله: أخّره. وانسأه الدين والبيع: أخّره بـــه، أي جعله لا مؤخّراً، كأنه جعله له بآخرة واسم ذلك الدين النسيئة. وفي الحديث الشريف: ((إنما الربا في النسيئة))[5] وهي البيع إلى أجل معلوم، يريد أن بيع الربويات بالتأخير من غير تقابض هو الربا، وإن كان بغير زيادة، وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه، فإنه كان يرى بيع الربويات متفاضلة مع التقابض جائز، وأن الربا مخصوص بالنسيئة[6].

والنسيء: شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية، وذلك أن العرب كانوا إذا صدروا عن منىً في موسم الحج، يقوم رجل منهم من كنانة فيقـــول: أنا الذي لا أعاب ولا أحاب، ولا يردّ لي قضاء، فيقولون: صدقت أنسئنا شهراً، أي أخّر عنا حرمة المحرّم، واجعلها في صفر، وأحلّ المحرّم، لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشـــــهر حرُم لا يغيرون فيها، لأن معاشهم كان من الغارة، فيحلّ لهم المحرّم، ويؤخره إلى صفر، فذلك الإنساء[7].

والشهور نوعان، شمسية وقمرية، والشهور الشمسية لا

يعتد بها العرب، ولا يحسبون لها حسابا، لأنها ثوابت، لا تتغير بتغير الأزمنة، وليس فيها أشهر حرم، على خلاف الشهور القمرية التي تقوم حساباتهم عليها، والشهور القمرية غير ثابتة، فهي تتغير بتغير الأزمنة، فأي شهر من شهور القمر يدور على الفصول الأربعة، ولا يقابله شهر من الشهور الشمسية، وفي الشهور القمرية الأشهر الحرم، وإن كان عدد شهورها يتطابق مع الشهور الشمسية.

والشهور إما طبيعي وإما اصطلاحي. فالطبيعي هو عود القمر من الشمس إلى بعده الأول تحتها في جهة واحدة من جهتي المشرق والمغرب، وأشكال النور في جرم القمر تكون بالنسبة لأبعاده عن الشمس، وقد جرت العادة منها بالهلال، لأنه كالمبدأ للأشكال، ومن المبدأ إلى مثله تسعة وعشرون يوماً ونصف يوم وزيادة عليه يسيرة. ولكن لما لم يمكن استعمال نصف اليوم، عدوا جملة الشهرين تسعة وخمسين يوما، أحدهما تام ثلاثون يوما والآخر ناقص من تسعة وعشرون يوما، وذلك بحسب مسير النيرين الأوسط... والشهر الاصطلاحي: هو الجزء من اثني عشر جزءاً من السنة الطبيعية أو ما قاربها[8].

إن الشهور الشمسية كما ذكرنا لا يعتبر بها العرب، وكل حساباتهم، وتعاملهم، وتجاراتهم، وبيوعهم، ونتاج نعمهم وحيواناتهم، وأحوالهم الشخصية والاجتماعية، وعدة نسائهم، وما إلى ذلك من كل أشكال التعامل يعتمد على الشهر القمري فحسب، وحلول القمر بالمنزلة يحدد الشهر الذي هم فيه، وعليه يقوم حسابهم، وفي التنزيل العزيز: (ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)[9].

ومنازل القمر كما هو معروف ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل يوم بمنزلة منها، ثم يغادرها إلى التي تليها، ثم يستتر في آخرها، وفي استتاره أيضاً يكون حالاً في منزلة، وذلك قوله تعالى: (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)[10]. وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في هلال شهر رمضان: ((إذا غم عليكم فاقدروا له))[11] أي اقدروا له المنزلة التي هو فيها.

والذي تجدر الاشارة إليه هاهنا أن الأمم الأخرى من غير العرب لا تتعامل مع الشهور القمرية عدا اليهود والهنود، فاليهود يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، والشهر الزائد يسمونه عبورا، فيجتمع عندهم آذاران على ما سنوضحه. والهنود يجعلون أول شهر من السنة خمسة وثلاثين يوماً، وبقية الشهور ثلاثين يوماً، فتكون مجموع أيام السنة (٣٦٥) يوماً متوافقاً مع السنة الشمسية، لأن منازل القمر عندهم سبع وعشرون منزلة وليس ثمانيا وعشرين كما عند العرب، والمتعاملون مع السنين الشمسية لهم كبائس أيضا يوضحها الجدول المرافق في نهاية البحث.

وإذا رجعنا إلى طبيعة حياة العربي وبيئته التي يعيش فيها، وجدناها بيئة صعبة صلبة قاسية جافة، فرضت عليه أنماطاً من التعامل، نلمح فيه شيئاً من الجفوة والغلظة، وفي كثير من الأحيان الصلابة، وإن كان تعامله العاطفي رقيقاً، وهذه البيئة فرضت عليه أن يكون قويا وشجاعاً، وصاحب نخوة وحمية وكرم، وصاحب سيف ورمح وفرس، وصاحب غزو وقتال، ومآثر كثيرة وأيام تذكر، فهو لا يبيت على ضيم، ولا يقبل بالذلة والهوان، وكبرياؤه وأنفته وعزة نفسه وإباؤه تجعله يحتاط لكل أمر، لا يرهب حاكما ولا متسلطاً، صريح الكلام، صادق في تعامله، جريء في الرد على خصمه، صاحب أندية ومقامات حسان تزخر بها كتب الأدب، وشواهدها كثيرة جداً، فذو الأصبع العدواني أحد شعراء وحكماء العصر الجاهلي يقول من قصيدة يخاطب بها ابن عمه وقد وقع بينهم احتراب[12]:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب
عني، ولا أنت دياني فتخزوني

ولا تقوت عيالي يوم مسغبة
ولا بنفسك في العزاء تكفيني

إني أبي أبي ذو محافظة
وابن أبي أبي من أبيين

لا يخرج القسر مني غير مغضبة
ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

عف ندود إذا ما خفت من بلد
هونا فلست بوقاف على الهون

والله لو كرهت كفي مصاحبتي
لقلت إذ كرهت كفي لها بيني

ثم انثنيت على الأخرى فقلت لها
إن تسعديني وإلا مثلها كوني

إذن هذه الطبيعة الجافة القاسية فرضت على العربي أنماطاً من السلوك، وقد ظن أن هذا السلوك صحيح، وأنه ارتضاه، وعده منهجاً وطريقاً سليما ينبغي أن تسير عليه حياته، ومن هذا السلوك شن الغارات على القبائل أو الحاضر القريبة منه، والغزو والقتال، لأغراض السلب والنهب، وكأنه قانون سنه لنفسه، وعرف سائد، وهذا النمط من السلوك كان يتوقف في أشهر معلومة عندهم، فتضع الحروب أوزارها بين القبائل كافة فترة من الزمن محددة بالشهور، ثم تستأنف الغارات بعد انتهاء هذه الأشهر. فأي الأشهر هي الحرم عندهم؟

إن الناظر في تسميات الشهور القمرية، وما تعطيه من دلالة يجدها تدلل على أنها كانت ثوابت كالأشهر الشمسية، ولذلك ورد أن العرب كان لها كبائس في شهورها القمرية، لئلا تتغير أحوال فصول سنتهم، فقد نقل المرزوقي أنه كان شتاؤهم أبداً في جمادى الأولى وجمادى الآخرة، لانجماد الماء في هذين الشهرين، ولذلك سموهما بهذا الاسم، ويكون صيفهم أبداً في شهر رمضان وشوال، وسموا رمضان بهذا الاسم لشدة الحر فيه، اذ هو من الرمضاء، أي شدة وقع الشمس على الأرض، ووجدوا أيام السنة القمرية ثلاث مئة واربعة وخمسين يوماً، وينقص عن أيام السنة الشمسية نحو أحد عشر يوماً، وأحبوا أن تكون فصول سنتهم على حال واحدة لا تتغير، فكانوا يكبسون في كل ثلاث سنين شهراً، يجعلون سنتهم ثلاثة عشر شهراً، ويسمونها النسيء، الى أن

بُعث محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله تعالى هذه الآية: (إنما النسيء زيادة في الكفر)[١٦]، فلم يكبس بعد ذلك، فصار شهر رمضان يتقدم في كل سنة نحو أحد عشر يوماً، ويدور على جميع فصول السنة في نحو ثلاث وثلاثين سنة، ولا يلزم نظاماً واحداً[١٧].

والذي يبدو أن هذا الكبس أخذه العرب عن اليهود.. فقد ذكر أبو الريحان البيروني أن اليهود أمروا في التوراة باستعمال الشهور والسنين الطبيعيتين معاً، فاضطروا إلى كبس السنة بالشهر المجتمع من فضل ما بين سنتي القمر[١٨]. وسمّوا تلك السنة عبورا، ومعناه بالعبرية مشتق من الحُبلى، لأنهم شبّهوا الشهر الزائد الثالث عشر في السنة بحمل المرأة الزائد في بطنها، وبزيادة هذا الشهر تعود السنة إلى موضعها بعد أن تقدمت، وقد كان اليهود قد جاوروا العرب في يثرب، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فأرادت العرب أن يكون حجهم في أخصب وقت في السنة وأسهلها، للتردد في التجارة، ولا يزول عن مكانه، فتعلموا الكبس من اليهود... وجعلوا ذلك إلى نفر يسمون القلامسة، توارثوا ذلك عن أسلافهم... لأنهم إذا ذكر المحرم صار الأول محللاً والثاني محرماً، إلى أن أبطل الاسلام ذلك في سنة حجة الوداع، وهي سنة تسع للهجرة، وكان من استعمل شهور القمر وسني الشمس معا فلا بدّ له من ذلك[١٩].

والأشهر الحُرُم في الجاهلية تختلف عما هي عليه في الاسلام، فهي في الجاهلية تبدأ في العشرين من ذي الحجة، ثم المحرم، ثم صفر، وربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر، ذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى[٢٠]. وقد لا أرى هذا صحيحاً، وأن الأشهر الحرم في الجاهلية هي التي عليها في الاسلام، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، ورجب، فصفر لم يكن عندهم من الأشهر الحرم بدليل أن النسيء كان دفع حرمة المحرم إلى صفر، ومن صفر إلى ربيع الأول، ومن ثم إلى ربيع الآخر وهكذا، ودليل آخر أنهم كانوا يعظمون شهر رجب، ويسمونه منصل الأسنة ومنصل الآل، وشهر الله الأصم، لأنهم كانوا ينزعون الأسنة من الحراب والرماح، توطيناً للنفوس على الكف عن المحظور فيه في مذهبهم، فلا يسمع فيه تداعي القبائل ولا قعقعة السلاح[٢١].

أما في الاسلام، فإن الأشهر الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

فقد روى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: سألت أعرابيا فصيحاً فقلت ما الأشهر الحُرُم؟ فقال: ثلاثة سرْد، وواحد فرْد، قال ثعلب: فالسرْد المتتابعة، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، والفرْد رجب، وهذا قول ابن عباس أيضاً، وعلى هذا الرأي تكون الأشهر الحُرُم من سنتين، وليس من سنة واحدة، لأنه بدأها بذي القعدة، وبعده ذو الحجة، وهو آخر السنة القمرية، وقال غير ابن عباس: هي من سنة واحدة، فجعل المحرّم أولها، وثانيها رجب، والثالث ذا القعدة، والرابع ذا الحجة، واحتج بقوله تعالى: (منها أربعة حُرُم)[٢٢]، يعني من الاثني عشر شهراً، وهي من سنة واحدة، قال ثعلب، والاختيار عندي قول ابن عباس، وهو كلام العرب، وإن كان لفظها من سنتين، فهي تعود إلى الاثني عشر شهراً، إلى سنة واحدة[٢٣] وهذا هو الصواب لدلالة ... المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع، وقوله: ثلاثة متوالية، على ما سنذكره.

وثمة رأي آخر يقول: إن الأربعة الحُرُم هي التي ... رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين من قوله تعالى: (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر)[٢٤] وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ثم قال: (فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين)[٢٥] ثم قال أصحاب هذا الرأي: إن الأربعة التي جعلت حلاً من عشر ذي الحجة إلى عشر من ربيع الآخر، وجعلها حُرُماً[٢٦].

والذي عليه الدين الاسلامي الحنيف في الأشهر الحرم هو ما ذكرنا أولاً، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم وهي المتوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى الآخرة وشعبان.

فالنسيء إذا هو تأخير شهر محرم وجعله محللا إلى الشهر الذي يليه، وعادة يكون ذلك بين المحرم وصفر، فيكون المحرم محللا، وصفر محرما، ثم تقتضي الحاجة تأخير حرمة صفر إلى ربيع الأول، ثم إلى ربيع الآخر، فتدور الحرمة على الأشهر، فتضطرب الشهور، وبذلك تضطرب السنين، ولا يكون ذلك إلا في موسم الحج عند اجتماع القبائل في الموسم في ذي الحجة، وذو الحجة آخر الشهور القمرية ونهاية سنة، والمحرم ابتداء السنة القمرية.

ذكرنا فيما سبق أن العرب أخذوا النسيء من اليهود لمجاورتهم إياهم، وكذلك عن الفرس على ما يبدو لمجاورتهم إياهم، فالفرس قد عدوا أيام السنة الشمسية ... أيام كل شهر ثلاثين يوما، وزادوا في آخر آبان ... خمسة أيام سموها المسترقة، ... الكبيسة، وإنما زادوا ذلك لتتم لهم سنة الشمس، وكذلك كبسها الروم وكل الأمم وقتذاك، ولا يزال الكبس قائماً إلى وقتنا هذا.

بيد أن العرب لم يفعلوا ذلك ليوافقوا سنة الشمس، وإنما فعلوا ذلك اقتضاء مصلحة، وضرورة حتم، فقد أملى عليهم ظرفهم المعاش، وطبيعة حياتهم التي يحيونها في هذه الأرضين والأجواء الصعبة حالات من التعامل التي ظنوا أنها تتوافق ومصالحهم، لأنهم لم يكن لديهم تشريع منزل، كما لليهود والنصارى، وإنما كانوا عبدة أصنام وأوثان، وإن كنا لا نعدم وجود أحناف وحكماء ذوي عقليات نيرة متفتحة، وذوي خبرة طويلة، وتجربة ممتدة، حذرت من مغبة الظلم والجور والتعدي، واجتناب الاحتراب والاقتتال، والعيش بطمأنينة وسلام، وأن الجانب الانساني في طبيعة حياتهم كان في الأغلب الأعم هو الذي يطغى على الجانب الآخر، وأن السفه والطيش من الحالات التي لا يخلو منها أي مجتمع.

والضرورة تبيح المحظور، ومن هذا جاء النسيء، فهم إذا اضطروا إلى أمر يقتضي النسيء كأن ... اتفاق حرب،

وداعية خطب قوية، أو حالة من الحالات التي تستوجب إحلال المحرم طلبوه، إلا أن ذلك الطلب لا يكون إلا في موسم الحج، وعلى رؤوس الأشهاد، فينصرفون عن الحج وقد اندفع المحرم إلى صفر، فصار التحريم فيه، لأن ثلاثة أشهر حرم متوالية عليهم زمن طويل، ثم اندفع صفر في موسم آخر إلى ربيع الأول، فصار التحريم فيه، ثم إلى ربيع الآخر، وهكذا، كلما دعتهم الحاجة إلى ذلك، حتى دار النسيء على الشهور كلها واختلطت.

والنسيء فعل مختص لا يقوم به أي أحد من الناس، فالنساة من كنانة، وبنو فقيم منهم بخاصة. وأول من نسأ الشهور على ما تروي الأخبار نعيم بن ثعلبة من كنانة. وكان رئيس الموسم في الجاهلية، فيقوم إذا أرادوا الصدور عن منى فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، ولا يرد لي قضاء، فيقولون: صدقت. أنسئنا شهراً، يريدون، أخر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، فيفعله. إلا أن النساة هؤلاء كانوا يستثنون من قبائل العرب، حيين هما طيئ وخثعم ويتركونهما المحلّين، لأنهما كانا يستحلان الشهور[26].

ويطلق على هؤلاء النساة من كنانة القلامسة. والقلمس، الرجل الخير المعطاء، والسيد العظيم، والرجل الداهية المنكر البعيد الغور، كما تقول المعجمات العربية[27].

وكان آخر من نسأ الشهور على ما تروي الأخبار، القلمس، جنادة بن عوف الكناني، أبو ثمامة، وكان يقف عند جمرة العقبة ويقول:

اللهم إني ناسيء الشهور، وواضعها مواضعها، ولا أعاب، ولا أجاب، اللهم إني أحللت أحد الصفرين، وحرمت صفر المؤخر، وكذلك في الرجبين يعني رجبا وشعبان، انفروا على اسم الله[28].

ثم جاء الاسلام، وبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والشهور مضطربة جراء النسيء هذا، وظلت الحال على ما هي إلى ما بعد غزوة تبوك، ونزول سورة التوبة، إلا أنه لم يحصل نسيء عند العرب منذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون واحداً من الأسباب انشغال العرب بهذا الأمر الخطير الكبير الذي شغلهم عن التفكير بأي شيء سواه، فأنساهم الكثير من اعتقاداتهم، فلم يكن يشغلهم إلا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الدين الاسلامي الحنيف.

ومنذ بدء الدعوة إلى الاسلام، حتى السنة التاسعة من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لم يرد خبر أن النبي صلى الله عليه وسلم، تحدث عن النسيء وتحريمه، أو قال فيه شيئاً، وظل حال الشهور على ما هو، إلى أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، فأبطله في خطبته على ما سأبينه.

روي عن مجاهد أنه قال: كان العرب في الجاهلية يحجون عامين في ذي القعدة، وعامين في ذي الحجة، فلما كانت السنة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه، كان الحج في السنة الثانية من ذي القعدة[29]، وهي حجة قراءة براءة، قرأها علي كرم الله وجهه على الناس[30].

إذن حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس في ذي القعدة، بعد غزوة تبوك التي وقعت في رجب من سنة تسع للهجرة، ولما تنزل سورة براءة بعد، فتوجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالمسلمين إلى مكة بأمرٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد أن قطع مسافة من الطريق نزلت سورة براءة. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق ومن معه ليقرأ عليهم صدر هذه السورة وقال له: ((أذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فهو له إلى مدته، فاندفع علي رضي الله عنه إلى مكة، وأدرك أبا بكر بالطريق، وسارا معاً، وتم حج تلك السنة، بعد أن بلّغ عليّ رضي الله عنه الناس بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأ عليهم صدر سورة براءة[31].

من خلال هذا نجد أنه إلى سنة تسع للهجرة والمشركون يحجون البيت وهم قائمون على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية، والمسلمون على مناسكهم المشرعة لهم. ووقفة تأمل في هذا كله يظهر لنا:

١. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بالناس منذ بعث إلى أن قبض إلا حجة الوداع، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يبعث من صحابته الكرام من يرأس الناس في موسم الحج، ففي السنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة بعث صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد أميراً على الحج، وفي السنة التاسعة للهجرة بعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج.

٢. إن موسم الحج لم يكن وقفاً على المسلمين حسب، وإنما كان العرب من غيرهم يحجون في الوقت نفسه.

٣. إن النسيء ظل قائماً، ولم ينزل فيه شيء من التحليل أو التحريم منذ بعث صلى الله عليه وسلم، وإلى سنة تسع للهجرة، وبالتحديد بعد عودته صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، وأن هذه المدة طويلة استغرقت ما يزيد عن عشرين سنة.

٤. لم أجد فيما استشرت من المراجع أن نسيئاً حصل منذ البعثة النبوية الشريفة، إلى أن أبطله الله سبحانه وتعالى.

وبعد هذه الأحداث المتوالية، والتداعيات الكثيرة، والبرمجة الدقيقة، والصمت الطويل على أمر خطأ فيه لعب الزمن واختلاف الشهور عن جهل مرتبط بمصلحة دنيوية، لم يحسبوا فيها حساباً لتغير الأزمان واضطراب الشهور والسنين تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة عشر للهجرة.

ولسنا هنا بصدد تفاصيل مسيرته صلى الله عليه وسلم، أو تعريف الناس بالمناسك، أو العمرة التي اقترنت بالحج، وما إلى ذلك، وإنما الذي يهمنا في هذا البحث وقوفه صلى الله عليه وسلم بعرفة، وخطبته بالناس، ومن ضمن هذه الخطبة كلمة صححت مسار الزمن، بإبطال النسيء وتحريمه، إذ

قبل أن يطلق كلمته هذه قرأ قوله تعالى:

((إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين))[19]، ثم قال:

((وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض)). وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان[20].

إن هذه الخطبة من المتواتر، وقد شهدها وسمعها جمع غفير من الناس، ومن سياق النص الجليل نرى أن العمل بالنسيء زيادة في كفر الكافر، وضلالة عن الطريق القويم الذي انبنى ناموس الكون عليه، وإن تحريم المحلل وتحليل المحرم مُواطاة، أي موافقة. يرفضها الله سبحانه وتعالى، ويرفضها خلق الكون، وإنما كانوا يفعلون ذلك، فيحلون الشهر الحرام في عام، ويحلونه في عام، ويؤخرون الذي جعلوه محرماً، ويدفعونه إلى شهر آخر، فاختلفت الشهور، ودخل بعضها في بعض، ولم يعرف يومئذ أنها هو شهر كذا بالتحديد.

ومن جانب آخر فإن العرب كما ذكرنا يعرفون منازل القمر معرفتهم آباءهم وأبناءهم، ويعرفون عدادها، وأن القمر ينزل كل يوم في منزلة منها، ثم يفارقها إلى التي تليها في اليوم الآخر، وحساباتهم في أعمالهم اليومية، وعاداتهم الاجتماعية، وأحوالهم الشخصية تعتمد على القمر من مهله إلى استسراره، إلا أن الشهور بالنسيء اختلفت، ولا بد من رجعة تصحيح للأزمنة، وهذا التصحيح لا يقدر بشر عليه، وإنما يصححه الموجد له، وهو الخالق سبحانه، فهو وحده الذي يعرف متى خلق الأزمنة بدقائقها وجزئياتها، ولذلك لم يتحدث به النبي صلى الله عليه وسلم طوال عشرين سنة أو تزيد من البعثة النبوية الشريفة، لأنه لا يعرفه أولاً، ولا يجوز فيه الاجتهاد ثانياً، ولا يقوم على الحدس والتخمين والتقدير، ولا بد أن ينزل في تعديل الشهور وتصحيحها قرآن، وهذا الذي حصل.

إن نزول آية النسيء لم يكن تصحيحاً، وإنما هو إبطال وتحريم، وإن تصحيح الزمان كان في يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة من سنة عشر للهجرة في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن التاسع من ذي الحجة من سنة عشر للهجرة لم يكن يوماً اعتيادياً من أيام الله سبحانه وتعالى، فوقوف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم في عرفة، هو اليوم الذي عاد الزمان فيه إلى الخلق الأول للسماوات والأرض، والذي ورد في خطبته صلى الله عليه وسلم: ((وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض)).

إن هذه المقولة من رسول الله النبي الأمي صلى الله عليه وسلم معجزة نبي كبيرة جداً، وحدث عظيم في تصحيح زمان لا يقدر عليه أي أحد، وأن كلمته هذه لم تكن من عنده، ولم تأت اعتباطاً لأنه أولاً لا يعرف القراءة والحساب وثانياً لم يقعد ليحسب السنين، وإنما هي كلمة وحي من عارف بما خلق، وكيف خلق وقدر، ومتى خلق، وأين، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، فلو تأخر يوماً عنه لم يحصل تصحيح، ولو تقدم يوماً لم يحصل تصحيح، ولظل النسيء قائماً، ولظلت الشهور مضطربة، لأن استدارة الزمن حساب على حركة القمر ونزوله بالمنازل، وهذه الحركة بدأت من أول خلق السماوات والأرض وهو وقت بعيد جداً قدره الجيولوجيون بأربعة مليارات ونصف المليار، فأنى لأحد هذه الحسبة؟!

ومن جانب آخر فإن خلق السماوات والأرض من الأمور العظام التي لم يشهد عليه الله سبحانه وتعالى أحداً من خلقه: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض)[21] وهذا الحدث العظيم لا بد أن يرافقه حدث عظيم على الأرض يرتبط به، فكان الحج إلى بيت الله الحرام هو التجمع الاسلامي الكبير وختام كل عام قمري وهو الإشهاد على ما لم يروا من الخلق العظيم للسماوات والأرض، ولذلك فقد سنّ الصوم في يوم عرفة لجلالة هذا اليوم وقدره عند الله سبحانه وتعالى، وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((كهيئته يوم خلق السماوات والأرض)) يستشف منه أن الله سبحانه وتعالى بدأ خلق السماوات والأرض في الرابع من ذي الحجة قبل (٤و٥) مليار سنة، وانتهى من خلقها وقدر فيها أقواتها في ستة أيام سواء للسائلين في التاسع من ذي الحجة، وهو يوم عرفة، ولذلك وجدنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد الناس على التبليغ، فسأل الناس: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: أي شهر هذا؟ قالوا: شهرٌ حرام، قال: أي بلد هذا؟ قالوا: بلدٌ حرام، فقال: كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ولم يكتف بذلك، بل قال: ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم فاشهد. كأنه خشي أن يُغيّر الناس بعده.

ومن جانب آخر فإن الناظر في سورة التوبة يجد أن الآية التي تتحدث عن عداد الشهور هي الآية السادسة والثلاثون، وهي تحمل الرقمين (٦و٣) ومجموع الرقمين هو (٩)، وأن آية النسيء في السورة هي الآية السابعة والثلاثين، وهي تحمل الرقمين (٧و٣) ومجموع الرقمين (١٠)، وقد خلص البحث في نهايته إلى أن استدارة الزمان من خلال خطبة حجة الوداع كانت في التاسع من ذي الحجة سنة عشر للهجرة، وأن الله سبحانه وتعالى قد انتهى من خلق السماوات والأرض في التاسع من ذي الحجة، وقد لا أذهب إلى رأي أؤكد فيه حقيقة أعزز فيها مقولة في نتيجة بحث، فأكون قد حمّلت نصاً قرآنياً جليلاً ما لا يحمله أو يقبله، غير أنني استحث باحثاً واستثيره إلى دراسة هذه المسألة حسابياً، وقد يخلص من خلالها إلى نتيجة تحقق هدفاً، وتثبت إعجازاً، خاصة إذا علمنا أن مجموع الرقمين في الآيتين هو (١٩)، وهذا الرقم عند دارسي القرآن الكريم يرمز إلى حالة قد تكون حقيقة ثابتة، أو غير ذلك، والله وحده العالم بأسرار ما خلق، له الحكم والأمر وإليه المصير.

جدول أسماء الشهور [illegible]

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

عن كتاب [illegible]

الهوامش

(١) ديوان ذي الرمة ٢/١٥١٨.

(٢) في سبيل المثال ينظر الأزمنة والأمكنة ١/١٥٢ وما بعدها.

(٣) ينظر ألفاظ الزمان في القرآن الكريم، لأيمن توفيق، أطروحة دكتوراة مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة الموصل / ٢٠٠٠م.

(٤) الآيتان / ٢٦-٤٠ سورة النمل.

(٥) صحيح مسلم ٢/١٢٦٨.

(٦) لسان العرب/ نسأ ١/١٦١.

(٧) الأزمنة والأمكنة ١/٨٥-٨٦.

(٨) التفهيم لأوائل صناعة التنجيم /١٦١.

(٩) الآية /١٨٩ سورة البقرة.

(١٠) الآية /٣٩ سورة يس.

(١١) صحيح مسلم ٢/٧٥٩.

(١٢) ديوان ذي الإصبع العدواني /٨٩.

(١٣) الآية /٣٧ سورة التوبة.

(١٤) الأزمنة والأمكنة/ ٨٢.

(١٥) نشير هنا إلى أن السنة القمرية (١/٤ و ٣٥٤) وزيادة قليلة، والفرق بين السنة الشمسية والقمرية احد عشر يوماً، وقوله سنتي القمر، يعني ٢٢ يوماً، يضاف إليها فضلة ما بين السنتين من الأرباع والأجزاء الزائدة وهي سبعة ايام بالتقريب فيتم بذلك شهر . فيطابق السنة الشمسية.

(١٦) التفهيم لأوائل صناعة التنجيم /١٦٤، والصواب ستة عشر للهجرة على ما سنبنيه.

(١٧) الأزمنة والأمكنة ١/٨٦.

(١٨) الآية /٣٦ سورة التوبة.

(١٩) الأزمنة والأمكنة ١/١٩٧.

(٢٠) الآية / ٢ سورة التوبة.

(٢١) الآية / ٥ سورة التوبة.

(٢٢) الأزمنة والأمكنة ١/١٩٨.

(٢٣) الأزمنة والأمكنة ١/٨٧.

(٢٤) لسان العرب / قلمس ٨/٦٥.

(٢٥) تلبيس إبليس/٦٤، وتفسير القرطبي ٨/١٣٧، جمهرة وصايا العرب ١/٤٧.

(٢٦) الذي في السيرة النبوية ٤/ ٩٧٠ أن رسول الله صلى عليه وسلم أقام بعد عودته من تبوك بقية شهر رمضان، وشوالاً، وذي القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج.

(٢٧) الأزمنة والأمكنة ١/٨٦.

(٢٨) سيرة النبي ٤/٩٧٣.

(٢٩) الآية /٣٧ سورة التوبة.

(٣٠) للخطبة بتمامها ينظر: البيان والتبيين ٢/١٦٥، وسيرة النبي ٤/٩٧٣

(٣١) الآية /٥١ سورة الكهف.

مصادر البحث

*الأزمنة والأمكنة: للمرزوقي، تحقيق د. محمد نايف الدليمي، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٠م.

**ألفاظ الزمان في القرآن الكريم / دراسة دلالية، لأيمن توفيق الوتاري، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل، سنة ٢٠٠٠م.

***البيان والتبيين: للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف ١٩٦١م.

**التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، للبيروني، نشرة رمزي رايت مع ترجمة إلى الانكليزية، اكسفورد، ١٣٥٢هـ. ١٩٣٢م.

**تلبيس إبليس: لابن الجوزي، مصر ١٣٦٨هـ.

**الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، بيروت، دار الفكر، بلا سنة طبع.

**جمهرة وصايا العرب، تحقيق محمد نايف الدليمي، بيروت، دار الجيل، ١٤٣٦هـ. ١٩٩٦م.

**ديوان ذي الاصبع العدواني، تحقيق عبد الوهاب العدواني ومحمد نايف الدليمي، الموصل، مطبعة الجمهور، ١٩٧٣م.

**ديوان ذي الرمة: تحقيق عبد القدوس أبو صالح، دمشق، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

**سيرة النبي: لابن إسحق، تهذيب ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، ١٣٨٢هـ. ١٩٦٣م.

**صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي.

**لسان العرب: لابن منظور، بولاق، ١٣٠٠هـ ١٣٠٨هـ.

نشأة علم التصنيف في التراث العلمي الاسلامي

نوزت محمد جمعة أبو لبن

يعتبر علم التصنيف من الركائز الأساسية التي تقوم عليها أية مكتبة مهما كانت طبيعتها أو مهما كان حجمها. وقبل أن نخوض في علم تصنيف العلوم والمعارف عند العلماء المسلمين، لابد لنا من مقدمة وجيزة عن تطور العلوم والمعارف على مر العصور.

من خلال دراستنا لتاريخ الحضارات القديمة يتضح لنا أن العلوم والمعارف ازدهرت عند الفرس والرومان واليونان وعند الفراعنة والآشوريين والساميين وغيرهم، وقد انتقلت هذه العلوم الى العرب عن طريق العلماء المسلمين الذين ترجموا العديد من تلك الكتب مثل كتاب المجسطي في علم الهيئة وغيره[1].

أما في العصر الجاهلي فأكثر علم يظهره لنا التاريخ علم الأدب وفنون الشعر العربي، الى أن أكرم المولى سبحانه وتعالى الانسانية بالبعثة المحمدية وبالقرآن الكريم الذي استوعب الكثير من العلوم والحضارات الانسانية، علاوة على أنه دستور حياة لكل انسان يطلمح لحياة هانئة، كريمة ومطمئنة.

وأما العصور الاسلامية الذهبية، فقد شهدت ازدهاراً في جميع ميادين المعرفة، ولعل السر في ذلك يكمن في أن الدين الاسلامي خاطب العقل وحض على العلم والاجتهاد، وأعطى الانسان الحرية الفكرية ورفع من شأن العالم والمتعلم.

وقبل أن نبدأ بالتحدث عن تصنيف العلوم والمعارف عند المسلمين لا يفوتنا أن ننبه بأن هذا العلم نشأ بوجود المعرفة في العصر اليوناني خاصة عند الفيلسوف اليوناني أرسطو الذي اعتبر علوم الفلسفة ثلاثة هي:

١ـ الفلسفة النظرية وتشمل:
- العلم الطبيعي
- العلم الرياضي
- علم الربوبية

٢ـ الفلسفة العملية وتشمل:
- الأخلاق
- الاقتصاد
- السياسة

٣ـ الشعر

الا انه قد أغفل المنطق[1]، واعتبره طريقة للوصول الى الحقيقة. ويقال أن أرسطو كان أول من كون مجموعة من الكتب وعلم ملوك مصر كيف ترتب المكتبة[2].

أما في العصور الاسلامية فكان ابن النديم (٣٨٥هـ) من العلماء الرائدين في انشاء موسوعة يصنف فيها العلوم، سماها "الفهرست"، اذ انه نشأ في عائلة بغدادية من الوراقين، وكان أبوه تاجر كتب، فأخذ المهنة عن أبيه وأبدع فيها، وأخذ يطوف للحصول على نسخ صحيحة من الكتب النادرة، ثم فكر في اعداد قائمة بكتب العلوم غير الفقهية، واصدر مسودته الأولى من "الفهرست" لزبائنه عام ٣٦٨هـ/٩٨٨م، وكانت في أربع مقالات، ولما وجد أن قائمته لقيت رواجاً زادها تدريجياً وجعلها تشمل العلوم الفقهية وغير الفقهية[1]، فأصبحت عشر مقالات وكل منها في عدة فنون وهي[2]:

١ـ علم الخط والكتابة وأدواتها
الديانات، ويشمل علوم القرآن
٢ـ النحو والنحويون
٣ـ التاريخ والمؤرخون والنسابون والتراجم الخاصة بالحكام والقضاة والولاة، الخ..
٤ـ الأدب (الشعر والشعراء)
٥ـ الكلام والمتكلمون
يشمل الفرق الاسلامية والصوفية
٦ـ الفقه والفقهاء
يشمل المذاهب الفقهية المختلفة
٧ـ الفلسفة والفلاسفة
تشمل كل العلوم الطبيعية بالمعنى الواسع
٨ـ الأسمار والخرافات والشعوذة والغرائب

٩- المذاهب والاعتقادات

١٠- الكيمياء والتكنولوجيا

ويشمل هذا الفهرس كتب العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود منها بلغة العرب وقلمها وأخبار مصنفيها.. الخ"[٦].

فهو سجل للحياة العقلية للمسلمين، اذ انه يسجل مؤلفات عربية ومترجمة منذ أقدم العصور حتى وقته ما كانوا ليعرفوها لولا موسوعته آنفة الذكر.

وقد اعتبر بارتولد موسوعة ابن النديم "المصدر الرئيسي لمعرفة العلوم في القرون الأربعة الأولى للاسلام"[٧].

وتؤكد لنا المستشرقة الألمانية هونكه في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" أهمية كتاب "الفهرست"، الذي ضم هذه المادة الفكرية وصنفها، وجعل من كتابه دعامة أساسية لفن المكتبات، وكما ركز روزنتال في كتابه "علم التاريخ عند المسلمين" على كتاب "الفهرست"، وأورد نصوصا كاملة منه[٨].

وقد كان الفارابي (٣٣٩هـ) من أسبق العلماء المسلمين في انشاء موسوعة في تصنيف العلوم، سماها "احصاء العلوم"[٩]، وقد قسم فيها علوم زمانه الى:

- لغات
- منطق
- رياضيات
- طبيعيات
- إلهيات
- أخلاق
- سياسة

وقد حاول أن يرتفع في موسوعته بالعلوم الشرعية الى مستوى العلوم الفلسفية من حيث أنه أراد أن يعتبر علمي الفقه والكلام صناعتين زائدتين وأن يجعل منهما علمين عامين للملل جميعاً. لكن التوفيق لم يحالفه فما لبث أن ربط العلوم العلوية بالأخرويات أي بالدين وربط مباحث الالهيات بعلم التوحيد[١٠].

وفي كتابه "رسالة التنبيه على سبيل السعادة" يتعرض لتقسيم العلوم وتصنيفها فيذكر لنا[١١] العلم المدني الذي يتفرع منه علم الأخلاق وعلم السياسة.

ولعله يقصد بهذا العلم أنه العلم العملي اذ انه يشرح فيما بعد ويقول لنا بأن العلم المدني يفحص عن أصناف الأفعال والسير الارادية... وعن الغايات التي لأجلها تفعل... الخ.

أما الخوارزمي (٣٨٧هـ) فقد ألف دائرة معارف اسلامية علمية. لوزيرهم أبي الحسن العتبي، وزير نوح بن منصور الساماني، على غرار الموسوعات الاغريقية القديمة سماها "مفاتيح العلوم"[١٢]، وقد قسم فيها العلوم الى[١٣]:

المقالة الاولى وتشمل:

- الفقه
- الكلام
- النحو
- الكتابة
- الشعر والعروض
- الاخبار

المقالة الثانية وتشمل:

- الفلسفة
- المنطق
- الطب
- علم العدد
- الهندسة
- علم النجوم
- في الموسيقى
- في الحيل
- في الكيمياء

ثم تلاه ابن سينا (٤٢٨هـ) وألف كتاباً موسوعيا سماه "الشفاء"، ولو أن مادة الكتاب الأساسي ليست تصنيفاً للمعرفة ولكنه في طريقة ترتيبه قسم فيه العلوم الى[١٤]:

١- الطبيعيات ويبحث في:
- علم النفس
- علم الحيوان

٢- الرياضيات ويبحث في:
- أصول الهندسة
- جوامع علم الموسيقى
- علم الهيئة

٣- المنطق ويبحث في:
- المدخل
- البرهان
- السفسطة

ثم تلاه ابن حزم (٤٥٦هـ) وألف كتابا سماه "مراتب العلوم وكيفية طلبها"[١٥] ثم تلاه أبو جعفر الطوسي (٤٦٠هـ) وألف كتابي "فهرست مؤلفي الشيعة"، فهرست الشيعة واسماء المصنفين"[١٦]، وقد اختص هذان الكتابان لذكر مصنفات الشيعة.

ثم تلاه الأبيوردي (٥٠٧هـ) وألف كتاباً سماه "طبقات العلوم"[١٧].

ثم تلاه الزمخشري (٥٣٨هـ)* وألف كتاباً سماه "الأمالي من كل فن"، ويعرف بـ"أمالي جار الله"[١٨].

أما القمي (نحو ٥٨٥هـ) فقد انشأ موسوعة في مصنفات

الشيعة وعلمائها سماها "تاريخ مشايخ الشيعة ومصنفيهم"[19].

ثم تلاه ابن شهر اشوب (٥٨٨هـ) فصنف كتاب "معالم العلماء في التراجم والتصانيف"، لكنه مخطوط[20].

ثم تلاه البلوى (٦٠٤هـ)* فألف كتاباً سماه "ألف بناء"، وهو مطبوع في مجلدين، ذكر فيه أنه جمع فوائد بدائع العلوم لابنه ليقرأه بعد موته اذ لم يلحق بعد لصغره الى درجة النبلاء وسمى ما جمعه "ابننا الطفل العربي بكتاب ألف باء"، وهو تأليف غريب الا أن فيه فوائد كثيرة[21] وألف كتابا آخر توسع فيه بما اوجز في ألف باء" من أخبار واشعار، وسماه "تكميل الأبيات وتميم الحكايات مما اختصر للألباء في كتاب ألف باء"[22].

ثم تلاه الرازي (٦٠٦هـ) وألف كتاباً سماه "حدائق الأنوار في حقائق الأسرار"[23]، اورد فيه موضوعات ستين علماً ألفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمي.

ثم تلاه ابن الساعي (٦٧٤هـ) وانشأ كتاب "أخبار المصنفين"، في ستة مجلدات، لكنه مخطوط[24].

أما الشيرازي (٧١١هـ) فقد وضع كتاباً سماه "درة التاج لغرة الديباج"[25]، وهو كتاب جامع لجميع أقسام الحكمة النظرية والعملية.

وأما الأملي (٧٥٢هـ) فقد ألف كتاباً سماه "نفائس الفنون في عرائس العيون"، ذكر انه الف في[26] كل فن تأليفا واراد أن يجمعها في تأليف واحد فلم يزل يجمع الى أن بلغ مئة وعشرين علماً فألف هذا الكتاب ورتبه على طريقتين: الطريقة الأولى يبينها الشكل التالي[27]:

ثم تلاه ابن ساعد السنجاري (٧٤٩هـ) والف كتابا سماه "ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد"، فذكر فيه أنواع العلوم وأصنافها وهو مأخذ مفتاح السعادة لطاشكبرى زاده وجملة ما فيه ستون علماً منها عشرة أصلية سبعة نظرية وهي المنطق الالهي والطبيعي والرياضي بأقسامه وثلاثة عملية وهي السياسة والأخلاق وتدبير المنزل وذكر جملة العلوم أربعمئة تصنيف[29].

ثم تلاه البسطامي (٨٥٨هـ)* فألف كتابا حافلا في موضوعات العلوم[30]، وأورد فيه غرائب وعجائب لم تسمعها أذان حتى بلغت مقدار مئة علم وذكر فيها أقسام العلوم الشرعية والعربية.

ثم تلاه التوقاتي (٩٠٤هـ) وألف كتاباً "المطالب الالهية"، للسلطان بايزيد، جمع فيه نبذاً من العلوم بلغت نحو مئة علم في مختصر ثم شرحه وسماه "المطالب الالهية"[31] ثم تلاه الدواني ٩٠٨ و (٩٠٨هـ)* والف كتاباً أورد فيه عشرة من العلوم وسماه "انموذج العلوم"، وهو مختصر جمعه للسلطان محمود[32]، لكنه مخطوط.

ثم تلاه السيوطي (٩١١هـ)* فألف كتابا سماه "النقاية"، وهو مختصر في أربعة عشر علماً مع زبدة مسائلها، ثم شرحه وسماه "اتمام الدراية لقراء النقاية"[33].

ثم تلاه طاشكبري زاده (٩١٨هـ)* فصنف موسوعة سماها "مفتاح السعادة ومصباح السيادة، في موضوعات العلوم"، التي صنف فيها العلوم تصنيفاً موسعاً واصطناعياً، فجعل عدد موضوعاتها ثلاثمئة علم بتقسيم العلم الواحد في احيان كثيرة الى أقسام عديدة، نذكر الأقسام الأساسية لتلك العلوم، اذ أنه لا يتسع المجال لذكر جميع الفروع البالغ عددها ثلاثمئة علم[34]:

الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية (الكتابة)

الشعبة الأولى: في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية

الشعبة الثانية: فيما يتعلق باملاء الحروف المفردة

الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ (العبارة)

الشعبة الأولى: فيما يتعلق بالمفردات

الشعبة الثانية: فيما يتعلق بالمركبات

الشعبة الثالثة: في فروع العلوم العربية

الدوحة الثالثة في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات الثانية (الأذهان)

الشعبة الأولى: في علوم آلية تعصم عن الخطأ في الكسب

الشعبة الثانية: في علوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس

الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان (الأعيان)

الشعبة الأولى: في العلم الالهي

الشعبة الثانية: في فروع العلم الالهي

الشعبة الثالثة: في العلم الطبيعي

الشعبة الرابعة: في فروع العلم الطبيعي

الشعبة الخامسة: في فروع فروع العلم الطبيعي

الشعبة السادسة: في العلوم الرياضية

الشعبة السابعة: في فروع علم الهندسة

الشعبة الثامنة: في فروع علم الهيئة

الشعبة التاسعة: في فروع علم العدد

الشعبة العاشرة: في فروع علم الموسيقى

الدوحة الخامسة في الحكمة العملية (الأعيان)

الشعبة الأولى: في علم الأخلاق

الشعبة الثانية: في علم تدبير المنزل

الشعبة الثالثة: في علم السياسة

الشعبة الرابعة: في فروع الحكمة العملية

الدوحة السادسة في العلوم الشرعية (الأعيان)

الشعبة الأولى: في علم القراءة

الشعبة الثانية: في علم رواية الحديث

الشعبة الثالثة: في علم تفسير القرآن

الشعبة الرابعة: في علم دراية الحديث
الشعبة الخامسة: في علم أصول الدين (الكلام)
الشعبة السادسة: في علم أصول الفقه
الشعبة السابعة: في علم الفقه
الشعبة الثامنة: في فروع العلوم الشرعية
الدوحة السابعة في علوم الباطن (الأعيان)
الشعبة الأولى: في العبادات
الشعبة الثانية: في العادات
الشعبة الثالثة: في ربح المهلكات
الشعبة الرابعة: في ربح المنجيات

ولا شك أن طاشكبرى زاده تأثر برسالة ابن ساعد السنجاري (٧٤٩)* ((ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد))، خاصة في شرح الغرض من الكتاب.

وقد اعتمد الحاج خليفة على هذه الموسوعة اعتماداً كبيراً في تصنيف موسوعته ((كشف الظنون)) ونقل منها فقرات كاملة[٣٥].

ثم تلاه الشرواني (١٠٢٦هـ)* واشتهر بموسوعته العلمية ((الفوائد الخاقانية))[٣٦]، التي قسم فيها العلوم الى:

١. شرعية
٢. لغوية
٣. فلسفية

وقد صنفها على رقم مصطنع هو حروف اسمه.

ثم تلاه العجمي (١٠٥٥هـ)* فصنف كتاباً سماه ((فهرست العلوم))[٣٧].

ثم تلاه الكاشي (١٠٩٠هـ)* وصنف كتاب ((فهرست العلوم))[٣٨].

ثم تلاه الشرواني (١٠٩٩هـ)* فأنشأ كتاباً سماه ((أنموذج العلوم))[٣٩].

ثم تلاه التهانوي (بعد ١١٥٨هـ)* وألف كتاباً سماه ((كشاف اصطلاحات الفنون))، وقسم فيه العلوم الى ستة أقسام وهي[٤٠]:

١. العربية:
- علم الصرف
- النحو
- المعاني
- البيان
- البديع

والغرض من تلك العلوم هو الاحتراز عن الخطأ في تأديته المعنى المراد، وتميز الفصيح عن غيره.

- العروض: (علم تعرف به كيفية الأشعار من حيث الميزان والتقطيع).
- القافية: (وهو علم تعرف به كيفية الأشعار من حيث التقفية).

٢. الشرعية
- علم الكلام
- علم التفسير
- علم القراءة
- علم الاسناد
- علم الحديث
- علم أصول الفقه
- علم الفقه
- علم الفرائض
- علم السلوك (ويسمى بعلم الأخلاق)

٣. العلوم الحقيقية
- علم المنطق
- علم الحكمة ومنها
  - النظرية
  - العملية

٤. العلم الالهي
٥. العلم الرياضي
- علم العدد
- علم الهندسة ويتفرع عنها
- علم عقود الأبنية
- علم المناظر
- علم المرايا المحرقة
- علم مراكز الأثقال
- علم المساحة
- علم استنباط المياه
- علم جر الأثقال
- علم البنكامات
- علم الآلات الحربية
- علم الآلات الروحانية
- علم الهيئة ويتفرع عنها
- علم الزيجات والتقاويم
- علم المواقيت
- علم كيفية الأرصاد
- علم تسطيح الكرة
- علم الآلات الظلية

٦. العلم الطبيعي
- علم الطب
- علم البيطرة
- علم البيزرة
- علم الفراسة
- علم تعبير الرؤيا
- علم أحكام النجوم
- علم السحر
- علم الطلسمات

- علم السيميا
- علم الكيميات
- علم الفلاحة
- علم السماء والعالم

ثم تلاه العالم الملقب بـ اعجاز حسين (١٢٨٦هـ)، فصنف كتاباً سماه ((كشف الحجب والأستار عن وجه الكتب والأسفار))، وذكر فيه تصانيف الشيعة على نمط ((كشف الظنون))[١١].

ثم تلاه محمد عبد الحي (١٣٠٤هـ)*، وألف كتاباً سماه ((فرحة المدرسين بأسماء المؤلفات والمؤلفين))، لكنه مخطوط[١٢].

ثم تلاه صديق حسن خان (١٣٠٧هـ) وصنف كتاباً سماه ((الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم المنثور منها والمنظوم))[١٣].

ثم تلاه سركيس (١٣٥١هـ)* وصنف كتابي ((معجم المطبوعات العربية والمعربة))، و((جامع التصانيف الحديثة))[١٤].

أما كتاب ((معجم المطبوعات العربية والمعربة)) فهو[١٥] مرتب على اسم شهرة المؤلف ثم يذكر مؤلفاته وأحياناً كثيرة يذكر تخصص مادة الكتاب.

ثم تلاه محسن الأمين (١٣٧١هـ) وصنف كتاب ((أعيان الشيعة))، واختص فيه طبقات الشيعة ومصنفاتهم[١٦]، ونشر منه (٣٥) مجلداً، ولم يتم، وطبع منه بعد وفاته الى السادس والخمسين[١٧].

ثم تلاه الكتاني (١٣٨٢هـ) وألف كتاباً سماه ((فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات))، حيث نهج منهج اسماعيل باشا البابائي (١٣٢٩هـ) في كتابه ((هدية العارفين))، اذ انه يذكر اسم المؤلف ثم يسرد مؤلفاته، لكنه أشبه ما يكون بالببليوغرافيا، ذلك أنه لا يذكر تخصص الكتاب في معظم الاحيان[١٨].

ثم تلاه آغابزرك (١٣٨٩هـ) وصنف كتابي ((الذريعة الى تصانيف الشيعة))، تسعة عشر جزءاً، و((طبقات أعلام الشيعة))، ستة مجلدات، حيث اختص الشيعة في هذين المؤلفين[١٩].

ثم تلاه الخوانساري (١٣٩١هـ)، وصنف كتاب ((أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير الشيعة))، جزءان صغيران جعلهما تتمة لكتاب ((روضات الجنات))[٢٠].

والف عدة من علماء الهند موسوعة سميت ((معجم المصنفين))، طبع في بيروت سنة ١٣٤٤هـ[٢١].

وكتب بعض المستشرقين في هذا الموضوع فألف المستشرق الألماني موللر كتاباً سماه ((وصف الكتب الشرقية))، وطبع في برلين عام ١٣٢٧هـ[٢٢].

وأما المستشرق الهولندي دي فانديك فألف كتاباً سماه ((اكتفاء القنوع بما هو مطبوع))، وهو فهرس الكتب قديمها وحديثها التي صدرت عن مطابع الشرق والغرب، ويقع في (٦٨٠) صفحة، بتصحيح محمد علي الببلاوي[٢٣].

لكن هناك بعض المصنفات بعضها لم يتم وبعضها الآخر لم يطبع، وقبل أن نبحث في هذه المادة لنا وقفة مع موسوعة ((كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون))، للحاج خليفة (١٠٦٧هـ)، التي امتازت على كثير من الموسوعات بمنهجها التجديدي الذي أخذ بالحسبان كشوف النهضة الأوربية[٢٤].

وذكرنا فيما سبق أن الحاج خليفة اعتمد على طاشكبري زاده (٩٦٨هـ) في تصنيف موسوعته، لكنه طور بها وزاد عليها، ولم يرتب فيها العلوم ترتيب من سبقه، فما هو المنهج الذي اتبعه؟

*رتب المؤلفات ترتيباً هجائياً وذكر تخصص مادة الكتاب، مثلاً:

- الابانة في معرفة الأمانة. للشيخ محمد بن محمد القارسكوري الحنفي الامام بالجامع الغوري من القاهرة مختصر أوله الحمد لله خالق الانسان الى آخر. ذكر فيه أنه لما ورد قسطنطينية سنة أربع وستين وتسعمائة وجد بها نظاماً وقانوناً على نمط الشرع الشريف يعول عليه سلطانها ووزراؤه لقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها، فكتب في تحقيق هذه الآية[٢٥].

*أثناء سرده للمؤلفات اذا ورد علم ضمن هذا الترتيب الهجائي لتلك المؤلفات فيذكره ويشرح ماهيته، وأحياناً يذكر من ألف وصنف في هذا العلم، مثلاً:

علم الأبعاد والأجرام

وهو علم يبحث فيه عن أبعاد الكواكب عن مركز العالم ومقدار جرمها. أما بعدها فيعلم بمقدار واحد كنصف قطر الأرض الذي يمكن معرفته بالفراسخ والأميال وأما أجرامها فيعرف مقدارها كجرم الأرض.

وأعلم أن مباحث هذا الفن في غاية البعد عن القبول ولذلك ترى أكثر الناس اذا سمعوا أوردوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وقالوا ان هذا الا كذب مفترى وذلك لعدم اطلاعهم على أحكام الهندسة والمناظر واعتقادهم أنه لا سبيل الى ذلك التقدير الا بالصعود والقرب من تلك الأجرام ومساحتها بالأيدي. ومن المختصرات في هذا الفن سلم السماء[٢٦].

علم الآثار

وهو فن باحث عن أقوال العلماء الراسخين من الأصحاب والتابعين لهم وسائر السلف وأفعالهم وسيرهم في أمر الدين والدنيا. ومباديه أمور مسموعة عن الثقات

والغرض منه معرفة تلك الأمور ليقتدى بهم وينال ما نالوه وهذا الفن أشد ما يحتاج اليه علم الموعظة هذا ما قاله مولانا لطف الله في موضوعاته وقد نقله الفاضل الشهير بطاشكبري زاده بعبارته في مفتاح السعادة. ثم قال ومن الكتب المصنفة في هذا العلم كتاب سير الصحابة والتابعين والزهاد وكتاب روض الرياحين لليافعي وغير ذلك.. انتهى. وأما آثار الطحاوي فسيأتي في معاني الآثار وشرح مشكلة مع ما يتعلق به فإن معنى اثاره معنى مغاير لتعريف هذا العلم وهو على ما في كتب أصول الحديث بمعنى الخبر. قال شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني في نخبة الفكر ان كان اللفظ مستعملا بقلة احتيج الى الكتب المصنفة في شرح الغريب وان كان مستعملا بكثرة لكن في مدلوله دقة احتيج الى الكتب المصنفة في شرح معاني الأخبار وبيان المشكل منها وقد أكثر الأئمة من التصانيف في ذلك كالطحاوي والخطابي وابن عبد البر وغيرهم انتهى وسيجيء زيادة توضيح فيه عند نقل كلام الطحاوي"[٣٠].

*اذا ورد كتاب عليه شروحات أو حواش، فيذكر المادة، ثم يتتبعها بمن شرحه وبمن الف عليه حاشية أو اختصره، مثلا:

عقائد النسفي- وهو الشيخ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد المتوفى سنة ٥٣٧ سبع وثلاثين وخمسمائة وهو متن متين اعتنى عليه جم من الفضلاء فشرحه العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ احدى وتسعين وسبعمائة وفرغ منه في شعبان سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة قال ان المختصر المسمى بالعقائد يشتمل على غرر الفوائد في ضمن فصول هي للدين قواعد وأصول مع غاية من التنقيح والتهذيب الخ. ثم شرح المولى رمضان بن محمد هذا الشرح في مجلد وتوفي سنة... وهو مشهور بحاشية رمضان افندي وصنف غيره وهو الشيخ محمد (ابن محمد) الشهير بابن الغرس الحنفي (المتوفى سنة ٩٣٢ اثنتين وثلاثين وتسعمائة شرحا كشرح رمضان فرغ من تأليفة في رمضان سنة ٨٨٧ سبع وثمانين وثمانمائة وهو شرح نافع أيضا).

ومن حواشي شرح العقائد حاشية المولى أحمد ابن موسى الشهير بخيالي المتوفى بعد سنة ٨٦٠ ستين وثمانمائة) ((٨٦٢)) وهي مقبولة سلك فيها مسلك الايجاز...الخ[٣١] ثم تلاه اسماعيل باشا البابانى(١٣٣٩هـ)" وذيل له ذيلا أسماه ((ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون))، ونهج نفس منهج كشف الظنون والحقه بمؤلفات كثيرة لم تذكر في كشف الظنون، ثم صنف كتابا جمع فيه مادة كشف الظنون))، ومادة ((ايضاح المكنون)) في كتاب سماه هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، رتب في هدية العارمين اسم المؤلف ثم سرد جميع مؤلفاته التي ورد ذكرها في ((كشف الظنون))، وفي ذيله ((ايضاح المكنون))، لكن لم يف ... مادة تخصص الكتاب فيه اذ انه يذكر ما قد سبق شرحه في كشف الظنون))، وفي ((ايضاح المكنون)).

ومما لا شك فيه أن هذا الكتاب الزاخر فيه مادة شاملة، جامعة ونافعة.

وقد جاء بعض الفاضلين وذيلوا ((كشف الظنون)) ذيولا كثيرة، نذكر بعضها :

- ذيل كشف الظنون

تأليف محمد عزتي أفندي المشهور "بوشنة زاده" الاسلامبولي المتوفى (١٠٩٢هـ) التذكار الجامع للآثار. تأليف السيد حسين العباسي النبهاني الحلبي المتوفى (١٠٩٦هـ)، اختصر فيه كتاب الكشف وزاد عليه ما فات المؤلف وما الف بعده، ونسخته موجودة بتمامها في مكتبة "يكنى جامع"، من جوامع اسلامبول.

- العلامة توى أفندي المتوفى (١٢٠١هـ) الف ذيلا له

- باثارنو

تأليف احمد طاهر أفندي ... زاده المتوفى (١٢١٧هـ)، طبع تذييله في "ليبزيك".

- عارف حكمت باشا المتوفى (١٢٧٥هـ)

الف ذيلا للكشف ولكنه لم يتم ووصل الى حرف الميم

- عثمانلي مؤلفرى

تأليف محمد أفندي الأرض رومي

- اسماعيل صائب سنجر الف ذيلا للكشف ولم يتم، ولا تزال النسخة مخطوطة. نعود الآن الى المصنفات التي سبق أن ذكرنا أن بعضها لم يتم وبعضها الآخر لم يطبع، نذكر منها مايلي[٣٢] :

- تنويع العلوم، لم يطبع

زين الدين محمد بن علي السهروردي الكردي المتوفى سنة (١٢٠٠هـ)

- أنواع العلوم

شمس الدين علي الحسيني الشيرازي المتوفى سنة (١٢٠٥هـ)

- أنواع العلوم، لم يتم ولم يطبع

محمد ابراهيم الحسيني المرعشي الحائري المتوفى سنة (١٢٤٠هـ)

- مؤلفات الشيعة، لم تتم ولم تطبع

محمد حسن الأصفهاني المتوفى (نحو ١٢٩٠هـ)

- معجم العلوم والحرف، لم يتم ولم يطبع

عبد النبي بن عبد الرسول بن أبي محمد عبد الوارث العثماني الحنفي الهندي الأحمد نكري (من أعيان القرن الثاني عشر)

- تاريخ العلوم، لم يتم المولوي حسن المتوفى (نحو ١٣٠٠هـ)

- مرآة الكتب

ميرزا علي أفاتقة الاسلام بن موسى بن احمد ...

بن محمد جعفر الخراساني التبريزي المتوفى (١٣٢٠هـ)
- اثار الشيعة، لم يتم
محمد الكوفي المتوفى (بعد ١٣٤٢هـ)
- كشف الأستار عن وجه الكتب والأسفار
النسخة المخطوطة لم تطبع بعد وهي عند ولده الهمام حجة الاسلام مصطفى الصنعاني الخوانساري أحمد الحسيني العبيدلي الأعرجي الصنعاني المتوفى سنة (١٣٥٩هـ)
- فهرست كتب جابي فارسي وعربي
الميرزا خابنابا المشار الطهراني
- جامع التصانيف المصرية
عبد الله الأفندي الأنصاري

من خلال استعراضنا السابق لتلك المراجع نلاحظ أنها مقتصرة على أمهات الكتب والمصادر الأولية، وعلى أي حال فتلك المراجع لا غنى عنها لأية مكتبة أكاديمية كانت كمكتبة الجامعة الأردنية او مكتبة جامعة اليرموك أو مكتبة متخصصة كمكتبة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت)، اذ أن هذه المراجع تساعد المفهرس على تصنيف الكتاب بطريقة جيدة.

ومن خلال تعاملي مع هذه الكتب في أحيان كثيرة لا يستطيع المفهرس أن يحدد موضوع الكتاب، حتى بعد قراءة المقدمة وأحياناً بعد قراءة بعض محتويات الكتاب، ذلك أن المؤلفين القدامى كثيراً ما كانوا يميلون عن الموضوع الأساسي للكتاب أو يكون المؤلف الواحد معروفاً بأكثر من تخصص فيكون مؤرخا وأديبا وفقيها كالبسطامي (٨٥٨هـ) أو يكون جغرافيا وفقيها كالملقب بالصوفي (٧٢٨هـ).

وعسى أن يكون في مقالتي المتواضعة هذه ما يفيد المفهرس العربي ويساعده على أن ينهض بعمله بالمستوى المطلوب من دقة ومهارة.

واملنا أن يكون بين المكتبيين اناس يهتمون بالتراث الاسلامي الزاخر، ويعتنون بالمراجع التي مازالت مخطوطة، فيقومون بتحقيقها ونشرها وتعميم الفائدة على جميع المكتبيين في شتى بقاع الدنيا.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الهوامش

* المجسطي كتاب في علم الهيأة لبطليموس، عربه حنين بن اسحق وجرده وحرره حجاج بن يوسف وثابت بن مرة، لحضة الأبهري وعربه نصير الدين الطوسي، واختصره وشرحه كثير من العلماء المسلمين كالبيروني والنيسابوري وغيرهم.

(١) كشف الظنون ٢: ١٥٩٤-١٥٩٦
(٢) موسوعة العلوم الاسلامية ١: ١٦
(٣) مفتاح السعادة ١: ٤٨

* ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق البغدادي (٣٨٥هـ)

(٤) موسوعة العلوم الاسلامية ١: ١٧٤
(٥) مفتاح السعادة ١: ١٣
(٦) كشف الظنون ٢: ١٣٠٢-١٣٠٤
(٧) موسوعة العلوم الاسلامية ١: ١٧٤
(٨) شمس العرب تسطع على الغرب ص٢٥٣، علم التاريخ عند المسلمين ص٢٦٧-٧٢٧

* الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان (٣٣٩هـ)

(٩) موسوعة العلوم الاسلامية ١: ١٤٠
(١٠) موسوعة العلوم الاسلامية ١: ١٦
(١١) رسالة التنبيه على سبيل السعادة ص٤٢-٤٣

* الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف النيسابوري (٣٨٧هـ)

(١٢) كشف الظنون ٢: ١٧٥٦
(١٣) مفاتيح العلوم (جميع مادة الكتاب)

* ابن سينا، شرف الملك أبو علي الحسين بن عبد الله البخاري (٤٢٨هـ)

(١٤) الشفاء (جميع المادة المتوافرة)

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (٤٥٦هـ)

(١٥) كشف الظنون ٢: ١٦٥٠

* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي (٤٦٠هـ)

(١٦) الأعلام ٦: ٨٤-٨٥

* الأبيوردي، أبو المظفر محمد بن أحمد بن أبي العباس (٥٠٧هـ)

(١٧) كشف الظنون ٢: ١١٠٥

* الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (٥٣٨هـ)

(١٨) كشف الظنون ١: ١٦٤

* القمي، علي بن عبيد الله بن الحسن الرازي (نحو ٥٨٥هـ)

(١٩) معجم المؤلفين ٧: ١٤٤

* ابن شهراشوب، أبو جعفر رشيد الدين بن محمد بن علي السروي المازندراني (٥٨٨هـ)

(٢٠) الأعلام ٦: ٢٧٩

* البلوي، أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله

الأندلسي المالكي (٦٠٤هـ)
(٢١) كشف الظنون ١: ١٥٠-١٥١
(٢٢) كشف الظنون ١: ٤٧١
*الرازي، فخر الدين محمد بن عمر البكري (٦٠٦هـ)
(٢٣) كشف الظنون ١: ٦٢٢
*ابن الساعي، أبو طالب تاج الدين علي بن بن أنجب بن عثمان ابن عبد الله (٦٧٤هـ)
(٢٤) كشف الظنون ١: ٣٠
*الشيرازي، قطب الدين محمود بن مسعود (٧١١هـ)
(٢٥) كشف الظنون ١: ٧٢٨
*الأملي، عز الدين محمد بن محمود (٧٥٣هـ)
(٢٦) كشف الظنون ٢: ١٩٦٦
(٢٧) العلوم في الاسلام ص٢٤
(٢٨) العلوم في الاسلام ص٢٤
*ابن ساعد السنجاري، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري الأكفاني (٧٤٩هـ)
(٢٩) كشف الظنون ١: ٦٦
*البسطامي، زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنطاكي الحنفي (٨٥٨هـ)
(٣٠) كشف الظنون ٢: ١٩٠٥
*التوقاتي، لطف الله بن حسن الرومي الحنفي (٩٠٤هـ)
(٣١) كشف الظنون ٢: ١٩٠٥
*الدواني، جلال الدين محمد بن أسعد (٩٠٨هـ)
(٣٢) كشف الظنون ١: ١٨٤، الأعلام ٦: ٣٢
*السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (٩١١هـ)
(٣٣) معجم المؤلفين ٥: ١٢٨، كشف الظنون ٢: ١٩٧
*طاشكبرى زاده، أبو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل (٩٦٨هـ)
(٣٤) مفتاح السعادة ومصباح السيادة (جميع المادة)
*سبق ذكره
(٣٥) موسوعة العلوم الاسلامية ١: ١٢٦
*الشرواني، محمد أمين بن صدر (١٠٣٦هـ)
(٣٦) موسوعة العلوم الاسلامية ١: ١٢١
*العجمي، حافظ الدين (١٠٥٥هـ)
(٣٧) كشف الظنون ٢: ١٣٠٤
*الكاشي، محسن بن مرتضى بن فيض الله محمود (١٠٩٠هـ)
(٣٨) كشف الظنون ٤: ٢١٢
(٣٩) الأعلام ٦: ١٨٧
*التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي (بعد ١١٥٨هـ)
(٤٠) كشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٨-٧٢
*اعجاز حسين، اعجاز حسين بن محمد علي بن محمد حسين الموسوي الكنتوري (١٢٨٦هـ)
(٤١) الأعلام ١: ٢٢٤
محمد عبد الحي، أبو الحسنات محمد عبد الحي بن محمد الأنصاري اللكنوي الهندي (١٣٠٤هـ)
(٤٢) الأعلام ٦: ١٨٧
*صديق حسن خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسين بن علي البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ)
(٤٣) كشف الظنون ٤: ٧٠٩
*سركيس، يوسف بن اليان بن موسى (١٣٥١هـ)
(٤٤) الأعلام ٧: ٢١٩
(٤٥) معجم المطبوعات العربية والمعربة (جميع المادة)
*محسن الأمين، محسن بن عبد الكريم بن علي الحسيني العاملي (١٣٧١هـ)
(٤٦) أعيان الشيعة (جميع المادة المتوافرة)
(٤٧) الأعلام ٥: ٢٨٧
* الكتاني، محمد بن عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الادريسي (١٣٨٢هـ)
(٤٨) فهرس الفهارس (جميع المادة)
*آغابزرك، محمد محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني (١٣٨٩هـ)
(٤٩) الأعلام ٥: ٢٨٨-٢٨٩
*الخونساري، محمد مهدي بن محمد الكاظمي الموسوي الأصفهاني (١٣٩١هـ)
(٥٠) الأعلام ٧: ١١٦
(٥١) كشف الظنون ١: المقدمة
*موللر، أوجسيت (١٨٤٨-١٨٩٢)
(٥٢) كشف الظنون ١: المقدمة
*فانديك، أدوارد (١٣١٣هـ)
(٥٣) المستشرقون ٣: ١٣٢
*الحاج خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (١٠٦٧هـ)
(٥٤) موسوعة العلوم الاسلامية ١: ١٢٦
*سبق ذكره
(٥٥) كشف الظنون ١: ١
(٥٦) كشف الظنون ١: ٤٠٢
(٥٧) كشف الظنون ١: ٩٨
(٥٨) كشف الظنون ٢: ١١٤٥-١١٤٩
*اسماعيل باشا البابانى، اسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي (١٣٣٩هـ)
(٥٩) كشف الظنون ١: المقدمة
(٦٠) كشف الظنون ١: المقدمة
*سبق ذكره
*الصوفي، ابو عبد الله شمس الدين الأنصاري (٧٢٨هـ)

ثبت المراجع والمصادر

- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف الزركلي، خير الدين
ط٥. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠، ٨مج
- أعيان الشيعة
محسن الأمين، محسن بن عبد الكريم بن علي الحسيني العاملي (١٢٧١هـ) حققه وأخرجه حسن الأمين
ط٥. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٣، ١٠ مج (مع فهارس وكشافات) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون اسماعيل باشا البابائي: اسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابائي البغدادي (١٣٣٩هـ)
بيروت، دار الفكر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٢مج
- رسالة التنبيه على سبيل السعادة
الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان (٣٣٩هـ)
دراسة وتحقيق: سحبان خليفات
عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٧
- الشفاء
ابن سينا، شرف الملك أبو علي الحسين بن عبد الله البخاري (٤٢٨هـ)
بتحقيق عبد الحليم منتصر... وآخرين، راجعه وقدم له ابراهيم بيومي مدكور..
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٥٢-١٩٨٠
(متوافرة عدة مجلدات غير مكتملة)
- شمس العرب تسطع على الغرب: ((أثر الحضارة العربية في أوروبة)).
هونكه، زيغريد، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري. ط٢- بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٦٩
- علم التاريخ عند المسلمين
روزنتال، فرانز، ترجمة صالح أحمد العلي. ط٢.. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
- العلوم في الاسلام: دراسة مصورة
سيد حسين نصر، نقله الى العربية: مختار الجوهري. حقق النص العربي وضبط الألفاظ العلمية والفنية: محمد السويسي، الصور: رولان ميشو. تونس: دار الجنوب، ١٩٧٨
- فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات
الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير من محمد الحسني الادريسي (١٣٨٢هـ) باعتناء احسان عباس. ط٢- بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢-١٩٨٦ ٣مج (مع فهارس وكشافات)
- كشاف اصطلاحات الفنون
التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي (بعد ١١٥٨هـ) حققه لطفي عبد البديع، ترجم النصوص الفارسية عبد النعيم محمد حسنين، راجعه أمين الخولي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٣-١٩٧٢، ٤مج
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
الحاج خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (١٠٦٧هـ)
بيروت، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ٢مج
- المستدرك على معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية تأليف كحالة، عمر رضا
بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م
- المستشرقون
ط٤ موسعة - القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧، ٣مج
- معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية
تأليف كحالة، عمر رضا
بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ٨مج
- معجم المطبوعات العربية والمعربة
سركيس، يوسف بن اليان بن موسى (١٣٥١هـ)
القاهرة: مكتبة يوسف اليان سركيس وأولاده، ١٩٢٨، ٢مج
- مفاتيح العلوم
تأليف الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف النيسابوري (٣٨٧هـ)
ط٢. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- مفتاح السعادة، ومصباح السيادة، في موضوعات العلوم
طاشكبرى زاده، أبو الخير احمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل (٩٦٨هـ)
تحقيق ومراجعة كامل كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور - القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨، ٣مج (مع فهارس وكشافات)
- موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين
حققها وراجعها بول غليونجي... وآخرين: تحرير رؤوف سلامة موسى، الاشراف الفني: هبة عنايت. الاسكندرية: دار ومطابع المستقبل، ١٩٨٠ الجزء الأول
- هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون
اسماعيل باشا البابائي، اسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابائي البغدادي (١٣٣٩هـ)
بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ٢مج

الخصوصية التخطيطية والمعمارية لمكونات المدينة العربية الاسلامية

أ. د. حيدر عبد الرزاق كمونة
جامعة بغداد

المقـدمة

يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام يتجلى لنا مدى براعة وذكاء مخططي ومصممي فضاءات المدينة العربية الاسلامية وما تمخض عن ذلك من استجابة لمتطلبات ومحددات بيئية واجتماعية ودينية بل وحتى جمالية.

حتى باتت مدننا تلك محط إعجاب ودراسة ليس من قبل العرب فحسب بل حتى الغربيين، وان دل ذلك على شيء فإنما يدل على عظمة ورقي الفكر التخطيطي للمسلمين آنذاك.

ونتيجة لما مرت به الامة العربية من ركود وتخلف من جانب، وما آلت اليه المدن الاوربية من تطور وتقدم علمي وتكنولوجي في كل الميادين من جانب آخر، جعلنا ننظر الى ما عندهم بعين الانبهار والاعجاب محاولين تقليدهم والحذو حذوهم في انتهاج وتطبيق الأساليب والطرق نفسها في تخطيط مدننا وتصميم أبنيتنا متناسين الظروف والمحددات التي اعتمدت فيها هذه الأساليب التخطيطية متجاوزين بذلك متطلبات ظروفنا البيئية والاجتماعية والدينية التي باعتمادها تعطي المدينة العربية الاسلامية خصوصيتها والتي بدورها باتت تضمحل شيئاً فشيئاً.

ولذلك جاءت ضرورة هذا البحث في تسليط الضوء على براعة الحلول والمعالجات التي جاءت بها المدينة العربية الاسلامية تخطيطاً وابرازاً لنواحي الايجابية التي طالما افتقدناها في تخطيط مدننا المعاصرة كدعوة للمخططين والمصممين في الاستفادة من افكار عربية اسلامية اثبتت كفاءتها بشرط أن تتوافق ومتطلبات الحياة المعاصرة واستلهام روح التراث الإسلامي للحفاظ على هوية المدينة العربية الاسلامية وتحقيق الخصوصية التي طالما اغفلناها جراء حذونا وتقليدنا للمدن الاوربية وافكارهم.

خصوصية المدينة العربية الاسلامية على مستوى النسيج الحضري والاداء المكاني

١.١. الخصوصية

سنتناول هنا تعريف كلمة الخصوصية اصطلاحاً ولغة ثم نأتي الى مفهوم خصوصية البيئة الحضرية.

١.١.١. الخصوصية (اصطلاحاً) و (مفهوماً).

قد شاع استعمال مصطلح الخصوصية للوصف ضمن اطار المجتمع او القطر، والهوية في وصف الانتماء الى كيان اجتماعي اكبر كالأمة او الاقليم. وبناء على مفهوم الخصوصية، تكون الخصوصية في العمارة هي حقيقتها المشتملة على صفاتها الجوهرية التي تنفرد بها. إلا أن هذه الصفات غير ثابتة وغير مطلقة، إذ لا وجود للعمارة بصيغ مطلقة، بل تقوم وتمتلك صفاتها الأساسية ضمن اطار المكان والزمن وبتأثير الإنسان (فرد/ مجتمع) الذي يمثل محور وجودها، فهي تقوم تلبية لحاجات مادية وروحية له(١).

تتحقق الخصوصية حالة مستمرة ومتطورة في العمارة - لا طرازاً ثابتاً - عند حدوث التوازن بين حاجات المجتمع وكفايتها، وانعكاسها في الشكل المدرك للعمارة والبيئة التي تتضمن الصفات الجوهرية له. وتبعاً لـ (ايبل)، فإنها تمثل (مصادر الحالة) وتعتبر منظومة خارجة عن الشكل الفيزيائي تترجم الى عناصرها بواسطة بدائل تصميمية وانظمة مستخلصة منها(٢).

٢.١ مفهومنا للمدينة الاسلامية

ان لكل امة ولكل حضارة تصورها التمدني الخاص بها، والمدينة وليدة الحضارة بكل ما تحمله من عقائد، ولذا تختلف المدن بعضها عن بعض، ولكنها بمجملها تعبر عن المقدرة على اخضاع الظروف البيئية والجغرافية والحاجات الحياتية وفقاً لفكر معين كي يخدم نظاماً اجتماعياً محدداً يعبر به المجتمع عن نظرته للوجود والحياة والعالم.

ولا تخرج المدينة الاسلامية عن هذا المفهوم بالطبع فهي جماع المظاهر المادية للحضارة الاسلامية، والتي تعبر عن طبيعة الفكر الاسلامي سواء في مبادئه العامة او في جزئيات تطبيقه. ومع ذلك ينبغي علينا ان نحدد حصراً ما نعنيه بـ ((المدينة الاسلامية)) هل هي المدينة التي خططت وبنيت في عصور الاسلام الاولى؟ او هي التي تضم تجمعات تدين

بدين الأسلام؟ او هي التي نسبت الى الاسلام باعتباره منهج حياة فيها؟ نرى المدينة الاسلامية وجدت منذ اليوم الاول للإسلام في المدينة المنورة بعد هجرة النبي الكريم (ص) اليها، إذ انه من الطبيعي ان يقرر الاسلام مؤشراته لرسم صورة الحياة الحضرية ما دام يحمل منهجا حياتيا ودينيا سماويا يدعو لبناء حياة كريمة. وكانت صورة المدينة الاسلامية الاولى "المدينة المنورة" تستمد اطارها العام من ثلاثة عناصر تنتمي الى الاسلام بصورة واضحة وجلية، وهي:

١. السلطة: وكانت متمثلة بسلطة النبي الكريم (ص).
٢. المجتمع: والذي كان يتكون من المهاجرين والانصار.
٣. القانون او (الدين): وهو ما يتمثل باوامر الدين التي تنظم الحياة

وكان تفاعل هذه العناصر مع بعضها، وبحضور النبي الكريم (ص)، وتقريره لذلك يعد في نظر الاسلام دليلاً شرعياً على وجوب ذلك وصحته. وكان هذا الامر مستمراً في زمن الخلفاء الراشدين (رض) في صورة واضحة، ومن بعدهم ايضاً وان كانت الصورة مختلفة كثيراً، إلا ان الروحية الحضرية للبيئة الاسلامية كانت متوافرة. وبناءاً على هذا فان المدينة الأسلامية موجودة في كل بلد تكون فيه السلطة والمجتمع والقانون منتمية الى الاسلام بكيفية واضحة وظاهرة الأثر، وانها لم تنته بمجيء العصر الحديث وظهور المدن الحديثة التي لعبت المخترعات الحديثة فيها الدور الرئيسي بل هي موجودة بوجود الأسلام، الذي نص القرآن الكريم انه دين الأنسانية حتى قيام الساعة.(٣)

غير اننا لا نتفق بشكل تام مع هذا الراي الذي يشترط وجود السلطة والمجتمع والقانون لوجود المدينة الاسلامية، ذاك بأني أرى عنصر آخر لا يمكننا ان نغفله او نتجاوزه لما له من اهمية في جعل المدينة الاسلامية القديمة محط اعجاب وتقدير المخططين والمصممين الى يومنا هذا الا وهو الوعي الفكري.

اذ لم تعرف المدينة الأسلامية بخصوصيتها التي انفردت بها وميزتها عن غيرها من المدن إلا باقتران انها بالوعي الفكري الذي غدا براي مزيا حيث ما وجد وجدت المدينة الأسلامية.

١.٢.١. خصوصية المدينة العربية الاسلامية (التخطيطية والمعمارية)

تبدأ نشأة المدينة الاسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول اليها والتي حولتها الى مدينة بمفهوم حضاري واضح أنسحب على تسميتها، فاصبحت تسمى المدينة.(٤)

١.٢.١. على مستوى النسيج الحضري

النسيج الحضري للمدينة العربية الاسلامية ذو تكوين عضوي يرتبط فيه التكوين الفضائي بالتكوينات المعمارية للمباني، وهذه السمة يشعر بها الداخل للمدينة لارتباطها بالمقياس الانساني ولإحساسه بالحجوم والفضاءات التي تكون المظهر الداخلي للمدينة ويمتاز هذا المزيج بعدة ميزات نذكر منها:(٥)

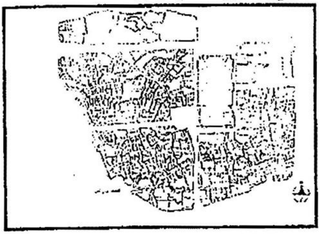

شكل (١-١) يبين التكوين العضوي للنسيج الحضري للمدينة العربية الأسلامية.

المصدر (عثمان، المدينة الاسلامية، ١٩٨٨)

١. الوحدة والتوجه نحو الداخل

ويبدأ هذا الاحساس حال دخول المدينة من ابوابها، وفي هذا دلالة على مبدأ الخصوصية او مبدأ "الحرمات"(٦)

٢. التأثير المتبادل للجزء والكل في تشكيل النسيج

اذ يحظى كل من الجزء والكل بنفس الأهمية عكس حال النسيج الحضري لمدننا الحديثة، اذ نرى ان الكل اهم من الجزء. ولعل السبب في هذا هو المرونة التي توفرها سمة العضوية وطبيعة الأنشطة المختلفة في الحياة وطبيعة التنقل والاتصال، ونظرة المساواة ولو في المظهر الخارجي. زيادة على ما نشعر به من سمات التآلف والتفاعل في سلوك وآراء سكان المدينة. انظر الشكل المجاور (٢-١)

شكل (٢-١) التأثير المتبادل للجزء والكل. المصدر (العسكري ١٩٩٧)

٣- الاحتواء في التنظيم الفضائي

وهو مفهوم يعرف الفضاء ويجعله محدداً ضمن ما يحيط به من كتل وعناصر معمارية ونجد هذا المفهوم منطبقاً على السكن ومعظم عناصر المدينة كالمسجد والمدرسة والخان وغيرها زيادة على مجمل تكوين المدينة.(٧)

اي ان لتحقيق هذه الميزة يجب اعتماد مبدأ التراص في

الابنية الامر الذي يعطي نسيجاً متجانساً للبيئة الحضرية ونحن نؤيد هذا المبدأ من خلال كفاءة تعريفه للفضاء كما في الشكل (١-٣)

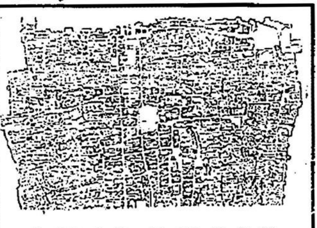

صورة لمدينة صفاقس التونسية المصدر (العسكري، ١٩٩٧، ص٢)

٤. قطبية الفضاء

من ابرز سمات المجتمع الاسلامي هي العلاقة الثنائية التي انعكست في جميع جزيئات تكوين المجتمع، وهي علاقة الانسان بالخالق تعالى، وعلاقة الانسان باخيه الإنسان وهاتان العلاقتان مترابطتان ولهما تاثيرهما في هيكلية المجتمع الذي اصبح يعتمد مبدأ التوحيد اذ ظهرت الحاجة الى التحكم في السلوك والاتصال الاجتماعي كواحدة من اهم المحددات لتصميم الفضاءات ولعل هذا مانراه جلياً في مستويات التكوين الفضائي في المدينة ابتداءاً من تصميم السكن وحتى تشكيل الهيكل العمراني، والمبدأ الذي نعنيه في هذا القول هو ايجاد التوازن بين الخصوصية المطلوبة للأسرة والتلاحم المطلوب للمجتمع ككل.(٨)

شكل (١-٤) يوضح قطبية الفضاء

المصدر (العسكري،١٩٩٧،ص٤)

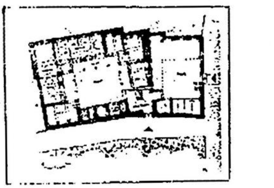

شكل (١-٥) التدرج على مستوى الوحدات السكنية. المصدر (العسكري ١٩٩٧).

٥. الايقاع في التكوين الفضائي

نجد التنوع ضمن الوحدة العامة، فالفضاء يضيق تارة ويتسع أخرى، ويمتد مستقيماً وينحني، وهناك محطات توقف واحتواء وانتقال من فضاء الى آخر، وكل هذا ضمن ايقاع طبيعي تلقائي. ويرتبط هذا الايقاع بطبيعة الحركة في الفضاء.

ففي الأزقة تكون الحركة حرة وهذا انعكس على تصميم واجهات الابنية على جانبي الزقاق، اذ ان المعالجات المعمارية حرة في تكوين الواجهة وهذا يظهر لنا التنوع اللانهائي في التكوينات المصغرة التي تكون الزقاق ككل، فهي ليست (نحتية) ينظر اليها من الأمام لأنها مشيدة في دهاليز مستمرة، ويتعرض المار في هذه الأزقة الى تنويع في كل خطوة يخطوها بل حتى عندما ينظر المرء الى الأمام او الى الوراء او الى الاعلى. واما الفناء الداخلي فالحركة فيه خاصة بمستخدميه، فهو موجه بوجه نظر اصحابه وبما يؤديه من وظائف، وعليه تختلف فيه المعالجات المعمارية للواجهات، والسبب الآخر لاختلافها هو الشكل الهندسي المحدد والفضاء المحصور مما يجعل الفناءات بمجموعها في المدينة تعطي ايقاعات فضائية مختلفة كما في الشكل اعلاه(٩)(١-٦).

ان اعتماد هذه الميزة او الخاصية في النسيج الحضري للمدينة الاسلامية من شأنه أن يبعث البهجة في النفوس ويكسر الملل والرتابة المتأتية من تكرار نفس العنصر دون تغيير.

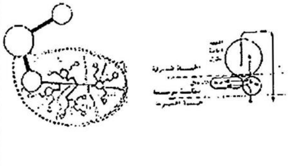

الشكل(١-٦) الايقاع في التكوين الفضائي

٧. غطاء السماء

السماء غطاء الفضاء، واحد عناصره الهامة الذي منه يستمد منه الميدان الكثير من خصائصه، هذا العنصر الاثيري الذي بزرقته يتفاعل مع جوف الميدان فيكمل معناه، هذا الغطاء يجب ان يأخذه بعده الحقيقي في الاعتبارات التصميمية، فاسلوب تداخل المباني مع السماء يمكن ان تحمل ايحاءات وانطباعات تعزز من شعور التداخل بين الفضاء والسماء.(١) كما في الشكل (٨.١).

المسلمون عبروا عن هذا التداخل بطريقتهم الخاصة من خلال المنائر والقباب المشرئبة نحو السماء، المتفاعلة معه باسلوب حاذق معبر عن أثر السماء في صلب العقيدة الاسلامية، فالسماء مصدر الخير واليها يتجه المسلم بصدره نحو الخالق يسأله الرحمة والمغفرة والعفو والرضوان(١٠).

شكل (١-٨) التداخل بين الفضاء والسماء. المصدر (العسكري، ١٩٩٧)

٢.٥.٢.١ على مستوى الاداء المكاني

سندرس هنا خصوصية المدينة الاسلامية وفقاً لعدة ابعاد ادائية منها:

١. هوية المدينة العربية الاسلامية

بعد بناء المجتمع الإسلامي وانتشار ثقافة الاسلام التي تبدي تسامحا كبيرا وتحث فيه على امتلاك هوية اسلامية خاصة بالفكر وبالنظرة الى الحياة والكون، كان لابد لهذه النظرة ان تمتد الى الفكر التخطيطي والتصميمي للمدينة الاسلامية، إذ تقولبت المدينة بخصائص معينة اقليمية ومحلية في المناطق التي امتدت اليها(١١).

٢. بنية الشكل في المدينة الاسلامية

أدت العوامل الطبيعية والثقافية المؤثرة في تكوين ابنية الشكلية للمدينة العربية الاسلامية الى ايجاد لغة تصميمية حيوية وتلقائية تعتمد على استعمال عدد محدود من المفردات المعمارية والحضرية، بالرغم من توافر مرونة وتنويع كبيرين من خلال فنون التركيب وامكانيات البناء اللغوي المتعددة(١٢).

ولعل هذه الامكانيات التكوينية (التماسكة) انعكاس لطبيعة المجتمع آنذاك في تماسكه وتفاعله سلبا وايجابا زيادة على ان هذه الطبيعة (الشكلية) عززتها نظرة التفهم للمقياس الانساني، اذ ان لهذا الاخير، دورا كبيرا في تحديد طبيعة احساس المتلقي بعناصر المدينة المعمارية في امكنتها المختلفة، وقد ساعد على تحديد او تعريف مقياس الحركة واتجاهها وجود بعض معالم ودلالات المدينة كالجوامع بمآذنها وقبابها. ومما يساعد في تفهم الشكل وعلاقته بالحركة في المدينة هو وجود "التوجه" في ابنية المساجد مثلاً نحو الكعبة، وتوجه البادكيرات نحو الرياح السائدة نفهم من ذلك وجود "توجه مكاني" المدينة(١٣).
لاحظ الشكل (٩.١).

٣. انسجام التنظيم المكاني مع التنظيم الاجتماعي

وهذا مانفهمه من خلال انسجام العناصر الحضرية في المدينة العربية الاسلامية كالمساجد والاسواق والمحلات السكنية وغيرها مع بعضها، مكونة نسيجاً متجانسا يعبر عن مفهوم التجانس الاجتماعي بصرف النظر عن اختلاف وضع الافراد الاقتصادي، هذا من ناحية اخرى فان ما نجده من تميز المساجد والمدارس مثلاً في سعة افنيتها الفضائية وكبر حجم كتلتها، يعبر عن اهمية دورها الاجتماعي والثقافي(١٤).

٤. الخصوصية

يعمل التنظيم المكاني للمدينة العربية الاسلامية على تلبية مبادئ الخصوصية والحرمات الشخصية والاجتماعية ومتطلبات الاحتشام والسيطرة التي تؤكد عليها الشريعة الأسلامية وهذا ما نجده في تخطيط المسكن الواحد وفي علاقته مع بقية المساكن وعلاقته مع الشوارع والازقة والساحات وانظمة الحركة ومقاييسها، وفي توجه التخطيط والتصميم نحو الداخل.(١) انظر الشكل (١٠.١).

٥. ملاءمة الشكل مع السلوك

لا تبتعد البنية الشكلية للمدينة الإسلامية عن طبيعة تصرفات الافراد في سلوكهم العام، ويمليه عليهم الدين الاسلامي الحنيف، فالشكل في المدينة تخطيط وتصميم يتبع فكر الانسان، وأول هذه السلوكيات هو تحقيق مبدأ الحرمات(١٥).

٦. المرونة

ان النظر الى المدينة الاسلامية عبر مراحل زمنية طويلة ومختلفة يوضح لنا ان التغيرات الشكلية التي حدثت ليست بذلك الحجم الكبير، مما يؤكد إفتقار البنية الحضرية، فيها ومكوناتها التخطيطية والمعمارية للمرونة الاستيعابية إن انحسار هذه المرونة

أو افتقارها ليس عيباً، انما هو دليل على ان المفاهيم السلوكية الاسلامية ذات البعد التخطيطي والمعماري تتقبل التنوع مع مختلف العصور، لأن الغاية هي تحقيق الجوهر والمبدأ(١٦).

٧. التنوع

ان النسيج الحضري للمدينة الاسلامية يتمتع بقدر كبير من الانسجام والتوازن والوحدة، اذ هو ليس ببعيد عن التنوع في افنية الابنية وفي الابنية الحضرية الاجتماعية ذات التكوين المتدرج الذي يساعد في توجيه حركة الافراد وتحديد انطلاقه الخصوصية والعمومية في المكان. ولهذا التنوع اثره في اثراء اجواء المدينة، وتلبية لحاجة الانسان في التنويع والتغيير على الصعيد الحسي والنفسي.

انظر الشكل (١٠١١).

وتجدر الاشارة هنا الى انه ليس كل تنوع مرغوباً حيث ان من التنوع ما يجعل النسيج الحضري لا يحمل سمة التوحيد، فالتنوع سلاح ذو حدين يعطي نتائج ايجابية عندما يعرف كيفية اعتماده.

٨. المساواة في البنية الشكلية للمدينة العربية الاسلامية

من خلال الخليط المتجانس من الدور السكنية في محلات المدينة العربية الاسلامية، ومن خلال الوحدة البصرية في العناصر المعمارية الخارجية نفهم وبوضوح قدراً من المساواة بين الدور السكنية(١٧).

ولعل هذا يأتي استجابة لتعاليم الدين الحنيف التي تدعو الى المساواة ويتجسد ذلك من خلال قول الرسول (ص) "كلكم من آدم وآدم من تراب" فلا خير لغني على فقير.

٩. السيطرة على الحركة

وهذا ما تتمتع به المدينة وتحققه من خلال الطبيعة المتعرجة والمعقدة للأزقة، ومن خلال تنظيم الحركة في مستويات متدرجة ترتبط بمفاصل او عقد، ويرتبط هذا بشكل واضح مع مفهوم الخصوصية واحترام الحقوق والحرمات الاجتماعية، زيادة على ما يحققه من دور دفاعي(١٨).

١٠. عنصر المفاجأة

في بعض المدن العربية القديمة مراقد شريفة، ونرى ان هناك نسيجا عضوياً مترابطاً ترابطاً دقيقاً يحيط بالمراقد، حيث ينتقل الانسان ضمن هذا النسيج أي الازقة الضيقة المتعرجة التي تعطي المقياس الانساني الصحيح المطلوب، وعندما يصل الى المرقد فانه يدخل الفضاء الواسع (الصحن) للمرقد فجأة وبهذا فان الانتقال المفاجيء له من الزقاق الضيق الى الصحن يجعله يفاجأ وبهذا يشعر بالخشوع والتقوى اللازم والضروري في تلك الاماكن المقدسة. والمبدأ نفسه ينطبق على المسجد(١٩).

خصوصية المدينة العربية الاسلامية من خلال أهم العناصر التخطيطية والمعمارية المكونة لها

من المعروف ان المدينة العربية القديمة قد نشأت نتيجة لتطور حضارات عظيمة وخزنت من الابنية التراثية خزيناً عظيماً تفتخر به امام معظم بلدان العالم وكان بها من الأصالة الشيء الكثير، حيث ان اجدادنا العظام قد استطاعوا ان يصنعوا من الامور البسيطة وان يطوروا من الافكار التخطيطية والتصميمية الملائمة لبيئة المنطقة العربية الشيء الكثير لمقاومة الظروف الطبيعية القاسية(٢٠).

ومن هنا جاءت خصوصية المدينة العربية الإسلامية التي نحن بصددها والتي اندثرت معالمها شيئاً فشيئاً عبر السنين المنصرمة جرياً وراء التصاميم والمقترحات الاوربية التي افقدتنا انسب الحلول والتصاميم الملائمة لبيئتنا.

١.٢ الأسواق

من الملامح الرئيسية للمدن أنها ذات طابع تجاري بل ان بعض الباحثين يعزو نشأة المدن (ومنها الاسلامية) اصلاً الى انها مراكز تبادل تجاري كانت تنشأ عند ملتقى الطرق(٢١). وتمثل الاسواق مراكز النشاط التجاري بصوره ومراحله المختلفة التي انعكست انعكاساً مباشراً على نمطية الاسواق وانواعها. ففي الاطار الزمني وجدت الأسواق الشتوية الموسمية كتلك التي كانت للعرب قبل الأسلام. وفي الاطار المكاني المحدد للمساحة والموضع وجدت الاسواق الكبيرة كتلك التي وجدت خارج المدن قريبة من ابوابها واسوارها، والتي كانت تقام اسبوعياً، وتتسع للقادمين من المتجاورات في الاقليم الذي تقع فيه المدينة ولسكان المدينة الذين ياتون للاتجار في بضائعهم ومنتجاتهم ذات الاحمال الثقيلة والاحجام الكبيرة ينتقلون منها واليها في سهولة ويسر. والاسواق داخل المدينة تنوعت مواضعها ومساحتها حسب نشاطها وخدماتها التي تؤديها(٢٢).

١.١ السوق ونظام التدرج

نرى ان هناك الاسواق الكبيرة التي تحوم حول الجامع الكبير الموجود في وسط المدينة. اما بقية الاسواق فتمتد من المركز الى المناطق السكنية وفق نظام متسلسل ومتدرج ليقدم افضل الخدمات للسكان(٢٣).

٢-١-٢ السوق والمناخ

من خلال دراسة المدينة العربية الاسلامية نجد ان السوق تحتل اهمية كبيرة سواء على المستوى التجاري او على المستوى الاجتماعي من خلال الارتياد اليومي للسوق من قبل السكان الامر الذي شجع على تهيئة السوق ليتجاوب مع الظروف المناخية.

حتى نرى ان تلك الاسواق تتجاوب مع متطلبات المناخ لأنها مغطاة ومسقوفة بما يشكل حماية من اشعة الشمس الحارقة في اوقات الصيف علاوة على امتيازها بارتفاع الرطوبة النسبية وانخفاض الحرارة مما يخفف من وطأة المناخ الخارجي(٢٤).

ان فكرة الأسواق المغطاة في المدينة العربية الاسلامية بدأت منذ الدولة الأموية واستمرت حتى بلغت ذروتها في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) الذي بدأ خطة حافلة لاصلاح وترميم وتشييد الأسواق(٢٥).

يجدر بي هنا ان أبدي تأييدي لمبدأ التسقيف في الأسواق، فبالاضافة الى ما يوفره التسقيف من راحة مناخية فهو أيضاً يحافظ على المنتوجات الزراعية بل حتى الحرفية وغيرها من التلف جراء تعرضها لأشعة الشمس المباشرة.

٢-٢ السور

السور يمثل احد مكونات اغلبية المدن الأسلامية. ويتبين من الآيات الكريمة مفهوم السور كعزل للشر وتحديده وهذا يتجلى واضحا عندما طلب المستضعفون من ذي القرنين بأن يبني سداً يحميهم من غارات ياجوج ومأجوج، قال تعالى "قالوا يذا القرنين ان ياجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على تجعل بيننا وبينهم سداً))(٢٦). انظر الشكل (٢-٢)

وحماية للمدن ظلت الأسوار والاستحكامات والخنادق من خصائص المدن حتى القرن الثامن عشر في اوربا بل حتى اليوم في اجزاء قليلة من العالم. وانطلاقاً من اهمية الامن الذي يتوفر بتحصين المدينة اعتبر السور من المعايير الحضارية التي تميز المدن. واعتبر الاسلام بناء الاسوار والابراج والقلاع والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي من مقاصد الاسلام(٢٧).

يظهر تأثير السور في البعد المكاني للفضاءات من خلال تدرج الفعاليات من الفضاء العام، ثم الفضاء الخاص القريب من السور، والسبب في ذلك يرجع للأثر الذي يتركه السور في المدينة حيث يخلق انغلاقية نحو الداخل، وليس الانفتاحية هذه الانغلاقية تجعل السور عاملاً مساعداً يركز الفعاليات نحو المركز الروحي (الجامع)(٢٨).

انظر الشكل (٣-٢).

شكل (٢-١) السوق المصدر (الموسوي ١٩٩٦).

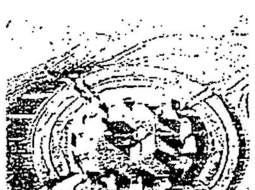

شكل (٢-٢) منظر جوي لمدينة بغداد

شكل (٢-٢) يوضح التدرج الفضائي للطرق

٢-٣. الطرق

تحتل الطرق مكانة مهمة في المدن الأسلامية، باعتبارها قنوات اتصال رابطة وفضاءات ذات تدرج هرمي متناسق ومترابط يعطي لكل جزء من المدينة سمة خاصة.

٢-٣-١. التدرج الهرمي للطرق

هناك تدرج هرمي للطرق، حيث تمتلك المدن الاسلامية تسلسلاً هرمياً للطرق وكما يلي:

١. الطرق الرئيسية المحورية (فضاءات شبه عامة)

٢. الطرق الرابطة (فضاءات شبه عامة - فضاءات شبه خاصة)(٢٩).

انظر الشكل (٤.٢).

شكل (٢-٤) يوضح التدرج الفضائي للطرق

٢.٣.٢ الطرق والتأثير المناخي

يمتاز النسيج الحضري للمدينة العربية بأن تخطيطه متراصف حيث ان هناك الازقة الملتوية الضيقة والمتعرجة التي تجعل الدور متقاربة مع بعضها لاعطاء تضليل للماشي في هذه الازقة، اضافة الى حجب اشعة الشمس عن الدور المحيطة. كذلك فإن التواء وتعرج الازقة يحد من اندفاع الرياح والعواصف الترابية من المناطق الصحراوية، حيث انها ستجد مصدات امامها من خلال ارتطامها بالبيوت الموجودة(٣٠). الشكل (٥.٢)

٢.٣.٣. الطرق والجانب الاجتماعي

ان تخطيط طرق المدينة العربية الاسلامية بهذه الطريقة من الالتواء والتعرج خصوصية اجتماعية للبيت. من جهة اخرى فان ضيق هذه الطرق التي لا تتجاوز في بعض الأحيان ٢م توفر علاقات اجتماعية قوية وروابط بين سكان الزقاق او الطريق المعني وهذا ما نفتقده اليوم حيث يمكننا ان نلمس الضمور في العلاقات الاجتماعية بين سكان الزقاق الواحد. الشكل (٥.٢).

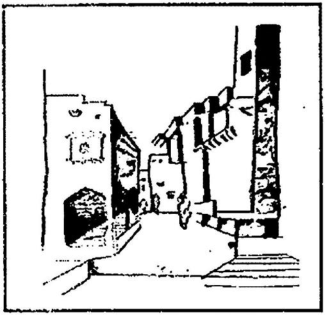

شكل (٢-٥) مخطط لاحد انواع الازقة

٤٢ المسكن

ان نماذج المسكن العربي الاسلامي تتحدد في الواقع من خلال طبيعة الامكنة الداخلية التي يضمها، ويوجد عدة تسميات للمساكن وذلك حسب كبرها:

البيت: يسكن عادة من قبل أسرة واحدة ويمكن ان يكون حجمه كبيرا. الدار: بيت احادي ويمكن ان يضم مساكن متعددة لعائلة كبيرة.

الحوش: ساحة تتجمع حولها بيوت بسيطة تسكنها أسر من عائلة معينة.

والصفة الأساسية لهذه المساكن تتلخص بوجود مدخل ذي زوايا متعددة وباحة داخلية تشرف عليها امكنة الجلوس كالإيوان. ومن الباحة يمكن الولوج الى المطبخ وبيت الماء وامكنة الجلوس الأخرى والدرج المؤدي الى الطابق العلوي. ويوجد الحمام وغرفة المؤن عادة في الطابق الارضي، وتعتبر الباحة مكاناً مركزيا لنشاطات مختلفة كتحضير وتناول الطعام والغسل واعمال بيتية اخرى وايضاً مكاناً للعب الاطفال وتربيتهم...الخ. اما الامكنة الخاصة فمخصصة للنوم وتقع عادة في الطوابق العليا.(٣١) انظر الشكل (٢-٦)

لقد تمكن المعماري قديماً من تشييد دور على مساحات صغيرة لا تتجاوز (٥٥)م٢ وهذه من مميزات البيوت فضمن هذه المساحات الصغيرة يتم اسكان اعداد كبيرة من الأشخاص. وبهذا الأسلوب فانه يمكن الحصول على كثافات سكنية عالية مما يقلل من كلفة الخدمات.(٣٢) انظر الشكل (٢-٧)

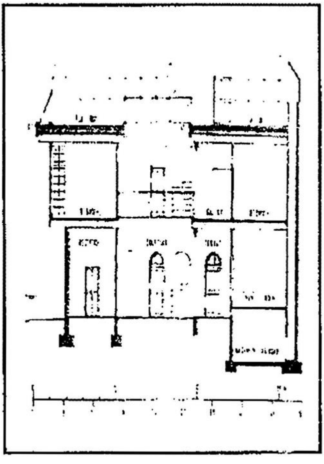

شكل(٢-٦) يوضح مقطعا في بيت تقليدي يتضح منه مكونات البيت.

شكل (٢-٧) مدينة أور، ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، تظهر وجود الفناءات الوسطية.

٢-٤-١ المدخل

يتميز المسكن هنا بوجود فضاء انتقالي بين العام والخاص حيث برز هذا الفضاء استجابة للتحديدات السلوكية بحسب الروحانيات التي بثتها المفاهيم القرآنية، قال تعالى "ياأيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون(٢٢).

وفي بعض الأحيان يكون الدخول بشكل منكسر كزيادة في الخصوصية، انظر الشكل (٢-٨)

وهنا أبدي تاييدنا لهذه الطريقة في تصميم المدخل لما يوفره من حشمة لأهل المسكن من جهة وتحجيم تطلع المارة من جهة أخرى.

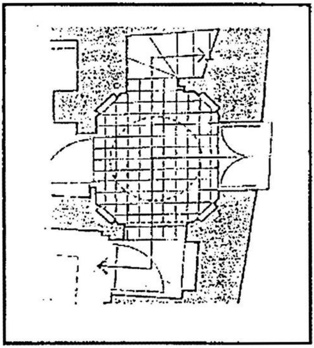

شكل (٢-٨) يوضح خصوصية المدخل وتفاصله بالبيت البغدادي التراثي.

٢-٤-٢ السرداب

غرفة المعيشة في البيت العربي تكون عادة مرتفعة ٤٥سم عن مستوى الأرض وهذا الاختلاف يستغل كشبابيك للسرداب وكما موضح في الشكل.

حيث ان السرداب يكون اسفل غرفة المعيشة وبنفس ابعادها. السكان عادةً يقضون القيلولة في فصل الصيف في هذا السرداب. وبسبب وقوعه اسفل الأرض من جهة وتهويته بواسطة الهواء البارد من جهة أخرى يبقى السرداب بارداً طوال اليوم. التهوية الطبيعية تكون من خلال البادكير الذي عرضه بحدود ٩٠-١٢٠سم، ٦٠سم عمق (هذا بالنسبة لفتحة البادكير) اما بالنسبة لفتحته العليا فهي ٩٠سم و ١٢٠سم فوق مستوى السطح(٢٤).

انظر الشكل (٢-٩)

يمكن القول هنا بأن أكثر ماتفتقده التصاميم الحديثة هو وجود السرداب الذي تبين لنا مما سبق ما يوفره من جو مناسب ومريح في اقسى الظروف المناخية الحارة التي تمتاز بها المدن العربية، خاصة وقد اثبتت الدراسات العلمية ان درجات الحرارة آخذة

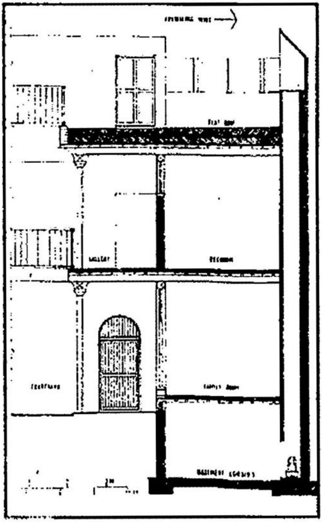

شكل (٢-٩) يوضح السرداب وفتحات البادكير العليا والسفلى

بالزيادة بشكل مستمر. كذلك حماية السكان في ظروف الحرب من الموت.

٢-٤-٣ الفناء الوسطي (الحوش)

ان تصميم البيت حول الحوش يعطيه الحماية والخصوصية والعزل الضروري بالاضافة الى انارة مرافق الدار وتهويتها وتأمين وصول اشعة الشمس وحماية الوحدة السكنية من العواصف الرملية

ويستخدم الحوش ايضا للقيام بالفعاليات المختلفة كالحركة واللعب وتحضير مأكل الطعام والنوم صيفا والجلوس..الخ. وغالبا ما يكون الحوش مغروسا بشجرة أو عدة اشجار او نافورة. ان وجود الحوش يؤمن وصول اشعة الشمس الى الدار في حين ان بعض التصاميم الحديثة تفتقد ذلك.(٢٥) انظر الشكل (٢-١٠)

هذا الفضاء لعب دوراً أساسياً في بنية وشخصية البيت العربي فهو بمثابة المحور الذي تمارس فيه مختلف الفعاليات اليومية والنشاطات الاجتماعية وقد عمل على تحقيق شخصية الوحدة المعمارية الخلية السكنية ولعب دوراً أساسياً في تلطيف المناخ الصيفي، ففيه تخزن طبقات الهواء الباردة المكتسبة

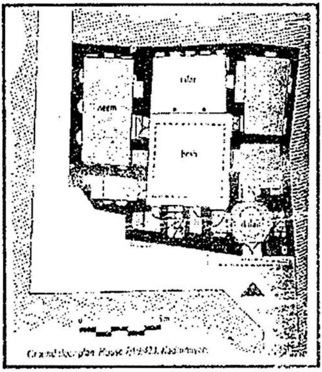

شكل (٢-١٠) يوضح الحوش في البيت التقليدي
المصدر (العسكري . عبد الحسين . ١٩٩٧)

ليلا ويمكن اختصار ماحقق بـ:

١. الخلوة والاعتزال. ٢. الاتصال الاجتماعي. ٣. ممارسة الفعاليات اليومية ٤. تلطيف المناخ.(٢٦)

وأنا أتفق مع المصممين القدماء في ضرورة خلق هذا الفناء الوسطي الذي يعتبر من أنجح الحلول التصميمية بل انجحها لما يوفره من ظل لأطول فترة من اليوم وما يتوافق مع ظروفنا المناخية القاسية(١٧).

٢.٤.٤. الشناشيل

الشناشيل عبارة عن بروزات تطل على الزقاق من

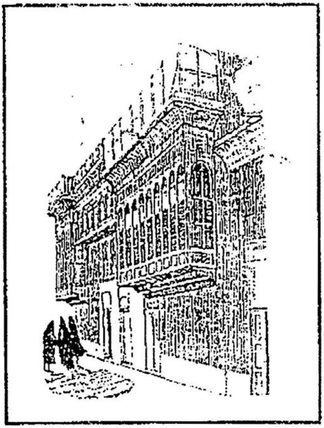

شكل (٢-١١) يبين
الشناشيل المطلة على الازقة، الكاظمية /بغداد.

اجل التزويد بالتهوية والاضاءة والشمس والرؤية. وقد أبدع المعمار في حينه بجعل الشناشيل بصورة مائلة بحيث تعطي الحماية من النظر الى داخل الوحدة السكنية من الوحدات السكنية المقابلة. والشناشيل تصنع من الخشب وتتميز بزخرفتها الهندسية لاضفاء ميزة جمالية. والشناشيل تعطي ايضاً حماية للسابلة من المطر شتاءاً ومن اشعة الشمس صيفاً(٢٨). انظر الشكل (٢-١١)

٢.٥. المسجد الجامع

المسجد الجامع من أهم المنشآت العامة في المدينة الاسلامية لما له من دور أساسي في حياة مجتمعنا. فبالاضافة الى وظيفته الدينية كان مركزاً لبحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية والاجتماعية، ففي المسجد استقبل الرسول عليه السلام سفراء الدول لتنظيم علاقاته بدولهم، وفيه كان يخطب في جماعة المسلمين وينظم شؤونهم ويعلمهم أمور دينهم، وفي زمن الراشدين كان الخلفاء يعلنون من منبر المسجد الأحداث التي تواكب الفتوحات ويرشدون الجيوش بخطب تسبق تحركهم(٢٩) انظر الشكل(٢-١٢)

من خلال دراسة النسيج الحضري للمدينة العربية

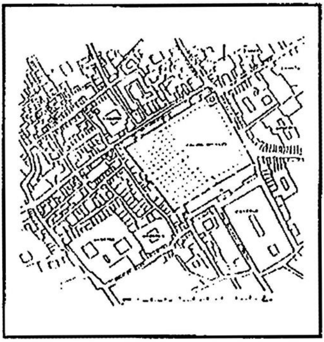

شكل (٢-١٢) يوضح اهمية المسجد الجامع المصدر (عثمان، المدينة الاسلامية ١٩٨٨).

الاسلامية يتبين لنا اهمية الجامع على فضاءات المدينة الاسلامية، معبراً عن هيمنة القيم الروحية. تلك الهيمنة ناتجة عن الدلالات التي أكدتها المفاهيم القرآنية.

ونتيجة لذلك، وتنوع العمارة في البلدان المفتوحة، هيمن فضاء الجامع على فضاءات المدينة، وبحسب هذا أصبح الرمز المقدس الجامع محوراً روحيا يربط المجتمع بالله، اي انه رمز وايحاء يؤثر في ترابط فضاءات المدينة، بحسب التاثير الديني الذي يبثه بالمجتمع.(٤٠)

أمثلة تطبيقية

- مدينة بغداد المدورة. مثال قديم.
- مركز مدينة سامراء. مثال حديث.

١.٣ مدينة بغداد المدورة

انشئت مدينة بغداد المدورة عام ١٤٥ هـ/٧٦٢م وانتهى بناؤها عام ١٤٧هـ/ ٧٦٤م، من قبل الخليفة ابي جعفر المنصور، ويذكر الطبري سبب انشاء المدينة، بانه الابتعاد من الكوفة، حيث كان يعيش الخليفة مع العلويين(٤١). وتم اختيار موقع المدينة باشراف الخليفة، حيث وضع بديلين هما، قرية جرجيا، والموقع الثاني هي قرية بغداد عند التقاء القناة القديمة sarat بدجلة وضمن أسس اختيار الموقع، كالانعزال التام، تم اختيار قرية بغداد موقعاً للمدينة(٤٢).

شكل المدينة دائري، حيث تبلغ مساحتها ٦٤ مليون وحدة مربعة، وقطرها ٢٥٠٠م، ويذكر الطبري بان الخليفة أمر بتخطيط المدينة من مادة قابلة للاشتعال، لكي يمكن تحسس شكل المدينة عند الاحتراق(٤٣).

يعتقد lassner، بان شكل المدينة الدائري مقتبس من شكل (Mandala) الموجودة قبل الاسلام وهذا الرأي ليس له استناد تاريخي(٤٤). اما الدكتور سعيد ناصر فيعتقد بأن تجريد الامتداد والدوران يخلق الشكل الدائري والذي بدوره يرمز الى الرمز الكوني الأساسي(٤٥). ويتطرق Ardlan لشكل المدينة، حيث يصفه بالانغلاقية نحو الداخل لتوفير اكبر

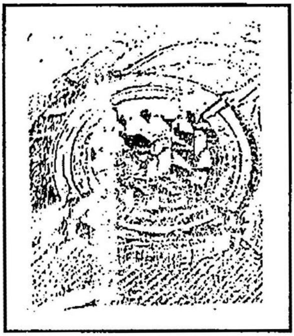

شكل (٢-١) يبين منظر جوي مدينة بغداد.

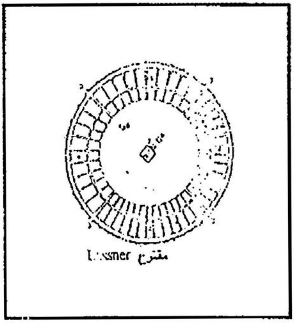

شكل (٢-٢) المصدر (الموسوي، ١٩٩٦).

تركيز نحو المنطقة المركزية(٤٦).

وانا اميل الى هذا الرأي اكثر من غيره خاصة ان المدينة محاطة بسورين وخندق لزيادة التأكيد على الانغلاقية فتعزيز مبدأ الانغلاقية جاء عن طريق اختيار الشكل الدائري وبناء الاسوار حول المدينة(٤٧). انظر الشكلين

(٤٦)،(٢،٣)

٢.٣ مكونات المدينة

تشير الروايات ان المدينة كانت تتكون من ثلاثة فضاءات بالاضافة الى توسعات المدينة وهي:

- الفضاء المركزي
- الفضاء المحيط بالرحبة
- الفضاء المنغلق

٢.١.١. الفضاء المركزي

يشغل القصر المكان المركزي من المدينة (٤٨). ويتوسط فضاء الرحبة، وشكل القصر مربع، طول كل ضلع فيه ٤٠٠ وحدة (١٨٣م، ٢٠٠م)، ويحتوي على ايوان بشكل قبو النظر الى مجلس الخليفة، ويحتوي القصر على قبة خضراء مرتفعة تشبه قبة قصر معاوية في دمشق والجامع يلتصق بالقصر، وهو ذو تخطيط بسيط جداً يشبه مسجد الرسول (ص) في المدينة المنورة، حيث يمثل (الجامع) فناء وسطياً مركزياً، وبعد التوسعات اضيف له فناء آخر، واحيط بالبناء. وهناك عدة محاولات لكل من (٤٩): Herzfield، Lassner، Creswell حول ارتباط الجامع بالقصر، اما عن الاضافات فاكثرها على القصر، وتنوعت حسب الفترات.

١. مقترح Lassner عام ١٩٠٠، تم توقيع الجامع في الجنوب الشرقي للقصر، وتقع الابنية الحكومية في الوسط.

٢. مقترح Herzfield، الجامع في الجنوب الغربي للقصر

٣. مقترح Creswell يقترح الجامع في الشمال الشرقي للقصر، وجدار القبلة يكون بمواجهة المدخل الرئيسي، وللقصر مدخلان على الجوانب وهي نفس الحال في مدينة الكوفة والبصرة ودمشق، انظر الفتوحات في الشكل (٣،٢).

يتبين مما تقدم بان للقصر هيمنة اكبر، وذلك يدل على هيمنة الصفة الرسمية (القيم المدنية) على القيم الروحية للمدينة المدورة، بحيث اصبح الجامع جزءاً من القصر وليس العكس

٢.٢.٢. الفضاء المحيط بالرحبة

تحاط الرحبة بعدد من القصور: اولاد المنصور وقواده، وهي تشكل حلقة داخلية للمدينة، بجانب الحلقة الخارجية السكنية، يتميز موقع هذه القصور بدلالاته الرمزية للولاء للخليفة بحيث خلقت مجالا امنيا للخليفة، بحسب هذا تعد هذه القصور بمساحتها الكبيرة، حرما اداريا وعسكرياً للمدينة المدورة، يعطيها ضمن هذا التناسب بالفضاءات صفة رسمية، تعبر عن القوة التي تمتلكها الدولة العباسية في تلك الفترة (٥٠). انظر الشكل (٤،٢).

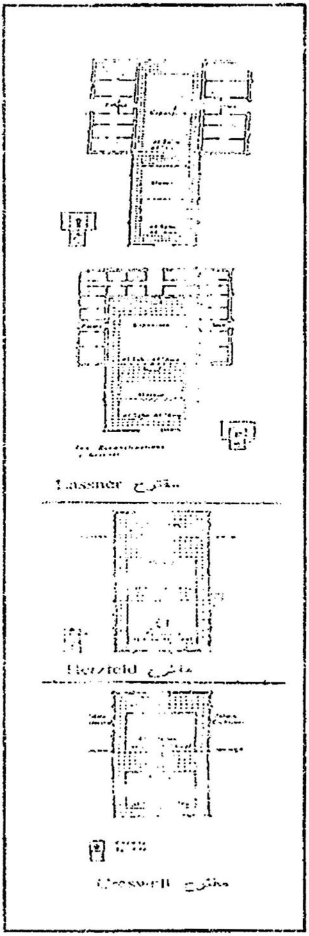

مقترح Lassner

مقترح Herzfield

مقترح Creswell

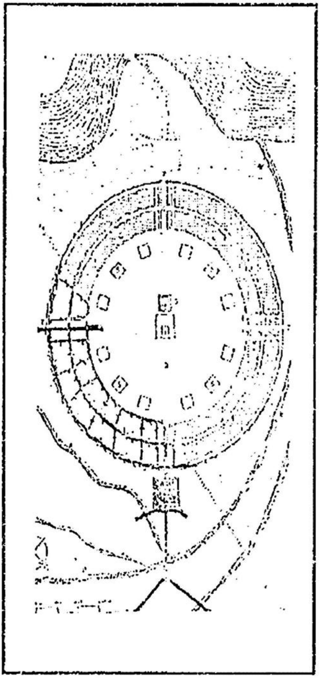

شكل (٢-٤) يبين الترتيب العام لتوقيع مكونات المدينة المدورة

بالشارع الحلقي الثانوي، الذي يبلغ عرضه ١٦ وحده (٧م)، والذي يتصل بالشارع الرئيسي الذي يبلغ عرضه (٢٥م،٧٥م). يصف الخطيب البغدادي السكن بانه متلاصق ومتصل، وفي دلالة على تماسك السلوك الاجتماعي في تلك المحلات، والناتج من خلال تصحيح الانحرافات السلوكية بواسطة الرموز الاجتماعية (شيخ القبيلة) حيث يقوم بحل الخلافات، وهو تعبير عن اهمية التماسك والتراص الاجتماعي كما هو في شكل (٥١) (٥،٢)

ونحن نتفق مع هذا النوع المتراص والمتلاصق من السكن الذي يوفر بدوره بالاضافة الى علاقات اجتماعية قوية

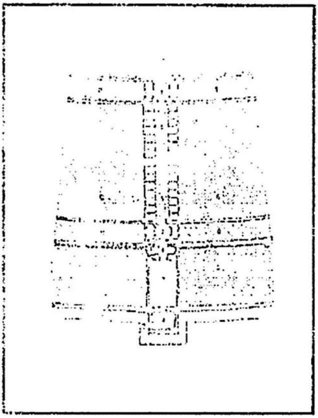

شكل (٢-٥) يبين توزيع القطاعات السكنية والاسواق والابواب

٣.٢.٢. الفضاء المغلق.

ويشمل الوظائف الآتية

٣.٢.٢.١. السكن

يشغل السكن الحلقة الثالثة في المدينة (٥١)، والتي تتكون من اربعة قطاعات مقسمة بواسطة المحاور المتولدة من البوابات وحتى الفضاء المركزي للمدينة، وشكل هذه القطاعات يقسم الى سكك تخصص لسكن قائد عسكري مع جنوده تحتوي السكة بابين تغلقان بالليل، وتفتحان عند النهار لتتصل وترابط أسري معالجة ذكية للظروف المناخية القاسية التي تمتاز بها هذه المنطقة.

٣.٢.٢.٢. الأسواق

تتخذ الأسواق موقعاً يفصل بين القطاعات السكنية، ويتمفصل على طول المحاور الرئيسية للمدينة (٥٣)، وتحتوي الأسواق على أبواب تغلق بالليل، وموقع الأسواق بالقرب منها، يمثل نقطة اتصال تجارية بين المدينة وداخلها، وبعد توسع المدينة، تم انتقال الأسواق الى خارج المدينة، وبحسب الروايات

التاريخية التي تؤكد بعضها، بان السفير البيزنطي Patrikios(45) اكد للخليفة العباسي خطورة دخول الأعداء تحت غطاء التجار الى داخل المدينة، ان التأكيد التاريخي لانتقال السوق الى خارج المدينة، دلالة على الجانب الامني المهيمن في توقيع السوق ضمن نطاق المدينة او خارجها، ومن ناحية اخرى له دلالة على التخطيط المسبق وقرارات الخليفة التي تؤثر في تقارب وتباعد فضاءات المدينة(٥٥). انظر الشكل (٢-٥).

٢.٢.٢.٢.الأسوار

يذكر creswell، بان مدينة بغداد تمتلك سورين وخندقا يسمى بخندق الموت، ويتم الاتصال بالمدينة من خلال جسور الى البوابات الرئيسية بكيفية تتدرج من محيط المدينة الى البوابات، فالدهليز، فالأسواق، ثم المركز، هذا التسلسل الهرمي في عناصر الامان، انما يعبر عن مستوى الامان العالي للمدينة، بحسب هذا تغلق المدينة على مركزها، وتزداد نتيجة لهذا اهمية المركز الرسمي للخليفة على طابع المدينة(٥٦).

توسعات المدينة

نتيجة لحجم المدينة المحدد والتزايد السكاني، فان الخليفة المنصور بدأ باعادة توقيع بعض الفعاليات، خلف نهر دجلة في المنطقة التي تعرف بالرصافة، حيث بنى قصر لابنه المهدي، وبعدها اهتم المنصور بالبناء على جهتي نهر دجلة، فبنى جامعا في كل جهة من دجلة، وتم بناء سوق في منطقة الكرخ في الجنوب من مدينة بغداد المدورة، ثم بنى قصر الخلد في جهة الكرخ على طول نهر دجلة الى الشمال الشرقي من باب خرسان، حيث اصبح السكن المفضل لعدد من الخلفاء العباسيين. اما بالنسبة لمسجد الجمعة في جهة الرصافة فتم توقيعه الى الشمال الشرقي من قصر المهدي.

ان تحديد شكل وحجم المدينة (مدينة بغداد) مسبقا وعدم وجود المرونة في امكانية التوسع المستقبلي كان له الأثر السلبي في توقيع الفضاءات الجديدة من قصور ومساجد خارج نطاقها. انظر الشكل (٢-٦).

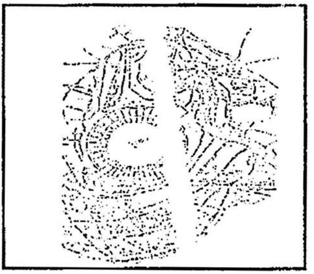

شكل (٢-٦) يوضح توسعات المدينة خارج الاسوار
١. قصر الخليفة
٢. الجامع
٣. الاسواق
٤. الاسواق الموجودة في الكرخ
٥. قصر الخليفة
٦. مسجد الجمعة الجديد
٧. قصر المهدي في الرصافة
٨. قصر المعتصم
٩. قصر الفردوس

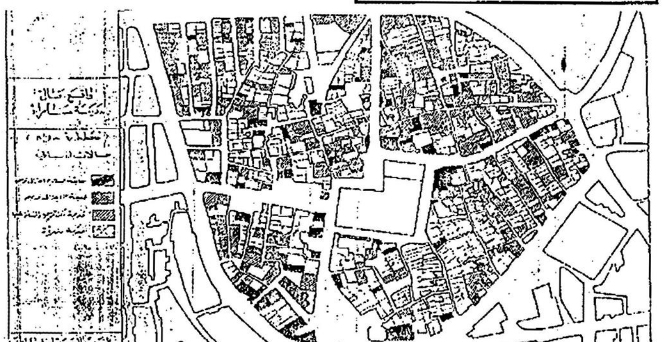

مركز مدينة سامراء (حالة دراسية)

يشغل مركز مدينة سامراء مساحة تقدر بحوالي (٤٥،٤٢ هكتار)، وهي تمثل مدينة سامراء القديمة والتي كانت محاطة بسور، وتمتد حاليا داخل الطريق الحلقي الأول، وتتميز بوجود مرقد الامامين الهادي والعسكري وكذلك الفعاليات التجارية التي تشتمل على اسواق ومحلات متنوعة. ويمثل المركز اكبر منطقة سكنية في المدينة، كما تتميز هذه المنطقة بازقتها الضيقة والتي لا تصلح إلا للسابلة، وكثافتها السكانية العالية، التي تتراوح ما بين (٢٠٠-٧٠٠ شخص/ هكتار)، وندرة المناطق المفتوحة والخضراء وعدم وجود مواقف كافية للسيارات، وافتقارها الى خدمات المجاري للمياه القذرة، حيث تتجمع المياه الأسنة في الزقاق.

اما الدور السكنية فيها فهي تقليدية قديمة ومكونة من طابق واحد او طابقين ومشيدة بالطابوق. والطين. وتتصف هذه الدور بجدرانها السميكة، ومساحاتها الوسطية الصغرى (الحوش) وفتحاتها القليلة(٥٧).

تتمركز معظم الفعاليات التجارية في مركز المدينة وعلى الشوارع الرئيسية للمنطقة القديمة، اذ تشكل حوالي ٨٠٪ من الفعاليات التجارية في المدينة ككل.

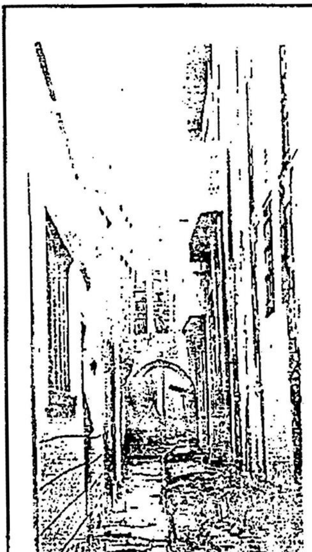

صوره فوتو غرافية
يظهر فيها اعتماد الشنشول
في واجهات الدور السكنية

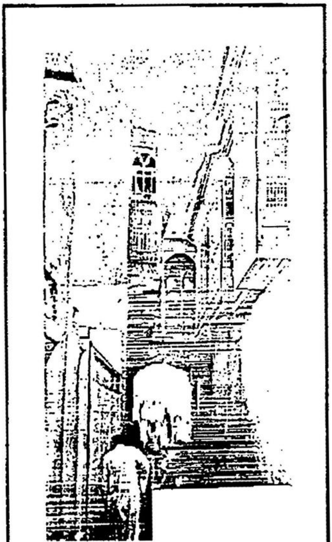

الصورة المجاورة
توضح مركز مدينة سامراء
الضيق الملتوي

شكل (٣-٨)

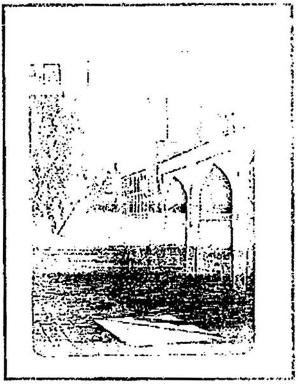

صور بعض الابنية الحية
في مدينة سامراء
شكل (٩٠٢)

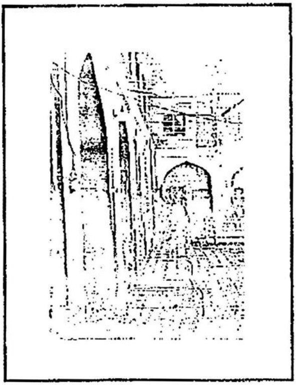

صور فوتو غرافية تبين الدور الذي
يلعبة الفناء الوسطي في توفير الضل
وتجديد طبيعة المناخ القاسي كذالك وجود
شجره في وسط الفناء للمساعدة في تحسين الضروف
شكل (٩٠٢)

التوصيات

١. التمسك والحفاظ على هوية المدينة العربية الأسلامية على مستوى التخطيط والتصميم باعتماد الطرز والأساليب المعمارية التراثية المعتمدة سابقا والتي تعد أصدق معبر وتحدث عن هوية هذه المدينة واصالتها.

٢. تشجيع المهندسين والمخططين في التوجه نحو استخدام نفس الأفكار التخطيطية والتصميمية المعتمدة في المدينة الاسلامية من خلال عقد الندوات والمؤتمرات العلمية التي من شأنها تسليط الضوء على الافكار الذكية والحلول التي أعتمدت سابقا.

٣. ان اعتماد السمات والطرز التراثية في التصاميم المعاصرة يمكن تشجيعها من خلال منح الامتيازات والتسهيلات للمشاريع المقدمة والتي تتسم بالطابع التراثي.

٤. ضرورة تكثيف تدريس خصوصية المدينة العربية الأسلامية في اقسام الهندسة المعمارية وبشكل أكثر تفصيلا ومطالبة الطلبة بالاعتماد نفس الأسس والأساليب التي اعتمدت في تخطيط وتصميم المدينة العربية الأسلامية كمعالجات بيئية ذكية.

٥. ضرورة الاستلهام من الماضي ولكن هذا لا يعني ان يكون بشكل النقل الحرفي دون الأخذ بنظر الاعتبار مدى ملائمة ذلك مع متطلبات الحياة العصرية ويمكننا هنا ان نلخص بعض من هذه الضروريات. على مستوى النسيج الحضري.

- اعتماد مبدأ التراص في الأبنية لما لها من ايجابيات على المستوى المناخي والاجتماعي بل وحتى الاقتصادي.
- اعتماد فكرة الأزقة الضيقة في تخطيط المحلة السكنية.
- توقيع الفعاليات الرئيسية والخدمات في مركز النسيج المحلي.
- التقليل من المساحات المبلطة للدور السلبي الذي تلعبه على المستوى البيئي. على مستوى الوحدة السكنية.
- اعتماد فكرة الفناء الوسطي في تصميم الوحدة السكنية للدور الذي يلعبه على المستوى البيئي والاجتماعي.
- توفير فضاء السرداب في تصاميم الأبنية السكنية الحديثة.
- التقليل من مساحة الفتحات في الوحدة السكنية.

٦. التوقف والحد من سياسة تقليد الغرب في تصميم الأبنية والحذو حذوهم سواء في المجال التخطيطي او التصميمي لاختلاف العوامل المناخية والاجتماعية من جهة وللحفاظ على تراثنا المعماري الذي يعد هوية هذه الأمة العربية الاسلامية الشخصية من جهة اخرى.

٧. حث وتشجيع الكوادر الهندسية (التخطيطية والتصميمية) والطلابية على إجراء زيارات ميدانية للمناطق التي تحمل سمات تخطيط وتصميم فضاءات المدينة العربية الاسلامية والتوغل في داخل الابنية للتعرف وبصورة شخصية على الايجابيات التي تعطيها مثل هذه التصاميم وتحت اقسى الظروف المناخية للمنطقة والهدف من ذلك كي تكون تجربة واقعية لا يملك مجربها إلا القناعة وبالتالي انتهاج نفس الافكار والحلول.

الهوامش

١) رزوقي، غادة موسى، الخصوصية في العمارة، اطروحة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٠-٢٢.
٢) رزوقي، غادة موسى، تغير البيئة الحضرية في خصوصية العمارة، ندوة الخصوصية، ١٩٨٩.
٣) العسكري، عبد الحسين، تخطيط المدينة الاسلامية لمواجهة التغيرات الفكرية التخطيطية والمعمارية، اطروحة ماجستير، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٢.
٤) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، ١٩٨٨، ص٥١.
٥) المصدر سابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧) ص٢.
٦) المصدر سابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧)، ص٢.
٧) المصدر سابق (العسكري، عبد الحسن، ١٩٩٧)، ص٢.
٨) مصدر سابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧)، ص٢.
٩) مصدر سابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧)، ص٤.
١٠) الطالب، طالب حميد، الميادين العامة انماطها وخصائصها، ندوة اعادة التخطيط والتجديد الحضري لمراكز المدن الرئيسية، ١٩٩٢.
١١) المصدر السابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧)، ص٤.
١٢) المصدر السابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧). (حكيم، رسالة ماجستير، ١٩٨٦، ص٥٥)
١٣) المصدر السابق.
١٤) مصدر سابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧) ص٥.
١٥) البياتي، رسالة ماجستير ١٩٨٧، ص١١٣، ضمن المصدر السابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧م.
١٦) المصدر سابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧).
١٧) المصدر سابق (العسكري، عبد الحسين، ١٩٩٧) ص٦.
١٨) كمونة، حيدر، أهم العناصر التخطيطية والمعمارية لمكونات المدينة العربية القديمة، دورة اصالة انظمة المينة العربية، مركز احياء التراث العلمي العربي، ١٩٨٨.
١٩) المصدر السابق.
٢٠) كمونة، حيدر، اهم العناصر التخطيطية والمعمارية لمكونات المدينة العربية الاسلامية. ١٩٨٨.
٢١) سامي عرفان، نظريات العمارة، ضمن المصدر السابق (عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الأسلامية، ١٩٨٨)، ص ٢٥٢.
٢٢) مصدر سابق (عثمان، محمد عبد الستار، ١٩٨٨)، ص ٢٥٢.
٢٣) كونة، حيدر، اهم العناصر التخطيطية والمعمارية لمكوناتالمدينة العربية الاسلامية، ١٩٨٨
٢٤) مصدر سابق (كمونة، حيدر، اهم العناصر التخطيطية والمعمارية لمكونات المدينة العربية القديمة، ١٨٨.
٢٥) الهذول، صالح، التحكم في استعمالات الاراضي في المدينة العربية الاسلامية، منظمة العواصم والمدن الأسلامية، ندوة انقرة، ١٩٨٤.
٢٦) الموسوي، محمد طاهر، اثر المفاهيم القرآنية في التشكيل الرمزي للمدينة الاسلامية، ١٩٩٦، ص (٥٦).
٢٧) المصدر سابق (عثمان، محمد عبد الستار، ١٩٨٨)، ص١٣٥.
٢٨) المصدر السابق (الموسوي، محمد طه، ١٩٩٦) ص ٦٧.
٢٩) المصدر السابق.
٣٠) مصدر سابق (كمونة، حيدر، ١٩٨٨).
٣١) كويستين امان، ساتين كونوبكا، ابرشادد كنيلا، سليم ميخانيل)، حي السكن في المدينة العربية، مجلة عمارة، الشهر الثاني، ١٩٨٩
٣٢) ليفسون هويتون، العمارة البغدادية، جريدة الجمهورية، ٨/ ٥/ ١٩٨٨.
٣٣) مصدر سابق (الموسوي، محمد طاهر، ١٩٩٦)، ص ٦٢.
٣٤) Iraq, shelter and sociehy, 1998, P. 91.
٣٥) ليفون هريتون، العمارة البغدادية، جريدة الجمهورية، ٨/ ٥/ ١٩٨٨.
٣٦) الاسكان في المدينة الأسلامية، منظمة العواصم والمدن الاسلامية، ندوة انقرة، ١٤
٣٧) ليفون هوتيون، العمارة البغدادية. جريدة الجمهورية، ٨/ ٥/ ١٩٨٨.
٣٨) مصدر سابق (ليفون هويتون، ١٩٨٨).
٣٩) مصدر سابق (عثمان، محمد عبد الستار، ١٩٨٨).
٤٠) مصدر سابق (الموسوي، محمد طاهر، ١٩٩٦)، ص ٥٠.
٤١) مصدر سابق (الموسوي، محمد طاهر، ١٩٩٦).
yclopaedia of Is L.a p.845
٤٢) مصدر سابق - - = ١١٦ . ١٩٩١ .
٤٢) مصدر سابق = = = ١١٧ . ١٩٩١ .
٤٤) مصدر سابق - - - ١١٨ . ١٩٩٠ .
٤٥) مصدر سابق - - - ٣٠ . ١٩٨٥ .
٤٦) مصدر سابق - - - ٨٨ . ١٩٧٣ .
٤٧) المصدر السابق
٤٨) ١٢٨ . ١٩٩١ . ، ضمن المصدر السابق (الموسوي، محمد طاهر، ١٩٩٦).
٤٩) ١٢٩ . ١٩٩١ . ، ضمن المصدر السابق (الموسوي، محمد طاهر، ١٩٩٦).
٥٠) مصدر سابق (الموسوي، محمدطاهر، ١٩٩٦). ١٣٢. P. ١٩٩١.
٥١) = = - - - - ١٣٦ . ١٩٩٠ .
٥٢) - - - - - ص٨٠
٥٣) مصدر سابق (الموسوي، محمد طاهر، ١٩٩٦).
٥٤) = - - - - -
٥٥) - - - - - ص٦١.
٥٦) مصدر سابق (الموسوي، محمد طاهر، ١٩٩١).
٥٧) السامرائي، رشيد حميد، التجديد الحضري لمدينة سامراء، اطروحة ماجستير، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ١٩٨٥.

المصادر

١. الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، دار الرسالة، ١٩٨٢.
٢. رزوقي، غادة موسى، الخصوصية في العمارة، اطروحة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٧.

٣. رزوقـــي، غادة موســـى: اثر تغير البـــيئة الحضرية في خصوصية العمارة، بحث في ندوة الخصوصية، ١٩٨٩.

٤. العسكري، عبد الحسين، تخطيط المدينة الاسلامية لمواجهة التغيرات الفكرية التخطيطية والمعمارية، اطروحـــــة ماجســـتير، مركز التخطيط الحضري والاقـــليمي، جامعة بغداد، ١٩٩٧.

٥. عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الأسلامية، عالم المعرفة، ١٩٨٨.

٦. كمونة، حـيدر العمارة والانســان على مر العصور، جريدة الجمهورية، ٢٥/ ١٠/ ٨٤.

٧. كمونة، حـــيدر، أهمية تدريس مادة البـــيئة المناخية في مناهج قســـــمي العمارة والتخطيط العمراني في الجامعات العربية.

٨. كمونة، حـــــيدر، اهم العناصر التخطيطية والعمارية لمكونات المدينة العربـية القـديمة، دورة اصالة انظمة المدينة العربية، مركز احياء التراث العلمي العربي، ١٩٨٨.

٩. الطالب، طالب حميد، الميادين العامة انماطها وخصائصها، نـدوة اعـادة التخطيـط والتجديـد الحضـري لمراكـز المـدن الرئيسية، ١٩٩٢.

١٠. الهذول، صالح، التحـكم في اســتعمالات الأراضي في المدينة العربية الأسلامية، منظمة العواصم والمدن الأسلامية، ندوة انقرة، ١٩٨٤.

١١. الموسوي، محمد طاهر، تأثير المفاهيم القرآنية في التشكيل الرمزي للمدينة الاسلامية، اطروحـــة ماجســـتير، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ١٩٩٦.

١٢. (كريستين أيان، سانين كونوبكا، ابرهارد كثيلا، سليم ميخائيل)، حي السكن في المدينة العربية، مجلة عمارة، الشهر الثاني، ١٩٨٩.

١٣. ليفون هريتون، العمارة البـغدادية، جريدة الجمهورية، ٨/ ٥/ ١٩٨٨.

١٤. الأســـكان في المدينة الأســـلامية، منظمة العواصم والمدن الأسلامية، ندوة انقرة، ٨٤.

١٥. السامرائي، رشـيد حميد، التجديد الحضري لمدينة سـامراء، اطروحة ماجستير، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ١٩٨٥.

16.Homby, Gatenby & Wake field; the edranced learners dictionary; Oxford dniv

17 .Taylor, Brian brace, Conter point Regional & Arch, Identity (Minar), No, 19, 1986

, 18. AL- Azzawi, Sabhi Hasscin Oriental houses in Iray, She Her and Society, 1978.

صدر حديثا عن دار الشؤون الثقافية العامة

نكبة الحضر في التقليد الأعمى

حسن عبيد عيسى
عضو الاتحاد العام للمؤرخين العرب

أسوة بالملوك العظام ممن يتخذ لمنصبه اسما ذا وقع مهيب فقد اختار احد ملوك العرب الكبار في الأزمان الغابرة لقب (الساطرون) للدلالة على عرشه ذلكم هو الملك الأشهر للحضر، المدينة التي ازدهرت في القرنين الثاني والثالث الميلاديين بين (الموصل) و(الفرات)، يعرفه المؤرخون ذلك الملك باسم (الضيزن) والذي يقال انه كان ملك الجزيرة كلها ولم تكن (الحضر) غير حاضرته، وربما كان الرجل محقا في تفخيم لقبه فهو قائد محنك لجيش قوي، ولقد امتلكنا وثيقة عن الاهتمامات العسكرية الفائقة لقائد تلك الدولة وسلطانها عندما عثرت البعثة التنقيبية العراقية برآسة المرحوم (فؤاد سفر) على صورة (ميترا) معبود الجيش في تلك المملكة ما يدل على أن الجيش في تلك الدولة يُعد مؤسسة ذات أهمية بالغة لها سياقاتها والهها الخاص ولا شك أن لها تنظيمها الراقي.

إضافة إلى ظهور اطلال مدينة فخمة بناياتها تبهر الناظرين لما هي عليه من روعة وفخامة تدل على مستوى حضاري راق وما يرافق ذلك من عوامل قوة جبارة. وهذا الملك هو الذي تسميه بعض الأدبيات التاريخية باسم (السنطروق) أو (السناطروق) الذي يلمح المطران (يوسف الصائغ) إلى احتمال كونه (الضيزن) الذي يسميه (الضغيزن)[1] هو الذي يعنيه (جواد علي) بالسنتروس كما يسمى بالاغريقية والذي يرد كلمتي (الساطرون) و(سنطروق) إلى أصل واحد فهو (سنطروق) بكتابات أهل (الحضر) وهو (ساطرون) عند الاخباريين العرب بعد التحريف[2].

لقد استطاع ذلك الجيش الصمود بوجه أعظم إمبراطوريتين في ذلك الزمان هما الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية فالإمبراطورية الرومانية لم تستطع مصادرة استقلال (الحضر) التي تحدت ببسالة نادرة جيوش الرومان الجرارة ومن تحالف معها من القبائل العربية[3] وتمكن جيشها المنظم من مداهمة عاصمة الفرس في غارة جسور واستطاع أسر أخت كسرى العجم (سابور الجنود ابن أردشير) ولم يستطع عظيم الفرس المستباحة كرامته والمنتهك شرفه من استعادة أخته والانتقام لشرفه من ذلك الملك المتحصن في واحدة من الحواضر المتصفة بالمنعة والقوة، إلا بعد أن لمحته (النضيرة بنت الضيزن) فقررت أن تراسله وفي لحظة ضعف عاطفي حمقاء، سرقت مفاتيح الحصن الذي يتحصن فيه أبوها وأسرتها وقيادة الدولة جمعاء، لترسلها الى عدو شعبها اللدود الذي اقتحم الحصن ليغرق البلاط وعموم العاصمة بدماء عشرات الألوف من الرجال الأقوياء ثم لم يكن مصير تلك الخائنة بأفضل من مصير قومها، بعد أن عرّس بها (سابور) ليلة واحدة فما قصة الدماء المتتابعة في مصيبة (الضيزن) الذي قلد ذوي البدع فآل مصيره إلى ثواء تحت حطام قصره المنيف.

من هو الضيزن:

ينقل (ياقوت الحموي) عن (الشرقي بن القطامي) أنه (الضيزن بن جلهمة) أحد (الأحلاف) سار بفرقة من (قضاعة) بعدما افترقت (قضاعة) ميمما شطر (الجزيرة) ثم ينقل عن غيره انه (الضيزن بن معاوية بن الإحرام بن عمر بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران بن إلحاف ابن قضاعة)[4] بينما اكتفى (ابن هشام) بذكر لقبه فذكره باسم (الساطرون) وهو اللقب الذي تداوله الاخباريون كما مر بنا ناسبا (النعمان بن المنذر) إليه على انه من ولده مستندا في ذلك على ما أخبره به (خلاد بن قرة بن خالد السدوسي) عن (جناد) أو عن بعض علماء أهل (الكوفة) بالنسب[5] وبذا تحاشى منزلق البحث في اسم يتنازع الرواة حقيقة نسبه.

ومن تاريخ الشفاهيات الذي دونه مؤرخو عصور متأخرة عن الحدث، نتعرف على أن للساطرون سلطة قوية وسطوة مخيفة على كل من جاوره، بل حتى على إحدى أعظم إمبراطوريتين عرفهما ذلك الزمان تلك هي الإمبراطورية الفارسية التي غزاها مرات ساق في إحداها سيدة من سيداتها

هي (ماد) شقيقة (سابور) وجلبها سبية إلى عاصمته المنيعة وكان على الفرس (سابور الجنود) وهو (سابور بن اردشير بن بابك) أو (سابور الأول) الذي ظنه (ابن هشام) سابور ذا الأكتاف وهو لا يتطابق مع الحقيقة فإن (ذا الأكتاف) من أحفاد (سابور الجنود) فهو (سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز ابن سابور الجنود) وقد ذكر (الجدي بن الدلهاث ابن عشم بن حلوان القضاعي) ذلك عندما أرخ للمعركة الحاسمة بين الطرفين بقصيدة رثاء جاء فيها:

أتاهم بالفيول مجللات

وبالأبطال سابور الجنود

وكان (الجدي) هذا ترك لنا وصفا (ربما هو منسوب إليه) يصف فيه واحدة من المعارك الشرسة التي وقعت بين (الضيزن) وجنود الفرس على ارض (شهرزور) حيث يقول:

دلفنا للأعادي من بعيد

بجيش ذي التهاب كالسعير

فلاقت فارس منا نكالا

وقتلنا هرابذ شهرزور

أتيناهم بخيل عالاف

وبالدهم الصلادمة الذكور

وكعادة (حمزة بن الحسن الاصفهاني) الذي يكتب بنهج عنصري تدليسي مدروس فإنه حاول طمس السبل التي تفضي إلى الحقيقة، عندما تناول تواريخ (عرب الجزيرة) و(الشام) حتى انك لا تكاد تظفر عنده بشيء ذي قيمة بعد أن تكون قد توغلت في حقل الغام ذي كثافة، لا يهمك وأنت فيه غير أن تفكر بالسلامة. فعلى الرغم من أنه يبدأ بسليح بن حلوان، إلا انه لا يتناول غير الخصومات البينية وتعمد الإيهام في النسب ليفاجئك أن (جفنة) قاتلت. ولم يذكر سياقا سليما لملكه، فقتل ملوك (قضاعة) من (سليح) الذين كانوا يدعون (الضجاعمة) متجنبا التعرض لذكر (الضيزن) ومعاركه مع (الفرس) وزوال ملكه على يد (سابور الجنود).

وكما هو حال الشوامخ فقد احيط (الضيزن) بالعديد من الخرافات والأساطير، لابأس من ذكر بعضها هنا مما وجدناه عند (ياقوت) إتماما للفائدة المتوخاة ومنها انه غزا (بني إسرائيل) في أربعمائة ألف فدعا عليه (ارميا) النبي فهلك هو وجميع أصحابه إذ نجد الدس اليهودي والتخليط المتعمد فثمة خلط بين شخصيتي (نبوخذنصر) الذي هاجم عاصمة (اليهود) في زمن نبيهم (أرميا) فالخلط واضح وبين هدفه التشويش إضافة الى القصد اليهودي الدائم وهو رد كل اثر تاريخي ضخم الى (اليهود)، ومن ذلك تفسيرهم تدمير (الحضر) الزاهرة إلى انه راجع إلى (اعتداء) جيشها على (اليهود) المساكين الذين لا يملكون إلا الدعاء مع ان دولة (اليهود) كانت قد زالت قبل ذلك التاريخ على يد (نبوخذنصر) بسبعة قرون.

والخرافة الأخرى تقول: انه كان في جبل (طور عابدين) معصرة وفيها ساقية من الرصاص تجري تحت الأرض، فتتبع أحدهم تلك الساقية فوجد أن مصبها كان في بيت من صفر بالحضر فيقال إن ملكها كانت تعصر له الخمر في طور وتصب في هذه الساقية فتخرج الى (الحضر) وقيل إن تلك المعصرة كانت بسنجار وتخرج إلى (الحضر).

منعة الحضر:

لابد لملك مثل الذي رأينا بعضا من سيرته مدينة منيعة يرتكز اليها في هجماته وغزواته وعند قفوله منها، فهو هدف لرغبات منتقمين كثر خصوصا أنه تعرض للفرس في أكثر من واقعة وكان النصر حليفه، ما يجعله غير مطمئن لغدر الزمان وخطط الأعداء، فقد حصن (الحضر) التي انشئت بالأساس في مكان منتقى بعناية، فهو يتصف بالحماية الطبيعية مع مورد مائي عظيم هو نهر (الثرثار) الذي يزيدها تحصينا ويمدها بما يروي سكانها حتى لو حوصروا سنين طوالا وقد وصفه أهل ذلك الزمان بأنه كان نهرا عظيما وكانت السفن تمخر عبابه متجهة نحو (الحضر) ومغادرة لها حتى صارت المدينة ميناء عامرا واختير لبنائها نمط من الحجر الصلب، وكان سورها الحصين يضم ستين برجا كبيرا وتسعة أبراج صغار، وزيادة في تمتين الدفاع النقطي فقد تم تزويد كل برج بمستلزمات الكفاية للصمود الطويل من بيت للمؤونة وحمام وغير ذلك.

وزيادة على ذلك فقد طلسمت المدينة ضد أي هجوم مهما كان قويا أسوة بمدن ذلك الزمان ففي (حمص) وجد طلسم عليه سورة رجل نصفه الأسفل عقرب ينفع في علاج لدغة العقرب، وكانت فكرة الطلسم الحامي لمدينة (الحضر) مبنية على أساس إزاحة النجاسة من المدينة، فنجاسة الحيض لو خلطت بدم حمامة ورقاء فإن حصن المدينة يتهاوى، وقيل بل لو كتب بدم الحيض على رجل الحمامة لتداعى الحصن وانفتح أمام المهاجمين. وحتم ذلك إخراج كل امرأة زرقاء (ذات عينين زرقاوين) في وقت حيضها في مكان يلي الحصن الرئيس للمدينة خوفا مما ذكر وربما تعدى ذلك لإخراج كل الطوامث من النساء خوفا من العواقب السيئة. ومع أن (ابن الاثير) يذكر ذلك

الطلسم وان التغلب على قوته يتم بأخذ (حمامة ورقاء مطوقة يكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء)، وهو ما يقول الاخباريون ان (سابور) فعله فانهار الحصن، الا انه ذكر ان النساء الطوامث يخرجن إلى ربض المدينة[11] ولم يستثن او يخص فئة معينة من نسائها، وربما كان ذلك يجري فعلا من باب الاحتياط.

و(الحضر) موقع أثري زاخر بالوثائق الحية التي تعين المؤرخ على اكتشاف الحقيقة، لم يكن فدا شار شهية (لايارد) المنقب الأثاري الشهير مكتشف الكنوز الآشورية فقد زار (الحضر) ووقف على أطلالها (وقفة سائح)[12]. وبتقديرنا فإنه زهد في كنوزها كونها لم تذكر في أسفار العهد القديم، مما جعلها خارج دائرة اهتماماته الاساس وهو السبب الذي لم يجعل أسلافه من المنقبين والأثاريين الانكليز يهتمون بالموقع المذكور ومنهم (روس) و(اينسوورث).

حصار سابور:

رأى (سابور) أن يضع حدا لتحرش (الساطرون) بدولته الذي تكلل بهجومه على العاصمة الفارسية وسبي أخت ملك (الفرس)، فعبأ قواته هادفا إلى اجتياح (الحضر) فحاصرها سنتين[13] وقيل أربع سنوات[14] وهو أمر أكد الباحثون المعاصرون حدوثه وفي المقدمة منهم (جواد علي) الذي قرر أن ذلك الحصار كان سنة ٢٣٢ للميلاد وهو لا يتفق مع الواقع ولا نقره. والسبب ان الملك (سابور الجنود) الذي يسميه المرحوم (جواد علي) باسم (سابور الأول) والذي ينسب إليه الحصار المذكور كان في الحقبة (٢٤١، ٢٧٢)[15] مما يجعل تقرير الراحل (علي) غير دقيق بينما تسمح آخرون إلى ان نتائج الحصار كانت ذات بعد ديني اجتماعي فبعد تدمير الحضر انتقلت العبادات الدينية العراقية القديمة إلى مدينتي (حران) و(انطاكية) اللتين ظلتا مركزين دينيين واضحي المعالم إلى الحكم العباسي[16] فصادف أن حاضت (نضيرة بنت الضيزن)، فأخرجت مع نساء أخريات طوامث إلى الموضع المعد لمثل حالاتهم، فرأت (نضيرة) ملك العجم الذي كان قد هم بالرحيل يائسا، فنظرت إليه ونظر إليها فعشق كل منهما صاحبه[17] وكان كلاهما من أجمل الناس فأرسلت إليه تعلمه بحبها له وقالت له: إن دللتك على حيلة تفتح بها المدينة ما يكون لي عليك؟ قال لها أرفعك على جميع نسائي، واتخذك لي زوجة، فأخبرته بالطلسم وطريقة فكه، فعمل بما علمته فتهدم سور المدينة ودخلها فقتل (الضيزن) وأصحابه وأفنى قبائل كثيرة وكان مجموع ما قتل من (قضاعة) نحو مائة ألف ومن ذلك الوقت خربت (الحضر) ودكت على أساساتها[18] فقال (الجدي بن الدياث) الذي دأب على التغني بالانتصارات القضاعية يرثي (الحضر) (وبني عمومته:

ألم يحزنك والأنباء تنمي
بما لاقت سراة بني العبيد

ومقتل ضيزن وبني أبيه
واخلاء القبائل من تزيد

أتاهم بالفيول مجللات
وبالأبطال سابور الجنود

فهدم من بروج الحضر صخرا
كأن نقاله زبر الحديد

وقال (عدي بن زيد) واصفاً ما حدث:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ
لة تجبى إليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلـ
ـسا فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الـ
ـملك عنه فبابه مهجور

وينقل (ابن هشام) رواية اقتحام المدينة على وجه غير الذي ذكرناه، فهو يقول من غير إشارة إلى الطلسم أو قضية الطمث تاركا الأسباب التي من أجلها غزا (سابور) مدينة (الحضر): فأشرفت بنت (ساطرون) يوما فنظرت الى (سابور) وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا، فدست إليه أتتزوجني إن فتحت لك باب (الحضر)؟ فقال نعم فلما أمسى (ساطرون) شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، فبعثت بها مع مولى لها. ففتح الباب فدخل (سابور) الحصن، وقتل (ساطرون) وجنده واستباح (الحضر) وخربه[19] وفي رواية أخرى لا يحضرني أين قرأتها، أنها أرشدته إلى أن ينشر التبن على صفحة (الثرثار) من موضعه الذي يقف عليه ويتتبع حركة التبن فانه سيدخل الحصن من نفق لا سبيل إلى دخول المدينة من سواه.

المرأة في الحضر:

ليس في العبادات التي مورست في (العراق) القديم منذ أيام (السومريين) ما يشير إلى عد المرأة الحائض نجسا يجب إبعاده عن البيت أو عن المدينة كما ان توخي الحيض في مسائل الطلسمات وما يترتب عليه إبعاد النساء الطوامث

خارج المدن أمر غير معروف هنا. فالعراقيون كانوا ذوي ديانة تسود فيها المرأة لذا فهم مؤسسو الديانة الأنثوية، أو العبادة الامومية، قبل أن تتحول العبادة إلى الرموز الذكورية، وعلى هذا الأساس عبدوا (إينانا) التي صارت فيما بعد (عشتار)، وكانت لها مكانة خاصة ومتفردة بين الهتهم على مدى جميع الحضارات التي انبثقت هنا ولعدة آلاف من السنين.

ولقد كان من مستلزمات ومكملات المعابد في (العراق) القديم وجود بغايا المعابد ممن كان الملوك يمارسون معهن الفحش المقدس، وكانت تلك الكاهنات الفاحشات يحبلن على الرغم من الاحتياطات التي يتخذنها لتجنب الحمل، ومن تلك الوسائل أن الكاهنة العليا كانت تمارس الجماع في الدبر ربما كانت تتخذها وسيلة لمنع الحمل كما يقول (ساكز)[..] مع وجود طرق فنية (تحافظ على الرحم نظيفا) وان بعض الرجال كانوا يأتون نساءهم بتلك الطريقة (عن طريق الدبر) ربما لتجنب الخوض في دماء العادة الشهرية، فثمة نصوص يشير إليها (ساكز) ورد فيها (يظل الرجل يقول لزوجته، أعطيني ظهرك)[..] ففي كل تلك الصور المفعمة بالممارسات الجنسية لا نجد أن للطمث تأثيراً في الحياة الزوجية أو في الحياة العامة للمجتمعات في (العراق).

وكانت تلك الأمور ذاتها مجسدة في معابد (الحضر)، ففي الثالوث العبادي الذي هو جزء من الفكر الديني الحضري نجد أن إله الشمس هو السيد الأكبر عندهم الذي وجد مسكوكا على عملتهم وتحت رسمه عبارة (حطرا دي شمش) أي إن (مدينة الحضر كُرّست لعبادته) فهو الإله الأعظم عندهم وهو سيد الأرض وخالق الكائنات وأله العدل ويسمونه (سيدنا)، اما شركاؤه في الثالوث فهما (مرتين) التي يسمونها (سيدتنا) وابنهما (برمرين) الذي يطلقون عليه (ابن سيدينا). ولعل (مرتين) هي نسخة أولية للّلات العربية، وانها عند أهل (الحضر)، تعد آلهة الحفاظ على المواثيق والمعاهدات وثمة تمثال يبين الملك واقفا أمامها بخشوع[..] وزيادة على ذلك فإن تمثالا لإلهة أنثى ممن كان الحضريون يعبدونها وجد امراة ترتدي لأمة الحرب وعلى رأسها خوذة وتحمل ترسا ورمحا وترتدي درعا مزردا يغطي صدرها[..] وثمة مناصب دينية في المعابد الحضرية للنساء الكاهنات، فالكاهنة عندهم (كمرتا) إضافة الى وظائف لكلا الجنسين من العاملين في الخدمة الدينية داخل المعابد كالمزمرين والمزمرات والنائحين والنائحات وينصب عليهم شيخ هو (شيخ جميع المزمرات والنائحات التابعات لمعبد مرن) كما ورد لقب (رب قينتا) الذي يدل على انه كبير النائحين والنائحات[..]. ان تلك الصور مجتمعة تظهر أن الحضريين لم يكونوا ممن يتجنب النساء الطوامث، مع وجود نفر من (العرب) كان يدين بالحنيفية وكانت تلك الديانة، أو بالأصح التعاليم الإبراهيمية، تلزم متبعها ببعض الأمور ذات المردود الايجابي كغسل الجنابة وتجنب وطء الحائض وغير ذلك من أمور، وكان الاسلام قد أقر بعض تلك الالتزمات لما فيها من منافع صحية واجتماعية، إلا انه كما كانت الشرائع السابقة متسامحة مع الحائض لا ترفضها ولا تأمر بابعادها عن محيطها كان أمر الدين الحنيف للمسلمين، بل كان الرسول (صلعم) يضطجع مع نسائه، وهن طوامث، فإذا أصابه شيء من دم طمث إحداهن غسل مكانه ولم يتعده ثم يصلي، وكان يشرب من نفس الاناء الذي شربت منه (عائشة رضي الله عنها) وهي حائض فقد شرب من فضل سؤرتها[..].

أما في كتب التراث العربي، فإن تجنب الحائض في غير موضوع الجماع لم يذكر سواء من قبل زوجها أو من تساكنهم، ولكن (الدميري) ذكر زيادة على ذلك أن الأسد الجائع لا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد[..] (بسبب الجوع) وهو (أي الدميري) لم يبن على ذلك أو يستطرد كدابه في هذا الشأن لعدم تيسر أخبار أو معلومات كافية عن أمر الحيض والحائض في جعبته غير ما ذكرنا على ما نظن.

بدعة إبعاد الحائض:

ترى من أين جاء (الضيزن) أو من سبقه في حكم (الحضر) ببدعة إبعاد الطوامث عن حصن المدينة إلى ربضها طوال مرحلة نزول الدماء عليهم حتى تم عليه ماتم ودفع حياته وحياة شعبه لقاء تلك البدعة السخيفة ؟

ليس لدينا من وثيقة غير التوارة التي كتبت في (بابل) عن مصادر شفاهية وصارت الكتاب المقدس لليهود، ففيه نجد (وإذا كانت إمرأة لها سيل وكان سيلها دما في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من مسها يكون نجسا إلى المساء* وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجسا وكل ما تجلس عليه يكون نجسا* وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا إلى المساء* وكل من مس متاعا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم

بماء ويكون نجسا إلى المساء* وان اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسا سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسا* وإذا كانت امرأة يسيل دمها أياما كثيرة في غير وقت طمثها إنها نجسة* كل فراش تضطجع عليه أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها. وكل الأمتعة التي تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمثها* وكل من مسها يكون نجسا فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا الى المساء* وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر* وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهما إلى الكاهن* فيعمل الكاهن الواحدة ذبيحة خطية والأخرى محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها) فتعزلان بني إسرائيل عن نجاستهم لئلا يموتوا في نجاستهم بتنجيسهم مسكني الذي في وسطهم)[٢٧].

فنحن هنا إزاء نص صريح يحكم بنجاسة الحائض وتجنبها بقسوة شديدة، لئلا يتنجس مسكن الرب فيموت(بنو إسرائيل) عقابا لهم على ذلك الفعل الذميم، ويتعدى الأمر النساء الطوامث حتى يشمل المستحاضة التي يجيز لها(الإسلام) اداء الصلاة شريطة أن تغتسل لكل فرض، ما يجيز لها الجمع بين كل فرضين عدا الصبح والأكثر غرابة اننا عرفنا الأصل في خرافة الربط بين الحيض والحمامة التي وجدناها في حكاية طلسم (الحضر)، إنها الطقوس اليهودية التي قلدها(الضيزن) تقليداً أعمى من غير أن يحكم عقله فيها أو يحاول التوصل الى الحكمة التي من ورائها فكانت بذلك التقليد نهايته المأساوية ونهاية حقبة مشرقة من تاريخ هذا الوطن الخلاق المبدع.

لقد تخلى(الضيزن) عن كل ذلك الكم الهائل من الإرث الحضاري الرافديني الذي يحمل سفطه وعاد بدائيا لا يختلف عن أولئك البدائيين الذين وصفهم(بوس) بقوله(عندما يحادث الإنسان البدائي شخصا آخر فليس من عادته أن يناقش أفكارا مجردة. فالحديث عن الصفات بمعزل عن الموصوفات، أو عن أفعال أو حالات منفصلة عن الفاعل أو الذات التي تكون في حالة معينة، قد لا يحصل بتاتا عند البدائيين، وهكذا فهو لن يتحدث عن الطيبة كونها فكرة برغم أنه قد يتحدث عن طيبة فلان من الناس، ولن يتحدث عن حالة النعيم بمعزل عن الشخص الذي يعيشها ولن يشير الى القدرة على الابصار دون الاشارة الى شخص يتمتع بها)[٢٨] وهكذا كان فعله الأهوج الذي جاء بعيدا عن الحكمة والتبصر والبحث عن أسباب ومسببات بقدر ما كان انقيادا نحو أفكار ظنها تؤمن له المتعة والنجاة فكانت فيها مصيبته ومأساته الأخيرة، وتقليداً أعمى لفكر يرجع في أسسه الى مراحل متسافلة من عمر البشرية.

ونحن هنا لا نستبعد التأثير اليهودي المباشر أو غير المباشر في أهل(الحضر) في إدخال تلك البدعة. فإذا كان مباشرا فقد يكون متعمدا يستهدف غرضا سيئا، ناجما عن حسد أو غيرة وقد يكون بريئا. وان عدم استبعادنا الدور اليهودي مرده أمران: الأول هو أن بعض اليهود كان ما يزال يسكن في (حدياب) المجاورة للحضر منذ الأسر الأشوري للأسباط العشرة، وان اليهود أثروا في الأسرة المالكة في (حدياب) فهودوها في القرن الميلادي الأول، فالتزمت تلك العائلة بولائها لليهود وإسنادها لهم وان مملكة (حدياب) ظلت قائمة حتى القرن الرابع للميلاد[٢٩](بعد اندثار الحضر بقرنين)، والثاني أن اليهود معروفون بمزاولة السحر وفنون الشعوذة ومنها الطلاسم(وكانت تلك الممارسات من بين طقوسهم وقد أسسوا لها مدارس تختص بالعرافة وقراءة الغيب ومعرفة الطالع وباقي العلوم السحرية واسموا أساتذتها (آباء) و(سادة) واسموا تلامذتها(بني الأنبياء) وكانت أشهر تلك المدارس في أريحا والجلجال وبيت إيل)[٣٠] لذا فإن تسرب تلك البدعة التي تجعل المرأة دنسا مقرفا عن طريق اليهود الى (الحضر) التي تقدس المرأة وتعبد آلهة أنثوية وتستخدم إناثا في معابدها بوظائف دينية، أمر لا يستلزم حتى محاولة إثباته وتأكيده بعدما قدمنا ما يلزم من أدلة منطقية.

أما مصدر واساس نشوء وتنامي تلك الأفكار عند(اليهود)، فذلك يعزى إلى انهم ذوو عبادة ذكورية وانهم لا يستخدمون النساء في معابدهم اساسا حتى إن زوجة(عمران) شعرت بخيبة أمل عندما وضعت ما نذرته للرب محررا، وإذا به أنثى(رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى. آل عمران:٣٦) وهو ما لم يكن معهودا في خدمة الهيكل فكيف ستفي بنذرها إذن، ولو أنهم في بعض مراحل السقوط والتردي الديني والأخلاقي توثنوا فأقاموا طقوسا وثنية في معابدهم وقصور ملوكهم، وعبدوا العجول والأفاعي وقدسوا الأشجار ومارسوا الزنا المقدس(القديشين)[٣١] كان ذلك في زمن أنبياء بين ظهرانيهم، فكيف وهم(على فترة من الرسل) يختلقون طقوسا ويؤسسون لديانة ضاعت أصولها وفقدت نصوصها، فلفقوها تلفيقا من مصادر وثنية امتازت بها شعوب غالية

والمغلوب مجبول على تقليد الغالب. والانكى من ذلك أن تلك الشعوب لم تكن تستنجس المرأة الحائض كما بالغ (اليهود)، فلا بد من تتبع الأصل في تلك البدعة.

إن الأصل في ذلك هو المجتمعات البدائية التي يشكل التطهير عندها طقوسا خلاقة فهي(تخدم كمناسبات للتعبير الصريح)[٦٠] لذا فإن دم الحيض عندهم قذر ويشكل احد أهم المحرمات شهرة، ففي المجتمعات البدائية (تلزم النساء اللواتي يحضن بعزل أنفسهن ويحظر عليهن لمس الأشياء ذات الاستعمال المشترك، وأحيانا أطعمتهن الخاصة التي قد يلوثنها)[٦١] وعندما نستحضر النص التوراتي الذي أوردناه في موضع سابق ونوازنه بما يقول (جيرار)، نجد ان اليهود عادوا في هذا الأمر إلى عصور ما قبل الوثنية، إلى عصور البدائية ليستعيروا منها بعض طقوسهم وأجزاء من نصوصهم (المقدسة)، فـ(جيرار) يستطرد واصفا حال البدائيين ونظرتهم إلى دم الحيض فيقول (كل إراقة دم تحدث عندهم خوفا، فلا ينبغي التعجب إذن مسبقا من أن دم الحيض الشهري يخيف، ومع ذلك هنا شيء آخر غير التطبيق البسيط للقاعدة العامة. بالتأكيد لم يكن لدى البشر مطلقا أدنى صعوبة لتمييز دم الحيض الشهري عن الدم المراق في حادث قتل أو حادث صدم وعليه فإن قذارة الدم الشهري في كثير من المجتمعات تبلغ حدا بعيدا، ولهذه القذارات علاقة واضحة بالجنس)[٦٢] فالقضية إذن قضية خوف الإنسان البدائي من تدفق الدم: إنه مخيف... أليس في النص اليهودي المقدس الذي أوردناه والذي يقول: (فتعزلان بني إسرائيل عن نجاستهم لئلا يموتوا في نجاستهم بتنجيسهم مسكني الذي في وسطهم) ما يترجم ذلك الخوف البدائي إلى واقع ديني عند (اليهود)؟

ويستمر التوريط:

لا ينكر أحد الجهد اليهودي الحثيث لتهويد الإسلام، وأن هذا الجهد وإن فشل في مهمته الأساس بسبب وعي المسلمين الأوائل، إلا أن بعض جوانبه لاقت نجاحا من خلال إدخال بعض التفسيرات الإسرائيلية من قبل (كعب الأحبار) ورهطه من المندسين بين صفوف المسلمين عن سوء قصد ورداءة طوية.

فاليهود الذين توارثوا الخوف من الطمث ظلوا عاكفين على عقيدتهم البدائية يخدعون الناس بها ويورطونهم كما تورط في خرافاتهم (الضيزن) وكانوا (إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوهن ولم يشاربوهن ولم يجامعوهن في البيوت)[٦٣] حتى حل النبي (صلعم) بين ظهرانيهم في (المدينة) فجاء قوم منهم يريدون أن يقحموا جهلهم وتخلفهم وبدائيتهم في الدين الجديد توريطا وحسدا من عند أنفسهم فبدأوا بذلك عندما سألوا النبي (صلعم) عن المحيض، فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ..الآية البقرة ٢٢٢) فأمرهم رسول الله (صلعم) أن (يؤاكلوهن ويشاربوهن ويجامعوهن في البيوت وأن يصنعوا بهن كل شيء ما خلا الجماع)[٦٤].

عودة إلى النضيرة:

لم نشأ أن نتوقف عند حد اجتياح (سابور) لمدينة (الحضر) إذ استكملنا المهمة، فلا بأس من إتمام الفائدة ومتابعة مصير الخائنة. فما أن قتل (سابور) سراة (الحضر) وعلى رأسهم ملكها (الضيزن) حتى أخذ (النضيرة) على وفق الاتفاق الذي بينهما وسار بها إلى (عين التمر) فعرس بها هناك. وبعد أن التمس النوم وجد أن ضجيعته تتململ على فراشها فقال لها ما يمنعك من النوم ؟ فقالت : لم أنم على فراش خشن كفراشك قط، فقال لها: وهل نام الملوك على أنعم من فراشي ؟ ففتش تحتها واذا بورقة آس عالقة به، فقال لها: بم كان أبوك يغذوك ؟ فقالت: بشهد الأبكار من النحل ولباب البر ومخ الثنيات فقال لها (سابور) : أنت ما وفيت لأبيك مع حسن هذا الصنيع فكيف تفين لي ؟ ثم أمر ببناء عال فبني وأصعدت إليه، وقال: ألم أقل لك إني سأرفعك فوق نسائي، قالت: بلى ثم أمر بفرسين جموحين فربطت ذوائبها في ذنبيهما ثم فرق بينهما فقطعاها فصارت مثلا تضرب به العرب ومن ذلك قول عدي بن زيد:

والحضرُ صُبّت عليه داهيةٌ ... شديدةٌ أيْدُ مناكبها

ربيبة لم توقِّ والدها ... لحبها إذ أضاع راقبها

فكان حظ العروس إذ جشر الـ ... ـصبح دماء تجري سبائبها

الهوامش

(١) الصايغ، المطران سليمان (تاريخ الموصل) مطابع الكريم ـ جونيه لبنان ١٩٥٦ ج٢ ص٥٥.

(٢) علي جواد (مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام) نشر بمساعدة جامعة بغداد، ط٢ ،١٩٩٣ ج٢ ص٦١٧.

(٣) الصالحي، واثق إسماعيل، بحث بعنوان (المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الاخميني والسلوقي والفرثي) المنشور في موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل ١٩٩١، ج١ ص٢٢٥.

(٤) الحموي، ياقوت (معجم البلدان) دار صادر ودار بيروت. بيروت ١٩٧٩، ج٢، ص٢٦٨.

(٥) ابن هشام، عبد الله (سيرة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم) تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر ـ بيروت بلا ج١ ص٧٦.

(٦) الاصفهاني، حمزة بن الحسن (تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء) دار مكتبة الحياة ـ بيروت بلا ص٤٥ـ٤٧.

(٧) الخيل العلافية نسبة إلى علاف الذي هو ربان بن حلوان بن الحاف بن قضاعة انظر، ياقوت (مرجع سابق) نفس الصفحة.

(٨) الاصفهاني (مصدر سابق) ص٩٨ـ٩٩.

(٩) ياقوت (مصدر سابق) ص٢٦٩.

(١٠) البستاني، بطرس (دائرة المعارف) دار المعرفة ـ بيروت ١٨٨٣ ج٧ ص٩٩ (مادة حضر)، ابن هشام (مرجع سابق) ص٧٧.

(١١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (الكامل في التاريخ) دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٨ ج١ ص٢٢٥.

(١٢) الصايغ (مرجع سابق) ص٥٥.

(١٣) ياقوت (مصدر سابق) ص٢٦٨.

(١٤) البستاني (مرجع سابق) ص٩٩.

(١٥) علي (مرجع سابق) ص٦١٥.

(١٦) محمد عبد المنعم رشاد بحث بعنوان (المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الساساني) في (موسوعة الموصل الحضارية) مرجع سابق ص٢٣٠.

(١٧) ياقوت (مصدر سابق) نفس الصفحة.

(١٨) البستاني (مرجع سابق) ص٩٩ـ١٠٠.

(١٩) ابن هشام (مصدر سابق) ص٧٧.

(٢٠) ساكز، هاري (قوة آشور) ترجمة عامر سليمان، المجمع العلمي ـ بغداد ١٩٩٩ ص٢٠٥.

(٢١) المرجع السابق ـ نفس المكان.

(٢٢) الصالحي، (مرجع السابق) ص٢٢٥ـ٢٢٦.

(٢٣) الدباغ، تقي (الفكر الديني القديم) دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ط١ ،١٩٩٢ ص٥٢.

(٢٤) الصالحي (مرجع سابق) ص٢٢٨.

(٢٥) النسائي، احمد بن علي بن شعيب (سنن النسائي بشرح السيوطي) المكتبة التجارية الكبرى ط١ ،١٩٢٠ ص١٦ـ ١٥٠.

(٢٦) الدميري، الشيخ كمال الدين (حياة الحيوان الكبرى) دار الفكر ـ بيروت بلا ج١ ص٣.

(٢٧) الملوك الثاني ١٧: ١٥ـ ٢١.

(٢٨) مونتاغيو، أشلي محرر (البدائية) ترجمة محمد عصفور سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٨٢ ص١٩٥.

(٢٩) سوسة، احمد (مفصل العرب واليهود في التاريخ) دار الرشيد للنشر ـ بغداد ط٥ ١٩٨٠ ص٨٢٨ـ٨٢٩.

(٣٠) عيسى، حسن عبيد (التآمر اليهودي على بلاد الرافدين حتى سقوط بابل) بيت الحكمة ـ بغداد ٢٠٠١ ص٢٦٠.

(٣١) المرجع السابق ص٢٦٨.

(٣٢) مونتاغيو (مرجع سابق) ص١٩٩.

(٣٣) جيرار، رينيه (العنف والمقدس) ترجمة جهاد هواش وعبد الهادي عباس، دار الحصاد للنشر والتوزيع ـ دمشق ط١ ،١٩٩٢ ص٥١.

(٣٤) المرجع السابق ص٥٣.

(٣٥) النسائي (مصدر سابق) ص١٥٢.

(٣٦) المصدر السابق، نفس الصفحة.

البديع مدخل إلى أسلوبية القرآن الكريم

د. محمد كريم الكواز

المقدمة

فكرة المدخل البديعي الى اسلوبية القرآن الكريم مأخوذة من امرين متلازمين هما:

١. اجماع العلماء على ان البلاغة وجه من وجوه الاعجاز.

٢. محاولتهم الوقوف على مواضع الاعجاز في تلك البلاغة.

وقد نحا المبدعون منهم الى الكشف عن جانب واحد، وجدوه صالحاً لكشف اسرار البلاغة المعجزة، وكان منهجهم في ذلك ينبع من فكرة اولية، قد تتعارض مع غيرها ولكن مصب جميع الجهود في غاية واحدة. لذلك تعددت مصطلحات بلاغة القرآن وكثرت مذاهب العلماء واتجاهاتهم اليها.

كان ابن المعتز (٢٩٦هـ) يربط بين بديع الشعر المحدث والقديم وبديع القرآن الكريم، وجاء ابو هلال العسكري (٢٩٥هـ) يزيد من الاستشهاد ببديع القرآن ويجرد الشعراء المحدثين من مزية البديع كما فعل ابن المعتز، حتى اذا جاء الباقلاني (٤٠٣هـ) اعترض على ادخال البديع في حومة الاعجاز البلاغي، ولكن الجهود تعاقبت والف ابن ابي الاصبع المصري (٦٥٤هـ) (بديع القرآن) وهو يضع بين يدي العلماء الدليل على الاعجاز البديعي.

ان نظرة الى موضوعات البديع ترينا انها موضوعات البلاغة، ولكن زاوية تناولها تختلف عن زاوية تناول الموضوعات البلاغية، التي استقرت على عهد البلاغيين المتأخرين كالسكاكي (٦٢٦هـ) والقزويني (٧٢٩هـ). وهذا ما يفسر اعتراض الباقلاني وغيره، حيث ان مذهب البديع نشأ في بيئة نقاد الشعر، ولا يصح ان يدخل في بيئة الدراسة القرآنية لان البيئتين تختلفان اختلاف الشعر عن القرآن الكريم. لذلك قام هذا البحث على ايضاح المدخل البديعي الذي سلكه طائفة من العلماء للوصول الى اسلوبية القرآن الكريم، مستعيناً بدلالة البديع في ميدان النقد.

وقد قدمت له بنبذة عن المعنى اللغوي والاصطلاحي للبديع، وتطرقت الى صورة البديع وهو بين الشعر العربي والقرآن الكريم. ووقفت عند شواهد البديع القرآني عند ابن المعتز، لانه كان من اوائل العلماء الذين ادخلوا الشاهد القرآني في البديع وبينت اثر فكرة التحسين البديعي في دراسة الاعجاز البلاغي وخلصت الى طبيعة الاعجاز بالبديع، حيث وجدت ان للبديع في القرآن الكريم مكانة خاصة لا يقوم المعنى المراد الا به، فالبديع القرآني ليس تحسيناً ولا لعباً تعبيرياً وانما هو طريق وحيد لاداء المعنى، اقتضاه السياق واستوجبته المعاني.

ولم اكثر من فنون البديع للبرهنة على ذلك واقتصرت على الطباق وصحة التقسيم واللف والنشر والايضاح لسببين، اولهما ان كل فنون البديع تصلح للاستشهاد على اعجاز بديع القرآن. ثانيهما: ان ما اخترته يدخل في مباحث علم البديع حيث استقر التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة.

وبعد فهذا البحث محاولة لفهم الاراء القيمة التي قدمها علماؤنا العرب المسلمون في سبيل الكشف عن بلاغة الكتاب العزيز والافادة من ذلك في مواصلة السير على تلك السبيل خدمة للكتاب العزيز، جعلنا الله سبحانه من خدمته، وهدانا الى نهجه.

البديع لغة واصطلاح:

البديع في اللغة من بدع الشيء يبدعه وابتدعه. اي انشأه وبدأه. وقالوا: ابدع الركية (البئر) اي استنبطها واحدثها. وركيٌ بديع: حديثة الحفر، والبديع والبدع هو الشيء الذي يكون اولاً، والبدعة الحدث وكل محدثة، والبديع المحدث العجيب[١]. وقد وردت كلمة (بديع) في القرآن الكريم مرتين، في قوله تعالى (بديع السموات والارض واذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون) البقرة/١١٧، وقوله تعالى (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) الانعام/١٠١، وهي من ايجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك الا لله[٢].

ويلاحظ ان في معنى الكلمة امرين: الاول: الجدة التي يدل عليها انشاء الشيء ابتداء على غير مثال سابق. والثاني: البراعة والغرابة اللتين يدل عليهما الشيء

العجيب. والامر الثاني نابع من الاول، اذ ينشأ العجب من الابداع في الشيء الجديد المبتكر، وهو ما يتضح في معنى البديع في الآيتين الكريمتين، لان خلق السموات والارض ابتداء يستدعي الاعجاب، وقد اتخذ هذا دليلاً على قدرة الله تعالى والوهيته"[3] قال العلوي: معنى البديع الموجد بالقدرة لا على جهة الاحتذاء"[4].

ونجد معنى الجدة والبراعة متفقاً مع المعنى الاصطلاحي للبديع الذي وصفت به بعض العبارات والصور في الادب، لجدتهما وطرافتهما مما كان في حركة التجديد التي ظهرت في الادب العربي في اواخر القرن الثاني الهجري، واستمرت على طول القرن الثالث وظهر في اثرها فن البديع، وهو اصطلاح أطلق على الخصائص الفنية في شعر المحدثين كبشار بن برد ومسلم بن الوليد وابي تمام والعتابي"[5].

وقد ذكر الجاحظ ان مصطلح (البديع) اطلقه الرواة على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية، وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في اشعارهم، فتزيدها حسناً وجمالاً، وقال معلقاً على بيت الاشهب بن رميلة:

هم ساعد الدهر الذي يتقى به
وما خير كف لا تنوء بساعد

هذا الذي تسميه الرواة البديع"[6].

ونقل ابو الفرج الاصفهاني: ان الشاعر العباسي مسلماً بن الوليد هو اول من سمى هذا النوع بالبديع واللطيف، واستعمله في شعره، وتبعه طائفة من الشعراء اشهرهم ابو تمام"[7]. وهذا يعني ان الجاحظ لم يكن اول من اطلق (البديع) على تلك الفنون التي وشى بها الشعراء المحدثون اشعارهم، وانما نقل ذلك عن الرواة واستعمله فيما كتب. وان هذا اللفظ اطلق على الجديد الطريف من الصور والتعابير البلاغية"[8].

ولسنا بصدد تتبع تاريخ لفظة (بديع) وقد اشبع الموضوع بحثاً"[9]، ولكننا نريد تناول البديع من حيث هو مدخل بلاغي الى اسلوبية القرآن الكريم، وهذا يدفعنا الى امعان النظر في الصلة بين البديع وفنون الادب العربي من جهة والبديع وبلاغة القرآن الكريم من جهة ثانية.

البديع بين الشعر العربي والقرآن الكريم:

شاع بين الباحثين ان (البلاغة) و(البديع) مصطلحان متداخلان، لذلك سميت البلاغة في اول نشأتها بديعاً، واطلق على الفنون البلاغية التي عرفت اذ ذاك. اي ان كلمة (البديع) كانت ترادف كلمة (البلاغة) في الاستعمال، وكان يقصد باحداهما ما كان يقصد بالاخرى"[10].

ولكننا نجد ان العلماء ربطوا بين البديع والشعر العربي خاصة، ثم اختلفوا، من حيث كثرة البديع، في نسبته الى الشعر القديم او الحديث. فالجاحظ نسب الى البديع كلثوم بن عمرو العتابي وجمهرة من الشعراء المولدين المحدثين مثل منصور النمري ومسلم بن الوليد وبشار وابن هرمة والراعي النميري"[11].

ونسب ابن المعتز اليه ما وجده في القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والاعراب واشعار المتقدمين، للعلم بان بشاراً ومسلماً وابا نواس ومن قلدهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن، ولكنه كثر في اشعارهم فعُرف في زمانهم، حتى سمُّوا بهذا الاسم"[12].

واذا تأملنا الشطر الاخير من رأيه وجدنا ان المسألة لا تعدو قضية الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، ومن هنا توثقت الصلة بين البديع والشعر العربي، ويمكن ان نفسر، في ضوء هذه الصلة مقولة الجاحظ بان البديع مقصور على العرب في حملة رده على الشعوبية"[13]. اذ ان اللجوء الى الموروث العربي القديم افاده في حملته تلك افادة واضحة، فالاستعارة في قول الشاعر.

هم ساعد الدهر...

موجودة ايضاً في الحديث الشريف (موسى الله احدُّ، وساعد الله اشد)"[14] ثم ان الاستعارة ـ من جانب آخر ـ نوع من المجاز الذي هو خصيصة لغوية عند العرب، ومن سنتهم في التعبير. فاذا اضفنا الى هذا ما اورده الجاحظ في (الحيوان) من البديع في الشعر"[15]، حيث لم يورد شاهداً قرآنياً، تبينت صحة الربط بين البديع والشعر العربي، ربطاً وجه الانظار الى التوسع في بحث بديع الشعر دون بديع القرآن.

ـ بديع القرآن عند ابن المعتز:

كان ابن المعتز من اوائل الذين تفقدوا شاهد البديع في القرآن الكريم على الرغم من ان اهتمامه كان منصباً على التقليل من شأن فن البديع عند الشعراء المحدثين. وهذا ما يتضح من استخدامه مصطلح (البديع) الذي استخدمه اسلافه من الأدباء والنقاد كالجاحظ، لا مصطلح (المجاز) الذي كثر استعماله في الدراسات القرآنية"[16].

قسم كتابه على قسمين: الاول في ابواب البديع، وهي خمسة:

١ـ الاستعارة: وعرفها بأنها استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عُرف بها. مثل (ام الكتاب) في قوله تعالى (وهو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات) آل عمران/٧، و(جناح الذل) في قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا) الاسراء/٢٤.

٢. التجنيس: وهو ان تجيء الكلمة تجانس اخرى في بيت شعر او كلام، ومجانستها لها ان تشبهها في تاليف حروفها، كقوله تعالى (واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) النمل/٤٤، وقوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم) الروم/٤٣.

٣. المطابقة: قال الخليل: يقال طابقت بين الشيئين، اذا جمعتهما على حذو واحد، ومنها قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب) البقرة/١٧٩.

٤. رد اعجاز الكلام على ما تقدمها، ومنه قوله تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) الاسراء/٢١، وقوله تعالى (لا تفتروا على الله فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) طه /٦١.

٥. المذهب الكلامي، وهي تسمية الجاحظ، ولم يجد ابن المعتز له شاهدا قرآنيا.

ويلاحظ أن ابن المعتز ساوى بين الشاهد القرآني وغيره، لانه ما كان يعنى الا بالفكرة الرئيسة التي دفعته الى تاليف كتابه، وهي الصراع الحضاري الذي عاش في اتونه، فانعكس ذلك على شكل خصومة ادبية بين انصار القديم والجديد. وعلى الرغم من اننا لم نورد الشواهد الشعرية، وهي كثيرة كثرة بالغة تفوق الشواهد القرآنية التي اوردناها كاملة. الا ان قلة هذه تضيف دليلا يوضح سبب تاليفه كتابه. ولهذا فليس من المستغرب ان لا يجد شاهدا قرآنيا للمذهب الكلامي، وهو من انواع البديع الخمسة، قال: وهذا باب ما اعلم اني وجدت في القرآن منه شيئا، وهو ينسب الى التكلف، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقد ذكر العلماء المتأخرون شواهد قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) الانبياء/٢٢.

وذهب ابن المعتز الى ان ابواب البديع الخمسة موضوعة لفنون الشعر، يذكرها الشعراء والنقاد المتادبون، اما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون اسم البديع ولا يدرون ماهو. فاذا تذكرنا ان علماء اللغة والشعر القديم قد انطلقوا من القرآن الكريم، فجمعوا اللغة واشعار العرب، وانهم نشطوا تفسيرا للغة القرآن، وبيانا لغريبها واعرابها ومشكلها ومجازها، صح لنا تفسير عدم معرفتهم بالبديع، لانهم كانوا يعنون بالقرآن الكريم عناية فائقة، الذي هو مصدر جهودهم ومالها.

وقد سمى ابن المعتز ما بقي من البديع محاسن الكلام، واباح لغيره ان يسميها بديعا ان شاء. وهو ينطلق فيها من الشعر ايضا، فذكر في المحاسن الالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتاكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والهزل يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والافراط في الصفة وحسن التشبيه واعنات الشاعر نفسه في القوافي وحسن الابتداءات. وقد اورد شاهدا قرآنيا واحدا على الالتفات فحسب، اما سائر المحاسن فلم يورد عليها شيئا من القرآن الكريم. ويتبين احصاء الشواهد القرآنية في (البديع) ضآلتها امام اطراد الاستشهاد بالشعر في كل موضع باكثر من شاهد. فقد اورد اربعة شواهد قرآنية في ابواب البديع الخمسة، واورد في محاسن الكلام، وهي ثلاثة عشر، شاهدا واحدا.

اما دلالة البديع عند ابن المعتز فدلالة عامة، وذلك لان صفات الحسن وعناصر الجمال لا حدود لهما ولا فصل بين فنونهما، ثم انه لم يكن يعني به ما استقر عند البلاغيين المتاخرين من انه العلم الذي يبحث عن وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة على المعنى المراد. وقد جمع فنون البلاغة في بديعه كالاستعارة التي جعلها في اول بديعه، والتشبيه والكناية والتعريض، وهذه من البيان، كما اشتمل البديع على مباحث من المعاني كالالتفات كما اشتمل على بعض مباحث علم البديع كالتجنيس والمطابقة ورد اعجاز الكلام على الصدور والمذهب الكلامي وغيرها. وبذلك رسم ابن المعتز منهج البديع، ومهد لكثير من العلماء الذين خاضوا بحار الصنعة واستخلصوا فنونا لا يكاد يدركها الحصر. ولكن هذا ناتج عرضي عن الدافع الرئيس الذي حدا به الى وضع كتابه، وهو الصراع بين القديم والجديد كما ذكرنا. ثم ان فنون البديع التي ذكرها صاحبت الشعر من اقدم عهوده، وان كثرت على عهده، وان بعض الشعراء قد غالى في استعمالها، وان بشارا ومن تبعه كانوا يعتزون بانهم اصحاب هذا المذهب الصناعي، فرد عليهم بان هذا البديع قديم، لا فضل لهم في ابتكاره، وان كانت لهم صفة التصنع والاكثار منه.

بديع القرآن بعد ابن المعتز:

جعل ابو هلال العسكري ومن جاء بعده البديع داخلا في الاعجاز البلاغي بكثرة الآيات القرآنية التي استشهدوا بعد كل فن بديعي، الا ان هذا النوع من الاعجاز لم يكن مقصودا لذاته، لان لم يحلل النص القرآني لبيان الاعجاز فيه ولاظهار تفرد الاسلوب القرآني بخصوصية التعبير المعجز، وافرد ابن ابي الاصبع كتابه (بديع القرآن) للشاهد القرآني وحده، الا انه في بعض فنون البديع لم يذكر شاهدا قرآنيا، وذلك حين بحث انواع الجناس، ومثل لها ثم قال: وبقية فروع التجنيس لم تأت لها امثلة في الكتاب العزيز، لما يدل عليه نظمها من التكلف والتعسف، وقد جاءت اصولها كلها فيه.

وكذلك فعل العلوي في الجناس الكامل، فقال: ليس في القرآن من التجنيس الكامل الا هذه الاية (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) الروم/٥٥[٢٧].

وقال: لا يوجد في القرآن الكريم شيء من الترصيع، الذي هو ان تكون كل لفظة من الفصل الاول مساوية لكل لفظة من الفاظ الفصل الثاني في الاوزان والقوافي من غير مخالفة في زيادة او نقصان، وما ذاك الا لأنه (اي القرآن الكريم) جاء بالاخف والاسهل دون التعمق النادر[٢٨].

وهذا يفسر اعتراض العلماء على الاخذ بالبديع طريقاً للكشف عن اعجاز القرآن، سبب ذلك انهم رأوا ارتباط مذهب البديع بمسألة الطبع والصنعة، فالجاحظ اوضح طبيعة كلام العرب بأنه بديهة وارتجال وكأنه الهام، فليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة، وانما هو ان يصرف المتكلم عنايته الى الكلام فتأتيه المعاني ارسالا وتنثال عليه انثيالاً[٢٩]. ثم نشأ مبدأ ذم التكلف في الصنعة، لانهم وجدوه ينافي ما عليه الموروث الادبي العربي، هو المرجع الذي يقيسون عليه ابداعهم، قال ابن رشيق: ان العرب لا تنظر في اعطاف شعرها بأن تجنس او تطابق او تقابل، فتترك لفظة للفظ او معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وابرازه واتقان بنية الشعر، واحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض[٣٠].

وقد انعكست مسألة الصنعة على الاعجاز البلاغي فصار علماء الاعجاز يحيلون في معرفة الاعجاز على العرب الاوائل ايام نزول القرآن دون المولدين، لان اولئك، كما قال الرماني، على البلاغة اقدر، لما بينا من فطنتهم لما لا يفطن له المولدون من اقامة الاعراب بالطباع[٣١]. فترتب على الصنعة وتكلفها ان انحسر البديع عن ميدان الاعجاز البلاغي، ومن هنا نشأ اعتراض الباقلاني على اخذ الاعجاز من البديع، لانه يمكن للبشر ان يتدربوا له ويتعلموه اما طبيعة الاعجاز نفسه فهو ما لا سبيل لهم اليه. فضلاً عن دلالة البديع في الادب على التصنع والتكلف وقد كشف الباقلاني ان بعض ادباء زمانه كانوا يهيئون قوائم من البديع، يستعينون بها في انشائهم[٣٢].

ثم ان المؤلفات التي وضعت بعد زمن ابن المعتز تأثرت خطاه في التركيز على بلاغة العبارة المقتطعة من سياقها، فبوبت محتوياتها تحت اسم البديع على اساس ذلك[٣٣]. وبلاغة العبارة المقتطعة تتعارض مع الموروث الشائع بان بلاغة القرآن في نظمه الذي يتجاوز بناء العبارة الواحدة. وقد نقل ابن منظور استعمالاً لغوياً يعد ترجمة حقيقة لربط البديع بالشعر فقال:

ابدع الشاعر اي جاء بالبديع[٣٤]. وهذه العبارة تنم على الاصطلاح والتواضع بحيث تترقى الدلالة عندهما الى مستوى التنظير، ان ما اوردناه كاف لبيان الصلة الحميمة بين البديع والشعر من جانب ولبيان اسباب العزوف عن ادخال البديع في حومة الاعجاز البلاغي من جانب آخر.

فكرة التحسين البديعي والاعجاز:

ارتبطت فكرة التحسين بالبديع ونشأت بفعل تصور مفترض يفصل بين المعنى والاسلوب، فالمعنى يمكن التعبير عنه بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، واذا تم التعبير وكان مطابقاً لمقتضى الحال واضح الدلالة، جاءت وجوه تحسينه بعد ذلك، وهذا هو مفهوم علم البديع عند المتأخرين[٣٥]. فالتحسين، كما هو واضح في هذا، زائد عن المعنى، والمعنى يقوم بدونه، وليست به حاجة اليه في الاصل، وعليه قال الزمخشري في قوله تعالى (في قصة سليمان، عليه السلام، مع الهدهد (فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) النمل /٢٢: قوله (من سبأ بنبأ) من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط ان يجيء مطبوعاً، او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء ها هنا زائداً على الصحة، فحسن وبدع لفظاً ومعنى[٣٦].

وهكذا تهيأ لبعض العلماء ان اسلوب القرآن الكريم قد يترك فناً بديعاً لقوة المعنى، ففي قوله تعالى في قصة يوسف ،عليه السلام، حكاية عن قول اخوته (وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) يوسف /١٧ قيل: ما الحكمة في انه لم يقل، وما انت بمصدق، فانه يؤدي معناه مع رعاية التجنيس؟.

اجيب بأن في (مؤمن لنا) من المعنى ما ليس في مصدق، لان معنى قولك: فلان مصدق لي، هو قال لي: صدقت. واما (مؤمن) فمعناه مع التصديق اعطاء الامن، ومقصودهم التصديق وزيادة، وهو طلب الامن، فلذلك عبر به.

وكذلك قيل في قوله تعالى (اتدعون بعلاً وتذرون احسن الخالقين) الصافات/١٢٥: لو قيل: وتدعون، لكان فيه مجانسة. واجيب عن هذا عدة اجابات منها ان فصاحة القرآن ليست لاجل رعاية هذه التكليفات بل لاجل قوة المعاني وجزالة الالفاظ، وان مراعاة المعاني اولى من مراعاة الالفاظ، ولو قيل: أتدعون وتدعون. لوقع الالتباس على القارئ فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفاً. وان التجنيس تحسين، وانما يستعمل في مقام الوعد والتوعد والاحسان لا في مقام التهويل[٣٧].

ويبدو من هذه الاجابات انها تنطلق اساساً من فكرة التحسين الزائد على اصل المعنى، وقد قرن العلماء فيها، من حيث لا يشعرون، بين قدرة الله سبحانه وتعالى وهو القادرة

على كل شيء، وقدرة المخلوق المضطر في تصريف كلامه.

طبيعة الاعجاز بالبديع:

ان البديع في القرآن الكريم شأنا جليلا مرتبطاً بالمعنى المراد ارتباطا استدعى صفة الاعجاز فيه، ففي قوله تعالى (وانه هو اضحك وابكى. وانه هو امات واحيا. وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) النجم/٤٣-٤٥ طباق بين (اضحك) و(ابكى)، وبين (امات) و (احيا) وبين (الذكر) و (الانثى)، والايات في سياق بيان قدرة الله سبحانه باوسع معانيها، واشمل مظاهرها، واكمل سلطانها: فليس يقدر - سبحانه - على الاضحاك وحده او الاماتة وحدها وانما هو قادر على الشيء وضده، فكان ذكر المقابل او الضد لا محيص عنه لكمال القدرة وسعة السلطان، وان هذا لا يتم الا بالجمع بين الضدين وبالحكم بانه يقدر على الامرين معا، فضلا عن ان الآيات جمعت الطباق البليغ الى السجع لمجيء المناسبة التامة في اصل الآيات[٣٨]. فالطباق - هنا - داخل في بناء الآيات، وليس له جمال منفرد، وانه بحسب تآزره مع البناء العام، أثار مشاعر خاصة تنبئ بعظمة القدرة وسعة السلطان، وعلى هذا لا يمكن الزعم بان الطباق يعود الى اللفظ ولا الى المعنى.

وكذلك صحة التقسيم، وهي ان يستوفي المتكلم جميع اقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئا[٣٩]. ومثالها قوله تعالى (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) الرعد/١٢، اذ ليس في رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع في الامطار، ولا ثالث لهذين القسمين. وقوله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور، او يزوجهم ذكرانا واناثاً ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) الشورى/٤٩-٥٠. فهذا التقسيم حاصر لا مزيد على حصره مع ما فيه من البلاغة التي ليس وراءها غاية، لانه في معنى ان الناس على طبقاتهم واختلاف احوالهم على اربعة اصناف: فمنهم من له بنات لا غير، ومنهم من له بنون، ومنهم ذو بنات وبنين، ومنهم من هو عقيم لا ولد له من ابن او بنت[٤٠].

وقد جاءت صحة التقسيم في الآية على الوجه الذي تقتضيه بلاغة القرآن اذ انها مندرجة في السياق الذي وردت فيه الآية، فقد قال تعالى (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور) الشورى/٤٨ فلما ذكر سبحانه اذاقة الانسان الرحمة، واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك، وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد، ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته، فيخص بعضاً بالاناث وبعضاً بالذكور وبعضاً بالصنفين معا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولداً ابداً.

وقدم الاناث لان سياق الكلام ان الله سبحانه فاعل ما يشاؤه هو لا ما يشاؤه الانسان، فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما يشاؤه الانسان اصم والاهم واجب التقديم ثم قدم الذكور بالتعريف، لان التعريف تنويه وتشهير[٤١].

ومن ذلك اللف والنشر، وهو معدود في المحسنات المعنوية، ويراد به ان يلف المتكلم بين شيئين في الذكر، ثم يتبعهما بكلام مشتمل على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما الى ماهو له[٤٢]. ومنه قوله تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) البقرة/١١١، ومعناه: قالت اليهود: لن يدخل الجنة الا من كان هوداً. وقال النصارى: لن يدخل الجنة الا من كان نصارى، فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله، وأمناً من اللبس، لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه[٤٣].

ان الاسلوب القرآني افاد من اللف والنشر في هذه الآية افادة واضحة، تتجلى في اختصار اللفظ، والعدول عن التفصيل الذي يفهمه المتلقي الى تعبير ليس له الا مفهوم واحد، لا يلتبس الذهن فيه، اعتماداً على امر خاف بالمعنى، وهو العداء المستحكم بين الطرفين، فكان اللف في (قالوا) والنشر في حال اليهود والنصارى، ثم تم السياق حيث رد على امانيهم الباطلة بقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين).

وقال تعالى (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون. ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) القصص/٧١-٧٣. فالآيتان الأوليان في تعداد نعم الله سبحانه على البشر بخلقه الليل والنهار متعاقبين، وفي ضياء النهار منافع كثيرة فضلاً عما في النهار من التصرف في العيش، كما ان في الليل سكون الحياة واستراحتها بعد سعي النهار وتصرف البشر فيه. فالله سبحانه لم يجعل الحياة ليلاً سرمدياً، ولم يجعلها نهاراً سرمدياً، وانما كان رحيماً بالعباد (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) قال الزمخشري: زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة: لتسكنوا في احدهما، وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار، ولارادة شكركم. وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذانا بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به، كما لا شيء

ادخل في مرضاته من توحيده".

ويتضح الامران: اتساق الفن البديعي مع نظم الكلام، وكون ذلك الفن طريقا للتعبير لا يمكن تأدية المعنى المطلوب بسواه، في فن بديعي ابتدعه ابن ابي الاصبع، وهو الايضاح، وعرفه بان يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه". ومنه قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون) البقرة/٢٥. فالاشكال في (هذا الذي رزقنا من قبل) حيث انه دل على ان الذي رزقوه في الآخرة هو عين ما رزقوا من قبل في الدنيا، اي ان ثمر الجنة هو ثمر الدنيا نفسه، والمداومة على المأكول الواحد وغيره من الملاذ موجب للسآمة والملال، ولا يكون هذا في الجنة، لان نعيمها اتم نعيم واكمله". هنا يأتي التحليل البديعي ليزيل الاشكال ويوضح المقصود من التعبير: فمن جهة السياق وردت الآية في بشارة المؤمنين بالجنة ووصف نعيمهم فيها وقوله تعالى (كلما رزقوا...) يوقع في خلد هذا السامع تصور اثمار تلك الجنات باشباه ثمار الدنيا ام انها اجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس".

ومن جهة تأدية المعنى يكون قوله تعالى حكاية عن قول المؤمنين (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) اشكالا يتضح بقوله تعالى بعده (واتوا به متشابها) حيث نص على التشابه بين ثمر الجنة وثمر الدنيا.

ولكن هذا لا يؤدي المراد، اذ ان التشابه المجرد يلغي الفرق بين الثمرين، وهو فرق هائل، فكانت افادة الاسلوب القرآني من التشابه في بيان رتبة الاختلاف، اي ان الاسلوب القرآني اعتمد على ما يراه الانسان من تشابه الصور والاشكال في توضيح ميزة ثمر الجنة، وبيان فضيلته". لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل، واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه، وعافته نفسه، ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد، وتقدم له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا، افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه، وتحقق مقدار الغبطة به، ولو كان جنسا لم يعهده، وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك... ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم، ويستدعي تبجحهم في كل اوان". هكذا تتجلى اهمية الايضاح في اظهار المعنى على صورتين مختلفتين: الابهام ثم الايضاح لتمكين المعنى في النفس تمكينا زائدا، تحصل به لذة العلم".

ومن الايضاح شكل آخر، يأتي موضحا لاشكال في جملتين من الكلام متضمنتين معنى واحدا، قد اختلفت العبارة فيهما، فيتوجه على الظاهر إشكال اوجبه اختلاف العبارة فيجب ايضاحه". كما في قوله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) الانعام/١٥١. وقوله تعالى في بني اسرائيل (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) الاسراء/٣١. الايضاح في الاية الاولى وقع في (من املاق نحن نرزقكم واياهم) بعد ان نهى سبحانه عن قتل الاولاد، والاية في خطاب الفقراء المقلين، اي لا تقتلوهم من فقركم نحن نرزقكم ما يزول به املاقكم ثم قال (واياهم)، فكان التعبير موافقا لحال المخاطبين. اذ اوجبت البلاغة وعد الفقراء بالرزق وتكميل الوعد برزق الاولاد، لاحتمال ان يظنوا انهم اذا رزقوا رزقا فاستغنوا به استنفدته كلفة الاولاد، فعادوا الى الفقر". اما الايضاح في الاية الثانية ففي قوله تعالى (خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) حيث ان الخطاب فيها للاغنياء، نهاهم فيها عن قتل الاولاد خوفا من ان تسلبهم كلف الاولاد ما بأيديهم من الغنى، فوجب تقديم الوعد برزق الاولاد ليعلموا انه سبحانه المتحمل عنهم كلفتهم، فيأمنوا ما خافوه من الفقر ثم اكمل الوعد بضمان رزقهم بعد الاولاد، ليعلموا ان ما بأيديهم من الغنى هو الذي رزقه، وهو قادر على ان يرزقهم مثله". وهنا معنى زائد وهو ان الخشية تفيد معنى الخوف الذي يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه". وقد وافق استعمالها هنا حال الاغنياء الذين يعرفون قيمة الغنى، بخلاف الفقراء الذين لا يعرفون ذلك، لانه ليس من حالهم كما كان من حال الاغنياء. وفي تقديم الوعد في الايتين الكريمتين ملاحظة نفسية لاحوال المخاطبين، حيث قدم لهم الوعد بضمان ما خافوا عليه، كل بحسب حاله من الفقر او الغنى، وقد ضمن الايضاح في ذلك، التعبير عن المعنى المراد وتمكينه في نفس المتلقي بطريق الابهام في النهي عن قتل الاولاد ثم بايضاح ذلك ايضاحا موافقا لسياق الآية.

وقال تعالى (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) آل عمران/١١١ / وفي ظاهر الاية اشكال من جهة المعنى، وذلك ان صدر الآية يغني عن فاصلتها، لان توليهم عند المقاتلة دليل على الخذلان، والخذلان والنصر لا يجتمعان". فكان الايضاح في (ثم لا ينصرون) معجزا في ارتباطه بالسياق، وفي تأدية المعنى المقصود، بيان هذا ان قوله تعالى (ثم لا ينصرون) جاء في سياق ذكر المسلمين مع اهل الكتاب، ووصف احوال كل منهم، قال تعالى (كنتم خير

امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون. لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) آل عمران/ ١١٠-١١١، وكان قوله (منهم المؤمنون...) و (لن يضروكم...) وارداً على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإن شأنه كيت وكيت. ولذلك جاء من غير عاطف[٥٦].

ثم ان الايضاح في الآية دلّ على معنى لا يظهر في ظاهر الالفاظ، وذلك هو الحكم عليهم بانهم مخذولون ابداً ما قاتلهم المسلمون، فيثق المؤمنون بنصر الله تعالى لهم على هذا العدو، ويتيقنون انه متى قاتلهم كان مخذولاً، فيقدمون على لقائه كلما ارادوا ذلك بثبات قلوب وقوة نفوس وطمأنينة وسكينة، لا يتوقفون في لقائه، ولا يخشون قتاله، ولو وقع الاقتصار على دون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى[٥٧].

الهوامش

(١) لسان العرب (بدع)
(٢) المفردات (بدع)
(٣) بديع القرآن (مقدمة المحقق) ٨-٩
(٤) الطراز ٣: ٢٠٦
(٥) تاريخ النقد العربي ١: ١٥
(٦) البيان والتبيين ٤: ٥٥
(٧) الاغاني ١٩: ٣١
(٨) بديع القرآن (مقدمة المحقق) ١٣
(٩) نفسه ١٣ وما بعدها
(١٠) علم البيان ١٠ ومعجم المصطلحات البلاغية ١: ٢٨٢
(١١) البيان والتبيين ١: ٥١ و٤: ٥٦
(١٢) البديع ١
(١٣) البيان والتبيين ١: ٥١ ومعجم المصطلحات البلاغية ١: ٢٧٩
(١٤) مسند الامام احمد ٢: ٤٧٣ والبيان والتبيين ٤: ٥٦
(١٥) الحيوان ٢: ٥٧
(١٦) التفكير البلاغي ٢٧٩
(١٧) البديع ٢، ٣، ٢٥، ٣٦، ٤٧-٤٨، ٥٣
(١٨) نفسه ٥٣
(١٩) الصبغ البديعي ١٣٤
(٢٠) البديع ٥٧
(٢١) نفسه ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧٤، ٧٥
(٢٢) الايضاح ٢: ٣٢٤
(٢٣) البيان العربي ١٣٢
(٢٤) بديع القرآن (مقدمة المحقق) ٢١
(٢٥) الصناعتين ٢٧٢-٢٧٣
(٢٦) بديع القرآن ٣٠
(٢٧) الطراز ٢: ٢٥٦
(٢٨) نفسه ٢: ٢٥٧
(٢٩) البيان والتبيين ٣: ٢٨
(٣٠) العمدة ١: ١٣٩
(٣١) النكت ١٠٤
(٣٢) اعجاز القرآن ١١١
(٣٣) الصناعتين ٢٧٢-٢٧٣
(٣٤) لسان العرب (بدع)
(٣٥) الايضاح ٢: ٣٢٤
(٣٦) الكشاف ٣: ١٤٤
(٣٧) معترك الاقران ١: ٤٠٤
(٣٨) ابن ابي الاصبع ٩٢
(٣٩) بديع القرآن ٦٥
(٤٠) الطراز ٣: ١٠٦
(٤١) الكشاف ٣: ٤٧٤-٤٧٥
(٤٢) مفتاح العلوم ٢٠٠
(٤٣) الكشاف ١: ٣٠٤
(٤٤) نفسه ٣: ١٨٩
(٤٥) بديع القرآن ٢٥٩
(٤٦) نفسه ٢٦٠
(٤٧) الكشاف ١: ٢٥٩
(٤٨) انوار التنزيل ١: ٤٢
(٤٩) الكشاف ١: ٢٦١
(٥٠) بديع القرآن (حاشية الصفحة) ٢٥٩
(٥١) نفسه ٢٦٠
(٥٢) نفسه ٢٦١ ومعترك الاقران ١: ٩٣
(٥٣) بديع القرآن ٢٦١
(٥٤) المفردات (خشى)
(٥٥) بديع القرآن ٢٦٢
(٥٦) الكشاف ١: ٤٥٥
(٥٧) بديع القرآن ٢٦٢

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة. د. مفتي محمد شرف ط1 مكتبة نهضة مصر - القاهرة.
- اعجاز القرآن. الباقلاني (ابو بكر محمد بن الطيب - ٤٠٤هـ) تحـ. احمد صقر ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م دار المعارف. مصر.
- الاغاني. الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين - ٣٥٦هـ) تحـ. عبد الستار احمد فراج ١٩٥٩م دار الثقافة - بيروت.
- انوار التنزيل واسرار التأويل. البيضاوي (ناصر الدين عبد الله بن عمر - ٧٩١هـ) ط1 ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م دار الكتب العلمية - بيروت.
- الايضاح في علوم البلاغة. القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن - ٧٣٩هـ) تحـ. لجنة من اساتذة الجامع الازهر. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة.
- البديع. ابن المعتز (عبد الله بن محمد - ٢٩٦هـ) تحـ. اغناطيوس كراتشكوفسكي ١٩٣٥م. لندن.
- بديع القرآن. ابن ابي الاصبع (عبد العظيم بن عبد الواحد المصري - ٦٥٤هـ) تحـ. مفتي محمد شرف ط1 ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م مكتبة نهضة مصر - القاهرة.
- البيان العربي د بدوي طبانة ط٤ ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة.
- البيان والتبيين. الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥هـ) تحـ. عبد السلام محمد هارون ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة.
- تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري. د. محمد زغلول سلام ١٩٦٤م دار المعارف. مصر.
- التفكير البلاغي اسسه وتطوره الى القرن السادس. حمادي صمود ١٩٨١م المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- الحيوان. الجاحظ تحـ. عبد السلام محمد هارون ط٣ ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م مطبعة البابي الحلبي - مصر.
- الصبغ البديعي في اللغة العربية. د. احمد ابراهيم موسى ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م دار الكاتب العربي. القاهرة.
- الصناعتين الكتابة والشعر. العسكري (ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل - ٣٩٥هـ) تحـ. علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ١٩٧١م مطبعة البابي الحلبي - مصر.
- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز. العلوي (يحيى بن حمزة - ٧٤٩هـ) ١٣٣٢هـ ١٩١٤م) مطبعة المقتطف. مصر.
- علم البيان. د. بدوي طبانه ط٢ ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. القيرواني (ابو علي الحسن بن رشيق - ٤٥٦هـ) تحـ. محمد محيي الدين عبد الحميد ط٤ ١٩٧٢ دار الجيل. بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري دار المعرفة - بيروت.
- لسان العرب. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم - ٧١١هـ) ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م دار صادر - بيروت.
- مسند الامام احمد بن حنبل (٢٤١هـ) ١٣١٣هـ المطبعة الميمنية - مصر.
- معترك الاقران في اعجاز القرآن. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر - ٩١١هـ) تحـ. علي محمد البجاوي ١٩٦٩م دار الفكر العربي - مصر.
- معجم المصطلحات البلاغية. د. احمد مطلوب ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد.
- مفتاح العلوم. السكاكي (يوسف بن ابي بكر - ٦٢٦هـ) ط1 ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م مطبعة البابي الحلبي - مصر.
- المفردات في غريب القرآن. الراغب الاصفهاني (الحسين بن محمد - ٥٠٢هـ) تحـ. د (محمد احمد خلف الله ١٩٧٠م مكتبة الانجلو المصرية - مصر.
- النكت في اعجاز القرآن. الرماني (علي بن الحسين - ٣٨٦هـ) ضمن (ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) تحـ. د. محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام. دار المعارف - مصر.

التهذيب في النحو لابن يعيش الصنعاني

دراسة في المنهج والمضمون

د/ طارق نجم عبد الله
جامعة الامارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة التراث العربي غنية بكنوز المعرفة المختلفة ومنها علوم اللغة العربية، وبقي الكثير يطويه النسيان ويتعذر الاستفادة منه، ومن هذه الكنوز التراث اليمني، الذي اسهمت عوامل مختلفة على مر العصور بعدم تمكن طلاب المعرفة من الاطلاع عليه، بل بات جمع من علمائهم يجهلهم العلماء فضلا عن غيرهم. ومنذ سنوات حصلت على مصورة لكتاب (التهذيب في النحو) لابن يعيش الصنعاني، وكنت عازما على تحقيق الكتاب ونشره خدمة للغة القرآن الكريم، ولما يتميز به الكتاب من طريقة في التبويب والترتيب وحسن العبارة وأصالة الموضوع في مواضع، وقد حالت عوامل دون الانتهاء من التحقيق منها كون النسخة يتيمة وفيها مواضع طمس وعدم وضوح في الخط، وحاولت بكل ما تهيأ لي من وسائل أن أحصل على نسخة أخرى إلا إنني لم اوفق. فآثرت نشر دراسة عن الكتاب اهدف منها التعريف بالكتاب وبيان ما فيه ليستفيد منه المهتمون بعلوم اللغة العربية وأسأله تعالى أن يوفقني في القريب لإنجاز تحقيق الكتاب ونشره.

سيرة ابن يعيش الصنعاني ومؤلفاته:

لقد بحثت في كتب التراجم فلم أجد أحدا من غير علماء اليمن قد ترجم له باستثناء بروكلمان وتابعه كحالة، وحتى ترجمته في كتب أهل اليمن موجزة جداً، وقليلة الفائدة، وكل ما تيسر لي معرفته هو أن اسمه: محمد بن علي بن أحمد بن يعيش النحوي[1]، وفي كتاب الطبقات: محمد بن علي بن يعيش النحوي[2]، أو محمد ابن علي بن أحمد بن سعد بن أبي السعود الزبيدي اليمني[3]، ولقبه بروكلمان بالصنعاني ولم يشر إلى مصادر ترجمته كما هو منهجه[4]، وهذا اللقب ورد في صدر مخطوطة التهذيب[5] ولهذا آثرت اثباته عند حديثي عنه.

وقيل سابق الدين[6].

قالوا: إنه من مشاهير علماء الزيدية العدلية[7]، وقيل من مشاهير الهدوية[8]. وصفوه بأنه برز في العلوم، وأخذ من كل فن، اما النحو فكان محقق زمانه[9].

ذكر المؤرخ زبارة أنه سمع تفسير الحاكم على الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة[10]. والامام المعني ولد سنة ٥٦١هـ وتوفي سنة ٦١٤هـ[11].

عاصر الامام أحمد بن الحسين[12].

وفي حدود ما اطلعت عليه من مراجع لم أجد إشارة إلى سنة مولده، ولكن الراجح أنها كانت قبل الستمئة إذا صح أخذه عن الإمام المنصور الذي توفي سنة ٦١٤هـ كما مر، ولابد لمن يدرس عليه أن يتجاوز سن التكليف.

أما وفاته فقد ذكر المؤرخ زبارة أنها كانت سنة ٦٨٠هـ[13]، وتابعه الحبشي[14].

وذكر بروكلمان أنه توفي سنة ٧٠٩هـ[15]. ولم يذكر سنده، ويرى كحالة أنها قبل سنة ٧٠٥هـ[16] ومصدره بروكلمان.

وارجح الأول لوروده في كتب أهل اليمن ولأنه ينسجم مع احتمال ولادته قبل الستمئة.

مؤلفاته:

الذي تيسر لي معرفته من مؤلفاته الآتي:

١. كتاب التبيين

ذكره في كتابه (المستنهى بالبيان والمنار للحيران)، قال عند حديثه عن قوله تعالى ((وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا))[17]: ((وأمّا النصب في قوله عزّ وجل الآية ولم يعرب سواه من أحد عشر إلى تسعة عشر لعلل أعرضنا عن ذكرها هاهنا، وقد ذكرناها في الكتاب المعروف بالتبيين وهو كتاب السؤال والتعليل))[18].

٢. التهذيب في النحو

ذكره صاحب المستطاب، والطبقات، وأئمة اليمن ومصادر الفكر وبروكلمان وكحالة[19].

والكتاب موضوع بحثنا منه نسخة خطية في مكتبة

المتحف البريطاني رقمها ٩٢٩، رقم ١.

وذكر بروكلمان أنه ألفه قبل سنة ٦٤٢هـ[٧].

٣. شرح مفصل الزمخشري[٨].

٤. المحيط المجموع في الأصول والفروع

ورد ذكره في التهذيب والمستنهى[٩] وذكره زبارة[١٠].

الجزء الثاني منه موجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم ١٨٣١ في ١٦٢ ورقة بأوله خط المؤلف وإجازة سماع بخط العلامة محمد بن نشوان ابن سعيد الحميري المتوفى سنة ٦٥١هـ.

والجزء الثالث في المكتبة نفسها برقم ١٨٤٢. بآخره إجازة بخط ابن المؤلف حسين بن محمد، مبتور من أوله، وعدد أوراقه ١٥٩ ورقة، كتب سنة ٦٧٢هـ[١١]. وكلامه في التهذيب يفهم منه تارة أنه قد كتبه بعد المحيط، وأخرى بأنه ينوي تأليف المحيط.

قال في صدر التهذيب: ((... على ما وضعت في كتاب المحيط...))[١٢].

وفي موضع آخر قال: ((... ولعلنا نذكر طرفاً من الأوزان في الجزء الثاني من كتاب المحيط إن شاء الله))[١٣].

ويترجح عندي أنه ألف التهذيب قبل المحيط ولكنه في ذات الوقت قد وضع منهج كتاب المحيط، وبناء على هذا الفرض يكون التهذيب أول كتبه المعروفة.

٥. المستنهى بالبيان والمنار للحيران في إعراب القرآن.

منه نسخة في المتحف البريطاني رقمها ١١٢-١١٤.

ذكره صاحب المستطاب والطبقات وأئمة اليمن وبروكلمان وكحالة[١٤].

ويعمل الأخ الأستاذ كاظم الخالدي على تحقيق المجلد الأول منه بوصفه جزءاً من متطلب حصوله على الدكتوراه من جامعة عين شمس.

٦. الياقوتة في النحو

ذكره المؤرخ زبارة وتابعه الحبشي[١٥].

ونسب له صاحب مصادر الفكر كتاب ((الدرر المنظومة بالبيان في تقويم اللسان))[١٦] والكتاب منه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني بحوزتي مصورتها، وهو عبارة عن قصيدة في الألغاز النحوية مع شرحها، والراجح أن الكتاب لابنه علي ابن محمد بن يعيش كما هو موجود على صفحتها الأولى، وقد قرأت الكتاب فلم أجد فيه ما يؤيد نسبته إلى الأب. وقد نسبه بروكلمان لابنه[١٧].

* منهج صاحب التهذيب في ترتيب مباحث الكتاب

شهد القرن السابع الهجري مرحلة النضوج في منهجية التأليف بعد أن عانى الدارسون عدم وجود منهج سهل ميسر يمكنهم من مراجعة مباحث النحو ودراسة مسائلة وأبوابه، ولعله من نافلة القول أن نشير إلى أن جل الباحثين لم يجدوا الطريق ميسراً في كتاب سيبويه وكتب معاصريه إلى أن بدأت محاولات ابن السراج في أصوله، وأعقبه أبو علي وابن جني في الإيضاح واللمع، وبقيت المحاولات تتوالى حتى مفصل الزمخشري في القرن السادس الهجري حيث أتحف العربية بمنهج مميز في التأليف، وهذب ابن الحاجب بعده هذا المنهج في كافيته ثم ابن مالك في ألفيته. ولم تقف هذه المحاولات عند حد ولهذا نرى أحد علماء القرن السابع يتلمس طريقة في التبويب تلبس ثوباً جديداً محاولة منه في المشاركة مع غيره من النحاة في وضع الكتب التي يسهل على الدارسين مراجعتها والاستفادة منها، ولهذا عمد ابن يعيش الصنعاني إلى وضع منهج في التأليف تميز في بعض جوانبه من مناهج الآخرين، فقد جاء كتابه التهذيب على قسمين.

الأول: الأصول، والثاني: الفروع.

أما الأول وهو قسم الأصول فقد تصدرته مقدمة الكتاب وفيها إشارة من المؤلف إلى سبب تأليفه الكتاب. حيث ذكر أن الفوائد منثورة في أبواب النحو. ومتفرقة في أقسامه، ويصعب حفظها، وقد سأله من يعز عليه سؤاله أن يجمع في كل باب عقداً جامعاً لفوائده، مشتملاً على فصوله وذكر شواهده. ووصف المؤلف فيها ترتيبه للكتاب بأنه أحسن ترتيب، وأشار إلى تسميته بالتهذيب[١٨].

وبعد المقدمة حديث عن معرفة لفظ النحو وفوائده، فقد بين المؤلف سبب التسمية والدلالتين اللغوية والاصطلاحية لكلمة النحو.

وبعد هذا التمهيد بدأ عقد الأبواب على النحو الآتي:

١. عقد باب الكلام. وفيه فصول تناولت بالبحث حقيقة الكلام وعلة التسمية وأقسام الكلام.

٢. عقد باب الاسم: وفيه أربعة فصول، الأول في حد الاسم، والثاني في علة التسمية، والثالث في علامات الاسم وفيه ذكر ثلاثين علامة للاسم، بعضها من أوله مثل الألف واللام، وبعضها من آخره مثل ياء النسب، وبعضها من جملته مثل التصغير. والرابع في أقسامه.

٣. عقد باب الاسم الظاهر، وفيه فصول، الأول في تعريف الاسم الظاهر، وفي الثاني علة التسمية، وفي الثالث أقسام الظاهر وأنه ينقسم على قسمين، قسمة إعراب وقسمة معنى، وأحال قسمة الإعراب إلى باب المعرب، وأشار إلى قسمة المعنى حيث ينقسم إلى اثنين وعشرين نوعاً مثل المفرد والمنصرف والمنكر والمنقوص.. الخ.

٤. عقد باب الاسم المضمر، وفيه فصول على النهج السابق، وجاء تقسيم الضمائر إلى ضمائر رفع ونصب وجر كما هو معروف في كتب النحو، إلا أن الكتاب اختلف عن باقي كتب النحو في عد الضمائر، وسأشير في مبحث لاحق إلى هذا الأمر.

٥. عقد باب الاسم المبهم، وهو اسم الإشارة. وفصوله

على النهج السابق نفسه غالبا، وفي هذا الباب إشارة لعلة بناء أسماء الإشارة، وفيه أن أسماء الإشارة، كلها مبنية.

٦. عقد باب الاسم المشكل: ويعني به كل اسم لم يكن ظاهرا ولا مضمرا، ولا مبهما، وهو على قسمين، أصل ومحمول على الأصل. ومن الأصل أسماء الاستفهام، ومن المحمول أسماء الأفعال. وفي الباب جملة فصول فيها حديث عن تعريف المشكل، وعلة التسمية. وأقسام المشكل. وعن أسماء الاستفهام، والأسماء الموصولة ويسميها الناقصة، وأسماء الشرط، والظروف المبنية، وما التعجبية، والأسماء المعدولة مثل حذام وقطام، وأسماء الأفعال، والمركبات، وأسماء الأصوات المركبة ويعني بها سيبويه ونفطويه وأضرابهما.

٧. عقد باب الفعل: وفيه حديث عن حقيقة الفعل، وعلة التسمية، وعلامات الفعل، وهي في كتاب التهذيب عشرون، على النهج نفسه في علامات الأسماء، علامات من أوله مثل السين وسوف، ومن آخره مثل نون التوكيد، ومن جملته مثل الأمر والماضي ومن معناه وهي وقوعه خبراً ولا يخبر عنه، ثم فصل أقسام الفعل، والقسمة عنده قسمة لفظ ومعنى، ومن القسمة اللفظية الماضي والحال والمستقبل، ومن المعنى التعدي واللزوم والإعراب والبناء.. الخ.

٨. عقد باب الفعل المتعدي، وفيه حقيقة التعدي، وعلة التسمية. وأقسام المتعدي، وأقسامه، في التهذيب:

١. ما يتعدى بحرف جرّ لا يجوز حذفه مثل (مررت بزيد).

٢. ما يتعدى بحرف جرّ يجوز حذفه مثل (كلت زيداً وكلت لزيد).

٣. ما يتعدى إلى مفعول مفرد لا يجوز حذفه مثل (شمّ زيدٌ مسكا).

٤. ما يتعدى إلى مفعولين الثاني بحرف جرّ يجوز حذفه مثل (أمرت زيداً الخير) أي بالخير.

٥. ما يتعدى إلى مفعولين مفردين يجوز ذكرهما أو ذكر أحدهما أو حذفهما مثل (أعطى زيدٌ عمراً درهماً).

٩. عقد باب الافعال التي تتعدى إلى مفعولين، وفيه حديث عن ظنّ وأخواتها من حيث عددها وعلة تعديتها، وأحكامها.

١٠. عقد باب الفعل اللازم: وفيه فصول عن حقيقة اللازم وعلة التسمية وأقسام اللازم.

١١. عقد باب الأفعال التي لا تنصرف: وهي نعم وبئس وحبذا وليس وعسى وفعل التعجب.

١٢. عقد معرفة أنواع الأفعال: والانواع صحيح ومعتل ومضاعف ومهموز وفصل عن تصرف الأفعال إلى اسم فاعل ومفعول ومصدر وأمر ونهي.

١٣. عقد باب أبنية الأفعال وأوزانها.

١٤. عقد باب الحرف، وفيه فصول عن حقيقة الحرف، علامات الحرف، علة التسمية، اقسام الحرف، وأقسامه في التهذيب كالآتي:

١. حروف عاملة على كل حال وهي:

إن وأخواتها. الحروف الناصبة للفعل المضارع. الحروف الجازمة.

٢. الحروف غير العاملة، ووصل تعدادها إلى تسعة وثمانين حرفا وهي: حروف العطف. الحروف المكفوفة. الحروف المخففة مثل إن وأن. حروف الاستثناء. حرفا الاستفهام. واو الحال. لام الابتداء. أحرف الجواب. أحرف التحضيض. علامات الإعراب مثل الألف والواو. علامات التأنيث مثل التاء. حروف الزيادة. حروف العلة مثل الواو في (رحموت). السين وسوف. دلائل الماضي مثل قد ولو. حرفان للفصل والاشارة مثل الهاء والألف. حرف الخطاب. حرف البعد. هاء التنبيه. نونا التأكيد. ألفا القطع والوصل. لام الاخبار. نون التنوين.. الخ.

٣. الحروف العاملة مرة وغير العاملة مرة أخرى، ومنها حروف النداء إذ يرى أنها تعمل في المنادى المضاف، ولا تعمل في المفرد المعرف. ومنها (ما) العاملة في لغة الحجاز، وغير العاملة في لغة تميم، وهكذا.

١٥. عقد باب الإعراب: وفيه فصول عن حد الإعراب، وعلاماته، وأقسامه.

١٦. عقد باب المعرب: وفيه فصول عن حقيقة المعرب وعن الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة المعربة وأقسام المعرب، وعند الحديث عن الأسماء المتمكنة أشار إلى الأسماء الستة والمثنى وجمع المذكر السالم والمؤنث السالم، والأسماء المنقوصة والمقصورة وغيرها، وبتفصيل أيضا عن إعراب المضارع.

١٧. عقد باب البناء: وفيه حديث عن حقيقة البناء وعلاماته وأقسامه.

١٨. عقد باب المبني، وتضمن فصولاً عن حقيقة المبني وأقسامه.

١٩. عقد باب الأسماء المبنية على الضم.

٢٠. عقد باب المبنيات على الفتح.

٢١. عقد باب المبنيات على الكسر.

٢٢. عقد باب المبنيات على الوقف.

٢٣. عقد باب المبنيات من الأفعال.

٢٤. المبني من الحروف.

٢٥. عقد باب الفاعل والمفعول به وفيه فصول، الأول عن حد الفاعل والمفعول وأقسامهما، والفاعل في التهذيب ينقسم إلى فاعل في اللفظ والمعنى، وفاعل في اللفظ من دون المعنى وهو المنفي معه الفعل، وفاعل في المعنى من دون اللفظ وهو المبني. وكذا المفعول به.

وفصل عن أحكامهما، وآخر عن حكم الفعل مع الفاعل، وفصل عن الفرق بينهما

٢٦. عقد باب مالم يسم فاعله.

٢٧. عقد باب المبتدأ والخبر، وفيه جملة فصول.

٢٨. عقد باب الافعال التي ترفع الاسم وتنصب الخبر،

وهي كان وأخواتها، وأفعال المقاربة، وفيه فصول عن عددها ومعانيها وأحكامها، وفصل عن أفعال المقاربة.

٢٩. عقد باب الحروف التي تنصب الأسماء وترفع الأفعال وهي إن وأخواتها وما حمل عليها وهي لا النافية للجنس، وختم الباب بحديث عن قوله تعالى:

((إن هذان لساحران))[٢] والراجح عند الصنعاني أنها منصوبة وعلامة النصب الألف على لغة قوم.

٣٠. عقد باب ما النافية للجنس، وفيه فصول عن مواضعها، وحديث عن لغة الحجاز في إعمالها، وأحكامها.

٣١. عقد باب لا النافية للجنس، وفي هذا الباب حديث عن لا النافية للجنس، وعن (لا) مطلقا، العاملة وغير العاملة كـ(لا) الناهية والعاملة عمل ليس والزائدة.

٣٢. عقد باب النعت، وفيه قسم الأسماء على أربعة أقسام:

الأول: ينعت وينعت به وهي المبهمات.

الثاني: لا ينعت ولا ينعت به وهي الضمائر.

الثالث: ينعت ولا ينعت به وهي الأعلام.

الرابع: ينعت به ولا ينعت وهي جميع المشتقات.

٣٣. عقد باب التأكيد.

٣٤. عقد باب البدل.

٣٥. عقد باب العطف بقسميه، وفيه حديث عن أدوات العطف

٣٦. المنصوبات وعددها عند صاحب التهذيب عشرون، وفي هذا الموضع إشارة إليها ثم تفصيل في أبواب.

٣٧. عقد باب المفعول المطلق.

٣٨. عقد باب المفعول فيه.

٣٩. عقد باب المفعول له.

٤٠. عقد باب المفعول معه.

٤١. عقد باب النداء.

٤٢. عقد باب الاستثناء.

٤٣. عقد باب التعجب.

٤٤. عقد باب الحال.

٤٥. عقد باب التمييز.

٤٦. عقد باب الحروف التي تنصب الأسماء المستقبلة (نواصب الفعل المضارع).

وفي كل باب من هذه الأبواب فصول تتضمن التعريف والشروط والاحكام وتفاصيل أخرى.

٤٧. المجرورات، وفيه حديث عن حروف الجر من حيث العدد والأحكام والمعاني.

٤٨. عقد باب الإضافة.

٤٩. عقد باب القسم.

٥٠. ابتداء ذكر المجزومات، وعددها في التهذيب خمسة وهي: المنفية بلم وأخواتها، والأمر باللام، والمجزومات بالنهي، والمجزومات بالشرط، ومجزومات الجواب.

٥١. باب حروف الجزم.

٥٢. عقد باب الشرط.

وبهذا الباب ختم القسم الأول.

أما القسم الثاني فاسمه كتاب الفروع وأبوابه كالآتي:

١. عقد باب التثنية، وفيه فصول عن حد التثنية، وأقسام التثنية، وهي تثنية في اللفظ والمعنى، وتثنية في اللفظ من دون المعنى وهي في كل اسمين غلب أحدهما على الثاني مثل (العمران)، وتثنية في المعنى من دون اللفظ وهي كل لفظ لفظه لفظ الجمع وهو مضاف إلى ضمير التثنية كقوله تعالى ((إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما))[٣]، ثم حديث عن أقسام المثنى وأحكام كل قسم.

٢. عقد باب الجمع، وفيه حديث عن جمع المذكر السالم وجمع المذكر المكسر، وجمع المؤنث السالم، والمكسر.

٣. عقد باب المعاني، ويعني بها الأغراض التي دلت عليها الألفاظ ليخرج الكلام بها من الهذر إلى الفائدة، وفيه ذكر الخلاف في تقسيم المعاني، وانتهى صاحب التهذيب إلى ذكر أصح الأقسام عنده وهي تسعة: الخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي، والدعاء، والتمني، والوعد، والنداء، والقسم، ثم حديث عن كل قسم.

٤. عقد باب ما لا ينصرف.

٥. عقد باب المدود، وهو في التهذيب ينقسم إلى مسموع ومقيس، وفي الباب استقصاء للأسماء والمصادر الممدودة يتميز به الكتاب.

٦. عقد باب المقصور الذي لا يجوز مده.

٧. عقد باب النسب.

٨. عقد باب التصغير.

٩. عقد باب الأفعال المؤكدة بالنون الثقيلة والخفيفة.

١٠. عقد باب العدد وفيه حديث عن كنايات العدد.

١١. عقد باب الألقاب، وفيه يقول: إن الالقاب تقرب من ستين ألفا، بعضها لا فائدة من ذكره، وبعضها ذكر في أثناء هذا الكتاب كألف الاستفهام وألف النداء، وألف المضارعة وألف الضمير.. الخ. ثم حديث عن الف الوصل وأحكامها وكذا الف القطع.

١٢. عقد باب اشتغال الفعل عن الاسم بضميره (الاشتغال).

١٣. عهد باب ما يجوز قلبه من الفاعل والمفعول وما لايجوز، وهذا الباب تحدث فيه الصغاني عن نصب الفاعل ورفع المفعول به كما ورد في لغة العرب.

١٤. عقد باب إعمال الفعلين (التنازع)، وفيه ذكر الخلاف بين البصريين والكوفيين وانتصر للبصريين.

١٥. عقد باب الهمزة، وفيه حديث عن قسمتها إلى أصلية وزائدة ومنقلبة وملحقة.

١٦. عقد باب التنوين. وفيه حديث عن أقسام التنوين.

١٧. عقد باب المعارف والنكرات. وفيه قسم الأسماء من حيث التعريف والتنكير إلى ثلاثة أقسام: قسم معرفة ولا ينكر مثل الضمائر والأعلام، وقسم نكرة ولا يتعرف مثل أسماء الاستفهام والظروف غير المتمكنة، وقسم يتعرف مرة وينكر أخرى مثل كل نكرة شائعة إن أدخلت عليها الألف واللام.

١٨. عقد باب الحكاية، وقسمها إلى حكاية المعارف وحكاية النكرات وحكاية الجمل.

١٩. عقد باب الضرورة الشعرية، والضرورة مستعملة وغير مستعملة، والجميع ثلاثون.

٢٠. عقد باب حروف الاعتلال.

وختم الكتاب بفصل عن التقاء الساكنين.

أما منهج الكتاب في عرض المباحث فهو تقسيم الباب إلى فصول تطول وتقصر، وأقلها ثلاثة وتصل إلى اثني عشر فصلاً كما هو الحال في باب الاسم المشكل، ومنهج الكتاب في الغالب أن يبين في أول فصل الحد، ثم يجيب الفصل الثاني عن سؤال يتعلق بالموضوع المراد بحثه، وفي الثالث تذكر الأقسام، وفي اللاحق تذكر الأحكام. ففي باب الاسم مثلاً قال: ((وفوائده تشمل على أربع مسائل يقال فيها ما الاسم؟ ولم تسمى الاسم اسماً؟ وكم علاماته؟ وعلى كم قسم ينقسم؟

فصل: أما ما الاسم فهو ما دل على معنى في نفسه شخصا كان أو غير شخص، مذكرا كان ام مؤنثا، فالشخص مثل (رجل)، وغير الشخص مثل (علم) و(قدرة)، والمذكر مثل (زيد) و(عمر)، والمؤنث مثل (هند)..

فصل: وأما لم تسمى الاسم اسماً فلأنه سما بمسماه فأوضحه وكشف معناه، ومعنى سما بمسماه أنه علم على الذات الواقع عليها بهذا اللفظ على مذهب الكوفيين، والبصريون يقولون لانه رفع الذات إلى مرتبة الفاعل والوجود...))[31].

ثم ذكر في الفصل الثالث علامات الاسم وفي الرابع أقسامه.

واغلب أبواب الكتاب تتضمن تعريفاً وعلة باسلوب سهل ميسر، وإن كانت التعريفات والعلل متأثرة بمناهج التعليل العقلي، وسافر ولهما مبحثين.

والراجح أن بعض تقسيمات الكتاب للموضوعات لم ترد عند غيره في كتاب سابق في حدود ما اطلعت عليه من مراجع. ومنها تقسيمه الاسم إلى ظاهر ومضمر ومبهم ومشكل... والأولان معلومان، أما المبهم فيعني به اسم الاشارة، وقد ورد هذا المصطلح عند غيره من النحاة، أما الاسم المشكل فقد أشرت إليه من قبل.

وقسم الفعل الماضي على ثلاثة أقسام هي:

١. ماض في اللفظ والمعنى، وهو ما حسن وقوعه في أمس نحو (قام أمس).

٢. ماض في اللفظ من دون المعنى وهو الماضي إذا دخل عليه شيء من أدوات الشرط نحو (إن قمت قمت) فهذا وإن كان لفظه لفظ الماضي فهو مستقبل في المعنى، لان الشرط يطلب الاستقبال.

٣. وماض في المعنى من دون اللفظ وهو الفعل المضارع إذا دخل عليه شيء من أدوات الجزم مثل قولهم (لم يقم زيدٌ أمس) فهذا وإن كان لفظه لفظ الاستقبال فهو بمعنى المضي[32].

وقسمته للفعل المتعدي وقد مرت بنا، وكذا قسمته للحروف.

وكنايات العدد في التهذيب خمسة أقسام، والمعروف منها في كتب النحو ثلاثة، كم. كأين. كذا. أما في التهذيب فهي: كم. كذا. كذا كذا. كذا وكذا. كاين[33]. فهو يعد كل صيغة من صيغ استعمال (كذا) قسما برأسه. ونسب ابن هشام الأنصاري استعمال (كذا) بهذه الصور قياساً على العدد الصريح إلى فقهاء الكوفيين[34].

وضمائر الرفع المنفصلة في التهذيب أربعة عشر، بينما هي عند النحاة غيره اثنا عشر وهي: أنا. نحن. أنت. أنتِ. أنتما. أنتم. أنتن. هو. هي. هما. هم. هنّ[35].

وفي التهذيب: أنت. أنتما. أنتم. هو. هما. هم. أنتِ. أنتما. أنتن. هي. هما. هنّ. أنا. نحن[36].

والاثنان الزائدان عنده هما: (أنتما) مكررة للمثنى المؤنث، و(هما) للغائبين. والذي عليه النحاة. وهو الواقع. أن الضمير (أنتما) للمذكرين المخاطبين وللمؤنثتين المخاطبتين أيضا، والضمير (هما) للغائبين والغائبتين على السواء.

وإذا كان هذا منهجه فعليه عدّ (أنا) لمذكر ومؤنث وكذا (نحن).

وفي عدّه لحروف الزيادة عدّ الحروف الزائدة للتصريف[37].

وعند حديثه عن الأسماء المجرورة ذكر من أقسامها المجرورة باللفظ من دون المعنى وهي الأسماء المبنية على الكسر[38]. ولا أرى فيه إلا زيادة في القسمة.

وكذا الحال عند حديثه عن الجزم ويرى انه ينقسم على ثلاثة أقسام هي:

١. جزم في اللفظ والمعنى، وهو في الصحيح الآخر.

٢. جزم في المعنى من دون اللفظ وهي في الافعال المستقبلة المعتلة الآخر المجزومة نحو (لم يغز).

٣. وجزم في اللفظ من دون المعنى وهو في المبنيات على الوقف نحو (اضرب)[39].

وقد أشرت فيما مر بذكرنا إلى أنه بحث (لا) النافية بنوعيها للجنس والحجازية في باب واحد ومعهما (لا) الناهية والزائدة[40].

ووصل عدد المنصوبات في التهذيب إلى العشرين هي:

المفعول المطلق. المفعول به. المفعول فيه. المفعول له. المفعول معه، وهي اصول المنصوبات وألحق بها، خبر كان وما حمل عليها. واسم إن. واسم لا. وخبر ما. والمنادى النكرة والمنادى المضاف. والاستثناء الموجب. والاستثناء المنقطع. والاستثناء المقدم. والتعجب. والحال. والتمييز. والإغراء. والفعل المضارع إن دخل عليه شيء من أدوات النصب. والتابع لهذه المنصوبات[41].

ويلاحظ أنه فرق الاستثناء وهو عند النحاة واحد وكذا المنادى.

أما منهج الكتاب في ذكر الأراء والمذاهب والأقــوال فمرة تذكر مفتقرة إلى التعقيب وأخرى يتلوها تعقيب فيه بيان مايراه صاحــب التهذيب. ومن هذا حــديثه عن مســألة التنازع قــال: ((إذا أتيت بــلازمين جاز لك أن تعمل أيهما شئت في الظاهر فتقول: (قام وقعد زيد) و (قام وقعد الزيدان) و (قام وقعد الزيدون) على إعمال الثاني وتقدر للأول فاعلاً ضرورة، وإن لم يكن يعود إلى مذكور، والأحسن عندي أن تجعل فيه ضميراً يستتر في المفرد ويبرز في التثنية والجمع، وهو يعود على (زيد) بعده وإن كان متأخراً فهو في نية التقديم فتقول (قام وقعد زيد) و (قاما وقعد الزيدان) و (قاموا وقعد الزيدون) لانك إذا قلت (قام وقعد الزيدون) بقي الفعل الأول بغير فاعل، لانك إن اردت أن تضمر فيه لم يعد الضمير إلى مذكور، ولو جعلته بــغير فاعل لانتقــض الأصل وهو قولهم: ولابد لكل فعل من فاعل، إما مظهراً وإما مضمراً ولا فاعل لهذا الفعل على هذا القول المتقــدم، وقــد أجازه بعضهم وأنا استقبحه لما قدمت من الاحتجاج))[46].

وهناك جوانب أخرى تتعلق بــالمنهج سيرد لها ذكر في مباحث قادمة آثرت عدم ذكرها هنا تحاشياً للتكرار؟.

والكتاب فوق المقدمات ودون الشروح، فقــد ارتفع عن اختصار المقدمات النحوية ككافية ابن الحاجب، ولم يصل إلى الشــروح كشــروح المفصل والكافية والألفية. وطريقــة تبويبة سهلة ولكن منهج التبويب يوقع صاحبــه في التكرار أحياناً نتيجة للترابط الموجود بين بعض الأبــواب النحوية التي يصعب فصلها.

ولمقــدمة ابــن بابشــاذ المحسبــة أثر في منهج التهذيب، ولعل صاحبنا قد اعتمد في جوانب ليست بقــليلة على ما قاله ابن بابشاذ في مقدمته، فصاحب التهذيب لم يفرد باباً لافعال المقاربة. كما مر بذكرنا. بل بحثها مع كان وأخواتها في بــاب واحــد أسماه (عقــد بــاب الأفعال التي ترفع الاســم وتنصب الخبر)[47]، وكذا الحال في المقــدمة المحسبــة، فابــن بابشاذ بعد أن تحدث عن كان وأخواتها قال: ((والذي حمل عليها جعل وطفق..))[48] ثم أخذ يفصل القول بشأنها.

واتفقا في تقسيم الاسم المعرب، فقد قسمه الصنعاني على عشرة أنواع هي:

النــوع الأول: يدخلــه الرفــع والنصــب والجــر والتنويــن مثل (زيد) و (كتاب).

النوع الثاني: هو كل اســم يدخله الرفع والنصب والجر ولا يدخلــه التنويــن، وهــو النــوع الأول إذا أضيــف أو دخلــه الألف واللام.

النوع الثالث: هو كل اســــم يدخله النصب والرفع ولايدخله الجر والتنوين وهو ما لا ينصرف.

النوع الرابع: هو كل اسم يدخله الرفع والجر والتنوين ولا يدخله لفظ النصب، وهو جمع المؤنث السالم.

النوع الخامس: كل اســم يدخله النصب والتنوين ولا يدخله لفظ الرفع ولا الجر وهو جميع الأسماء المنقوصة.

النوع الســادس: وهو كل اســم يدخله التنوين وحــده اشعاراً بصرفه ولا يدخله رفع ولا نصب ولا جر وهو جميع المقصورات.

النوع السابــع: وهو كل اســم ظاهر لا يدخله رفع ولا نصب ولا جر ولا تنوين، بل يكون معرباً بالتقدير من دون التنوين والحركات وهو المقــصور الذي لا ينصرف نحو (حبلى).

النوع الثامن: ســتة أسماء معتلة مضافة علامة رفعها بالواو، وعلامة نصبها بالألف وعلامة جرها بالياء، وهي الأسماء الستة.

النوع التاســع: وهو كل اســم علامة الرفع فيه الألف وعلامة النصب والجر فيه الياء وهو الاسم المثنى.

النوع العاشر: وهو كل اسم تكون علامة الرفع فيه الواو وعلامة النصب فيه الياء وهو جمع المذكر السالم وما ألحق به من الاعداد من عشرين إلى تسعين[49].

وهذا التقسيم أورده ابن بابشاذ في مقدمته[50].

وقسم الصنعاني الحروف على ثلاثة أقسام، عاملة على كل حــال، وغير عاملة على كل حــال، وتعمل مرة ولا تعمل أخرى.

وابن بابشاذ سبقه في هذه القسمة[51].

وعد ابن بابشاذ حروف النداء من القسم الثالث وهي العاملة مرة وغير العاملة أخرى حيث يرى أنها لا تعمل في المنادى المفرد المعرفة كما كانت تعمل في المنادى المضاف نيابة عن الفعل[52].

والصنعاني في تهذيبه ذهب مذهب ابن بابشاذ[53].

وقال ابن بابشاذ عن خواص الافعال: ((... لا تخلو أيضاً من أربعة أقسام، إما أن تكون من أوله مثل السين وسوف، وإما من آخره مثل اتصال الضمير بــه على حــد (فعلا) و (فعلوا) و (فعلن)، وإما من جملته مثل كونه أمراً أو نهياً أو متصرفاً، وإما من معناه مثل كونه خبراً ولا يخبر عنه))[54].

وتابعه ابن يعيش حيث نقل كلامه بنصه تقريباً[55].

وعلل الصنعاني عمل (لا) النافية للجنس عمل (إن) بقوله ((وأما لم عملت (لا) فحملاً على (إن) لانها نقيضها لان (إن) أصل في الايجاب و (لا) أصل في النفي، والعرب تحمل النقيض على النقيض))[56].

وبهذا قال ابن بابشاذ أيضاً[57].

وهناك مواضع تقارب بين الكتابين يطول ذكرها. ومع ما نجده من أثر لابن بابشاذ في منهج ابن يعيش إلا أن الأخير لم يذكر ابن بابشاذ إلا مرة واحدة وبعبارة ((كما روي عن ابن بابشاذ)) وذلك عند حديثه عن علة تسمية الفعل قال: ((فلانه لفظ توزن به جميع الافعال ويعبر به عنها كما روي عن ابن بابشاذ))[58] وهذا نص ابن بابشاذ في شرح المقدمة المحسبة[59].

وعبارة صاحبنا ((كما روى)) يتبادر منها أنه لم يطلع على كتاب ابــن بابشــاذ، والكتاب له أثر واضح في التهذيب

فهل هذا الشبه من باب الاتفاق أم أن الصنعاني اطلع على المقدمة المحسبة ولم يرشرحها والنص المذكور ورد في الشرح، أم انه تعمد الاغفال؟.

*الشواهد في كتاب التهذيب

استشهد صاحب التهذيب بالقرآن والحديث الشريف ونظم العرب ونثرهم لاثبات القواعد النحوية والصرفية، وإذا اخذنا بنظر الاعتبار حجم الكتاب، وما ذكره مؤلفه من عنايته بتبسيط المباحث ليسهل على الدارسين حفظها نجد أن شواهده بانواعها وفيرة وفيها دلالة على ثقافته اللغوية وسعة معرفته، وفيما يلي أتحدث بتفصيل عنها.

أولاً: الشواهد القرآنية:

لقد كانت شواهد الصنعاني القرآنية كثيرة حيث قاربت الأربعمئة موضع، وهذا العدد كبير في كتاب مثل التهذيب، والظاهر أنه اعتمد النص القرآني مصدراً لمادته النحوية للقطع بصحته ولهذا كثرت شواهده القرآنية وفيما يلي نماذج من هذه الشواهد:

١. يعتمد النص القرآني لتفسير لغوي، فعند حديثه عن علة تسمية الكلام بهذا الاسم قال: ((.. لانه يكلم القلوب بمعنى يجرحها))[٦٠]، واستشهد بقوله تعالى: ((وكلم اللهُ موسى تكليما))[٦١]، قال: ((قيل: جرح قلبه بالموعظة الحسنة تجريحا))[٦٢].

قال الراغب: ((الكلم التأثير المدرك باحدى الحاستين، فالكلام مدرك بحاسة السمع والكلم بحاسة البصر، وكلمته جرحته جراحة بان تاثيرها))[٦٣].

وفي حدود ما اطلعت عليه من مراجع لم أجد أحداً قد أشار إلى هذا المعنى الذي ذكره صاحبنا بشأن الآية الكريمة محل الشاهد، بل قال الزجاج في تفسيرها ((أخبر الله عزّ وجل بتخصيص نبيّ ممن ذكر فاعلم عزّ وجل أن موسى كُلم بغير وحي وأكد ذلك بقوله تكليما، فهو كلام كما يعقل الكلام لاشك في ذلك))[٦٤].

وقال النحاس: ((وكلم الله موسى تكليما مصدر مؤكد، وأجمع النحويون على انك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً وأنه لا يجوز في قول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني

أن يقول: قال قولاً، فكذا لما قال تكليما وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل.))[٦٥].

٢. عند حديثه عن قسمة الافعال إلى ماض ومستقبل وحال، حكم بصحة هذه القسمة للعقل والسماع، واستشهد للسماع بقوله تعالى: ((لهُ ما بَيْنَ أيدينا وما خَلْفَنا وما بين ذلكَ))[٦٦] حيث يرى أن هذه الآية عبارة عن المستقبل والماضي والحال))[٦٧].

وهو بهذا الكلام متابع لابن بابشاذ في شرحه للمقدمة المحسبة[٦٨].

أما دليل العقل عنده فهو ((الافعال أحداث والأحداث لا تقع إلا في زمان، والزمان لا يخلو أن يكون ماضياً أو مستقبلاً أو حالاً، فما وقع من الافعال في الزمان الماضي فهو ماضٍ وما كان يقع في الزمان المستقبل فهو مستقبل، وما كان يقع في الحال فهو حال.))[٦٩].

وهذا الدليل أورده الأنباري في أسرار العربية[٧٠].

٣. في كثير من فصول الكتاب ترد القاعدة النحوية أو الصرفية ويثبت صحتها بآية كريمة. ففي فصل ضمائر النصب المنفصلة ذكر المؤلف أن الضمير يعمل فيه مابعده، واستشهد بقوله تعالى ((إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نستعين))[٧١]، والنحاة يرون أن ضمائر النصب المنفصلة لا يتقدمها الفعل لانه لو تقدمها لكان الاتصال ممكناً، وإذا أمكن الاتصال لا يصار إلى المنفصل، وقالوا: قُدّم الضمير في الآية الكريمة ليفاد بالتقديم اختصاص العبودية لله تعالى[٧٢].

وعند حديثه عن الأسماء الموصولة عدّ منها (ماذا) مستشهداً بقوله تعالى: ((يسألونكَ ماذا ينفقون))[٧٣] أي: ما الذي ينفقون[٧٤].

واستشهد بقوله تعالى: ((إنّا نَحْنُ نزّلنا الذّكرَ وإنّا له لحافظون))[٧٥]، على تعدية الفعل بالتضعيف.

٤. وفي مواضع أخرى يذكر محل الاستشهاد بالآية الكريمة بعد ذكرها، فعند حديثه عن أقسام الفعل المتعدي ذكر من أقسامه قسماً يتعدى بحرف جر يجوز حذفه مثل قولك (وزنت زيداً ووزنت لزيد) استشهد بقوله تعالى: ((وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون))[٧٦]، قال، والتقدير: كالوا لهم أو وزنوا لهم[٧٧].

وقد ذكر النحاس خلافهم في موضع الهاء والميم حيث ذهب أبو عمرو بن العلاء والكسائي والأخفش وغيرهم إلى أنهما في موضع نصب.

وقال عيسى بن عمر الهاء والميم في موضع رفع قال النحاس: ((والصواب أن الهاء والميم في موضع نصب... وحرف الخفض يحذف فيما يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف جر...))[٧٨].

وفي باب إن وأخواتها استشهد بقوله تعالى ((فلمّا أن جاء البشيرُ))[٧٩] على زيادة (أن) قال، والتقدير: فلما جاء البشير[٨٠]. قال النحاس: ((أن زائدة للتوكيد))[٨١].

٥. وفي مواضع يفصل القول عن الآيات الكريمة ويذكر الأقوال المختلفة، فعند حديثه عن (ما) النافية أورد الآية الكريمة ((إنّ الله نعمّا يعظكم به))[٨٢] قال:

((وقد قيل في قوله تعالى (إن الله نعما يعظكم به) إن (ما) في قوله (نعما) بمعنى النكرة الموصوفة وموضعها من الإعراب النصب تمييزاً، ويعظكم في موضع النصب نعتاً لـ(ما) وتقديره: نعم شيئاً واعظاً لكم به، والله أعلم. وقد

قيل إنها ناقصة خبرية بمعنى الذي، وموضعها من الإعراب الرفع اسم نعم))[83].

وكون (ما) موصولة مذهب الاخفش[84]. وما ذكره الصنعاني ذكره غيره من العلماء ونقل الأنباري إنكار أكثر العلماء لما ذهب إليه الأخفش قال: ((قالوا لا يجوز أن يكون فاعل نعم وبئس (الذي) ولا (ما) لانهما اسمان موصولان توضحهما الصلة وتبينهما فيصيران لشيء بعينه. وحدُّ فاعل نعم وبئس أن يكون الألف واللام فيه للجنس لا يقصد به واحد من أمته))[85].

٦. وفي مواضع من التهذيب يذكر الصنعاني ما قيل في الآية الكريمة ويعقب برأيه، أو يذكر رأيا لم يرد عند غيره من علماء التفسير. ففي باب المفعول معه استشهد له بقوله تعالى ((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ))[86]، قال: ((فقوله (والمشركين) منصوب بواو مع، وتقديره لم يكن الكافرون مع المشركين ولا يجوز أن يكون (والمشركين) عطفاً على (أهل) لانه لو كان عطفاً لكان التقدير من أهل الكتاب ومن المشركين، وذلك لا يجوز لان المشركين كلهم كفار و(من) تقتضي التبعيض فلهذا امتنع العطف))[87].

وما ذهب إليه الصنعاني لم يتيسر لي الاطلاع عليه عند غيره، ففي حدود ما اطلعت عليه من مراجع أن (والمشركين) عطف على (أهل)[88]، وقوله فيه وجه حق لان الآية على تقدير المفعول معه يرتفع عنها ما قاله بشأن العطف، إلا على إرادة أن بعض المشركين غير منكر لرسالة الاسلام وفيه بعد.

ويرى أن (كتاب) من قوله تعالى ((كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ))[89] منصوب على المصدر وليس منصوباً على الإغراء، وعلة ذلك عنده أنه يمتنع أن يتقدم الاسم المنصوب بمعنى الإغراء على العامل[90]. والكوفيون يجيزون تقدم الاسم المنصوب على العامل، قال الفراء عن الآية الكريمة ((كقولك كتابا من الله عليكم وقد قال بعض أهل النحو معناه عليكم كتاب الله، والأول أشبه بالصواب وقلما تقول العرب (زيداً عليك) أو (زيداً دونك)، وهو جائز كأنه منصوب بشيء مضمر قبله...))[91].

ويرى الزجاج جواز نصب كتاب على جهة الأمر، ويكون (عليكم) مفسراً له فيكون المعنى الزموا كتاب الله. كما يجوز أن يكون (كتاب) رفعاً على معنى هذا فرض الله عليكم[92].

وعقد الانباري مسألة لهذا الخلاف برقم (٢٧) الآ أنه عدَّ الفراء من القائلين بمذهب البصريين بمنع تقديم معمول اسم الفعل عليه، وقد مرَّ بنا نص الفراء وفيه إشارة إلى الجواز عنده[93].

وعند حديثه عن معاني حروف الجر ذكر أن منهم من جوز أن تكون (في) بمعنى (عن)، وفسر صاحب هذا القول (في) في قوله تعالى ((وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ))[94] بمعنى عن، كأنه أراد من كان عن هذه أعمى فهو عن الآخرة أعمى. قال الصنعاني بعد ذكره لهذا المعنى ((وانا أستبعد ذلك لانه لا يليق بالتفسير))[95]. وفي حدود ما اطلعت عليه من مراجع وبالاخص كتب التفسير ومعاني القرآن وكتب حروف المعاني لم أجد احدا قد أشار إلى هذا المعنى، ولم يذكر أحد أن من معاني (في) عن. وفي تفسير القرطبي: ((وقيل المعنى من عمي عن النعم التي أنعم الله بها عليه في الدنيا فهو عن نعم الآخرة أعمى.))[96].

وفي قوله تعالى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))[97] قال: إن الكاف زائدة، ولو لم تكن زائدة لقدرت بمثل، ولكان التوحيد للمثل، وذلك كفر تعالى الله علواً كبيرا[98]. وهذا ما ذهب إليه الزجاج وغيره[99].

*القراءات القرآنية

استشهد صاحب التهذيب بالقراءات القرآنية في ما يقرب من عشرين موضعا، مصرحاً باسم القارئ في بعض المواضع، كما ذكر قراءات شاذة ولم يشر لشذوذها ولكن عبارته عند ذكرها في بعض المواضع تفيد الشذوذ كقوله ((روي عن بعضهم)). ومن القراءات الواردة في الكتاب.

قوله تعالى ((وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ))[100] بجر (الارحام) على قراءة حمزة، فالواو للقسم مع الجر وليست للعطف، فإن نصب فهي عاطفة على الموضع[101].

وقراءة الجر هي حمزة وحده[102]. قال مكي: ((قرأ حمزة بالخفض على العطف على الهاء في (به) وهو قبيح عند البصريين قليل في الاستعمال بعيد في القياس، لان المضمر في (به) عوض من التنوين، ولان الضمر المخفوض لا ينفصل عن الحرف ولا يقع بعد حرف العطف... وقرأ الباقون (والارحام) بالنصب على العطف على اسم الله جل ذكره... ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور لان ذلك في موضع نصب))[103].

ومن القراءات الشاذة قراءة ((يامال ليقض علينا ربك))[104] أي يا مالك[105].

ونسب ابن جني هذه القراءة لعلي بن أبي طالب وابن مسعود ويحيى والأعمش. قال: ((هذا المذهب المألوف في الترخيم الآ أن فيه في هذا الموضع سرا، وذلك أنهم لعظم ماهم عليه ضعفت قواهم وذلت أنفسهم وصغر كلامهم فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه ووقوفا دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله، القادر على التعرف على منطقه.))[106].

ونقل قراءتين شاذتين في الآيتين الكريمتين ((فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا))[107] و((وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا))[108]، بحذف النون من (يؤتون) و(يلبثون) وذلك عند

حديثه عن (إذن) الناصبة للمضارع وقد فصلت عن الفعل، وقال: ان إلغاء (إذن) أفصح[78]. وقد نقل القراءتين ابن خالويه، الاولى عن ابن مسعود والثانية عن عبد الله[79].

*الاستشهاد بالحديث الشريف:

في كتاب التهذيب مواضع استشهاد بالحديث النبوي الشريف، وهذه المواضع على قلتها تمثل مدرسة استشهاد القرن السابع الهجري، حيث تحرر علماء هذا القرن من قيود السابقين القاضية بعدم حجية الحديث الشريف لاحتمال رواية المعنى، والصنعاني وإن لم يصرح بموقفه من هذا الأمر إلا أن منهج الاستشهاد عنده فيه دلالة الجواز وعدم وجود المانع. ومن أمثلة احتجاجه بالحديث الشريف:

في باب الاغراء قال: ((ويمنع أن تغري بالغائب لو قلت (عليه زيداً) لم يجز إلا أن تأتي بالباقي الاسم المغرى به فانه يجوز أن يغرى بالغائب لان المعنى يحتمله وذلك في مثل قولك (من خاف من كذا وكذا فعليه كذا وكذا) وهذا مشهور في لغة العرب مستعمل موجود، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه واله وسلم: فعليه بالصوم فانه له وجاء...))[80].

والحديث المعني هو ((عليكم بالباءة فانه أغض للبصر وأحصن للفرج فمن لم يقدر فعليه بالصوم فانه له وجاء.)). والوجاء أن ترض انثيا الفحل رضا شديداً يذهب شهوة الجماع ويتنزل في قطعه منزلة الخصي))[81].

وفي باب الجموع جوز جمع مثل (خضراء) على (خضروات) مستشهداً بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام ((ليس في الخضروات الصدقة ووصف هذه اللغة بالصحة والفصاحة))[82].

قال ابن الأثير: ((وقياس ما كان على هذا الوزن من الصفات أن لا يجمع هذا الجمع وإنما يجمع به ما كان اسما لا صفة نحو صحراء وخنفساء، وإنما جمعه هذا الجمع لانه صار اسماً لهذه البقول لا صفة، تقول العرب لهذه البقول: الخضراء، لا تريد لونها.))[83].

*الشواهد الشعرية:

بلغت شواهد كتاب التهذيب الشعرية أكثر من مئتي شاهد جلها من الشواهد المعروفة والتي تناقلها النحاة، ولم يكن لصاحب التهذيب كبير عناية بنسبة الشواهد لأصحابها إذ بلغ المنسوب منها ما يقارب الأربعين شاهداً، ثلثها تقريباً لامرئ القيس الكندي ويليه الفرزدق وحسان بن ثابت.

ومنهجه في الشواهد يختلف بين شاهد وآخر، فمرة يذكر الحكم النحوي ويعضده بشاهد شعري بلا تعقيب كما في باب النداء عندما استشهد للمنادى المضاف بقول ليلى بنت طريف:

أيا شَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا
كَأنَّكَ لم تَجْزَعْ عَلَى ابنِ طَرِيفِ

قال: وقال الشاعر أيضاً في المنادى المضاف... البيت[84].

والبيت في أمالي الثعالبي[85]، وهمع الهوامع شاهداً على (كان)[86].

وفي مواضع يذكر الشاهد ثم يذكر بعده محل الاستشهاد كما في باب المفعول له حيث استشهد ببيت الفرزدق:

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

قال: فعرفان مفعول من أجله[87].

والبيت للفرزدق من قصيدته المعروفة في مدح علي بن الحسين زين العابدين[88].

والطيبون معاقد الازر واستشهد به ابن جني في الخصائص على (استلم)[89].

ومرة يذكر الاقوال المختلفة، فقد استشهد في باب التمييز بقول الشاعر:

على جواز كون التمييز مضافا والاضافة تقدر بالانفصال.

قال: ((قيل إن (معاقد) وإن كان مضافا منصوب على التمييز. لان الاضافة تقدر بالانفصال، وقيل إنه منصوب على حذف مضاف ذلك المضاف ظرف تقديره والطيبون موضع معاقد الازر، وقيل إنه بالصفة وهي (الطيبون) والله أعلم))[90].

وما أورده شطر بيت من بيتين للخرنق أخت طرفة هما:

لا يَبْعدنْ قومي الذين هُمُ
سمُّ العُداة وآفةُ الجُزُرِ
النَّازلون بكلِّ مُعْتَرَكٍ
والطيِّبون معاقدَ الأُزُرِ

وقد استشهد بهما سيبويه على نصب (معاقد) بقولها (الطيبون) تشبيها بالمفعول به، لانه معرفة باضافته إلى الازر[91].

وقال العيني: ((وقوله (والطيبون معاقد الازر) من باب الحسن وجه، و(معاقد) منصوب على التشبيه بالمفعول به، فالطيبون مشبه بـ(الضارب بين زيداً) ولا يجوز أن يكون مفعولا به لأن (طاب) غير متعد، ولا يجوز أن يكون تمييزاً لان التمييز لا يكون إلا نكرة ولا يجوز أن ينوى به الانفصال لان (معاقد) لا يخلو إما أن يكون جمع (معقد) بكسر القاف وهو الموضع، أو جمع (معقد) بفتح القاف وهو المصدر. وأجمع النحويين على أن إضافة المصدر والموضع محضة لا ينوى بها الانفصال.))[92] ونقل البغدادي أن القول بنصب (معاقد) على التمييز مذهب الكوفيين[93].

ولا أرى أن نية الانفصال تزيل التعريف.

وفي بعض المواضع من الشواهد يضعف الاقوال بشأن الشواهد، فعند حديثه عن الاشتغال ذكر بيتي الفزاري:

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا

أردُّ رأسَ البعيرِ إنْ نفرا

والذئبَ أخشاهُ إنْ مررتُ به

وحدي وأخشى الرياحَ والمطرا

قال: ((فنصب (الذئب) مفعول لفعل محذوف يدل عليه الفعل الظاهر تقديره وأخشى الذئب أخشاه فهذا لا يجوز فيه إلا النصب لدلالة حرف النسق على الفعل العامل، فأما من قدّر الواو بواو الاستئناف فهو يجيز الرفع على الابتداء وذلك ضعيف عندي جداً))[25].

وقد نقل العيني جواز الرفع على الابتداء إلا إنه قال: والأول أوجه[26].

ولم يفته أن يصرح بشذوذ بعض الشواهد فقد حكم بشذوذ قول الشاعر:

جاريةٌ في ثوبها الفضفاض

أبيض من أخت بني اباض

حيث جاء بصيغة التعجب من الألوان[27].

ومذهب الكوفيين جواز التعجب من البياض والسواد خاصة، ومنع ذلك البصريون، والبيت الشاهد احتج به الكوفيون على جواز مجيء صيغة التعجب من الألوان وحكم البصريون بشذوذه وانه ضرورة فلا يجعل من الاصول التي يقاس عليها، واحتملوا أن يكون (أفعل) هاهنا التي مؤنثها فعلاء نحو حمراء وأحمر، والتقدير في درعها الفضفاض جسد أبيض[28].

وقد نجد الصنعاني في مواضع من التهذيب قليل العناية بتحقيق رواية الشاهد، فقد روى بيت الفرزدق المعروف:

تنفي يداها الحصى في كلِّ هاجرةٍ

نفيَ الدنانيرِ تنقادُ الصياريفِ

برواية

تنفي الحصى يدها في كل هاجرة

نفي الصياريف تنقاد الدراهيم

وهذه الرواية مخالفة لرواية غيره[29]، ولعله خلط التقدير بأصل البيت، ويروى (الدراهيم) بدل (الدنانير).

* الضرورة الشعرية:

خص الصنعاني الضرورة الشعرية بباب من ابواب التهذيب سماه ((ما يجوز للشاعر إذا اضطر))[30]، وهو واحد من أبواب قسم الفروع من الكتاب، وصدر الباب بقوله: ((اعلم أن الشاعر ربما يضطر إلى اتيان قافية أو إلى استقامة وزن الشعر فيرتكب أشياء لا يجد منها بدأ وإن كان الصواب غيرها))[31].

والضرورات عنده ثلاثون تنقسم على قسمين:

الأول: الضرورة المستعملة غير مستقبحة وهي:

صرف ما لا ينصرف. قصر الممدود. حذف أن عن خبر عسى. إثبات أن في خبر كاد. اشباع الحركات. الفصل بين المضاف والمضاف إليه. اسكان الواو والياء في حال النصب. جعل اسم كان نكرة والخبر معرفة. تنوين المنادى المفرد المعرفة. تذكير المؤنث. حذف ضمير الشأن والقصة من أن. حذف الفاء من جواب الشرط. النصب بالفاء في غير جواب. اثبات ما لا يجوز إلا في النداء في غير النداء.

والثاني: الضرورة قليلة الاستعمال المستقبحة وهي:

قطع ألف الوصل. وصل ألف القطع. مد المقصور. تأكيد الافعال المستقبلة بنوني التأكيد في الخبر. الترخيم في غير النداء. الجر بالمجاورة. نقص الجموع عن أوزانها. حذف الألف والياء في آخر الاسم بغير علة. رد الفعل المستقبل إلى البناء. اظهار التضعيف. توهين همزة إنْ وقلبها هاءً وإدخال لام الابتداء. الفصل بين الصلة والموصول بالنداء خاصة. تأخير الاستفهام إلى آخر الكلام. الفرار من الكسر والضم إلى الوقف. الفصل بين المبتدأ والخبر والنعت والمنعوت.

وقد استشهد لكل حالة من الثلاثين بشاهد أو أكثر.

ويرى السيرافي أن ضرورة الشعر على سبعة أوجه وهي: الزيادة، والنقصان، والحذف والتقديم، والتأخير، والابدال، وتغيير وجه من الإعراب إلى وجه آخر على طريق التشبيه، وتأنيث المذكر وتذكير المؤنث[32].

أمّا ابن عصفور فالضرائر عنده منحصرة في الزيادة والنقص والتأخير والبدل[33].

وهو مجرد اختلاف في المنهج، ولعلهم متفقون في أمثلة الضرورة، ولعلّ الأندلسي قد نهج نهج الصنعاني عند بحثه لموضوع الضرورة في شرحه على المفصل[34].

* أقوال العرب وأمثالهم:

لم يغفل الصنعاني أقوال العرب وأمثالهم إذ أورد بعض الأقوال والامثال في التهذيب، ومن هذه قولهم ((بالرفاء والبنين)) أورده شاهداً على الأسماء المحدودة[35]. و(الرفاء) الالتحام والاتفاق من رفيت الثوب[36].

وحكم بشذوذ ((أطرق كرا)) على نية حذف حرف النداء، لانّ حذف حرف النداء مع النكرة المقصودة غير جائز[37].

و(كرا) ترخيم (كروان) وهو ذكر الحبارى، ويكون طويل العنق، يقال له ذلك إذا أريد اصطياده[38].

قال سيبويه: ((ويجوز حذف (يا) من النكرة في الشعر، قال العجاج:

جاري لا تستنكري عزيري

يريد يا جارية، وقال في مثل (افتد مخنوق) و(أصبح ليل) و(أطرق كرا) وليس هذا بكثير ولا بقوي))[39].

ويرى المبرد أنّ الامثال يستجاز فيها ما يستجاز في الشعر لكثرة الاستعمال[40].

لغات القبائل:

ذكر صاحب التهذيب لغات لقبائل مختلفة حجة لاثبات أصل أو لبحث مسألة، فقد أشير إلى لغة طيئ عند الحديث عن (ذو) الموصولة[41]. ومن الأسماء الموصولة (الألى) في لغات بعض القبائل[42] و(الألى) الموصولة جمع (الذي) كما ذكرنا النحاة[43]، وليست لغة، بل قيل التي هي لغة قصر (أولاء) اسم الاشارة حيث نقل أنها مقصورة عند أهل نجد وقيس وربيعة وأسد[44].

ومن الحروف غير العاملة (أما) المخففة، ذكر أنها للاستفتاح في أول الكلام، وأكثر ما تكون في لغة أهل نجد قولهم (أما زيدٌ قائم)[45]، وما ذكره لم تشر إليه المصادر التي تيسر لي الاطلاع عليها، وقد ذكروا لها ثلاثة معانٍ:

الأول: الاستفتاح مثل (ألا).

الثاني: أن تكون بمعنى حقاً.

الثالث: أن تكون للعرض.

ويرى الزجاجي أنها لا تكون إلا في افتتاح قسم[46].

ونقل لغة الحجاز في إعمال (ما) ولغة تميم في عدم إعمالها[47].

وعند حديثه عن قوله تعالى ((إن هذان لساحران))[48] ذكر أن لغة بني سليم إعراب المثنى بالألف في حالة النصب قال: ((وعلامة النصب فيه الألف على لغة قوم من العرب وقيل هم بنو سليم))[49].

وقيل إنها لغة لبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وبلعنبر وبلجهم وبطون من ربيعة[50].

ونقل عن بعض العرب جواز تصغير فعل التعجب مثل (ما أحيسن زيداً)، ويرى أن جواز التصغير هو الحامل للفراء على الحكم باسمية صيغة التعجب ورده بقوله: ((وليس هذا القول بشيء، فإن جاز تصغيره عند هؤلاء فالمراد بالتصغير الاسم لا الفعل لان التصغير من خواص الأسماء فلا يجوز دخوله على الأفعال، فإذا قلت (ما أحيسن زيداً) فالتقدير عند بعضهم زيد مليح..))[51].

وكلامه يتعلق بالخلاف بين البصريين والكوفيين بشأن صيغة التعجب بين الاسمية والفعلية[52].

العلماء الذين ذكروا في التهذيب

أولاً: أبو عمرو بن العلاء:

نقل عنه تجويزه تنوين المنادى المفرد المعرفة في ضرورة الشعر بالنصب[53].

وقيل: إنهم أجمعوا على جواز تنوين المنادى المبني في الضرورة، ثم اختلفوا هل الأولى بقاء ضمه أو نصبه؟.

فمذهب الخليل وسيبويه والمازني الأول علماً كان أو نكرة مقصودة كقول الشاعر:

سلام الله يا مطرٌ عليها

وليس عليك يا مطرُ السلام[54]

ومذهب أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والجرمي والمبرد على النصب رداً إلى أصله كرد المنصرف إلى الكسر عند تنوينه في الضرورة. ومنه قول المهلهل بن ربيعة:

ضربت صدرها إلي وقالت

يا عدياً لقد وقتك الأواقي[55]

بتنوين (عدي) بالنصب[56].

وقد ذكر هذا الشاهد في التهذيب في باب الضرورة مشاراً به إلى مذهب أبي عمرو بن العلاء.

ثانياً: الخليل بن أحمد

ورد ذكره في مواضع هي:

١- في باب الفاعل والمفعول ذكر أن (من) من قولهم (من قام) مبتدأ عند الخليل وفاعل مقدم عند سيبويه.

قال: ((أما في معرفة تقديمها وتأخيرها فالفاعل ينقسم على ثلاثة أقسام: فاعل يجب تقديمه على مذهب سيبويه ولا يجوز تأخيره وهو اسم الاستفهام والشرط نحو قولك (من قام؟) و(من يقم أقم) وما شاكل ذلك عند سيبويه وأصحابه أن (من) فاعل متقدم لان الشرط والاستفهام لهما صدر الكلام، وعند الخليل بن أحمد أن (من) مبتدأ وما بعده خبر عنه.))[57].

ولم أقف على ما نقله عن الخليل وسيبويه، وقد أفرد كل من ابن هشام والسيوطي مسألة لبحث إعراب أسماء الشرط وأسماء الاستفهام، وفيهما إذا وقعت الأداة الشرطية على مكان أو زمان فظرف، أو على حدث فمفعول مطلق، وان وقع بعدها فعل لازم فمبتدأ خبره فعل الشرط، وقيل هو الجواب، أو بعد فعل متعد فمفعول به، ومثل أدوات الشرط أدوات الاستفهام[58].

٢- تنوين المنادى المفرد المعرفة في ضرورة الشعر، وقد مرّ بنا عند الحديث عن أبي عمرو بن العلاء.

٣- نقل أن الخليل يرى بأن (أن) هي أصل حروف النصب وحدها والباقي محمول عليها[59]

وقد نقل هذا القول السيرافي عن أبي عبيدة قال: ((وروى أبو عبيدة عن الخليل أنه قال: لا ينتصب شيء من الأفعال المضارعة إلا بأن مضمرة أو مظهرة في كي واذن ولن وغير ذلك فاعرفه إن شاء الله))[60].

٤- نقل ان كم الاستفهامية في موضع رفع مبتدأ عند الخليل[61].

قال في الكتاب: ((وزعم الخليل أنه يجوز أن تقول: (كم غلاماً لك ذاهب) تجعل (لك) صفة للغلام و(ذاهباً) خبراً لـ(كم)..))[62].

وقال قبل: ((وهي تكون في الموضعين يعني الاستفهامية والخبرية اسماً فاعلاً ومفعولاً وظرفاً..))[63].

و(كم) إن تقدم عليها حرف جر أو مضاف فهي مجرورة، وإلا فإن كانت كناية عن مصدر أو ظرف فهي منصوبة على المصدر أو على الظرف، وإلا فإن لم يلها فعل أو وليها فعل

وهو لازم أو مقدر رافع ضميرها أو سببها فهي مبتدأ، وإن وليها فعل متعد ولم يأخذ مفعوله فهي مفعوله، وإن أخذه فهي مبتدأ إلا أن يكون ضميراً يعود عليها ففيها الابتداء والنصب على الاشتغال[64].

٤- يرى الخليل أن (أل) حرف واحد[65].

قال في الكتاب: ((وزعم الخليل أن الألف واللام اللتين يعرفون بهما حرف واحد كـ(قد) وأن ليست واحدة منهما منفصلة من الأخرى..))[66].

وقال ابن جني: ((... وحكى عنه أنه يسميها (أل) كقولنا (قد) وأنه لم يكن يقول الألف واللام كما لا يقول في (قد) القاف والدال.))[67].

وقد شاع في كتب النحو أن سيبويه يرى أن حرف التعريف اللام وهو يخالف الخليل في هذه المسألة، ولم أجد في كتاب سيبويه إشارة لهذا المعنى بل قال:

((وأل تعرف الاسم من قولك: القوم والرجل.))[68].

والخلاف بينهما في الهمزة فقط، إذ يرى الخليل وغيره أنها همزة قطع ويرى سيبويه أنها همزة وصل[69].

قال الدكتور المخزومي: ((والذي يستفاد من أقوال المحدثين صحة رأي الخليل، فأداة التعريف موجودة في ثلاث من اللغات السامية وهي العبرية والآرامية والعربية وهي فيها جميعاً مكونة من حرفين.))[70].

ثالثاً: سيبويه:

ذكر في مواضع هي:

١- في باب الفاعل والمفعول، وقد مر بنا في (١) من الخليل.

٢- في باب الفاعل والمفعول نقل عدم تجويز سيبويه للبيت المنسوب للنابغة الذبياني:

جزى ربه عني عديَّ بن حاتم
جزاء الكلاب العاديات وقد فعل

قال: ((فعند سيبويه أنه لا يجوز وعند غيره أن الهاء في (ربه) يعود إلى مصدر محذوف، تقديره جزى الجزاء وليست الهاء عائدة إلى المفعول.))[71] وما ذكره مبني على منعهم تقديم الفاعل في نحو (أكرم غلامه زيداً) لعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة.

قال ابن جني: ((وأجمعوا على أنه ليس بجائز (ضرب غلامه زيداً) لتقدم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى، وقالوا في قول النابغة... إن الهاء عائدة على مذكور متقدم..))[72].

وقد مر الحديث عن هذه المسألة في (٤) من الخليل.

٣- ما نسب لسيبويه بشأن حرف التعريف[73]. وقد مر الحديث عنها.

رابعاً: الكسائي

روى عنه أنه يجيز الفصل بين (ما) وفعل التعجب بالفعل المستقبل فيقال ((ما يخرج أكرمه))، قال، وهو قول شاذ لا يقاس عليه[74].

قالوا: لا يفصل بين (ما) و(أفعل) بغير (كان) حيث يجوز القول (ما كان أحسن زيداً) وتكون زائدة[75].

خامساً: الفراء:

نقل عنه جعله فعل التعجب اسماً بناء على تصغيره عند بعض العرب[76]. وقد مر الحديث عن مذهب الفراء في مبحث لغات القبائل.

سادساً: المبرد:

ذكر أن المبرد يعرف البدل بقوله: حقيقة البدل إعلام السامع بمجموعي الاسم مع حذف المبدل منه. وكان قد قال قبل ذكر هذا التعريف: أما البدل فهو إعلام السامع بمجموعي الاسم زيادة في البيان من غير أن ينوي حذف أحدهما. ووصف هذا التعريف بالصحة[78]. وكل ما ذكره ورد في شرح المقدمة المحسبة[79].

سابعاً: ابن السراج:

نقل عنه أنه جمع العلل المانعة من الصرف في بيتين من الشعر هما:

يكف الصرف تعريف ووزن
وتأنيث وعدل والجميع
واعجام وتركيب ووصف
ومن فعلان أحرفه القروع[80]

ولم أجد البيتين في الاصول ولا في غيره من المراجع التي تيسر لي الاطلاع عليها.

ثامناً: ابن بابشاذ:

نقل عنه علة تسمية الفعل بهذا الاسم قال ((فلأنه لفظ توزن به جميع الأفعال ويعبر به عنها كما روى عن الشيخ طاهر بن احمد بن بابشاذ النحوي رحمه الله))[81].

وما ذكره ورد في شرح المقدمة المحسبة[82].

*مسائل الخلاف ومذهب الصنعاني النحوي

تضمن الكتاب بعضاً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، وقد بين المؤلف في بعضها موقفه من الخلاف منتصراً للبصريين، والمسائل هي:

١- الخلاف المنسوب بشأن علة تسمية الاسم بهذا إذ نقل صاحب التهذيب خلافاً بين المذهبين قال: ((وأما لم سمي الاسم اسماً فلأنه سما بمسماه فأوضحه وكشف معناه، ومعنى سما بمسماه أنه علم على الذات الواقع عليها بهذا اللفظ على مذهب الكوفيين، والبصريين يقولون لانه رفع الذات إلى مرتبة الفاعل والوجود..))[83].

ولم أجد خلافاً بين البصريين والكوفيين بهذه الصورة بل المنقول عنهم خلافهم في اشتقاق لفظ الاسم حيث نقل أن البصريين يرون أنه مشتق من السمو وهو العلو، ويرى الكوفيون أنه مشتق من الوسم أي العلامة[84].

وقد حقق المرحوم الدكتور محمد خير الحلواني هذه

المسألة فتبين له عدم ثبوت الخلاف، وربما كان الرأي منه ولا عن المتأخرين، وقد ذكر الزجاج أنه اول من تحدث عن اشتقاق الاسم. والظاهر أن الصنعاني قد فسر ما نقل وجعل منه صورة للخلاف جديدة، وبعض كلامه ورد في شرح المقدمة المحسبة.

١- الخلاف بشأن قسمة الأفعال على ماض ومستقبل وحال عند النحويين وخالفهم بعض الكوفيين. وما ذكره مبني على ما نقل عن الكوفيين بشأن قسمة الفعل، إذ يرى بعضهم أن الكوفيين يذهبون الى أن الفعل على قسمين، الماضي والمضارع ويعدون الأمر مقتطعا من المضارع. وقيل إن اقسام الفعل عند الكوفيين ثلاثة: ماض ومضارع ودائم والاخير هو اسم الفاعل، وهذه القسمة مبنية على نصوص للفراء والزجاجي في مجالس العلماء.

قال الزجاجي: ((الفراء يقول (قائم) فعل دائم لفظه لفظ الأسماء)).

وقد ورد المصطلح في معاني القرآن: ((... فلذلك جاءت (مالك) في المستقبل ولم تأت في دائم ولا ماض...)).

والافعال عند النحاس أربعة اقسام: ماض ومستقبل وأمر ونهي، وتابعه الجرجاني في التتمة.

٢- خلافهم في (ايمن) في القسم، مفرد أو جمع، حيث يذهب البصريون إلى أن (ايمن) في (أيمن الله) اسم مفرد مشتق من اليمن، أما الكوفيون فقالوا إنه جمع يمين.

٣- مسالة التنازع.

وهي ما قيل حول اجتماع فعلين على معمول واحد، فأيهما أولى في العمل فيه بعد اتفاقهم على جواز عمل أيهما. فيرى الكوفيون أن إعمال الأول أولى، ويرى البصريون أن إعمال الثاني أولى. وقد رجح الصنعاني مذهب البصريين في هذه المسألة بقوله ((وقول الكوفيين أقل استعمالا لان قول البصريين أرجح منه، ولم أعلم بشيء من قول الكوفيين في القرآن الكريم، أما الشعر فقد ورد فيه وهو قليل...)).

أما بشأن مذهب الصنعاني النحوي فإن مذهب العالم تبينه ثلاثة أمور:

الأول: موقفه من مسائل الخلاف.

الثاني: الاقوال التي يتبناها.

الثالث: المصطلح الذي يستخدمه.

وصاحبنا في مسائل الخلاف التي ذكرها أو أشار إليها عرضا في أغلب الاحوال يرجح مذهب البصريين كما مر. وعند ذكره لحروف العطف ذكر أن منهم من يدخل (ليس) في جملة حروف العطف، قال: وليس بأصل. والقول بأن (ليس) تأتي حرف عطف منسوب للكوفيين محتجين بقول نفيل الحميري:

أين المفر والإله الطالب
والأشرم المغلوب ليس الغالب

أي لا الغالب.

ويرى البصريون أن المرفوع بعدها اسمها.

والصنعاني في أكثر من موضع يرد مذهب الكوفيين، ولم يقف هذا الموقف من البصريين.

أما في تبني الآراء والاقوال فهو في الغالب يذهب مذهب البصريين، إلا أنه ذهب مذهب الكوفيين في عده لنواصب الفعل المضارع حيث يرى البصريون أن نواصب المضارع أربعة هي: أن. لن. كي. إذن، وعند الكوفيين ينصب بحروف كثيرة هذه الاربعة وجميع الحروف التي يرى البصريون اضمار (أن) بعدها.

وربما يكون ما قاله بشأن النواصب من باب التسهيل وموافقة لمنهجه في الكتاب أما مصطلحاته فهي غالبا مصطلحات البصريين وترد عنده بعض المصطلحات المشتركة أو التي لم يثبت انتسابها لمذهب معين.

ومن مجمل ما تقدم يظهر أن الصنعاني بصري المذهب إلا أنه لم يكن أسير المذهب البصري، وهو يمثل عصره فأغلب علماء هذا القرن لهم اجتهاداتهم وآراؤهم وترجيحاتهم البعيدة عن القيود المذهبية.

* العلة النحوية:

لقد رافقت العلة النحوية الدرس النحوي منذ عصوره الأولى نتيجة لتأثره بمناهج الفلاسفة والمتكلمين، والمدارس النحوية، ((اخذت منذ الخليل بن احمد بمبدأ العلية فكل حكم نحوي يعلل، وكل ظاهرة نحوية كلية أو جزئية لابد لها من علة عقلية.)).

والصنعاني واحد من العلماء الذين أولوا العلة عناية كبيرة بحيث غلبت التعليلات على غيرها في كتابه، وأخذ يعلل لكثير من المسائل النحوية، بل نراه مبتكرا لبعض العلل، فعلل تسمية المضمر بهذا الاسم، وتسمية الفعل، وتسمية الفعل بالمتعدي، واللازم، وعمل (إن) وأخواتها، وغيرها كثير.

ومن أمثلة العلة النحوية في التهذيب علة بناء أسماء الإشارة، فقد ذكر أنها بنيت لمشابهتها الحرف من وجهين:

أحدهما: أنها مختلفات الصيغ كما أن الحروف مختلفات الصيغ فأغنى اختلاف صيغها عن إعرابها.

والثاني: أنها مفتقرة إلى ظاهر يفسرها من بعدها كما أن الحروف مفتقرة إلى شيء تتصل به وتتم به فائدتها، لأن كل واحد منهما لا يستقل بنفسه ولهذا بنيا.

وهو بهذه العلة متأثر بابن بابشاذ.

والوجه الثاني قاله الرضي قال: ((وقيل إنما بنيت لاحتياجها إلى القرينة الرافعة لابهامها وهي إما الاشارة الحسية أو الوصف..)).

والذي عليه النحاة انها أشبهت الحروف من حيث المعنى، وإن أسماء الإشارة أشبهت حرفا كان يجب أن يوضع إلا أنه لم يوضع، وقد اعترضوا على هذا القول بأن إعراب

صيغة المثنى من أسماء الإشارة فقيل إن ذلك لمعارضة الشبه بالتثنية التي هي من خصائص الأسماء.

والذي أراه أن الإعراب يدخل الأسماء في الغالب لتمييز المعاني المختلفة وأسماء الإشارة غير صيغة المثنى دلالتها في صيغتها فلا حاجة لإعرابها وفي صيغة التثنية ... التمييز فأعربت.

ومن العلل التي أحتمل انفراده بذكرها:

١. علة تسمية كان وأخواتها بالافعال الناقصة حيث ذكر أن هذا الأفعال نقصت عن رتبة الفاعل بثلاثة أوجه:

أحدها: إن الأفعال تدل على الأحداث وهي جميعها لا تدل على حدث.

والثاني: أن مرفوع الأفعال غير منصوبها في قولك (ضرب زيد عمراً)، وكان وأخواتها مرفوعها هو منصوبها في المعنى في قولك (كان زيد قائماً).

والثالث: إن الافعال لابد لها من فاعل إما مظهراً أو مضمراً، وكان هي أم الباب قد تقع زائدة لا اسم لها ولا خبر.

والوجهان الأول والثاني قال بهما النحاة، والأول مطروق في كتب النحو وإن اعترضوا عليه كما يأتي:

أما الثاني فقد قاله ابن الخشاب.

ووجه رابع وهو أن الأفعال غير الناقصة يتم الكلام بمرفوعها والناقصة إن لم يذكر منصوبها مع المرفوع لم يكن كلاما.

وقد رد الرضي القائلين بالوجه الأول بقوله: ((... لان كان في (كان زيد قائما) يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق وخبره يدل على الكون المخصوص وهو كون القيام أي حصوله، فجيء أولاً بلفظ دال على حصول ما ثم عين بالخبر ذلك الحاصل..)).

٢. تعليله لعدم جواز إعراب مثل كلمة (الرجل) في (يا أيها الرجل) بدلا، قال بعد أن ذكر (أي): ((... والذي بعده عطف بيان عليه أو نعت له ولا يجوز أن يكون بدلا، لانه لو كان بدلا لكان يحل محل المبدل منه وكان يقال (يا الرجل) فيدخل حرف النداء على ما فيه الألف واللام وذلك ممتنع.)).

وهذا الذي ذكره يقارب ما ذكره ابن الخشاب في المرتجل وملخصه أن كلمة (الرجل) وما أشبهها من الأسماء المعرفة باللام نعت لـ(أي) والصفات يؤتى بها لزيادة الفائدة ولهذا لم يجز فيه ما جاز في صفات المنادى المفرد المعرفة من الحمل على الموضع تارة على اللفظ أخرى.

٣. علة حذف حرف التعريف من المنادى: عند صاحب التهذيب مردها إلى زيادة حرف النداء وحرف التعريف زائد ولا يجتمع في الكلمة الواحدة زائدان من أولها.

والذي عليه النحاة أن الألف واللام للتعريف و(يا) للتعريف أو التخصيص. على خلاف بينهم. فلا يجتمع تعريفان على كلمة واحدة. ولا أرى وجهاً لما ذكره الصنعاني بشأن زيادة حرف التعريف لأن الزيادة تعني أن ... وأثرها واحد من حيث الدلالة وحرف التعريف ينقل الكلمة من التنكير إلى التعريف، وهما غير متساويين. إلا إذا كان يعني الزيادة اللفظية. وعلى كل حال يوجه فما ذهب إليه تعوزه الدقة.

٤. علة إعراب المثنى بالألف في حالة الرفع، وجمع المذكر السالم بالواو في حالة الرفع، يرى الصنعاني أن العلة مردودة إلى العلاقة بين لحاق ألف الاثنين وواو الجماعة للفعل من قولهم، قاما وقعدوا، فصار ألف الفاعل علامة الرفع في المثنى وواو الجماعة علامة رفع في جمع المذكر السالم.

ويرى الزجاجي أن علة جعل الألف في رفع المثنى مردها إلى أن الرفع أول الاعراب لانه سمة الفاعل، والتثنية أول الجموع، والألف والواو والياء متولدة عن الحركات التي هي الفتحة والضمة والكسرة، فلو جعل رفع المثنى بالواو كان يلزم أن يجعل رفع الجمع أيضاً بالواو فلم يكن بينهما فرق، فلما بطل أن يجعل رفع الاثنين بالواو ترك الجمع على حاله ولم يجعل التثنية بالياء، لان الياء للجر فلم يبق للتثنية المرفوع غير الألف فجعلت له.

ويرى الأنباري أن التثنية أكثر استعمالا من الجمع فأعطيت الأخف وأعطي الجمع الأثقل ليعادلوا بين التثنية والجمع.

*التعريفات

كتاب التهذيب غني بتعريفاته، وكأن صاحبه أراد أن يقيم الدليل على علمه وإدراكه العميق لعلوم اللغة بعنايته بالتعريفات. ومن تعريفاته التي يتميز بها من غيره بزيادة أو توضيح أو تحديد ما يأتي:

١. تعريف الكلام:

عرف الصنعاني الكلام بقوله: ((هو المسموع المفيد)).

وعند غيره من العلماء هو: التركيب المفيد، قاله الصيمري، والمركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، قاله الزمخشري، وألفاظ مؤلفة، قاله ابن الخشاب، وكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة، نقله ابن يعيش عن النحويين و ما تضمن كلمتين بالاسناد، قاله ابن الحاجب. ولفظ مفيد، وما تضمن من الكلم اسناداً مفيداً مقصوداً لذاته، قالهما ابن مالك.

٢. تعريف الفعل:

الفعل عند الصنعاني: ((ما دل على فاعل وزمان معين)).

قال: ((وهذه حقيقة جامعة صحيحة لانه يجوز فيها العكس والطرد، تقول: كل فعل يدل على فاعل وزمان معين وكلما دل على فاعل وزمان معين فهو فعل ... قولهم الفعل ما تصرف ولحقه الضمير، وقولهم ما دل على حدث وزمان ومكان وفاعل ومفعول فليس بحقيقة ... لان من الأفعال ما لا يتصرف ... ومنها ما لا يدل على مفعول كالافعال اللازمة مثل ...

وظرف. ومنها ما لا يدل على حــــدث مثل كان وأخواتها، ومنها ما لايدل على مكان كأفعال الباري سبحانه، فلم يبق إلا ان الفعل مادل على فاعل وزمان معين، لانه لابــــد لكل فعل من فاعل إما مظهرا أو مضمرا، ولابد له من زمان يقع فيه.)).

وقال الزجاجي: ((الفعل في أوضاع النحويين مادل على حدث وزمان ماض أو مستقبل... وحد بعض النحــويين الفعل بأن قال: هو ما كان صفة غير موصوف نحو قــولك: هذا رجل يقول. فيقوم صفة لرجل..)).

ونقل ابن فارس في الصاحبي تعريفات للفعل منها:

قال الكسائي: ((الفعل مادل على زمان))

وقال قوم: ((الفعل ما امتنع من التثنية والجمع))

وقــال قــوم: ((الفعل ما حســنت فيه التاء نحو قــمت وذهبت))

وقال قوم: ((الفعل ما حسن فيه أمس وغدا))

ورد كل التعريفات عدا تعريف الكسائي.

وقيل: الفعل مادل على حـدث وزمان محصل. وقيل: مادل على معنى مقترن بزمان محصل. وقيل: ما أسند إلى شيء ولم يسند إليه شيء.

ولهم تعريفات أخرى يطول الكلام بذكرها.

٣. تعريف المفعول له:

هو كل مصدر غالبا ذكر علة للفعل وعذرا وغرضا له.

وهو عند الزمخشري: علة الاقدام على الفعل.

وعند ابن الحاجب: هو ما فعل لاجل فعل مذكور.

٤. تعريف الإضافة:

الإضافة هي الالصاق والاتصال.

وقال ابن الخشاب: أصل الاضافة إمالة الشيء إلى الشيء ونسبته إليه.

٥. تعريف التعجب:

هو تقرير المعنى في نفس المتعجب ولهذا لم يكن إلا على ماضي.

وقــال الصميري: معنى التعجب ما خفي سببــه وخرج عن نظائره.

وعند الجاجاني: التعجب انفعال النفس عما خفي سببه.

٦. تعريف الحال:

الحال: هيئة الاسم الذي يعود عليه الذي هو صفة له في المعنى سـواء أكان ذلك الاسـم فاعلا أو مفعولا، أو مبـتدأ، فالحال هيئة له.

ويرى ابـن الخشــاب أن الحال: وصفه هيئة الفاعل أو المفعول به.

٧. تعريف الشرط:

هو الالزام، وقيل ربط جملة بجملة.

وعند غيره: هو تعليق شيء بشيء بحيث إذ وجد الأول وجد الثاني، أو ما يتوقــف عليه وجود الشــيء ويكون خارجا عن ماهيته ولا يكون مؤثرا في وجوده.

وقيل هو: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه.

٨. تعريف العطف:

هو رد آخر الكلام على أوله حــتى يصير إعراب الثاني كإعراب الأول.

ولهم فيه عدة تعريفات منها:

١. أن تشرك الاسم أو الفعل في إعراب ماقبله.

٢. المجعول تابعا بأحد حروفه.

٣. حمل اسـم على اسـم، أو فعل على فعل، أو جملة على جملة.

٤. جريانه على ماقبله بحرف من الحروف.

٥. المذكور بعد متبوعه متوسطا بينهما أحد الحروف العشرة.

٦. تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه يتوسطه بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة.

آراء الصنعاني:

ليس من السهل القطع بنسبة رأي إلى أحد علماء النحو، لان الأمر يقتضي الإحاطة بكل ماقيل في كتب النحو في عصوره المختلفة وبـعدها يمكن القــول بــأن هذا مذهب انفرد بـه فلان عن الآخرين، ويزداد الأمر صعوبـة إذا كان العالم من غير المعروفين ولم يشر أحد إلى أقواله او ينقـل عنه، وقـد حـاولت في حـدود ما أسـتطيع أن أتعرف على بـعض الأراء التي يترجح عندي أنها خاصة بصاحبـنا ولم يقلها غيره وهي:

١. يرى صاحـب التهذيب أن (أن) المفتوحـة اسـم يحكم على موضعها بـالإعراب: قـال: ((... ومنها سـتة أحـرف تنصب الأسماء وترفع الأخبــــار وهي: إن وأن وكأن وليت ولعل ولكن المشددة، كل هذه حـروف الا أن المفتوحـة فإنها اسم يحكم على موضعها بالإعراب ويقدر المصدر...)).

والذي عليه النحاة أنها تؤول مع اسمها وخبرها بمصدر، ولهذا قــالوا: إنها تقـــتـضي عدم الصدارة لانها مع اسمها وخبرها في تأويل المفرد فلا بد لها من تعلق بشـيء آخر يتم كلاما فهي لا تستقل بالفائدة.

ويرى المرادي أنها كبـعض الاسـم. ولعل ما ذهب إليه الصنعاني تسامح في العبارة.

٢. ذهب إلى أن المضارع المقترن بلام الأمر فعل أمر، قـال عند حـديثه عن أقسام المبـني: ((فهو ينقسم إلى أربـعة أقســـام، القســـم الأول أسماء غير متمكنة كالمضمرات والمبهمات والناقصات والشرطيات وما شاكل ذلك، والثاني أفعال غير مضارعة كالأفعال الماضية نحو قام وقعد وفعل الأمر الذي يدخل عليه اللام نحو اضرب واذهب..)) وفي موضع آخر من الكتاب وعند عده للمبني من الأفعال قال: ((وجميع أفعال الأمر التي هي غير مضارعة..)).

ولا يخلو كلامه من خلط، وبـأي اعتبـار يؤخذ فانه يلحــــظ الدلالة لا الصيغة. فدلالة (ليكتب) دلالة أمر

وصيغتها الصرفية صيغة المضارع، وإذا أخذنا بمنهج الصنعاني فعلينا أن نقول بأن الفعل في مثل قولنا (لم يكتب) فعل ماض، وفي مثل قولنا (إذا أكرمتني أكرمتك) فعل مضارع وغير هما.

٣ـ ذهابه إلى وقوع الحرب خبراً وكذلك الفعل والظرف.

قال: ((الخبر هو كل ما صحت به فائدة المبتدأ من اسم مفرد وحرف وظرف وفعل وجملة.)).

والذي يصح وقوعه خبراً هو متعلق الجار والمجرور أو الظرف، والجملة الفعلية، ولعل الصنعاني يعني هذا إلا أنه اختصر العبارة كقول ابن مالك (وأخبروا بظرف أو بحرف [illegible]

[illegible] ابن جني أن التقدير في الظرف من قولهم (قيامك [illegible] زيد) مثلاً، قيامك كائن خلف زيد، فحذف اسم الفاعل وأقيم الظرف مقامه فانتقل الضمير إليه وتقام حروف الجدر مقام الظرف.

وقد يكون كلام ابن جني المذكور هو الحامل للسيوطي على القول بأن ابن جني وشيخه أبا علي يذهبان إلى أن الظرف هو الخبر في الحقيقة وأن العامل صار نسيباً منسيا.

٤ـ المنصوب في قولهم (ما أنت والخروج)، و(ما أنت وقصعة من ثريد) و (ما أنت وزيداً) منصوب على أنه مفعول به لمصدر محذوف يدل على حرف العطف، وذلك المصدر مرفوع عطفا على المبتدأ قبله والتقدير: ما أنت ولزومك الخروج، وما أنت ومداناتك قصعة أو ملابستك، وما أنت ومصاحبتك زيداً، وإنما جاز حذف هذه المصادر لدلالة حرف العطف عليها[illegible].

والمسألة تتعلق بالفعول معه، والذي عليه النحاة أن الاسم الذي ينتصب على المفعول معه لابد له من فعل يعمل فيه، فإذا قيل (ما أنت وعبد الله) لم يكن ما بعد الواو إلا مرفوعاً، لان الجملة الأولى خلت من شروط النصب وهو تضمنها الفعل، إلا أن بعض العرب ينصبون هذا وأمثاله.

قال في الكتاب: ((وزعموا أن ناساً يقولون: كيف أنت وزيداً، وهو قليل في كلام العرب، ولم يحملوا الكلام على (ما) ولا (كيف) كأنه قال: كيف تكون وقصعة من ثريد، وما كنت وزيداً، لان كنت وتكون يقعان هاهنا كثيراً ولا ينقضان ما تريد من معنى الحديث.))[illegible].

وما ذكره المصنف لم أجده عند غيره، والراجح عندي أن (ما) و (كيف) استفهاميتان والأولى عندهم دخول الاستفهام على الفعل فاستغنوا بأداة الاستفهام عن ذكر الفعل.

٥ـ وصف الباء واللام والكاف من حروف الجر بالزيادة، فعند عدة لحروف الجر ذكر الباء الزائدة واللام الزائدة والكاف الزائدة. والمعروف أنها تأتي زائدة وغير زائدة والمعنية بالجر غير الزائدة.

٦ـ صيغة منتهى الجموع منعت الصرف لعلتين لا علة واحدة كما يقول النحاة، والعلتان عند الصنعاني الجمع ونهاية الجمع. ومعنى نهاية الجمع أن هذه الأسماء لا تنتهي إلى جمع غير هذا، وما عدا من الجموع ينتهي إلى غير ذلك الجمع. ومثل بقولهم: ثياب في جمع ثوب ثم أثواب، فانتقل إلى جمع ثان.

والذي عليه النحاة أن هذا الجمع منع من الصرف لانه لا نظير له من الواحد فصار كأن الجمع قد تكرر فقه، فقامت هذه العلة مقام العلتين.

وفيه وجه آخر وهو أن هذا الجمع لما كان نهاية الجموع لم يحتمل أن يجمع كما تجمع الجموع القايلة فأشبه الفعل لان الفعل لا يجمع فكأن فيه علتين، الجمع وشبه الفعل فلذلك منع الصرف.

الهوامش

(١) المستطاب ١٧١
(٢) الطبقات في ذكر فضل العلماء ٧٤
(٣) أئمة اليمن ١٩٩ ـ ٢٠٠
(٤) تاريخ الأدب ٢٠١/٥
(٥) التهذيب ١
(٦) معجم المؤلفين ٢٠٧/١٠
(٧) المستطاب ١٧١
(٨) الطبقات ٧٤
(٩) المستطاب ١٧١ والطبقات ٧٤
(١٠) أئمة اليمن ٢٠٠
(١١) المقتطف ١٨٤، وحكام اليمن ٨٢
(١٢) المستطاب ١٧١، والطبقات ٧٤
والامام المذكور هو المهدي أحمد بن الحسين المكنى بابي طير، قتل سنة ٦٥٦هـ
ينظر: المقتطف ١٨٩
(١٣) أئمة اليمن ١٩٩
(١٤) مصادر الفكر الاسلامي العربي في اليمن ٣٧٣
(١٥) تاريخ الأدب ٢٠١/٥
(١٦) معجم المؤلفين ٢٠٧/١٠
(١٧) الاعراف ١٦٠/٧
(١٨) المستنهى ٣٣
(١٩) المستطاب ١٧١، والطبقات ٧٤، وأئمة اليمن ٢٠٠، ومصادر الفكر ٣٧٣ وتاريخ الأدب ٢٠١/٥، ومعجم المؤلفين ٢٠٧/١٠.
(٢٠) تاريخ الأدب ٢٠١/٥
(٢١) الطبقات ٧٤، ومصادر الفكر ٣٧٣
(٢٢) التهذيب ١، ١٦٤، ١٦٥، المستنهى ٦، ٦٤
(٢٣) أئمة اليمن ٢٠٠
(٢٤) فهرس مخطوطات مكتبة الجامع الكبير ١٥١٣/٣
(٢٥) التهذيب ص١
(٢٦) التهذيب ص١٦٤، وفي صفحة ١٦٥ كرر عبارة "سنذكره"
(٢٧) المستطاب ١٧١، والطبقات ٧٤، وأئمة اليمن ٢٠٠، وتاريخ الأدب ٢٠١/٥، ومعجم المؤلفين ٢٠٧/١٠.
(٢٨) أئمة اليمن ٢٠٠، ومصادر الفكر ٣٧٣
(٢٩) مصادر الفكر ٣٧٣

(٣٠) تاريخ الأدب ٥/٢٠١
(٣١) التهذيب ١٠
(٣٢) طه ٢٠/٦٣
(٣٣) القدر ٩٧/٤
(٣٤) التهذيب ٢
(٣٥) التهذيب ٤
(٣٦) التهذيب ١٠-١١
(٣٧) التهذيب ١٩٩
(٣٨) مغني اللبيب ٢٤٨
(٣٩) ينظر: شرح المقدمة المحسبة ١/٩١، والكافية ١٤٤، وتوضيح المقاصد ١/١٣٥
(٤٠) التهذيب ٥
(٤١) التهذيب ٢٩
(٤٢) التهذيب ٣٤
(٤٣) نفسه ٣٥
(٤٤) ص ٧٣، ٧٤
(٤٥) ص ٩٢
(٤٦) التهذيب ١٠٣
(٤٧) التهذيب ٦١-٦٥
(٤٨) شرح المقدمة المحسبة ٢/٢٥٧
(٤٩) التهذيب ٣١، ٣٢
(٥٠) ينظر شرح المقدمة المحسبة ١/٩٩-١٤٠
(٥١) المصدر السابق ١/٢٦١.
(٥٢) المصدر السابق ١/٢٧٤-٢٧٥
(٥٣) التهذيب ٣٠
(٥٤) شرح المقدمة المحسبة ١/٢١٢
(٥٥) التهذيب ١٠-١١
(٥٦) التهذيب ٧٢
(٥٧) شرح المقدمة المحسبة ١/٢٧٨.
(٥٨) التهذيب ١٠-١١
(٥٩) ١/١٩٣
(٦٠) التهذيب ٢
(٦١) النساء ٤/١٦٤
(٦٢) التهذيب ٢
(٦٣) المفردات ٤٢٦، وينظر: الخصائص ١/١٣، والإنصاف (١٤)، وارتشاف الضرب ١/٣٢
(٦٤) معاني القرآن للزجاج ٢/١٣٣.
(٦٥) إعراب القرآن ١/٤٧٣، وينظر: تفسير القرطبي ٦/١٩
(٦٦) مريم ١٩/٦٤
(٦٧) التهذيب ١١
(٦٨) ١/١٩٤
(٦٩) التهذيب ١١
(٧٠) ٢١٥
(٧١) الفاتحة ١/٤
(٧٢) للتفصيل ينظر فاتحة الإعراب ١٦٢
(٧٣) البقرة ٢/٢١٥
(٧٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ١/١٥٧
(٧٥) الحجر ١٥/٩
(٧٦) المطففين ٨٣/٢
(٧٧) التهذيب ١٣
(٧٨) إعراب القرآن ٢/٦٤٩-٦٥٠، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/٢٩٥-٢٩٦
(٧٩) يوسف ١٢/٩٦
(٨٠) التهذيب ٦٩
(٨١) إعراب القرآن ١/١٨٨
(٨٢) النساء ٤/٥٨
(٨٣) البيان ٧١
(٨٤) البيان ١/١٧٧
(٨٥) البيان ١/١٧٨، وينظر: مشكل إعراب القرآن ١/١٤٠، وإملاء ما من به الرحمن ١/١٦٥
(٨٦) الفتية ١/٦٨
(٨٧) التهذيب ١٠٠
(٨٨) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٥/٢٤٩، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٤٧، ومشكل إعراب القرآن ٢/٨٣١، والبيان ٢/٢٥٢، وإملاء ما من به الرحمن ١/٢٩١، وتفسير القرطبي ٢٠/١٤٠، والبحر المحيط ٨/٤٩٨
(٨٩) النساء ٤/١٤
(٩٠) التهذيب ١٢٧
(٩١) معاني القرآن ١/٢٦٠
(٩٢) معاني القرآن ٢/٧٦-٧٧، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ١/٤٠٦، والمشكل ١/١٩٤-١٩٥ والبيان ١/٢٤٨
(٩٣) ينظر الخلاف في: الانصاف ١/٢٢٨، والتبيين ٢٧٢، وائتلاف النصرة ٣٤
(٩٤) الإسراء ١٧/٧٢
(٩٥) التهذيب ١٣٧
(٩٦) ١٠/٢٩٨ وينظر البحر المحيط ٦/٦٢-٦٤
(٩٧) الشورى ٤٢/١١
(٩٨) التهذيب ١٤٠
(٩٩) ينظر: معاني القرآن ٤/٩٥، وإعراب القرآن للنحاس ٤/٦٢
(١٠٠) النساء ٤/١
(١٠١) التهذيب ٩٢
(١٠٢) السبعة ٢٢٦، والغاية ١٣٢
(١٠٣) الكشف ١/٣٧٥-٣٧٦، وينظر: الحجة لأبي علي ٣/١٢١ ومابعدها، والحجة لابن خالويه ١١٨-١١٩، وتفسير القرطبي ٥/٢
(١٠٤) الزخرف ٤٣/٧٧
(١٠٥) التهذيب ١٠٤
(١٠٦) المحتسب ٢/٢٥٧
(١٠٧) النساء ٤/٥٣
(١٠٨) الاسراء ١٧/٧٦
(١٠٩) التهذيب ١٢٠
(١١٠) شواذ القراءات ١٧ وينظر تفسير الطبري ٥/٢٥٠
(١١١) التهذيب ١٢٦
(١١٢) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٢/٧٣-٧٤، والنهاية ٥/١٥٢، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/٤٥٣
(١١٣) التهذيب ١٦٥
(١١٤) النهاية ٢/٤١، وينظر: الفائق ١/٢٨٠، وغريب الحديث لابن الجوزي ١/٢٨٤، وشرح المقدمة المحسبة ١/١١٢
(١١٥) التهذيب ١٠٣
(١١٦) ٢/٢٧٤
(١١٧) الهمع ٢/١٥١
(١١٨) التهذيب ٩٩
(١١٩) الديوان ٢/١٨٠
(١٢٠) الخصائص ٢/٤٤٦
(١٢١) التهذيب ١٢٤
(١٢٢) الكتاب ١/٢٠٢، وينظر تحصيل عين الذهب ١/١٠٤
(١٢٣) شرح الشواهد الكبرى ٣/٦٠٨-٦٠٩
(١٢٤) الخزانة ٥/٤٥ وينظر: الاصول ٢/٤٠، والانصاف ٢/٤٦٨،

وشرح التصريح ٢/١٦٦
(١٢٥) التهذيب ٢٠٧-٢٠٨.
(١٢٦) ينظر: الكتاب ٨٩/١، وتحصيل عين الذهب ٤٦/١، والرد على النحاة ١٠٧ وشرح الشواهد الكبرى ٢/٢٩٧
(١٢٧) التهذيب ١١٥
(١٢٨) تنظر التفاصيل في: الانصاف ١٤٩/١، والتبيين ٢٩٢، وشرح ابن يعيش ٩٣/٦، ١٤٧/٧، وائتلاف النصرة ١٢٠، والخزانة ٢٢٠٨
(١٢٩) ينظر: الكتاب ٢٨/١، وسر صناعة الإعراب ٢٥/١، ٧٦٩/٢، والانصاف ٢٧/١ وشرح الشواهد الكبرى ٥٢١/٣، وغيرها.
(١٣٠) ص٢٠٢ وما بعدها
(١٣١) ص٢٢٢
(١٣٢) ضرورة الشعر ٢٤
(١٣٣) ضرورة الشعر ١٧
(١٣٤) التسهيل ٢/٦٠٠ ومابعدها
(١٣٥) ١٧٣
(١٣٦) ينظر: غريب الحديث لابي عبيد ٧٦/١، والأمثال له ١٩، ومجمع الأمثال ١٠٠/١ والمستقصى ٢٩٤/٢، والهمع ١٣٥/٥
(١٣٧) التهذيب ١٠٧
(١٣٨) ينظر: مجمع الأمثال ٤٣١/١، والمستقصى ١٢١/١، ١٢٢
(١٣٩) الكتاب ٣٣٠/٢-٣٣١، وينظر: المقتضب ٢٦١/٤، وشرح ابن يعيش ١٦/٢
(١٤٠) المقتضب ٢٦١/٤
(١٤١) ص٨
(١٤٢) التهذيب ٨
(١٤٣) ينظر: توضيح المقاصد ٢١١/١، وشرح التصريح ١٢٢/١، والهمع ٢٨٦/١
(١٤٤) ينظر: توضيح المقاصد ١٦١/١، وشرح التصريح ١٢٢/١، واللهجات العربية في التراث ٢/٥٥٠
(١٤٥) التهذيب ٢٧
(١٤٦) تنظر التفاصيل في: حروف المعاني والصفات ٢٦، وشرح المقدمة المحسبة ٢٥٢/١، ورصف المباني ٩٦، والجنى الداني ٣٩٠، والمغني ٧٨، والهمع ٣٦٨/٤
(١٤٧) التهذيب ٣٠
(١٤٨) طه ٢٠/٦٣
(١٤٩) التهذيب ٦٩ وينظر ٢٢٢
(١٥٠) ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥٤، والمغني ٥٨، وشرح الشواهد الكبرى ١٣٨/١، ودراسة اللهجات العربية القديمة ٢٤
(١٥١) التهذيب ١١٤
(١٥٢) تنظر التفاصيل في: الانصاف المسألة ١٥ ص١٢٦/١ ومابعدها، والتبيين ٢٨٥ ومابعدها، وائتلاف النصرة ١١٨، وشرح الشافية ٢٧٩/١، وشرح شواهد الشافية ٨٣، والخزانة ٩٣/١
(١٥٣) التهذيب ٢٢٥
(١٥٤) البيت للاحوص ديوانه ١٨٩، وينظر الكتاب ٢٠٢/٢، والمقتضب ٢١٤/٤، وضرائر الشعر ٢٦، والهمع ٤١/٣
(١٥٥) المقتضب ٢١٤/٤، وضرائر الشعر ٢٦، وشرح التصريح ٢٧٠/٢، وشرح الشواهد الكبرى ٣١١/٤، والهمع ٤٢/٣
(١٥٦) التفاصيل في الكتاب ٢٠٢/٢، والمقتضب ٢١٣/٤، والهمع ٤١/٣
(١٥٧) التهذيب ٥١، ٥٢
(١٥٨) المغني ٦٠٧، والهمع ٣١٤/٤
(١٥٩) التهذيب ١٢٧ - ١٢٨
(١٦٠) شرح كتاب سيبويه ٨٤
(١٦١) التهذيب ١٩٩
(١٦٢) الكتاب ١٦٩/٢
(١٦٣) الكتاب ١٥٦/٢
(١٦٤) توضيح المقاصد ٢٣٢/٤
(١٦٥) التهذيب ٢٠٤
(١٦٦) الكتاب ٢٢٤/٢، والمقتضب ٢٢/١، وشرح المقدمة المحسبة ٢٧١/١ والهمع ٢٧١/١
(١٦٧) سر الصناعة ٢٢٢/١
(١٦٨) الكتاب ٢٢٦/٤
(١٦٩) تنظر التفاصيل في: سر صناعة الإعراب ٢٢٢/١ ومابعدها، والتسهيل ٤٢، وشرحه لابن مالك ٢٨٤/١، والمساعد ١٩٥/١، والهمع ٢٧١/١
(١٧٠) الخليل بن أحمد الفراهيدي ١١٦
(١٧١) التهذيب ٥٢
(١٧٢) الخصائص ٢٩٤/١، وينظر: شرح الشواهد الكبرى ٤٨٧/٢، وشرح التصريح ٢٨٣/١ والخزانة ٢٢٧/١
(١٧٣) التهذيب ١٩٩
(١٧٤) التهذيب ٢٠٤
(١٧٥) التهذيب ١١٤
(١٧٦) ينظر: التبصرة ٢٦٩/١، وشرح ابن يعيش ١٥٠/٧، والهمع ٦١/٥
(١٧٧) التهذيب ١١٤
(١٧٨) التهذيب ٨٣
(١٧٩) ٤٣٣/٢
(١٨٠) التهذيب ١٧٦
(١٨١) أيضا ١٠، ١١
(١٨٢) ١٩٣/٦
(١٨٣) التهذيب ٣
(١٨٤) ينظر: شرح المقدمة المحسبة ٩٦/١، والانصاف م(١) ص٦/١، وأسرار العربية ٤ والتبيين ١٣٢، ومسائل خلافية في النحو ٥٤، وشرح أسماء الله للرازي ٢٧، وائتلاف النصرة ٢٧.
(١٨٥) مسائل خلافية ص٥٤ الهامش
(١٨٦) التهذيب ١١
(١٨٧) الهمع ١٥/١
(١٨٨) مجالس العلماء ٢٦٥
(١٨٩) معاني القرآن للفراء ١١٥/١ وينظر: مدرسة الكوفة ٢٢٨، والفعل زمانه وابنيته ١٩
(١٩٠) التفاحة ١٦
(١٩١) ١٠٨
(١٩٢) التهذيب ١٤٧، ١٤٨
(١٩٣) الانصاف م٩٥ ص٤٠٤/١، وابن يعيش ٩٥/٩
(١٩٤) التهذيب ٢١١، ٢١٣
(١٩٥) تنظر التفاصيل في: الانصاف المسألة ١٢ ص٨٢/١، والتبيين ٢٥٢، وشرح ابن يعيش ٧٧/١، وشرح الرضي ٧٧/١، وائتلاف النصرة ١١٢
(١٩٦) التهذيب ٢١٢
(١٩٧) التهذيب ٨٩
(١٩٨) المغني ٣٩٠، والهمع ٢٦٣/٥، ٢٦٤
(١٩٩) مدرسة الكوفة ٢٨٤، ٢٨٥، وينظر الهمع ١٠٨/٤ ومابعدها.
(٢٠٠) مقدمة الدكتور شوقي ضيف لكتاب الايضاح في علل النحو(ب)
(٢٠١) التهذيب ٧
(٢٠٢) شرح المقدمة المحسبة ١٦٣/١ ومابعدها
(٢٠٣) شرح الكافية ٣٠/٢
(٢٠٤) الهمع ٥١/١
(٢٠٥) التهذيب ٦٢
(٢٠٦) المرتجل ١٢٤ - ١٢٥
(٢٠٧) شرح الوافية ٥٥٥/٢، وشرح ابن يعيش ٨٩/٧، وشرح الرضي ٢٩٠/٢

(٢٠٨) شرح الرضي ٢/٢٠٠
(٢٠٩) التهذيب ١٠٤
(٢١٠) المرتجل ١٩٤
وللتفصيل ينظر: شرح الكافية الشافية ٣/١٣١٨، والمغني ٧٤٢، وشرح التصريح ٢/١٧٥
(٢١١) التهذيب ٧
(٢١٢) أسرار العربية ٢٢٠، وشرح ابن يعيش ٢/
(٢١٣) التهذيب ١٦٦
(١٢٤) الايضاح في علل النحو ١٢٤ بتصرف
(١١٥) اسرار العربية ٤٩
(١٢٦) التهذيب ٢
(١٢٧) التبصرة والتذكرة ١/٧٥
(١٢٨) المفصل ٥
(٢١٩) المرتجل ٥
(٢٢٠) شرح ابن يعيش ١/٢٠
(٢٢١) الكافية ٥٩ ونقله الجرجاني في التعريفات ١٨٥
(٢٢٢) الألفية البيت ٨ والتسهيل ٢
(٢٢٣) التهذيب ١٠
(٢٢٤) الايضاح ٥٢-٥٣
(٢٢٥) الصاحبي ٩٣-٩٤
(٢٢٦) شرح المقدمة المحسبة ١/١٩٣
(٢٢٧) أسرار العربية ١١، والكافية ١٨٩
(٢٢٨) أسرار العربية ١١
(٢١٩) ينظر: التبيين ١٢٩، وشرح ابن يعيش ٢/٧، وشرح الرضي ٢/٢٢٢
(٢٣٠) التهذيب ٩٨
(٢٣١) المفصل ٦٠
(٢٣٢) الكافية ١٠١
(٢٣٢) التهذيب ١٤٣
(٢٣٤) المرتجل ٣٦٠
(٢٣٥) التعريفات ٢٨
(٢٣٦) التهذيب ١١١
(٢٣٧) التبصرة والتذكرة ١/٢٦٥
(٢٣٨) التعريفات ٦٢
(٢٣٩) التهذيب ١١٥
(٢٤٠) المرتجل ١٦٠م، وينظر: شرح المقدمة المحسبة ٢/٢١٠، والتعريفات ٨١
(٢٤١) التهذيب ١٥٢
(٢٤٢) التعريفات ١٢٥
(٢٤٣) التهذيب ٨٧
(٢٤٤) الايضاح العضدي ٢٨٥، واللمع ١٧٧، والتبصرة ١٢١
(٢٤٥) التسهيل ١٧٤
(٢٤٦) شرح الجمل لابن عصفور ١/٢٢٢
(٢٤٧) الملخص ١/٥٧٠
(٢٤٨) لباب الإعراب ٣٩٦
(٢٤٩) التعريفات ١٥١
(٢٥٠) التهذيب ٢٥
(٢٥١) تنظر التفاصيل في: شرح المقدمة المحسبة ١/٢٢٦ ومابعدها، والكافية ٢٢٠، وشرح الرضي ٢/٢٤٩، والجنى الداني ٤٠٤، والمغني ٥٩، والهمع ٢/١٦٩ وغيرها
(٢٥٢) التهذيب ٢٩
(٢٥٢) ص٤٨
(٢٥٤) ص٥٨
(٢٥٥) ينظر: اللمع ١١١، وشرح اللمع لابن برهان ١/٣٦، والكافية ٧٦، وشرحها لابن الحاجب ٢٤، وشرح الرضي ١/٩٢-٩٣، وتوضيح المقاصد ١/٢٨٠، والهمع ٢/٢١
(٢٥٦) اللمع ١١٣ وينظر شرحها لابن برهان ٣٦ ومابعدها.
(٢٥٧) الهمع ٢/٣٢
(٢٥٨) التهذيب ١٠٢
(٢٥٩) الكتاب ١/٢٠٢، وينظر أيضا: المرتجل ١٨٥، والمفصل ٢/٦٤٩، وشرح ابن يعيش ٢/٥٢، وتوضيح المقاصد ٢/٩٩
(٢٦٠) التهذيب ١٢٥
(٢٦١) التهذيب ١٧٤
(٢٦٢) للتفصيل ينظر: التبصرة والتذكرة ٢/٥٦٨، والمرتجل ٨٥، وشرح ابن يعيش ١/٥٩، وشرح الرضي ١/٢٩، وشرح التصريح ٢/٢١٠
(٢٦٣) التبصرة والتذكرة ٢/٥٦٩
(٢٦٤) المفصل ١٦

فهرست المصادر والمراجع

١. ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف الشرجي الزبيدي تحقيق د. طارق الجنابي، عالم الكتب ومكتبة النهضة ١٩٨٧م.
٢. أئمة اليمن، المؤرخ محمد زبارة، المطبعة الناصرية تعز اليمن.
٣. أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقي دمشق ١٩٥٧م.
٤. الاصول في النحو، ابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥م.
٥. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، مطبعة العاني.
٦. الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د. عبد المجيد من منشورات مركز البحث العلمي واحياء التراث، ١٩٨٠.
٧. إملاء ما من به الرحمن، أبو البقاء العكبري، التصحيح ابراهيم عطوة عوض، مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٩م.
٨. الانصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤ مطبعة السعادة ١٩٥٦م.
٩. الايضاح العضدي، أبو علي، تحقيق حسن الشاذلي فرهود، دار التاليف بمصر ١٩٦٩م.
١٠. الايضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس ١٩٧٩م.
١١. البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، طبعة مصورة، دار الفكر

١٩٧٨م.

١٢. البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، جـ١ ١٩٦٩م جـ٢ ١٩٧٠م.

١٣. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، الجزء الخامس، ترجمة د. رمضان عبد التواب دار المعارف بمصر ١٩٧٥.

١٤. التبصرة والتذكرة، الصيمري، تحقيق د. فتحي أحمد مصطفى، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بمكة المكرمة ١٩٨٢م.

١٥. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبو البقاء العكبري، تحقيق د. عبد الرحمن سليمان العثيمين، دار الغرب الاسلامي بيروت ١٩٨٦م

١٦. التتمة في النحو، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. طارق نجم عبد الله، المكتبة الفيصلية مكة المكرمة ١٩٨٤م.

١٧. تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلم الشنتمري، مطبوع على هامش من كتاب سيبويه طبعة بولاق ١٣١٧هـ.

١٨. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

١٩. التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م.

٢٠. التفاحة في النحو، أبو جعفر النحاس، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة العاني بغداد ١٩٦٥م.

٢١. توضيح المقاصد والمسالك، المرادي، تحقيق د. عبد الرحمن علي سليمان، ط٢ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٢٢. جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، دار الفكر ١٩٨٤م

٢٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، طبعة مصورة.

٢٤. الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٢م

٢٥. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ١٩٧٧م

٢٦. الحجة للقراء السبعة، أبو علي، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث.

٢٧. حروف المعاني والصفات، الزجاجي، تحقيق د. حسن الشاذلي فرهود، دار العلوم الرياض ١٩٨٢م.

٢٨. حكام اليمن المؤلفون المجتهدون، عبد الله محمد الحبشي، دار القرآن الكريم بيروت ١٩٧٩م

٢٩. خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

٣٠. الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، مصورة عالم الكتب ١٩٨٣م.

٣١. الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٦م

٣٢. دراسة اللهجات العربية القديمة، د. داود سلوم، عالم الكتب ١٩٨٦م

٣٣. ديوان الفرزدق، طبعة دار صادر.

٣٤. الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام ١٩٧٩م.

٣٥. رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٥م.

٣٦. السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف بمصر.

٣٧. سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم دمشق ١٩٨٥م

٣٨. شرح أسماء الله الحسنى، الرازي، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٨٠م.

٣٩. شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري، طبعة عيسى البابي الحلبي.

٤٠. شرح الجمل، ابن عصفور، تحقيق د. صاحب أبو جناح، جـ١ بغداد ١٩٨٠م، جـ٢ ١٩٨٢م.

٤١. شرح الشافية، الرضي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥م.

٤٢. شرح شواهد الشافية، البغدادي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥م

٤٣. شرح الشواهد الكبرى، العيني، مطبوع على هامش خزانة الأدب بولاق المصورة.

٤٤. شرح الكافية، ابن الحاجب، استانبول ١٣١١هـ

٤٥. شرح الكافية، الرضي، اوفسيت دار الكتب العلمية بيروت.

٤٦. شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق د. أحمد هريدي، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي مكة المكرمة.

٤٧. شرح كتاب سيبويه، السيرافي، تحقيق د. رمضان عبد التواب ود. محمود فهمي حجازي ود. محمد هاشم عبد الدائم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م

٤٨. شرح اللمع، ابن هارون العكبري، تحقيق د. فائز فارس، ط١ الكويت ١٩٨٤م.

٤٩. شرح المفصل، ابن يعيش، مصورة عالم الكتب، بيروت.

٥٠. شرح المقدمة المحسبة، ابن بابشاذ، تحقيق خالد عبد الكريم، الكويت ١٩٧٦م.

٥١. شرح الوافية في نظم الكافية، ابن الحاجب، تحقيق طارق نجم عبد الله، رسالة ماجستير كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

٥٢. شواذ القراءات، ابن خالويه، (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع) عني بنشره ج. برجستراسر. المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م.

٥٣. الصاحبي، ابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٥٤. ضرائر الشعر، ابن عصفور، تحقيق السيد ابراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٢م.

٥٥. ضرورة الشعر، أبو سعيد السيرافي، تحقيق د. رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥م

٥٦. الطبقات في ذكر فضل العلماء، يحيى بن الحسين بن القاسم، مخطوطة المكتبة المركزية صنعاء.

٥٧. الغاية في القراءات العشر، ابن مهران، تحقيق محمد غياث الجنباز، ط١ الرياض ١٩٨٥م.

٥٨. غريب الحديث، ابن الجوزي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥م.

٥٩. غريب الحديث، ابو عبيد القاسم بن سلام، طبعة مصورة عن دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند ١٩٧٦م.

٦٠. الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر ١٩٧٩م.

٦١. فاتحة الإعراب، الاسفراييني، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن، من منشورات جامعة اليرموك، ١٩٨١م.

٦٢. الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣م.

٦٣. فهرس مخطوطات مكتبة الجامع الكبير صنعاء، إعداد أحمد عبد الرزاق الرقيمي والحبشي والأنسي، من منشورات وزارة الاوقاف والارشاد الجمهورية العربية اليمنية ١٩٨٤م.

٦٤. الكافية في النحو، ابن الحاجب، تحقيق د. طارق نجم عبد الله، دار الوفاء، جدة ١٩٨٦م

٦٥. الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية

العامة للكتاب.

٦٦ـ لباب الإعراب، الاسفرايني، تحقيق بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن، دار الرفاعي الرياض ١٩٨٤م

٦٧ـ لسان العرب، ابن منظور.

٦٨ـ اللمع، ابن جني، تحقيق د. حسن محمد محمد شرف، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٩م

٦٩ـ اللهجات العربية في التراث، د. احمد عالم الدين الجندي، القسم الثاني، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م

٧٠ـ مجالس العلماء، الزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي ١٩٨٣م

٧١ـ مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ١٩٧٢م.

٧٢ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة جـ١ ١٣٨٦هـ جـ٢ ١٣٨٩هـ

٧٣ـ المحصل في شرح المفصل، الأندلسي، رسالة دكتوراه مقدمة من عبد الباقي عبد السلام الخزرجي، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

٧٤ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٦م

٧٥ـ المرتجل، ابن الخشاب، تحقيق علي حيدر، دمشق ١٩٧٢م

٧٦ـ مسائل خلافية في النحو، أبو البقاء العكبري، تحقيق د. محمد خير الحلواني، دار المأمون، دمشق.

٧٧ـ المساعد في تسهيل الفوائد، ابن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات، من منشورات مركز البحث العلمي مكة المكرمة.

٧٨ـ المستطاب في تاريخ علماء الزيدية الأطياب، يحيى بن الحسين، مصورة على المايكروفلم، المكتبة المركزية جامعة صنعاء.

٧٩ـ المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧

٨٠ـ المستوفى في البيان في اعراب القرآن، ابن يعيش الصنعاني، مخطوطة المتحف البريطاني ١١٢، ١١٤.

٨١ـ مشكل إعراب القران، مكي بن أبي طالب، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، وزارة الأعلام العراقية، دار الحرية ١٩٧٥م

٨٢ـ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات اليمنية صنعاء.

٨٣ـ معاني القران وإعرابه، الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨

٨٤ـ معاني القرآن، الفراء، عالم الكتب بيروت ١٩٨٢م

٨٥ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٦ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت ١٩٧٩م

٨٧ـ المفصل في علم العربية، الزمخشري، دار الجيل، بيروت

٨٨ـ المفصل في شرح المفصل، علم الدين السخاوي، رسالة دكتوراه مقدمة من عبد الكريم جواد كاظم، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

٨٩ـ المقتضب، المبرد، تحقيق الشيخ عبد الخالق عضيمة، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية الاولى والثانية، القاهرة.

٩٠ـ المقتطف من تاريخ اليمن، القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني، بيروت ١٩٨٧م

٩١ـ الملخص في ضبط قوانين العربية، ابن أبي الربيع، تحقيق د. علي بن سلطان الحكمي، ط١ ١٩٨٥

٩٢ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر ١٩٧٩م

٩٣ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم دار البحوث العلمية، الكويت.

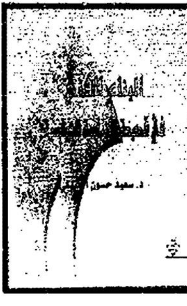

صدر حديثا عن دار الشؤون الثقافية العامة

ديوان ابن وفاء الشاذلي

.القسم الاول.

دراسة وتحقيق:
د/عبد الحسن خضير عبيد المحياوي

ترجمة صاحب الديوان..

هو محمد بن وفا الشاذلي[1] وقد ذكره ابن حجر العسقلاني باسم (محمد بن وفاء الشاذلي)[2] بالهمز، وقال في ترجمة وفيات سنة ٧٦٥هـ التي اتفق فيها مع ابن حجر في سنة الوفاة[3] "وفيها العارف بالله المحقق محمد بن محمد المعروف بسيدي محمد وفا والد بني وفا المشهورين، الاسكندري الأصل المالكي المذهب الشاذلي طريقة. ولد بثغر الإسكندرية سنة اثنتين وسبعمائة، ونشأ بها وسلك طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وتخرج على يد الأستاذ ابن باخل ثم رحل الى أخميم وتزوج بها واشتهر هناك، وصار له سمعة ومريدون وأتباع كثيرة ثم قدم مصر وسكن الروضة على شاطئ النيل وحصل له قبول من أعيان الدولة وغيرهم، وكان له فضيلة ومشاركة حسنة ونظم ونثر ومعرفة بالأدب وكثر أصحابه وصاروا يبالغون في تعظيمه .كان لوعظه تأثير في القلوب. ثم سكن القاهرة ولم يزل أمره يشتهر وذكره ينتشر مع جميل الطريقة وحسن السيرة الى ان توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الآخر ودفن بالقرافة وقبره مشهور يزار"[4] . "لقد نقل السخاوي اتهام شيخه للشاعر محمد بن وفا بأنه ينعق بالاتحاد والمفضي الى الإلحاد، كما اتهم ابنه بذلك"[5] وهو امر لا يبدو دقيقا لمن يستقرئ الديوان ويغوص في معانيه.

وصف مخطوط الديوان والعمل في التحقيق:-

لديوان ابن وفا مخطوطتان في دار المخطوطات، الأولى تحمل الرقم ٢٧٩٦/١ وعدد صفحاتها اثنتان وستون صفحة، وهي في الوقت نفسه تضم ديوان ابن وفا (الابن) المتوفى سنة ٨٠٧هـ الذي نأمل تحقيقه فيما بعد. والديوانان مخطوطان بخط النسخ الجميل على الرغم من بعض السقطات التي حصلت من قبل الناسخ وهي قليلة جداً تضم كل ورقة من هذه المخطوطة تسعة عشر سطراً قياس 5,٢٠سم×١٥سم.

اما المخطوطة الأخرى فهي مخطوطة شبه تالفة ضمت الجزء الثاني من هذا الديوان، وتحمل الرقم ١٢٠٦٠م وعدد صفحاتها ست وخمسون صفحة، في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً، قياس ٢٠ سم×١٥ سم ولم نوفق الى تصويرها كما أشرنا سابقا، ولكننا استطعنا نقل وقراءة القصائد الموجودة فيها من نقص أو خرم أو سقط، واستبعدنا الأبيات التي سقط شطر منها وبقي شطر وذلك لوجود خرم او سقط في هذه الأشطر يخل بالمعنى، واكتفينا بالإشارة اليها.

ثم اننا قد اشرنا الى الوقفات العروضية في بعض القصائد وكيفية استقامة البيت الشعري. ولجوء الشاعر في بعض الأحيان الى استعمال العلل العروضية القبيحة، أو استعمال أضرب متعددة لبحر واحد في قصيدة واحدة. كما أشرنا الى الاخطاء النحوية وتجاوزنا عن الاخطاء الإملائية بكتابة الصواب بدلها. زيادة على بيان بعض الاستعمالات العامية التي مال اليها الشاعر.

ومن خلال ترجمة حياة الابن علمنا ان الشاعر (الأب) كان ينظم باللهجة العامية تلاحين كثيرة، لذلك رجح لدينا ان ناسخ هذا الديوان قد استبعد هذه المنظومات العامية واقتصر على ما هو فصيح مع وجود قصائد معدودة اختار الشاعر فيها مفردات عامية أشرنا اليها في موضعها.

والله الموفق للصواب.

شعر ابن وفا

ليس من اليسير هنا القيام بدراسة متكاملة لديوان هذا الشاعر الذي ضمّ أكثر من ألف وخمسمائة بيت من الشعر الصوفي الذي يمجد الذات الالهية بمعجم لغوي ثر ولغة بديعة على ما فيها من هنات وسقطات في بعض قصائدها.

وهذه دعوة خالصة لدراسة هذا الديوان دراسة مستقلة تكشف عما فيها من صور بلاغية وتراكيب جزلة، ومشاعر فياضة زيادة على الصدق الفني في صياغة قصائده وقد ارتأينا في هذا المجال ان نتناول جانبين يتعلقان بشعره، الأول تمهيد أدبي يبرز ملامح من الجوانب المؤثرة في شعره، والآخر يتناول بعض الظواهر اللغوية التي يمكن ملاحظتها في بعض

قصائده.

أولاً تمهيد:-

يعدُّ الأدب "التعبير الصادق عن مشاعر المرء وخواطره وأخيلته"[٦] وهو "كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته احساسات جمالية أو انفعالات عاطفية أو هما معاً"[٧]. ومن يستقرئ شعر ابن وفا بعمق يتلمس بوضوح هاتين الصفتين، فتمثل قوله:-

يا للرجال قتيلٌ ما له قَوَدُ
فهل يراعى لهُ في حيكم نسبُ
يا فتية الحيّ غوثاً من فتاتكمُ
كم فتنت قلبَ صبٍّ شفّهُ الوصبُ
حياة أرواحنا من ظلمها هبةٌ
واللحظ ينهب ظلماً منه ما نَهَبُ

انها صرخة تفجع وذوبان صوفي، لا نداء تقليدي بالمعنى اللغوي. ثم انظر قوله:

[البسيط]

ياربّة الحسن هلاّ رقةً لفتى...
تملّك الرقّ منه الحسنُ والأربُ

فأمعن النظر في قوله (هلا رقة)- فالظاهر منها لغوياً هو التحضيض ولكنها هنا تكشف عن التماس وذلة لحبيب لمحبوبه، وفي هذا المعنى أيضاً يقول:-

وتنافست فيك النفوس صبابةً
فعذابُها في جنب حبّكَ يعذبُ
آهاً لصبٍّ في الصبابة قلبهُ
بين التأسّي والأسى يتقلبُ

"إن مهارة الشاعر لاتظهر في المعاني التي يهدف اليها، ولكن في الصورة التي تخرج منها هذه المعاني"[٨]، وهذه المهارة وهذه الصورة تتوالى في معظم قصائد هذا الديوان، منها قوله:-

[الكامل]

الصبر شهدٌ في شهودكَ ذقتهُ
وعذابُ قلبي فيكَ عذبٌ باردُ
أنزلتَ بي ذلَّ الغرام فلذّ لي
إذ أنتَ في أوج التعززِ صاعدُ

وقوله:

[الطويل]

أرى دمعيَ القاني وأسودَ ناظري
بخدّيه خالاً في احمرار احتشامه
متى أنكرتْ عيناهُ قتل محبّه
ففي وجنتيه شاهدٌ بالمدامه

ولا يخفى ما في هذين البيتين المختارين من فنون بلاغية كالاستعارة والتشبيه وغيرهما. وأما في التراكيب الشعرية من جزالة فيشهد لها مطالع القصائد الملحقة بهذا الديوان. لقد مال الشاعر إلى البحور الشعرية القوية الجزلة ذات الايقاع المؤثر، فكان للبحر الكامل فالطويل فالبسيط النصيب الأوفر. يليه الوافر والخفيف والرمل والرجز. ثم المجتث فالمتقارب فمخلع البسيط، ذ شكلت البحور الثلاثة الأولى ما نسبته ٧٩٪ من قصائد الديوان.

ثانياً: ظواهر لغوية في شعر ابن وفا

(١) المستوى الصوتي:- سنتناول في هذا المستوى أمرين: الأول: التنافر الصوتي، والآخر: اللغات (اللهجات) وفي ضمنها الإبدال الصوتي.

(٢) التنافر الصوتي:- يشكل التلاؤم الصوتي بين الالفاظ ضرباً من التناغم احسّه القدماء في بحثهم لتركيب الحروف، فميزوا ما يتألف منها وما يتنافر[٩]. قال ابن دريد: "اعلم ان الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت... وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف"[١٠]. ومن شأن المتكلم الميل الى المفردة المأنوسة الأصوات الخفيفة النطق السريعة انسياب لا التي تظهر فيها المعاظلة والكد، ومن هذه الانسيابية والمفردات المأنوسة قول ابن وفا في إحدى قصائده:-

[الوافر]

توجّهَ نحوكم سرّي وجهري
وجئتُ حماكمُ أسعى وأسري
وألقيتُ الفؤاد لكم جميعاً
ففيه العشق فيكم لستُ أدري
وقفتُ ببابكم عبداً فقيراً
أرجّي فضلكم لغناء فقري
فمنّوا سادتي كرماً وجوداً
فحسنُ صنيعكم كنزي وذخري

....الخ. وهذا لايعني عدم وجود تراكيب يظهر فيها التعقيد والتنافر الصوتي مما يدخلها في باب "التعاظل اللفظي بسبب الحروف، وهو تكرير حرف واحد أو حرفين في كل لفظة من الفاظ الكلام المنثور أو المنظوم فيثقل حينئذ النطق به، من ذلك قول الحريري في مقاماته:

[السريع].

وازورّ من كان له زائراً
وعاف عافي العرف عرفانَهُ

فقوله: (وعاف عافي) من التكرير المعاظل"[] وهذا يعني طأن اللفظة بمفردها لا تحبّ ولا تستكرد، وبعبارة أخرى لاتحسن ولا تقبح، وانما مكانها من العبارة ومدى انسجامها مع بقية الألفاظ هو الذي يحدد هذا الحسن أو القبح"[].

وهنا نقف مع نماذج مختارة يظهر فيها التعاظل اللفظي بسبب تكرار الحروف، قال ابن وفا

[الكامل]

فأراح في الروحاء راحلة السرى

وأباحها مرحاً بكلّ مراح

ثم يقول:-

[الكامل]

ونعرّفت من عُرفكم بتعارف

وعوارفٍ من فيض فضل هباته

وقوله ايضاً:-

[الطويل]

وإن جاء بالمعنى اللطيف محدّثٌ

وأعنى ممن أعنى فعنها بها أعنى

ونماذج أخرى يمكن الرجوع إليها في تضاعيف هذا الديوان.

(ب) اللغات (اللهجات):- يقول الدكتور رمضان عبد التواب: "وليس الحذف هو السبيل الوحيد للفرار من كراهة توالي الأمثال في العربية، بل هناك طريق آخر هو قلب احد الصوتين التماثلين صوتاً آخر يغلب أن يكون من الأصوات المتوسطة المائعة، أو من اصوات العلة وهو مايسمى بالمخالفة الصوتية. Dissimilation [13] يقول ابن وفاء:

[الكامل]

املل بلا مللٍ عليّ فإنّ في

إملاء ما تُملي لنا المأمولا

[البسيط]

ثم يقول:-

تمكّن الحبُّ منّي كيف أخفيه

والدمعُ يكتب والآماقُ تمليه

إن أصل الفعل (أملى) هو (أملل) وقد جرى فيه إبدال اللام بالياء وهو حرف علة ومد، قال الخليل "الإملاء هو الإملال على الكاتب"[] "وأمليت الكتاب لغة في أمللت"[] "وأمليت الكتاب أمليه إملاء أملّ إملالاً لغتان جيدتان جاء بهما القرآن، قال الله تعالى: "اكتتبها فهي تملى عليه"[] فهذا من أمليت، وقال الله عز وجل" فليملل وليه بالعدل"[] فهذا من أمللت"[].

ويقول ابن جني في التفريق بين هاتين الصيغتين: "ومن ذلك استثقالهم المثلين في نحو أمليت وأصلها أمللت"[] و"أما أمليت فلا إنكار لتخفيفه بإبداله"[]، "وأما القبيلة التي تتكلم باللهجة (أمليت) فهي تميم وقيس وأما (أمللت) فهي لهجة أهل الحجاز وبني أسد"[]. قال الشاعر[]

[الرجز]

مازال يُملي الملوان نصرهُ

وسيفه يخطّ ما يُملي الملا

[المتقارب]

وقال آخر[]:

كتبت إليك بماء الجفون

وقلبي بماء الهوى مُشرب

فكفّي تخطّ وقلبي يملُّ

وعيناي تمحو الذي أكتبُ

فليس يتمّ كتابي إليك

لشرقي فمن ها هنا أعجب

ومن صور اللهجات أيضا إبدال اللام نوناً، يقول ابن وفا:

[الرجز]

عارضي في عارضيه ساحرٌ

هاروتهُ يسطو على جبرينه

فأبدل اللام نوناً في (جبريل)، و" جبرئيل اسم يقال هو جبر أضيف اليه إيل، وفيه لغات: جبرئيل بوزن جبرعيل يهمز ولا يهمز. وجبرئل بوزن جبرعلن وجبريل بفتح الجيم وكسرها".[] وعلى لغة (أكلوني البراغيث).

يقول ابن وفا:

[الوافر]

يقولون العواذلُ كيف تغنى

وفي فيه رحيقٌ سلسبيلُ

وقد أشار ابن هشام الى هذه اللغة فقال" أكلوني البراغيث" مثل واو علامة المذكورين في لغة طيئ أو أزد شنوءة أو بلحارث ومنه الحديث" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"[].

(٢) المستوى الصرفي:-

وسنتناول في مفردتين، الأولى تصغير (أفعل) التعجب، والأخرى مصدر من المصادر الشاذة النادرة هو (وجهة) بإثبات الواو.

(أ) تصغير (أفعل) التعجب:-

يقول ابن وفا وقد صغّر مفردة (أملح وأحلى):

[البسيط]

فما أُمليسحَ حسن زانسة خَفَر
وما أُحيلى رضابـــا مزجهُ شنـب

"ذهب الكوفيون إلى أن أفعل في التعجب اسم لأنه لم يتصرف ولأنه يدخله التصغير وهو من خصائص الأسماء، قال الشاعر:

[البسيط]

ياما أميلـحَ غزلانـاً شدنَّ لنا
مـن هاؤليائكـنَّ الضـال والسَّمـر

وأما التصغير في (ما أمليح) فقـال الخليل رحمه الله: إنما يعنون به الموصوف بالملح كأنه قيل: زيد مليح شبهوه بالشيء الذي يلفظ به والمراد غيره كقولك بنو فلان يطؤهم الطريق وتفيد عليه يومان ولأنه أشبه السماء بلزومه طريقة واحدة فأعطيت بعض أحكامه، وحمل الشيء على الشيء في بعض أحـكامه لا يخرجه عن حـالته. والله أعلم"[٢٤] وجوز ما احيلاه[٢٥]

(ب) المصدر (وجهة):

وهذا المصدر من المصادر المسموعة التي وسمت بالشذوذ والندرة، إذ المعروف في المصادر التي تكون فاء الفعل فيها واواً تحذف من المصدر إذا حذفت من الفعل المضارع كوثق يثق ثقة، ووسم يسم سمة ووهب يهب هبة وأشباه ذلك[٢٦] .يقول ابن وفا:

[الطويل]

وخصّصنا منهُ بروحٍ وفانه
فلا أحـــــدٌ إلاّ وو جهتهُ لنا

ثم يقول:

[الكامل]

يا قبلتي . بأر جهتي يا سائلي
يا موجدي حـ ... قاً وغاية مطلبي

ثم يقول:

[الطويل]

فـصرتُ إذا وجّهـتُ لـوجهة
ــ ــ وجدتكمُ فيهما أمـامَ أمامـي

وقـد ورد هذا المصدر في قـوله تعالى: (ولكل وجهة هو موليها)[٢٧]. وفيه يقول الجامع النحوي: "ووجهة شاذة في بابها. وذلك لأنك تقول وعد عدة، ووصل صلة، ووزن زنة، وفرق فرقة، فتحذف الواو وها هنا لم يحذفوها وقالوا وجهة والقياس جهة كصلة وعدة"[٢٨] فقد جاء بها ابن وفا شاذة وقياسية.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي بـنعمته تتم الصالحات. قـال ... رضي الله عنه:

[البسيط]

هـــذا هـــو الحقُ يُدنينا ويقربنا
يبدو وما دونه ستر ولا حجب
دع ما عداه وعـــذ منه إليـــه ...
وغب ... اجلالا ...
جرّد وجودك عن ...
والأدب ...
واخلع بناديك إن نوديت ...
على ...

مصور الصفحة الأخيرة من ديوان ابن وفا الشاذلي (الاب)
وفي قبالتها الصفحة الاولى من ديوان ابن وفا الشاذلي الابن

هذه صورة الغلاف الداخلي لديوان ابن وفا الشاذلي
وفيه الاسم الصحيح(ابن وفا الاب) وليس ابن وفاء.(المحقق)

تُرى بما طُويت تلك الأوطار قد طويت
في نشر [illegible] ما طوى [illegible] الكتبُ
فـ[illegible] منك العصا بالترك تلقى بها
تلقف الإفكَ من سحر له رَهَبُ
غُضّ [illegible] ما ترى الأشياء فيسألُ كما
تراكَ في كُلِّ شيءٍ يسألُهُ عجبُ
لقدّك [illegible] وردائه زانه صلفٌ
إذا بدتْ منكَ قال البدرُ أحتجبُ
حياة في تفاصيل وفي جُمَلٍ
لها الجمالُ إذا ما عزّ ينتسبُ
روحٌ تمثّلُها في شكل غانية
غلتْ فلا [illegible] نفيس النفس تكتسبُ
مُهَفْهَفٌ فإنها عدلٌ إذا خطرتْ
تمايلتْ نحوها الأغصانُ والقُضُبُ
فما أُميلحَ حُسنٍ زانه خفرٌ
وما أُحيلى رُضابًا [illegible] شنبُ
خديجة السرُّ في بسط مركّبة
من كُلِّ معنًى إذا حلّلته عجبُ
فيها تجمعت الأضدادُ معجزةً
عربيةٌ دانت لها الأعجامُ والعربُ
حسناءُ من أبرزتْ فيه محاسنها
بنفسه في سبيل الحبِّ محتسبُ
غزالةٌ تتركُ الآسادَ في رهبٍ
ويُنجِهم من [illegible] الأعين [illegible]
قُلدتْ [illegible] دون [illegible]
وما لقتلى [illegible] حتى لها سببُ
يا للرجال قتيلٌ ما له قَوَدُ
فهل يُراعى له في حيّكم حسبُ
يا فتية الحيِّ شوقًا من فتاتكمُ
كم فتنتْ قلب صبٍّ شفّه الوصبُ
[illegible] أرواحنا من ظلمها [illegible]
واللحظ [illegible] منه [illegible]
ظبيةٌ ضمنت إحياء ما قتلت
مظلّة [illegible]
فيها تجمعت الأهواء وافترقتْ
[illegible] ولها من فوقها رُتَبُ
سما بها في سماء العز غرفتها
مرمى رُوَتْ كُلّ فكر دونه شهبُ
يا عزّة العزّ يا جُمْلَ الجمال ويا
لُبنى المليحات يا عرباء يا عُرُبُ
يا ربّة الحُسن عبدٌ ما له أضربُ
فيما سواكِ صدوقٌ ما به ريبُ
يا خاطبَ الحُسن هل صبًّا صبابتهُ
لها على كُلّ خطبٍ في الهوى خطبُ ما
يستريح فؤادُ صبٍّ من حروب
إلا أتيح له من حسنه خُوَبُ
منيةُ النفس إن وافت منيتُها
والقلبُ ليس له عن ذاك منقلبُ
مُتْ فيه إن شئت أن تحيا وافْنَ به
وخذْ وجودك جدًّا ما به لعبُ
فإن فنيت بقيت الدهر في دَعَةٍ
إليكَ بالقصد حذقًا ينتهي الطلبُ
وتنجلي فيك أقمار لها شرفٌ
من الجمال تجلّت دونها السحبُ
ففيك للعين حُسنٌ رائقٌ بَهِجٌ
وعندك للسمع قولٌ طيبٌ طَرِبُ
وقال رضي الله تعالى عنه:
[الكامل]
كلّ القلوب لطيب وصلك تطلبُ
والحسن وجهك كلّ عين ترقبُ
[illegible]
فلكلّ سمع منك قولٌ مطربُ
ولكلّ معنًى منك فهمٌ ذائقٌ
ولكلّ ذوقٍ منك شربٌ طيّبُ
راحت بك الأرواحُ ليكَ وفارقت
تركيبها ولها اللطائف مركبُ
عَقَلَ العقولَ هواكَ حتى أُطلقت
فمتى لغيرك في وجودك مذهبُ
وتنافست فيك النفوسُ صبابةً
فعذابها في جنب حبّك يعذبُ
[illegible] في الصبابة فلسفة
بين التأني والأسى يتقلّبُ

صبٌّ لما يخشى النصوح هوانه
ولكلّ ما نرجو العذول مرغب
يهوى الهوان على الهوى مستهزئاً
فيه عليه كلما تستصعب
صدق الغرام فصبره وسلوّه
خواناه هذا وهذا يكذب
ذهب الوجود بوجده ووجوده
فلنه ذهاب النفس فيه مذهب
عذلَ العذول ولام فيمن حبّه
كلّ الخطوب لكلّ خطب يخطب
لا تعذلنّ الصبّ فيه فعذله
فيه عليه للصبابة يوجب
ولعلّ واجب عشقه من تقلّبه
للسوم في حكمه الأحبة يندب
دعْ من عتابك لينة قبل الهوى
هيهات ما بعد الهوى مستعتب
يا ساكناً في القلب ينعم وهو من
هجرانه في خافق عليه معذّب
هلا ترق لمن رق حبك حسب من
أضحى على إحسان حسنك يحسب [٢٦]
فعل تعتي منه ما أبقى السقى
مستسب يعلته لديك مسيّب
جهد الصبابة في أقبية ما أرى
نفس تذوب أسى ودمع يسكب [٢٧]
يا غصن بان شعره وجبينه
شمس الضحى هذا وهذا غيهب
نار بخديه بردها وسلامها
لهب عليه بسمة الخشب بلهب
ظبي حما باللحظ ظلماً ظلمه
وبه لما نهب المراشف يهب
كم ذا أذوق مرارة فيه ولي
فيه لمى حلو المراشف أشنب
إن لاح برق من ثنايا ثغره
فعقيق دمع الصبّ فيه صيّب
خلع الجمال عليه خلعة حسنه
ولها جلالته طراز مذهب
يسري بأسرار النهى فكأنه
لطفاً مع الروح البسيط مركب

لا ينتهي فيه التنائي نسيانه
إن شاء سماه يحبّ عنه أو لا يحبّ

وقال رضي الله تعالى عنه:-- [البسيط]

كلٌّ له سبب لكنّ من سببي
محو الوجود وكشف السّتر من حجب
لي همة عن سراب الوهم سارية
ومركب الصدق في قصدي وفي طلبي
ما زلت أرقى مراقي العزم مجتهداً
حتى نجوت من فلات العرق والنسب
ثم انتهيت ثم من فني ومن نسبي
وثم لي ثم ما أثبت من قرب
ثم انطوى نشر بسطي فيه منقبضاً
عن بسطة النفس لا عن خيبة الرتب
كما بدأنا أعدنا حكمة لأب
لا حكم أين ذا عن وصفه الرتب
اسمع بحقك روح الأمر عن ثقة
عن خبرة النسل لا عن مخبر الكتب
رواة ذو العلم عن عين اليقين كما
شهدنا من الأفق الأعلى بلا كذب
نمتز لا من محبوبات إلى أفق
دان من المقعد الأسمى من الرتب
ما فات ناظر وجهي حسن طلعته
ولا سماع خطابي لذة الطرب
فكلّ من قالت حسن معنى بنا
فلا انفصام لها عن عصمة النسب
أنا ابن عباد عليهم بل إمامهم
وفيهم نعم إلى فيه غاية الأرب

وقال رضي الله تعالى عنه:--

[البسيط]

تمل العذار سعى في الخد مرتشفاً
شهد المراشف بين الدرّ في الفلج
لمخافة من وخل في محاسنه فلوى
لمّا كتب على الكافور منعوج
آثاره كتبت لينا مسانرة
لما وشى مشيه وشياً على الطرج
كأنه في لجين حول عسجده
رقم على صفحة الياقوت بالسبج [٢٧]

في وردهِ نقطةٌ سوداءُ مُعنبرةٌ
في آسه مسكةٌ مغبوقةُ الأرَجِ

كأنّما عارضاهُ من لواحظه
حمائلٌ قُلِّدت سيفاً من الدَّعجِ[39]

نبتٌ من الآس في جنّات وجنته
قد أنبتَ الياسَ في نارٍ على المُهَجِ

وقال رضيَ الله تعالى عنه:-

[البسيط]

من طرّزَ الخدَّ بالريحان والضرّجِ
وزيّن الطّرفَ بالتلوين والدّعجِ

واظهرَ الصبّحَ في الليل البهيم ضُحىً
وأطلعَ البدرَ في داجٍ من السُّبجِ

واستخرجَ القرقفَ السلسالَ من بَرَدٍ
وقد حماهُ ببيض الأسود الغنجِ[39]

إذا شكا لحظهُ رقّتْ مراشفهُ
بريقه ارقُ من الغنج والفَلَجِ

ربُّ الجمال تجلّى في جلالته
فأرسلَ الوجهَ بالأهواء للمُهَجِ

وقال رضيَ الله تعالى عنه:-

[الطويل]

سقامي روى انّ الغرامَ صحيحُ
وانَّ فؤادي كالجفونِ قريحُ

ومالي من الوَجْد المبرح مبرحٌ
ولا زلتُ أغدو في الهوى وأروحُ

كأنّ الهوى وقفٌ عليَّ مخلّدٌ
ولي مدمعٌ يجري عليه سفوحُ

حديثي قديمٌ فيضُ دمعي بسرّه
سموحٌ، ولكنّي عليه شحيحُ

واعربُ قالوا أعجميٌّ بيانُهُ
به، ولسانُ الحال عنه فصيحُ[40]

طريحٌ بباب الحب تعلوهُ زفرةٌ
له زفرةٌ تعلوهُ وهو طريحُ

غريقُ دموعٍ في حريقٍ تلهُّبٍ
يُعلّمُ في الدوحِ الحمامَ ينوحُ

يناجي المنى في دمعِ وجدٍ وجذوة
يضاهيه موسى والخليلُ ونوحُ

يسحُّ دماً يفديكَ بالنفس جفنهُ
كأنَّ بجفنيه الغداةَ ذبيحُ

بكى النومَ يومَ البينِ إنسانُ ناظرٍ
لَميتُ الكرى في مقلتيه ضريحُ

يُشرّحُ خدّيه الدموعُ ومنهما
خطوطٌ لها عند الغرام شروحُ

سقاهُ كؤوسَ الدمعِ في الليلِ طرفُهُ
وما لغبوقِ الدمعِ فيه صبوحُ

تطولُ الليالي، والجفونُ قصيرةٌ
وصبحُ ليالي الهجر ليسَ يلوحُ

حروبُ الهوى ثارتْ عليه قصيرةٌ
صموتٌ، وفرسانُ الغرامِ تصيحُ

يروحُ ويغدو والغرامُ غريمُهُ
يضيقُ عليه الكونُ وهو فسيحُ

إذا لاحَ برقُ الأبرقينِ فطرفُهُ
لبرقِ الثنايا في الظلام طموحُ

عجبتُ لريمٍ رامَ هجري ووكرُهُ
جوانحُ صدري وهو عنهُ جموحُ

مليحٌ رآه البدرُ في ليلِ شعره
لوارى، أحبَّ أن يُقالَ قبيحُ

ولو لا يُغيرُ الشمسَ نورُ وضوحه
لأضحتْ بنورٍ ما عليه وضوحُ

لقد حرّمتْ عيناهُ شهدةَ ثغره
ولكنّها قتلُ المحبِّ تُبيحُ

به حفّتْ في الخلقِ كُلّ مليحةٍ
فهنَّ به قيسُ الهوى وسطيحُ

به الحسنُ للأبصار يشرُ مُخبراً
فبرمُقْهُ للعاشقين مسيحُ

لحظٌ على نهبِ النفوس لحاظهُ
وترنو الى سفكِ الدّما وتسيحُ

كأنَّ المنايا في جفونِ لحاظه
وفي فيه راحٌ للنفوسِ وروحُ

مليحٌ يُعير الحسنَ حسنُ ملاحة
فمن حُسنه حسنُ الملاحِ مليحُ

وقال رضي الله تعالى عنه:-

[الكامل]

قدحت زناد الراح في الأقداح
قبساً فاغنتنا عن المصباح

مصباحُ راحٍ في زجاجة راحةٍ
كالكوكب الدرّيّ في الإصباح

رقّت وقد رقّ الزجاجُ بلطفها
فكأنّها الأرواحُ في الأشباح

دارت على أكياسها كاساتها
بالرَّوح والراحات والأفراح

أنفاسُها تحيي النفوس بروحها
راحٌ رقيها راحةُ الأرواح

مشمولة تسري الشَّمال بنشرها
في طيبة من طيبها الفيّاح

تسري بسرّ السُّكر في أسرارنا
لكنْ يباحُ بها دمُ البوّاح

مُزجتْ فكادت تطيرُ وإنّما
حُبستْ بنسج الدرّ في الأقداح

طافتْ لطائفُها بألطاف الصَّفا
فصفتْ لصبٍّ بالصِّبا مُرتاح

شرِّد بها الكاساتِ مَعْ أكياسها
وذرِ الصَّحاةَ وحُذْ عن النصّاح

واصلْ صبوحك بالغبوق وقُم بنا
قد صاحَ ديكُ صباحنا يا صاح

ودعا لها داعي الفلاحِ فَرحْ لنا
لاحَ الصَّباحُ بنوره الوضّاح

وإذا أبا حكها النديمُ فبحْ بها
مَعْ كلّ بوّاحٍ بها شطّاح

واخلعْ عذارك إنْ تعذّرَ شربُها
مُستغرقاً في سُكرها الفضّاح

عنها يُحدّثنا القديمُ وما جرتْ
بحديثها الأقلامُ في الألواح

لا اختشي ظُلَمَ الفساد فليلُه
قد لاحَ فيه صبحُها بصلاح

أو ثرتْ شمعي باسمها مُتهجداً
ليلاً، فلاحَ مع الصَّباح فلاحي

فاجنحْ لها جناحَ سُكرٍ لـسـها
قصَّ الجناحَ لها بغير جُناح

وإذا أباحَ لدنّها الداني بها
تفضيه ذاتُ مناطقٍ ووشاح

لا يستريحُ من الغدوّ رواحه
قد راحَ في كلّ بشكلِ رواح

حتى رأى بالأبريقين بروقها
لاحتْ فلاحَ فلاحهُ بنجاح

ألقى عصاه وقد عصا فصَحاحهُ
والحمى سلماً بغير سلاح

فرأى بها ساقي الحُميّا في الحمى
بالرّاح قد حيّا بغير براح

فأراحَ في الرَّوحاءِ راحلةَ السُّرى
وأباحها مَرحاً بكلّ مُزاح

وقال رضي تعالى الله عنه:

[الطويل]

جرى الدمعُ يروي للفؤاد عن الجد
بأنّ الهوى وقْفٌ على ساكني نجد

وأنّ غرام القلب حرّمَ شوقَه
على مَعْلَمٍ يهوي سوى العلم الفَرد

فما دونَ واديه مَقيلٌ لقائلٍ
ولا دونَ ذاك الوِرْدِ للعيس من وِرْد

ولم يسلُ أعناقَ النياق إلى اللوا
ومَعهدهِ الاّ مُقيمٌ على العَهْد

ولولا لُبانات للُبنى بِرامةٍ
ووجْد لإلجاد بسنجد على دعْد

لما أسلمتْ سلماً سليماً فؤادها
غراماً ولا هامت مهاةٌ على هند

ولا نعمتْ نُعمٌ بنعمان ضارجٍ
ولا رغدتْ غيدٌ على المورد الرَّغْد

فما علمتْ علوى سوى مُعلمِ الحمى
ولا سعدتْ سُعدى سوى المعهد السّعْد

ولا عمرت ليلى سوى رَبْع عامرٍ
وما لهوى قيسٍ عن البيد من بُدّ

فؤادي فؤادي حيّ ليلى وإن غدتْ
لها عن مقام القُرب عادية البُعد

فقدتُ وجودي عند وجدي بنجدها
وما زلتُ فقداً في الوجود وفي الفَقْد

ولو لا نسيم الحيّ لم أحيَ ساعةً
ولو لا منا ليلى ضَلَلتُ عن الرُّشد

نسيمٌ سَرى ما بين بانات حاجزٍ
وفي طيّه نشـرٌ من الشّيح والرّند(١١)

وعنبرةُ النادي بطيب عبيره
ومندله بالمندل الرّطب والسّند(١٢)

روائحُ أرواحٍ لنجد وحاجزٍ
تُروّحن أرواح الرّياحين والوَرد

تعرّفني أرواحُها عرفَ طيبه
ولو جدُّني أنجادُها جنّةَ الخُلد

وبين القباب البيض بيضاء وجهها
حكى البدرَ في ليلٍ من الشَّعر مُسوَدّ

لها غُـرّةٌ غراء لا غـروَ أنّها
تظلّ إلى نهج الضلال بها تهدي

فتاةٌ تفوتُ الشمسَ والبدرَ في الدّجى
وغُصن النّقا بالوجه والشَّعرَ والقدّ

تلاعب آراماً رمينَ براحة
سهامَ جفونٍ لايحدنَ عن القصد

ظبي احمي عوّدن اللواحظ بالظبا
بمقتل الخَطى ضربن على العَمد

يجردّن فيها البيض من كلّ اسود
وكم لسيوف الغيد في الأُسد من غمد

يصُدن بأكناف الحمى كُلّ أصيد
ويلعبنَ ما بين الملاعب بالأُسد

ويحمين من دون الحمى كُلَّ مَورد
عن الليث والضرغام والأسد الوَرد

ضواحكُ يبكين العيون عيونها
لواهٍ بأهواء لها جدوةُ الجمْد

ويرمحن إذ يمرحنَ بالسّمّ في الحشا
ويهززنها يهزلنَ بالأغصن المُلْد

فحيّا الحيا أحياءَ نجد وعندها
وحيّ هلا بالنازلين على نجد

ولا زالت الانواء تنوي على الرُّبى
صلاة صلات الرّي للبان والرّند

وأضحكَ ندب الطلّ ثغر إقاحها
وخدد دمع الحزن خداً على خدّ

وجاءت جيوش السُّحب طرداً وجردت
من البرق أسيافاً على صائح الرّعْد

وزرّدَ متن النهر خيفةَ نَبْلها
نسيمُ الصَّبا نسجاً وقدّرَ في السَّرد(١٣)

أبادَ مَوات البيد صارم برقها
وأحيَتْ بنات النبت فيها من الوأد

وحوّلَ جدبَ المَحْل خصباً حلولُها
وكُلّ نبات طبّت طُرر البُرد

فمدّ على وجه البسيطة مدّها
بساط انبساط السّعد في طالع السَّعْد

لعدنانَ في أفيائها أيّ معهَد
وحسبُكَ ما فيه من الحسب العَدّ

فريق أسود البيد تفرَقُ عندَهُ
تظل لديه لا تعيد ولا تبدي

معاهدُ عدنان وعدن مُعدّها
فللأمن ما تُهدي وللمنّ ما تُجدي

حُماةُ الحمى النّجدي يحمونَ جارَهم
من الجور لا يعدو عليه ولا يعدي

كأنّ المنايا والمنى في أكفّهم
من الكفّ والاكفاء للجهل والجهد

معالمُ أعلام الهُدى، غمدُ العُلا
سَرايا سُراة المجد واسطةُ العقْد

هُداةٌ ومهديّون يهدونَ للهُدى
يَهُديهِمُ سادوا كُهولاً وفي المهد

هم السّادة القادات عُدّةُ راشد
إلى الحقّ منُقاد الى العوز معتدّ

تؤدّي أياديهم جزيلاً من العطا
تكادُ تكبِد المالَ بذلاً ولا تُكدي

أياد لها القبض الشّديد إذا سطتْ
على السُّمْر والبسط السّديد إذا تسدي

فحكمةُ تسديد وإحكام سؤدد
وتأسيس تشييد، وفتح بلا شدّ

قلوبٌ بلا غشّ، نفوسٌ بلا هَوى
عقولٌ بلا كَيد، صدور بلا حقْد

هم سؤددٌ سادوا به كلّ سيّد
وحلّوا من العلياء مُنعقَد المجد

وفاءٌ بلا غدر، صلاة بلا قلىً
عطاء بلا منع: قَبولٌ بلا رَدّ

أُعدّ إلى يوم المَعاد عَديدهُم
عديداً لهم لفضلٌ يزيدُ على العَدّ

جاءت جاه الأكرمين ولم يــــزلْ
لهم عزّةُ المولى ولي ذلّةُ العبـــــــــــد

محمّـــد الهـــادي وآلِ محمـــدٍ
وأصحابـــــــــــه أهلِ المكارمِ والحمد

عليهم صلاةُ الله ما هبّت الصَّبا
ومالتْ مع القضبـــان بـــالأغصن المُلُد[1]

وقال رَضيَ اللّه تعالى عنّا به:-

[الكامل]

لكَ بالملاحةِ كُلُّ كونٍ شاهدُ
وعليه من أنوارِ حُسنكَ شـــاهدُ

وبِ الجلالةِ أنتَ مالكُ أمرِها
ولكَ الجمالُ وإنْ تعززْ عابــــــدُ

إنْ لاحَ وجهكَ كـــلّ بدرٍ آفـــلٌ
أو مالَ قدُّكَ كُلُّ غصنٍ ســـاجدُ

كُلّ الملاحِ من معانـــي حُسْنه
عددٌ لديكَ وأنتَ فيهم واحـــــدُ

معنى جمالكَ من معاني حُسْنه
لفرائـــد الأكـــوانِ منـــهُ فرائـــدُ

قسمُ المحاسنِ وهو معنىً مفردٌ
وتجمعتْ فيه بـــــــيانُ فرائدُ[2]

ألبستَ كلَّ الكونِ منكَ محاسناً
فبـــــكَ اعتراه في الوجودِ تواجدُ

أشهدْتَ أعيُنَ عينـــه في عينِه
عينَ العيانِ لهُنّ فيكَ شـــــواهدُ

وأرادَ يوسفُ من زليخا رائداً
لجمالهِ في وجهِ آدمَ ســـــــاجدُ

فالكونُ شيءٌ عن وجودٍ صادرٌ
وعليكَ بـــــالعدمِ غيثٌ واردُ

ما فيه غيرُكَ ظاهرٌ أو باطـــنٌ
فهمُ الحجا أو أحــــجمتْهُ عوائدُ

صبري الجميلُ عليكَ منّي ناقصٌ
أبداً، ووَجْدي كالصبابـــــــة زائدُ

يا لائمي تخشى عليَّ من الهوى
ترجو الصَّلاحَ وأنتَ رأيكَ فاســـــدُ

دَعْ من حديثكَ والمَا فيه لهُ
لمعاهدِ العهدِ القـــــــديمِ تعاهدُ

لم يبقَ فيه بقيّةٌ موجودةٌ
إلاّ وألفـــــــــدها الذي هو واجدُ

فقدَ الوجودَ بوَجْدهِ في فقْدهِ
والواجدُ الباقـــي الوجودِ الفاقـــدُ

لم يخلُ كونٌ من فؤادٍ عامرٍ
بـــــــالحب إلاّ انّ وَجْدي زائدُ

صَبٌّ يذوبُ على الغرامِ صبابةً
وعلـــى الغـــرامِ لـــهُ فـــؤادٌ جامـــدُ

شبّتْ بأنفـــاسِ الهـــوى زفراتُـــهُ
وتنـــفُّسُ الأنفـــاسِ منـــهُ خامـــدُ

ماتَ الكرى بين الجفونِ فغسلُهُ
بمدامعي، والسُّهدُ حــــــيٌّ خالدُ

سهدٌ لعقدِ الدَّمـــعِ منّي ناثــــرٌ
ولُهدْبِ جفني بـــالحواجبِ عاقـــدُ

يا عُمرُ عمري في هواهُ لعمرهِ
يفنى وما ســــعدٌ عليه مُســـاعدُ

منعَ الوصالَ وصالَ صولةَ قادرٍ
قـــــصداً عليَّ وللغرامِ مقاصدُ

طرْفي إذا استهداهُ طيفُ خيالهِ
أهدى السُّهادَ إليه طرفٌ راقـــدُ

صبراً قُتلتُ بسهمِ جفـــنٍ نافـــذٍ
قـــــلبي وكنزُ الصبرِ مني نافدُ

يـــا مالكي ذُلّي لعـــزّكَ شافـــعي
وغوايتي تهدي بـــــأني راشـــدُ

عـــذِّبْ بأصنافِ العذابِ فإنّني
عبـــدٌ بـــأنواعِ المحامدِ حـــامدُ

ألصبرُ شهْدٌ لي شهودُكَ دُقتُـــهُ
وعذابُ قـــلبي فيكَ عذبٌ بـــاردُ

أنزلتَ بي ذُلَّ الغرامِ فلذَّ لي
إذ أنـــتَ في أوجِ التعـــززِ صاعـــدُ

فجلالُ عزّكَ للجمالِ ولطفهُ
طوعاً لأربـــابِ الصبابـــةِ قـــائدُ

كيفَ السَّبيلُ لكتمِ ما أنا شاهدٌ
وعليَّ منه دلائلٌ وشـــــــــواهدُ[3]

جحدَ الفؤادُ فما أفادَ جحودهُ
وأقـــرَّ دمعي بـــالذي أنا جاحـــدُ

عشقي كحُسنكَ ما لهُ من مُنكرٍ
ولقـــد أقرّ بـــه العذولُ الحاســـدُ

صبحٌ تبلّجَ في دياجي شعره
قمرٌ بـــه يســـعى قضـــيب مائدُ
لو لا الذي في فيه لم يَرَ عاشقٌ
لحياتـــه بعـــدَ المنـــيّة عائـــد(١٠)
فالجسمان جمالُهُ وصَنائي
لمما بتقـــــريب البان تبـــــاعدُ
لكن تروّح واجدٌ من وَجْده
ردُّ الغرام عليه ريمٌ شـــــــــاردُ
ذهبتْ عليه النّفس صرفاً خالصاً
من زيفه وهو البصيرُ الناقـــــــدُ
وقال رضيَ الله تعالى عنه

[الكامل]

أبـــداً إلى أبـــوابكم أتـــرددُ
وبـــفيض فضلكمُ لكُمْ أتودّدُ
وأمـــدُّ كـــفّ الاكتفـــاء بـــأنني
عبدٌ بـــغير القهـــر لا أتعبّدُ
ورضيـتُ أن يرضيكمُ ما شئتمُ
منّي فمُنّوا بـــالّذي لا يُجحَدُ
ولقد تفقّدت الورى ففقدتُهم
ووجدتُ أنّ ســـواكُم لا يوجَدُ
يا منيتي : ذمُنا تُمنى شُبتي
يا مَن أســـودُ هم وفيهم أحـــسدُ
رقّوا لرقّ جميلكم وجمالكم
فالعبـــدُ عبـــدٌ للذي يتعوّدُ
عـــودوا مُعنّى مالَهُ من عائـــد
أولا عدوا أولا يـــوعدكمُ عدوا
قد كان لي جَلَداً على بلوى الهوى
أبـــلاهُ وَجْدٌ فيكمُ يتجدّدُ
هذي يدي أسلمتُ طَوعاً للهوى
قلّدَ عليّ منى ســـالمتُ له اليَدُ(١٢)
وقـــال رضيَ الله تعالى عنا بـــه:
[الكامل]
بشرٌ تثنـــى او قضيب أمـــلَدُ
مُتلفـــتٌ هُوَ ام غـــزالٌ أغيدُ
بـــدرٌ تطلّعَ في دُجنة شعـــره
فتلا الضُحـــى والفجرُ ليلٌ أسـودُ
لو قلتَ روحٌ في الورى مُتمثّلٌ
بشـــراً سوياً: قـــلتُ ما لا يُبْعَدُ
ما شئتَ قُل فيه فأنتَ مصدّقٌ
فالحبُّ يقـــضي والمحاســـنُ تشـــهَدُ
أنا في الغرام به مُحبٌ واحـــدٌ
وهو الذي في الحســـن فردٌ أوحَدُ
ملكَ المحاسنَ والقلوبَ بأسْرِها
فلذاك أربـــــابُ المحبّة أعبُدُ
سل كلَّ قلب عن هواهُ فإنهُ
يثني بـــــوجد مثله لا يُجحَد

وقال رضيَ الله تعالى عنّا به(١٦)

* فقيرٌ مجرّد غنيّ على الإطلاق مجموعٌ مُبـــدّد
* جوهر مَراتو،صفا من العلّة بنور صفـــــا تو
* جمع في ذا توكّلُ الوجـــود، وشـــيْ ما فاتو
* قضى وفاتو، وقد بـــقي بالله دامـــت حياتو
* وحين أوحّد في سائر الافـــاق ذواتو يشهد
* * *
– عـــارفٌ ممكنٌ في سائر الأحوال وإن تلّون
– ينهي ويأذن، يصرّف الأفعال ما حبّ كـــوّن
– عالمٌ مفنن، وقـــد نفـــى الاشكال لَمّا تبيـــن
– قرّبَ وسددَ، وحين ذرا الأخلاق أطلق وقيّد
* * *
× أوجبَ مؤيـــدٌ دوام الاستمرار عـــلي وحـــدّد
× مظهر شهـــوذو في العدم اسرار مطلـــق قُيـــدْ
× نسب حـــدودُ بمكـــن الأدوار واحكم عقـــودُ
× خلع وجدّد والقبض من اخلاّق براهـــما ينفد
* * *

* ما يدري ما اسمُوا الأّ الذي أفنا في العشق رسمُوا

* دخل فهموا حين شاهد المعنى بالكشف فهمُوا

* وراح وهُموا أحسبَ الوفا الأسنى وقال بعزمُ

* ما عندي أرشد من الذي قد ذاق شراب محمد

– كم ذا تعبّر، فخلّ ذا الأوصاف ولا تكبّر فالاسم مضمر وذا ينضاف معناه يظهر

– والجهل يغدر اذا وقف أو خاف أو صدا وفكّر، فالسر مفرد وكم عليه اغلاق والنعمة تحسر

– صوفي يخلق قطب الوجود جامع فطاهر الحق بالله تحقق تبصر وبه سامع قيد وأطلق

– يمشي ممزّق بنشد ويتخالع إذا تمعشق فقير مجرد غني عن الاطلاق مجموع مُبّدد

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[الكامل]

لكَ في العقول معارفٌ لا تنكرُ
وعلى القلوب شواهدٌ لا تُسترُ
وطوَتْ سرائرنا على أسرارها
حبًّا لغيركَ في الهوى لا ينشرُ
وبدا جمالُكَ للعيون فمن أبى
خلع العذار على الهوى لا يُعذرُ
لِمَ لا يُضيءُ بكَ الوجودُ وليلُهُ
فيه صباحٌ من جمالكَ مسفرُ
فبشمس حُسنكَ كلّ يوم مُشرقٌ
وببدر وجهكَ كُلّ يوم مُقمرُ
ما لاحَ خُبْرٌ إذ يلوح مُخبّرٌ
إلاّ وذاك الخبر عنكَ مُخبّرُ
فعلى جمالكَ بالكمال جلالةٌ
فيها لأهل الكشف سرٌّ مُضمرُ
شهدت لكَ الأشهادُ أنّكَ واحدٌ
في كلّ كونٍ أنت لا يتكرّرُ
علمُ اليقين يراكَ عينَ يقينه
فيغيبُ في حقّ اليقين ويحضرُ
يا من تنزّلَ في سَمَا سُبحانه
مُتمثّلاً بالفعل لا يُتصوّرُ
أسماؤكَ الحسنى سَمتْ بمظاهرٍ
حَسُنَتْ فما للقُبح فيها منظرُ
فلكلّ ذاتٍ من جمالكَ فاعلٌ
ولكلّ فعلٍ من جميلكَ مصدرُ
فمصادرُ الأفعال باسمكَ أُعربتْ
ولهُ الإشارةُ وهو فيهم مُضمرُ
ولوَجهه كُلّ الجهات توجّهتْ
وهو الذي في كُلّ شفعٍ يوترُ
وجَلا جمالاً في وجودٍ مُطلقٍ
لا يستحيلُ وغيرهُ يتغيّرُ
فالجسم يفنى فيه عن أوصافه
حكماً، فلا عَرضاً ولا هوَ جوهرُ
وبَدتْ حقائق حقّه بدقائقٍ
في وحدةٍ بصفاته تتكثّرُ
فتباركَ اسمُ اللهِ جلّ جلالُهُ
عن إفكِ فكْرٍ في علاه يفكّرُ
هو واحدٌ في واحدٍ آحادُهُ
جلّتْ فلا تُحصى ولا هيَ تُحصرُ
يا نقطةَ الخطّ القويم ومن به
في الرّفع يُنصبُ من عليه يُكسرُ
هيهاتَ ينجو من هواكَ هوانُهُ
إنْ شاءَ يحذر منهُ أو لا يحذَرُ
إفكٌ فكانَ من الغرام عزيمةٌ
أبداً به يُحيي وفيه يُقبرُ
أنساهُ تذكارُ الهوى سلوانَهُ
فسلوّهُ المنسيّ ما لا يُذكرُ
شَعَرَ السّلوُّ به فأشعرهُ الهوى
ثوبَ الضَّنا وسلوّهُ لا يُشعرُ
يعدو عيونَ العبدين فما ترى
عينٌ لهُ أثراً عليه يعثرُ
كُتبتْ على وجناته أسرارُهُ
والجفن يملي، والمدامعُ تسطُرُ
سرٌّ ضمائرهُ الجفونُ فهل يُرى
دمعٌ يُسرُّ وجفنُ عينٍ يُضمرُ؟

سهلٌ عليـه في هـواهُ هوانـــهُ
والمـوتُ فيـه هـيّنٌ لا يُعسَـرُ

أخلى ربوع الصّبر فهي دوارسٌ
ومنـازلُ التبريـح فيهـا يُعمَرُ

ينفي سلوباً كُـلّ حرف عامـل
جزْماً ومـا فيـه لفعـلٍ مصـدَرُ

يطوي بساط البَسْط منهُ لحينه
ليلٌ يطولُ وجفنُ عينٍ يقـصرُ

من كان يهوى مـا هَويتُ فكلّما
يلقـاهُ فيه من التّجنّي أيسـرُ

كم فيه للأبصار حُسنٌ مُدهشٌ
كم فيه للأرواح راحٌ مُسـكرُ

سُبحان من أنشاهُ من سُبحانه
بشراً بأسرار الغيوب مُبشّرْ (٥٠)

قـاسوهُ جهلاً بـالغزال تغزُّلاً
هيهاتَ يُشبهُهُ الغزال الأحـورُ

هذا، وحقّكَ ما لهُ من مُشبه
وأرى المشبـه بـالجمال يُكفَرُ

يأتي عظيم الذنب في تشبيهه
لولا لرَبِّ جماله يستغفرُ

فخَر الملاحُ بحُسنهـم وجمالهـم
وبحسنه كُلُّ المحاسـن تفخرُ

فجَمـالـهُ يُجـلى لكـلّ جميلـة
ولَهُ فـارُ كُلّ وجـه نيّرُ (٥١)

كيف الفكاك عن الفتون بلحـظه
وفتورهُ عن سحـرها لا تفترُ

كَسر الفـؤادَ بكَسرة في جفنـه
وبرشف هاتيك المراشـف يُجبَرُ

حسرَ اللثامَ فزاد قلبي حسـرةً
مَن لي بـلثم لثامه إذ يُحسَـرُ؟

في وجنتيه دَمي أراق فراقـني
وردٌ بـريحان المرائر أخضرُ

جنّاتُ عدن في جَنى وجَنانـه
ودليلهُ أنّ المراشـفَ كَوثرُ

حجرتْ محاجرهُ العيونَ على البكا
أبكي عيوناً بـالمحاجر تحـجرُ

في عين جمع الجمع يُبصَرُ حُسنُهُ
ولهُ بـنور الحقّ منه مُبـصرُ

وساوهُ محجـوبٌ بسواهُ سوءه
لسرائر الوسـواس منه مُيسّرُ

هيهـاتَ ألهو عن هواهُ بغيره
والغير في حشو الأجانب يُحشـرُ

كـتبَ الغـرامُ عليَّ في أسفاره
كُتباً تُؤوّلُ بـالهوى وتُفسّرُ

هـذا وبعـد فإنّ في بُعد الهوى
قُرباً بـه أطوى وفيه أُنشـرُ

فدَع الدّعيّ وما ادّعاهُ من الهـوى
فدَعيُهُ بـالهجر فيه يُهجَرُ

وعليـك بـالعلم الـعليم فـإنّهُ
لخطيبه في كُلّ خطب منبرُ

فعلى المُحقق نـور حقّ ظاهر
وعلى الشّهيد شـواهدٌ لا تُنكَرُ

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[الكامل]

حدُّ الوجود توهُّمٌ وتفكُّـرُ
وتخيُّلٌ في كُلّ طور يُحـصَرُ

هو فيه يبدو ظاهراً منهُ لهُ
عَجَبـاً وعنهُ بـه غداً يَتستّرُ

هوَ كلُّ شيء واحدٌ في علمـه
وسـوى الذي من وصفه يتكثّرُ

مُتعـدّدٌ مُتحدّدٌ هـو غيرُهُ
متوحّدٌ، متفردٌ: هوَ يُشـهَرُ

فبذاتـه وبوصفه مُتنَزّهٌ
وبـفعله، بـل بـاسمه يُتَقلّبُ

عَدَمٌ إذا هـوَ لا يُحاطُ بكُنهـه
وهوَ الوجود إذا لهُ يتقـرّرُ

جزءٌ إذا الناسوتُ أبرزَ حكمهُ
كُلٌّ إذا اللاهـوتُ فيـه يـدبّرُ

معنىً إذا ما الرَّبُّ أظهرَ وصفَهُ
عـينٌ إذا الرحمـن فيـه يُصـوِّرُ
جمـعٌ إذا مـا اللهُ أظهـرَ آدمـاً
فرقٌ إذا هـو في الوجـود يُطـوِّرُ
هـو آدمُ الإنسانُ لا مُتحجـبٌ
بـالعجزِ عنه دائماً يَتعذَّرُ
علمٌ إذا التحقيق فيـه مُحرَّرٌ
عقـلٌ إذا هوَ في الأمور مُحـبَّرُ
نفسٌ إذا الشهواتُ تحكمُ والهوى
روحٌ إذا هـوَ في الحظـوظ مُخيَّرُ
قلـبٌ إذا زلـغَ الخيالُ بوهمه
سـرٌّ إذا هوَ في عمىً لا يُبـصرُ
لـوحٌ تضمَّنَ أحرفاً من فعله
قـلمٌ يُشـكل حـرفهُ ويُسَطِّرُ
طرسٌ لأسماء ظهرْنَ بغيبـه
فيها معانٍ قـد تلوحُ وتَظْهرُ
عرشٌ إذا ما الحُسْنُ غير مركَّب
بـالأمر والملكوت عنهُ يُعبَّرُ
كرسيـهُ والحسنُ فيـه مـركَّبٌ
متخللٌ أبـداً ولا يتغيَّرُ
بالملك يوصَفُ بـل وينعت خلقـه الملكوتُ شـيءٌ منهُ لا يتغيَّرُ

أفلاكهُ المحسوس بل أملاكهُ
إحساسهُ للضبط حـين يُكرِّرُ
والجنُّ منه هياكلٌ وحشيـةٌ
أوصافها في طبـعه لا تُشـكَرُ
ودوائرُ الكونين سبعُ دوائـر
روحُ النبـات لكلِّ ذلكَ مظهرٌ
فمركَّبٌ وبسائطٌ ومفـارقٌ
أجسـامهُ وصفاتُهُ تتحـررُ
حسٌّ ومحسوسٌ وعقلٌ مُدركٌ
والسابع المسكوتُ عنه الأكبرُ
وهوَ القُوى المنفوخ في إنسانـه
وردُ الوجود بها وعنها يَصـدرُ

ما بعدَ هـذا غيرُ شيءٍ مُعدَم
فيه جميع السالكين تحيَّروا
هـذا وموجودٌ خفيٌّ لا يُرى
متحجِّبٌ بـوجوده متسـتِّرُ
عن كُلِّ ذي وصف ترفَّعَ شأنُهُ
قد جلَّ لا وَجهَ لهُ يُستشـعَرُ
فهوَ الضمير ولا مُسمّىً مُدركٌ
لا مُخبِرٌ عنهُ ولا مُسـتخبِرُ
حُطَّ الرِّحالَ أنِخْ قلوصَكَ ها هنا
فالأمرُ دورٌ والدَّوائرُ تُبـهِرُ
مثل الدوائر نسخةٌ من نسخـة
شيءٌ على طول المدى لا يقـصُرُ
حتى إلى ختـمِ القيـام ودورةٌ
يطوي وينشر ما طواهُ وينـشُرُ

وقال رضيَ الله عنا به:-

[الطويل]

إذا زالَ لُبسُ النفس وانشرحَ الصَّدرُ
وحَلَّ عقـالُ العقـل وارتفع السَّترُ
والـفى شهيد الـقلب للحقِّ منعمـة
فـلا ريبَ فيمـا أخبرَ الرُّوحُ والسِّرُّ
فيومئذ مـن بعـد مـوت نفوسنا
تُبـدَّلُ بـالعلم الوسـاوسُ والفكرُ(٢١)
وتُقلبُ أعيانُ الـوجود معارفـاً
ففرقُ الدُّنـا جمعٌ، وغيـبُ العُلا جهرُ
وتُخرقُ في جمع المقبضين عادةً
نقيضَ السـوى بسـطٌ وشـفعُ السُّوى وترُ
ترى كلَّ شيءٍ كُلَّ شيءٍ وجزؤهُ
تحيطُ بـكُلِّ الكُلِّ والحسمُ الحصرُ
فواحدةٌ في واحد فرد واحـد
وثالثهُ عنه النُّهى فـقد نهى الذِّكرُ
تدارُكُكَ قبل الفوت فوتَ صحابةٍ
هُمُ نفرٌ بـالله منهم لهُ فرّوا(٢٢)
أجبْ داعياً لله يدعوكَ باطنـاً
ولا تعتذر فاليومَ لا يُقـبَلُ العذرُ

أزِنْ علّةَ التعليلِ فالوقتُ صارمٌ

وصارمُ شـــكوكِ التقـــلِ ما الخُبْرُ الخُبْرُ

وكنْ حافظاً عَهْدَ الهوى غيرَ غادرٍ

ففي حـــكمِ شـــرعِ الحبِّ يُستفـــبحُ الغدْرُ

وخلِّ عن مُرادِ النفسِ في كُلِّ حالةٍ

وللهِ عنهُ ابـــــــــــــراً، ولو أنّهُ بِرُّ

ومن علةِ الشّركِ الخفيِّ متى بَرا

فؤادُكَ طابَ الذّوقُ والـــشّربُ والسّكـــرُ

وبعدَ الفَنا باللهِ كنْ كيفَ ما تشا

فعلمُكَ لا جهلٌ، وفعـــلُكَ لا وزرُ

فحرمةُ أهـــلِ الـــودِّ غيرُ قليلـــةٍ

وقـــــــدرُ مَحَلِّ الحبِّ لم يَعْلُهُ قَدرُ

ظلامُهمُ نـــورٌ، وغيُّهمُ هُـــدىً

وميتُهُمْ حـــيٌّ، وعبــــدُهُم حُرُّ

وما نالَ عزّاً غيرُ أهلِ غرامنا

ألا كُلُّ ربـــحٍ دونَ ربحِهمُ خُســـرُ

وثارهمُ فرضٌ على كُلِّ مُسلمٍ

وحـــبُّهمُ عقـــدٌ، وبُغضُهمُ كُفرُ

فإن كانَ في الدارينِ فخرٌ لعالمٍ

لعمرُكَ في الدارينِ هذا هـــو الفَخـــرُ

قالَ رضيَ اللهُ تعالى عنا بهِ:-

[الطويل]

تريدونَ تفسيرَ العلومِ وإنّها

رموزٌ إلى المعنى الخَفيِّ تُشـــيرُ

وذالكَ هو المعجوزُ عنهُ حقيقةً

وتفسيرُهُ بـــالوصفِ فيهِ عســـيرُ

يطولُ وحـــقِّ هـــذا عليكمْ

وهذا طويلٌ والزّمانُ قـــصـــيرُ

فلا تعجَلُنَّ فالحقُّ يأتي لأهلهِ

بتحقيقـــــهِ، والدائراتُ تدورُ

فلا تـــنقلِ العارفينَ فإنّهمْ

قـــليلٌ، وفي المعنى لديكَ كثيرُ

لقد حُملـــوا الجسمَ حكمـــةً

إلهيّةً فيها العقـــــولُ تَحيرُ

قالَ رضيَ اللهُ تعالى عنا بهِ:-

[الكامل]

لو كُنتَ تخفى عن نواظرِ ناظـــرٍ

عمَّ العمى مُستبصرَ الأبـــصارِ[*1]

أو كانَ يُحجبُ عن خطابكَ سامعٌ

صمّتْ مـــسامعنا عن الأخبـــارِ

أو كانَ تجهلُكَ العقولُ لأصبحتْ

في ظُلمـــةٍ عـــن مُدرَكِ التذكـــارِ

بَلْ أنتَ في الخمسِ المشاعرِ ظاهرٌ

ولأنتَ في الخمسِ البـــواطنِ ســـارِ

وقالَ رضيَ اللهُ تعالى عنا به[55] :-

[موشح]

مُذ أرسلتْ ربّةُ الجمالِ، خوارقَ الحسنِ للنواظرْ، أهوى هواها

لكلِّ بالٍ، بسّرِ وجدي قبلَ السرائرْ

* مُعجزُ الحسنِ قد تحدّى جمالُها الأوحدُ البديـــعْ

* وواجبُ الموتِ فيهِ وجداً فكلُّ قلبٍ لـــهُ مـــطيـــعْ

* وفرضُهُ واجبٌ مؤدّى والوصلُ في عـــــزّهِ المنيعْ

دلالهُ الحسنِ والدّلالِ، وفتنةُ الأعينِ السّواحرْ، تظلُّ تهدي

إلى الضلالِ، أبصارَ ذي العشقِ والبصائرْ

* تجددُ الوجـــــدِ للفـــؤادِ، بموعـــدٍ مالهُ معـــادْ

* وتكحلُ الجفنَ بالسهادِ، من كحلِ زانهُ الرقادْ

* من مسعدِ القلبِ في سعادِ، ووعدُها قربهُ بعادْ

أحالتِ الوعدَ بالمحالِ، وأسبلتْ دونها الستائرْ، وأصبح

العقلُ في عقالٍ، تيهاً وأمسى في الحبِّ حائرْ

* رشيقةُ الخدِّ والتثنّي، بديعةُ الحسنِ والجمـــالْ

* تفوقُ في الحسنِ كُلَّ حُسنٍ، ووصفُها فوقَ ما يقالْ

* حازتْ من الحسنِ كلَّ فنٍّ، فما لها في الورى مثـــالْ

أبهى من البدرِ في الكمالِ. أزهى من الغصنِ وهو ناضرٌ،

نزيهةُ الوصفِ عن مثالٍ، عديمةُ الشّبهِ والنّظائـــرْ

* أرحْ فؤادي فالسّرُّ راحي، يا ساقيَ الحانِ كلَّ حينْ

* وفي اغتباقي وفي اصطباحي، داوِ بها دائيَ الدفينْ

* ففي فسادي بها صلاحي، أفديكَ بالمالِ والبنيـــنْ

حرَمتُ صحوي لما حلالي: سكري مع الخرد الجآذرِ، فما

تُطع[56] مدى الدهر بالوصالِ فالوصلُ فيه من النوادرْ

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[البسيط]

مُستخبرُ رسمَ دارٍ قـــد عفا دَرسا

آتسمِع الصُّمَّ أم تسـتنطقُ الخُرسا؟!

أطلْتَ نَدْبكَ في الأطلال هل وعـى

تلقى بها اليسْرَ أم تقـرا بها الطِّرْسا[57]؟

دعِ الأغابـطَ مـا في الحيِّ بعدهُـمُ

حـيٌ ولا أثرٌ تلقـى بـه أنسا

غابتْ بهم غاتياتُ الهرجِ مُنجدةً

فلم أجدْ بـعدهم عقـلاً ولا حِسّا

كم أطلعتْ عيسُهم في الحيِّ من قمرٍ

رسْماً وكم اغربـتْ يوم النأى شمسـاً

الله أكبرُ أبـلـى الهـوى جَسَداً

واسكنَ البَينُ حـيّاً بـعدهم رَمْسـاً

ساروا بكـلِّ فـؤاد هائم دَنِفٍ

فلم نجدْ غير مُتخم فاقـد لفسـا[58]

تجمعت فيهم الأهواءُ قاطبةً

فكلُّ نفسٍ عليهم دائماً تأسـى

غدا بهم كلُّ صبٍّ مثلَ روحته

وأصبـحَ القـلب منهم مثلما أمسـى

لكلِّ نفسٍ مع الأنفاس ذكرهُمُ

تنسـى الحياة وما تذكارهم يُنسـى

عني بلَوْمك لو لانَ الجمادُ لـهُ

قلبي على العَذل من صُمِّ الحصى أقسـى

تقول حَدساً ستسلو فاملُ في دعة

وهل رأيتَ يقيناً يقبـلُ الحَدسـا

الـذلّ أطيـبُ شيء أستلـذُّ بـه

ومأتمُ الموت لي فيهم غدا عُرسـا

أليسَ أجرى الهوى دمعي وأطلقه

وأرقـف الحبُّ جسـمي للضنا

ماذا تؤمّلُ مـن صـبٍّ صبابتـهُ

صحّت مع الوَجْد طرداً كان أو عكسا

أعاذكَ الله سُقمي عاذ لي فلقـد

أعيا من العائدين الطَّرف واللمُسـا

وأعجزَ الدّهرَ من شخصي تصوّرهُ

من حـيثُ فارقَ فيه النوعَ والجنسـا

خفيتُ سُقماً فـلا رسمٌ ولا أثـرٌ

وبـِنتُ سرّاً فلا لُبساً ولا لَبـسا

وجود وجدي باقي الكون مُشتهرٌ

ورسمُ جسمي غدا بـعدَ الفَنا طَمْسـا

سل فؤادي بسَلـغ عنـد كاظمـة

عساكَ تلقاهُ دون القاعة الوَعْسـا[59]

فإن عثرت لهُ- وهماً- على أثـرٍ

فقُلْ ألمّ عنك مأسـور الهوى حُبسـا

مُقيدُ فيك مطلوقٌ مدامعُهُ

قد أركسَتهُ الخطايا في العنا رَكسـا[60]

يا راحلين بقلبي أين منزلكمْ

هل للقرارِ وقد طال النأى مرسـى[61]

ردّوا فؤادي فأنتم ساكنونَ به

إنْ عادَ عُدتم، وأعرى البينَ ما أكسـى[62]

أرامُ رامةَ طرفي ظلّ في سَهـرٍ

تُرى يُعاينُ منكم أعيناً نُعسـا

يراقبُ البرقَ نحو الأبرقين عسـى

يحكي المباسـم إلاّ كونُها لعسـا[63]

واهـاً لذي ولـه بالمنجديـن لـهُ

وجْدٌ ولا مُنجداً إن صبرهُ خسـا[64]

يصبو إذا ما الصَّباحات مُهيمنةً

تسـر للنفسِ لُطفاً سُرّها هَجسـا

يا نسمةً قد سرَتْ سراً لنا سَحَراً

من الخشـوع لنا قـد أسمعتْ همسـا

كيف العقيقُ وأبياتٌ بذي سَلَمٍ

وكيف خلّفت ذاكَ المنزلَ القُدسـا[65]

يا نسمة الحي حيِّ باسم ساكنه

تُحيي نفوساً شـكتْ من ضُرّها اللمسـا

عرفت في طيّ نشر منك عَرف شذاً

من طيب طيبة فاقَ المسكَ والورسا[٦٦]

طيبت أوطاننا من بعدما أنست

كأنّما بُسُ كافورٍ بها بسّا

حيّا الحيا من حماك كُلّ ناحية

وحوّلَ المَحْلَ ريٌّ يَحصُل الفَرْسا[٦٧]

وقال رضي الله تعالى عنّا به:—

[موشح]

في حنايا الحانِ حين السَّحَر، تنظر الأكياس شاهَدوا في

الخبر عينَ الخَبَر، عند ساقي الكاسْ

سرُّ ساقي الراح بالسكر سرى، في كؤوس الراحْ

واجتنى للشرب منها قُفَرا، يبذلوا الأرواح[٦٨]

سترهُم في الناس إن كنت ترى، سكرهم الفضّاحْ

صونُهم في البَذل عند البشَر، ما عليهم باس، سرّهم يسري

بسّر القَدَر، هم سُراةُ الناسْ

أيها النُّدمان زال النَّدمُ، قد بدا الساقي وسقى في الحان

منه القَدَمُ، خمرةُ الباقي، ووجود الغير فيها عدمٌ، أيُّها الراقي

إنّ في السُّكرِ وجود الظَّفَر، وانعدام الياس، وصفا العيشُ

بعدَ الكَدَر، في صفا الأنفاسْ

إن في السُّكرِ شفاء المرض، أيهُّا

الصاحي

خلّني أقضي بشربي غَرَضي، أيُّها اللاحي[٦٩]

جوهَرُ الراحِ مُزيل العَرَضِ، وَيلَكَ يا صاحِ

أنت في الكلمّات باقي العُمر، غيِّب الإحساس، وأرحْ

بالراحِ روح الفكر، مَن غنا الوسواسْ

يافقيه الحان فيها عبرٌ، قُمْ بنا للحانْ[٧٠]

جاوبَ المزمارَ فيها الوترُ، غنت الألحانْ

نقّط الراووقُ ناح الزّهر، مالت القضبانْ

أنت النّايُ لضرب الوتر، في دُجى العسْعاسْ، أبكتِ

الراووق تحت الشجر، في رياض الآس في شرْب الصّفا،

بالمنا قد دارْ

وبه وافى أُصيحابُ الوفا، جامعَ الأسرارْ

خصّهم بالسّر سرّاً واصطفى، منهمُ الأخيارْ

أثبتوا في نحو لوح الصُّوَر، ثروةَ الإفلاس، سرّهم في الخَلق

سُرّ الخَضر، في خفايا الياس[٧١]

يا مُديرَ الراحِ هاتِ القَدحا، سرد الأقداحْ

دنّ لي الدّن فمثلي إن صَحَا، صاحت الأرواحْ

كُلّ سكرانٍ بسُكري شطَحا، أو بسّريَ باحْ

قستني بالغير عند الغير، يا أبا العبّاس، هل يقاسُ الدرُّ مثل

المَدَر، اخطأ القيّاسْ

وقال رضي الله تعالى عنّا به:—

[الطويل]

مَن الغَرَض الأعلى إلى الغَرَض الأقصى

تنزّل فيما عمّد الأمرَ أو خصّا

توحّد في الأشياء لمّا تنكّرت

لإحصاء شيء لايُعدُّ ولا

يُحصى وأسرى بسرّ الروح سِرّاً لأمره

ونصّ له في حضرة القُدس ما نصّا[٧٢]

فعاين طيّ الغيب في نشر عينه

ووصّاهُ في النّص المصون بما وصّى

تخبّا به البحر الخِضم بعلمه

لجج لمّا فاض فيه وما غصّا

وفي جامع الأجماع قام بجمعه

ولم يخشَ في غين الكمال به نقصا

تُسمى بأسماء التنزول وإنّما

على المعلم الأعلى له المنزلُ الأقصى

عن الله سَلْ مَن شئت في الخَلقِ إنّهُ

يردّ لهُ الكشف المصون مَن استقصى

له خُلُق الرحمن في العفو مثلما

له خُلُق الجبّار حقّاً إذا اقتصّا

على ساقه القَيّومُ قام بستره

على قَدَمٍ مَن أمّها أمِن النكصا[٧٣]

على خاتم الإرسال نقش محقق

بسر اسمه المكنون قد نقش الفصّا

زوانا فسار وانسا بسري فراتسه

فعبّ عُباب الفيض لا نعرف المَصّا (٧٤)

قلوبُ بني العرفان من تدي قدسه

تروحُ بطانا بعدما قد غدتْ خمصا

جنحنا لقصّاص الحقائق في العُلا

بكلّ جناحٍ طالَ طولاً وما قُصّا

نُصبُّنا فسرنا نخفض الرّفع في السُّرى

له عَنقاً سارتْ بنا النوق أو نصّا

ألفنا السُّرى لـمّا نفرنا لنحوده

نفوساً بذلْناها على وصله حرْصا

خطبْنا فجاج الأرض والخطب مُعضلٌ

إليه فأمهرْنا المهاريَ والقُلصا

تسيرُ بنا واللطفُ حفَّ بسيرها

ولم يخشَ وطفاً في سُراها ولا وَقْصا

تسابقُ عُقبان الرّياح نسورُها

تقصُّ ولا تخشى سوابقها قصّا

تميل سُكارى في المهامه نرتمي

وترقصُ إنْ غنّى الحداةُ لها رقصا (٧٥)

تشامخ ليلاً في السُّرى كل شامخ

ونحسبُنا الجوزاء في أذنها خُرْصا (٧٦)

قرأنا بأنّ الزائرين تراهُمُ

أناملَ نيسلٍ بسطُها يأنفُ القَبْصا

مكانتهُ في كلّ قلب مكينةٌ

يُطاعُ بما أمر الله فيه ولا يعصى

أذاق لأهل الكِبْر ذُلاً صغارهم

بما غمصوا الحقَّ المبين به غَمْصا (٧٧)

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[الطويل]

إذا ضاق وسع الأرض وانقبض البسطُ

رحلْنا عن الأرض التي مسّها القحْطُ

وراحت بنا الـهُوجُ البوازلُ ترتمي

عتاقٌ لنا ترضى إذا وجبَ السُّخطُ (٧٨)

تُقرّبنا من كلّ بُعْدٍ يشوّهها

إذا ماسطا بُعدُ بها يسطو

هي الفلك في بحر السّراب ومَوجُها

جبالٌ بها تعلو خفافاً وتنحطُّ

تسابقُ عقبانَ الرياح نسورُها

إذا ما انبرتْ في المَدّ ليس لها قسطُ (٧٩)

تراها على بحر السّراب كأنّها

طيورٌ يحاكيها اللغالغ والسّبْطُ (٨٠)

توالت على سطر القطا وكأنها

حروفٌ دقاق الرّسم زيّنها الخطُّ

تشامخُ ليلاً في السُّرى كُلَّ شامخ

كأنّ الثُّريا حين يعلو لها قُرْطُ

تقلّدها والرّكْبُ ضلّت هداتُهُ

فتهدي إذا ما [عاث] ليلاً بنا الخَبْطُ (٨١)

إذا ما عدتْ يعدو على البعد عدوُها

تُقرّب داراً بالتباعد تشتطُّ

يسير بها الرّكْبُ السّراةُ وفي السُّرى

يُسامرها الشبّانُ والشّيب والشّمطْ

تخطّ خطاها في طرائق طُرْقها

كأشكال خطّ زانها الشكل والنّقطُ (٨٢)

إذا لمعت نارٌ على البُعد في الدّجى

تذكّرها قُرب الدّيار فتمتطْ

إذا رحلت تحت الرجال تمايلت

وقد ألطّت الأكوارُ أطربها الأطُّ (٨٣)

تمدُّ خطاها في أمانٍ من الخطا

تكاد تحطّ البرقَ عزماً ولم تخطْ

خماصٌ مراعيها بكلّ خشاشة

هشيم فؤاد الصبّ ما الشيحُ ما الخمطُ

بكلّ فلاةٍ مُقشعرٌ هشيمُها

تعاوت بها في الليل أذيابُها السُّقْطُ (٨٤)

يخرّ بها الخِرّيت ذُعراً لوجهه

يُريع اليراعَ الذُّعرَ حيّاتُها الرُّقْطُ (٨٥)

تسايرها الآرامُ حسْبَ مرامها

ويصحبُها الضرغام والفهد والنّمْطُ (٨٦)

وجدنا بها في كُلِّ أرضٍ مراغمـاً
على رغمِ أنف الدّهر ليس بها ضَغْطُ

نزلْنا من الأحياء في كُلّ منزلٍ
يُرى دونهُ أعلى المنازلِ تسخطُ

وأطلق قيد الحصر مَن كُلّ عاقلٍ
سلامٌ مَن التسليم ليس لهُ ضبطُ

وعُدنا بعذْنٍ حيثُ شئْنا بأمرنا
سيأذنِ من الإطلاق ما إنْ لهُ شرْطُ

عطايا كرامٍ آمنوا المَنّ في العطا
ولم يسلبوا الموهوب لو كان كم يعطوا(٨٧)

رفعْنا مَناشير السُّؤال فوقّعوا
تواقيعَ فضلٍ ليسَ في طيّها كشْطُ

همُ الغرُّ أهل الصفو صوفوا وغيرهم
غرورٌ يخبطُ في الأمور له خلْطُ

وربقٌ على التفريق فارقَ جمعهُ
وقومٌ أقاموا فيه فهُم له رَهْطُ(٨٨)

فحيٌّ على خبلٍ وحيٌّ خلا به
يُخالل روح الله فهو له سبْطُ

عن العَرَضِ الأدنى بجوهرِ نفسه
تجرّدَ فالعلياء في جيده سِمْطُ

تجلّل إجلال الجمال فوصفهُ
جميلٌ وأمراط الجمال له مرطٌ(٨٩)

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[الكامل]

صَبٌّ لصدعةِ شمله يتصدّعُ
وعلى التواصُل قلبُه يتصدّعُ

ويُعلّل القلبَ العليل وإنّهُ
غُصَصَ المنيّة بالمُنى يتجرّعُ

مُترددٌ بين المنيّة والمُنى
وجدٌ يفرّقُهُ وجودٌ يجمعُ

هيهات يهنا مَن هواهُ إمامهُ
ووراءهُ الصبر الجميلُ مضيّعُ

هانَ الهوانُ عليه في حُكم الهوى
فغدا بثوب سقامه يتمتّعُ

خلعَ العذارَ عليه، جدّة وجْدهُ
آهٍ على جلدٍ به يتدرّعُ

لمّا دعاهُ الحبُّ أقبل طائعاً
ما بالُ داعي صبره لا يسمعُ؟

صبٌّ تبتّل للصّبابة مُخلصاً
ولوجْده بوجوده يتبرّعُ

يا مَن قضى جوراً عليَّ بحبّه
هل في الحياة لميّتِ حبّك مطمعُ؟

سكن الهوى قلبي فعزّ سكونهُ
هيهات يسكنُ والهوى يتولّعُ

ياسائلي عن دمعِ عينٍ سائلٍ
في شادنٍ منه الضراغمُ تجزعُ(٩٠)

طرفي جنى ورداً على وجناته
والى بسائلِ دمعه يتشفّعُ

أصلُ المحاسنِ حُسْنهُ فكأنّها
في الخلق من إحسانه يتفرّعُ

جمعتْ شتات الحسن صورةُ خلقه
فالحُسن فيه جنسهُ متنوّعُ

وصفات جوهرِه الحِسان لنفسه
ولغيره عرضٌ يحلُّ ويرفعُ

وكمالهُ بالذات فيه وزائدٌ
في الحُسن والإحسان لا يتقفّعُ

طُبِعَت على الخلقِ البديع طباعهُ
فصنيعهُ في الحُسن لا يتصنّعُ

يُثني عليه البانُ لمّا ينثني
ويقوم إجلالاً إليه ويركعُ

كالشّمس تنظرُ وجههُ مَن نورهِ
بادي المحاسن بالضيا يتبرقعُ

سفَر اللثام وماس حتى خِلتهُ
قمراً على غُصنِ النقا يتطلّعُ

أجلوهُ في طيّ البديع ونشرهِ
ويضيق قولُ بالبيان مُوسّعُ

وقال رضي الله تعالى عنا به:

[الكامل]

أدعُ القلوب إلى الغرام بما دعا
واصرخْ بها في الحيّ حتى تسمعا

واكشف لها وجهَ الوجاهة مُعلناً
لا كان وجهٌ في الهوى مُتبرقعا
حدّث عن العهد القديم فربّما
ذكرتْ من نسي الغرام فضيّعا
وعساك تُجبر كسر من يوم النوى
صدَعَ الغرامُ فؤادَهُ فتصدّعا
ذكّرْ بها الناسي عساك بذكرها
تشفي مُحبّاً بالصدود توجّعا
آهاً وما صنعَ الهوى بأخي الهوى
صُنعاً فكان اخو الهوى مُتصنّعا

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[البسيط]

أشرقتِ إشراقَ بدرٍ حفّهُ السُّر
وحُزتِ حُسناً بديعاً زانَهُ السّلفُ
ومِسْتِ تيهاً فتاةَ الغصنِ في خيفٍ
يهزُّ عطفاً عليه البانُ ينعطفُ
أمالنا للهوى عدلٌ تمايلُهُ
يُهززانِ قواماً زانهُ الهيفُ[١١]
إذا انثنى بين بانات النقا سجدتْ
طوعاً لديه وإجلالاً له تقفُ
إن قلتَ بدرٌ سرى في ليل طُرّته
فالبدرُ ينقصُ أحياناً وينكسفُ
أو قلتَ غصناً فقدُّ الغصنِ منكسرٌ
لقدِّهِ، وقدودُ البانِ تنقصفُ
من لي بقطفِ جنى جنّاتِ وجنتهِ
داني القطافِ ولكن ليس تُقتطفُ[١٢]
حمتْ بالبيضِ سوداً بالفتورِ لها
حرصٌ عليه وفي سفكِ الدما شرفُ
من لي بلثمِ لثامٍ دونَ صونتهِ
لكلِّ نفسٍ على نيلِ المنى أسفُ
صادفتُهُ فرحاً يفترُ عن حَبَبٍ
لِلؤلؤِ الثغرِ من ياقوتهِ صدفُ[١٣]
في فيه كنزٌ وفي الأجفانِ مانعُهُ
سحرٌ بعينيه للأبصار يختطفُ
قُتلتُ ظُلماً وفي فيهِ الحياةُ، وها
ظَلمُ المراشف لكن كيف يُرتشفُ؟
عيناه إن أنكرتْ قتلي فوجنتُهُ
شهيدها بدم المظلوم يعترفُ[١٤]

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[المتدارك]

قد حانَ شربُ سُلافِ الحانِ فاسقِ
راحاً تُريحكَ من فرقٍ ومن فَرَقِ[١٥]
فراحةٌ خُضبتْ بالراحِ ما برحتْ
تُريكَ صُبحَ الهدى في ظُلمةِ الغسقِ
خُذها بيمناكَ في أمنٍ وفي دعةٍ
مِنْ كُلِّ مُصطبحٍ منها ومُغتبقِ
ختامُها المسكُ بالتسليم قد مُزجتْ
طوبى لمرتشفٍ منها ومُغتبقِ
راقتْ ورقّتْ فرقّتْ شأنَ شاربها
إلى العُلا عن حضيضِ الحظّ والحُمقِ
قد فاقَ مَنْ لم يفقْ من شُربها نفساً
نفساً خلتْ عنه في خَلْقٍ وفي خُلُقِ[١٦]
حيّا بها الحيُّ عينَ الجمعِ مُبتسماً
فاحدقَ النورُ بالأرواحِ والحدقِ
شمسٌ يدورُ بها بدرٌ إذا غربتْ
في فيهِ أطلعها في حُمرةِ الشفقِ
عاينتُه والهوى لم يُبقِ لي رمقاً
فعاد لي عندما عاينتُهُ رمقي
يقولُ من عاينتْ عيناهُ صورتَهُ
سُبحانَ من خلقَ الإنسانَ من عَلَقِ

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[مخلّع البسيط]

ألقيتُ عن ساعدي سلاحي، وسرتُ مُسلماً على الطريق، طرحتُ نفسي وباطراحي، نجوتُ من فجّها العميق.

يا شمسَ حُسنٍ بلا مغيبِ
في الليل من شعرهِ الطويلِ
يا بدرَ تمٍّ على قضيبِ
يميلُ القلبُ إذ يميلُ

يا غصن بـــان عـــلى كـــثيب

يهتزّ في ردفه الثقـــــــــيلْ

أقسمتُ بالرّدف والوشاح، وخصرك الناحل الرقيق، في كل قلب سُمْر الرماح، رشقتَ من قدّك الرشيق[97]

شقيق خدّيــك يـــا نديمي

يكاد يُدمى من الـــــــــنسيمْ

وفي جنـــى جنـــة النعـــيم

خالٌ على ناره مقـــــــــيمْ

يسيمُ في آسه الـــوســـيم

والحســــــنُ مَن رسمه الكريمْ

كتبتُ بالآس والأقــاح، في الورد عبـدٌ لنا عتيقْ، يُسقـى مع الأعين الوقاح، بالدرّ مع خرك العتيقْ

يا ابنة الكـــرْم في الكــــروم

بـــعى على الأســـد ابي ريم

بالشمس يسعى على النجوم

بـــدرٌ على قـــده القـــويم

ارقّ مـــن رقّـــة النـــسيم

من ريقـــه مـــسكرة النديم

في فيه روحي وفيه راحي، ختامهُ مسكةُ السحيق، بـدرٌ على الأنجم الملاح، يسعى بشمسٍ مَن الرحيقِ

في كـــلّ بدرٍ على الـــسّديـــر

قُم اسقـــني الرّاحَ بالكـــبيرِ

في مجلس الـــــــروض بالأمير

تمـرُ منهـا علـــى النمـــير

قد غادر المـــوج في الغديـــر

لطمـــا علـــى وجهـــه النضـــير

والمزنُ تبكي على البطاح، فأضحكتْ زهرها الأنيقْ، وناحتِ الطير في النواحي، حزنا للينوفرٍ غريقْ[98]

ياساقي الرّاحِ في الـــدّياجي

أغنيـــت منهـــا علـــى الـــسراجْ

تصوّب النجــــــــمَ في الزّجاجْ

بـــــصبّك الماء للمزاجْ

قُمْ فاعطنيها بـــــلا حجـــاجْ

فلي إلى شـــربها احـــتياجْ[99]

يا صاحِ حتّام أنت صاحٍ، مُفرّق الجمع في الفريق، مُتْ في اغتباق وفي اصطباح، ما فاق في الحيّ من يفيقْ

يا ساقي الراحِ في الظـــــلامِ

أغنيــت منهـــا عـــن الصـــبّاحِ

ما غاب نجمٌ مـــن المـــدام

في مغرب الآس والأقـــــــاحِ

إلا بدا الـــــبدرُ في التمـــام

من مشـــرق الأوجه الصِّبـــاحِ

أصحت يا بدرُ في الصباح، مصابح النّدْر في العقيق، وتغربُ النجم في الإقاح، فتشرقُ الشمس في الشقيق

اظهرتَ من فيك آي عيسى

في الميت مَن طرفك الكحـــــيل

يا مُخجلاً وجهة الشموسا

بـــــــعادل الخدّ كم تميلْ

اضرمتَ في القلب نارَ موسى

وأنـــت في نـــاره الخليـــلْ

جنحتَ عنّي بلا جَناح، حمّلتني فوق ما أُطيق، تبريح وجْدٍ بلا براحِ، في ماء دمعٍ وفي حريقْ

وقال رضي الله تعالى عنّا به:-

[البسيط]

عقالُ عقلك بـــالأوهام معقولُ

قد قلّبَ القلبَ منكَ القالُ والقيلُ

هُيمٌ في مَهمه الأهواء من ولـــه

أفاذة فيك معقـــولٌ ومنقـــولُ

قد عشتُ مثلك دهراً في مكابدة

ولي فـــؤادٌ بهـــذا الـــداء معلـــولُ

وطالَ ما طفتُ في أطلالِ كاظمة

وغصنُ صَبري بماء اليأسُ مطلـــولُ

اظلّ بين ظلال البان مُلتحفـــاً

حائل الظـــلال في الأطـــلال مخمـــولُ

مُبلبلُ البال إنْ هاجتْ بلابلهُ

في كُلّ غصنٍ بـطلّ الدمع مبـــلولُ

اهيمُ في مهمه الأوهام مُلتفتاً

لشاذنٍ طرفه بالسحر مكحـــولُ[100]

دلالهُ ذلّهُ تيهاً علـــى وَلَهـــي
فصبُّه للهوى بـــــالتيه مدلولُ

ذهلتُ عنّي بذكراهُ فلذُّ به
ذُلّي لديه فصَوني فيه مبـــــذولُ

عذبٌ عذابي لديه في مَحبّته
ولاهيٌ كُلّـما يُمليه مملـولُ(١٠١)

أحيلُ فيه عليه دونَ صولته
مُفرَّغُ البـال بـالآمال مشـغولُ

أخالُ كُلَّ خَليٍّ منهُ آهلـةً
والمنزلُ الرَّحْبُ اقسـوى وهو مأهولُ

قضى بسفك دمي قاضي الهوى هَدَراً
وقيـلَ في الحشر اني عنه مسـؤولُ

تسلسلَ الصبرِ والسلوان عن جَلَدي
فجادلَ الوجْدَ حسيناً وهو مجدولُ

ونصدعُ الأرقُ في الأوراق إن صدعت
قلبـاً يعلّلهُ وعدٌ وتعليل

يساجلُ السُّحب بالانداء ناظرُهُ
إذا حكى البرق ثغرٌ منه مَعسولُ

يا سائلي ودموع العين سائلُها
يُنبيكَ عن طيِّ سرّي وهو مرسولُ

وفي فؤادي وفي طرفي ايُّ مُعجزة
غريقُ بحرٍ بحرِّ النار مشـعولُ

حديثُ وجدي قديمٌ مسُّ فاعله
في كُلِّ قلبٍ له بالحُبّ مفعولُ

يا مالكي شافعي وجدٌ يُصحّحهُ
دليلُ سقمٍ بقلبي منه مَدلولُ

حللتَ قلبي فالراح الهنا رحلتْ
نادى الغرامُ بهم حلَّ الهوى حولوا

وفي الغرام أعاجيبٌ والربـها
في البُعد قربٌ وفيه العكسُ مجعولُ

في سُقمه صحةٌ في قطعه صلةٌ
في بذله صونٌ عنه مفصولُ(١٠٢)

أفالنا مَن أقاويل القلى صلةٌ
وطالَ ما طال في المطل الأباطيلُ(١٠٣)

بايعتُ في بيعة الرضوان حيرَيه
قـد أيدتها لنا قـبلُ الأناجيل

وفي الفريق روى الفرقانُ فرقتنا
حُكماً وفي مُحكم التنزيل تأويلُ

حسناً خلال الحمى المرهوب سطوتهُ
لأسْدُ صنفان مأسورٌ ومقتولُ

وما نعتنا عيون العين عن أسلٍ
ما دونهُ لأولي الأحلام مأمولُ

حتّى تطلع فينا من مطالعنا
بدرٌ توارى به قلبٌ وإكليلُ

وقد تجلّى جهاراً في مظاهره
حيث استحال التجلّي أعينٌ حولُ(١٠٤)

وقال رضي الله تعالى عنا به:(١٠٥)

[الوافر]

عليلٌ لا يفارقهُ عويلُ
يخدُّ خدَّهُ دمعٌ يسيلُ

يصحّحُ سُقمهُ جفنٌ سقيمٌ
ويَنحلُ جسمهُ خصرٌ نحيلُ

بمَن يهوى لهُ وجْدٌ كثيرٌ
ولكن صبرهُ فيه قليلُ

يُراعي النجم طولَ الليل حتّى
كأنّ النوم فيه مستحيلُ

وطرفٌ للسُّها قد بات يسهو
يقصّرُ جفنه الليلُ الطويلُ

وأحيا ليلهُ والصُّبحُ ميتٌ
بجفنٍ نومهُ فيه قتيلُ

ولي ظبيٌ يصيد الأسد قنصاً
لهُ جفنٌ بمُقلته كحيلُ

بتيهُ دلالهُ فأتيهُ فيه
ولي حسن لجسم غُرّته دليلُ

عليّ وإن سخا بالنوم حيناً
بطيفِ خياله فيه بخيلُ

ظلومٌ قدّهُ عدلٌ ولكن
إذا ما مال ليس لهُ عديلُ

أمالَ لهُ القلوبَ هوى قوامٍ
إذا مرَّ النسيمُ به يميلُ

على وردِ بجنّةِ وجنتيـهِ
لآسٍ عــذارِهِ طـلٌّ طَليـلُ

أيــا بدرٌ مطـالعُهُ عيوني
وليـسَ لنـورِ بهجتِــهِ أفـولُ

أتحرقُ بالقلى قلـبي وفيـهِ
مبيتُكَ لا عدمتُكَ والمقيـلُ

نعيمُكَ في فؤادي وهوَ نـارٌ
كـأنكَ في نـوقُدِهِ الخليـلُ

قريبٌ للفؤادِ وأنتَ نـاءٍ
مقـيمٌ فيه شطَّ بـكَ الرحيـلُ

لرقِّكَ رقَّ رفقاً فهوَ عـبدٌ
تملّكَهُ جمـالُكَ والجميـلُ

يقولونَ العواذلُ كيف تفنى
ولي فيهِ رحيـقٌ سلسبيـلُ؟(105)

أيحيا ميتُ حُبٍّ مـا تأتّى
لـهُ فيـهِ لوصلتـهِ وصـولُ؟

وهل يحيا قتيلُ سهـامِ لحظٍ
وما للسلسبيـلِ لهُ سبيـلُ؟

وقال رضي الله تعالى عنا بهِ:-

[الكامل]

أسلمتُ فيكَ إلى الغرامِ زمامي
فأقادني سلْماً لسهمِ حمامي(106)

يا من حشا نارَ الأسى بحشاشتي
نعمتْ في بَردٍ لهـا وسلامِ

يا من نُحولي قد رَوى عن خصرهِ
سقماً بجفنٍ صحَّ عنهُ سقامي

دمعي يُسلسلُ عن رُواةِ جفونهِ
أنَّ المنامَ قضى عليهِ غرامي

أنحلُ لي قلبي وقـد صيّرتَهُ
غرضاً لطرفٍ قـد رمى بسهامِ؟

ومنعتني وردَ الحيـاةِ بناظرٍ
حسمَ الكرى عن ناظري بحسامِ

يا من أراقَ دمي على وجناتـهِ
أجنوتَ وردتَها بسَلْمِ لثامِ؟(107)

يـا كافراً وَرْدَ الخدودِ بآسهِ
حـرّمتَهُ، والوردُ غيرُ حـرامِ(108)

وَرْدُ بخدِّكَ غرسَ لحظي، من قضى
جوراً علـيَّ بمنعـهِ كمنامـي؟

وأبحتَ فيكَ دمي وقد حرّمتَهُ
أيضـاً عليَّ بناظـرٍ وقـوامِ

عَدَلَ قوامُكَ عـادلٌ لكنّهُ
جوراً يميـلُ مـع الهـوى لهيامـي

جوّزتَ كونَ المستحيـلِ بغرّةٍ
جمعتْ لنا نورَ الهدى بـظلامِ

قاضي هواكَ قضى بأنْ أقضي أسىً
خصمٌ تحكّمَ مـا يفيدُ خصامـي

ألومُ دهري أم ألـومُ صبابتي
لـمْ لي لمن ألوي عليَّ ملامي؟

هوّنتَ عزّي يا هواهُ وكم هـوىً
صبٌّ بـريمكَ قـد صبا لمرامي؟

ونسختَ مختصرَ الضنا من خصرهِ
لي رقَّ سُقمٍ من نحـولِ عظامـي

وجبرتني فكسرتَ جَبْري في الهوى
وجرحتَ جفناً بـالمدامعِ دامي

ربقٌ بروضِ روضَ خدّكَ قهوةٌ
مختومـةٌ مـن مسكـهِ بختامـي

لبورْدِكَ الريّانِ من وِرْدِ الحيا
انظرْ لصبٍّ من رضابـكَ ظامي

ومدامعٌ نمّتْ بوَجْدٍ قدْ نما
كالمسكِ مـن آسٍ بخـدّكَ نامـي

يـا بدرَ تمٍّ فوقَ غُصنٍ أملدٍ
أفديـكَ مـن غُصنٍ وبَدرِ تمـامِ

يا من مُحاقي من هلالِ جبينهِ
ونُحـولُ جسـمي واعوجاجُ قـوامي

أفدي هلالاً من جبينكَ طالعاً
صومـي لـهُ وعليـهِ فطـرُ صيامـي

أفردْتني وقرنتَ وجدي بالجفا
أتمتعي فأحلُّ من إحـرامي؟

يا كعبة الحُسن الّتي حجّتْ لها

أرواحُنا قِـــدَماً بـــــلا أجســـــامِ

يا كعبة في القلب بيت مقامه

يا ليت شـــعري أين منكِ مقــــامي؟

يا مالكي ذُلـّـي لعزّك شافعي

قـــــلّدتُ وَجْدي فيك فهوَ إمامي

أهوى هواك وأنت تهوى جفوتي

كم بـــينَ نجديّ وبـــينَ تهامي؟

وقال رضي الله تعالى عنا به:—

[متقارب]

وحــــقِّ الهوى واليمينِ الــعظيمِ

وما قــد جرى من حـــديثٍ قــديمْ

فــــؤادي الذي بـــانَ مُذ بِنتُمْ

بـــوادي اللوا في وَلاكم مُقـــيمْ

إذا زمــزمَ الــوَجـــدُ في الحشا

مقــامُ وجودي بـــكُم والحطيمْ(١٠٩)

لقلــــبي صحيحٌ سليمٌ بكُــمْ

وجســــمي لديكم عليلٌ سقــيمْ

جنوني بكـــم في جحيمٍ كمــا

جَناني بـــــكم في جنان النّعيمْ(١١٠)

وللنّفس مـــن عزّكم عــــزّةٌ

ورحمنُ روحـــي بقــلبي رحــيمْ

أنـــاجيه في طُور نار الهــوى

فطــوراً خليــلٌ وَطــوراً كَليــمْ(١١١)

وإنْ أنكرَ الوهمُ همّي بـــــه

فإلهــامُ فهْــــمي سميــــعٌ عليــمْ

وإن كنتُ أخفيه فيما بـــــدا

فمعناهُ عندي عليٌّ حــــــــكيمْ

وقال رضي الله تعالى عنا به:—

[الطويل]

تجلّتْ لنا الحسنا بأسمائها الحُسنى

فما أعظم الأسماء، وما أحسن الحُســنى

ورُمنا مراماً لا يُرامُ فـأسعفتْ

لنا منهُ بالحُسنى، وزادت على الحُســنى(١١٢)

وكُنّا وُعِدْنا في المَعاد بعَدْنــــها

فعادتْ بـــلا وعدٍ، فعدْنا بـــنا عَدْنا

عرَفْنا وأنكَرْنا، وفي النّكرِ عَرَفْنا

ومعروفُنا في العُرْفِ ما فيـــه أنكرْنــا

وفي جَهْلنــا عينُ اليقين بحقــــه

وجدناهُ منّا قـــابَ قوســــين أو أدنى

وفي عين غيبِ العينِ كُنّا بعَينـــها

ولمّا حَضرنــا فيــه غبْنــا بهـــا عنّا

وكُنّا لَحَـــنّا في البيان بلحنِـــنا

فأعجمَ عـــنّا الآنَ مــا عنــهُ أعربْنــا

ولمّا تواريْنا بــــها عــن عيونِــــنا

تراءتْ عيونُ العَين فينا فأبصــــرْنا

فرُحْنا فراحاً في تروّحِنَ روحنَـــــا

وجُدْنــا بهــا منّا وجودَ ألّنــا أمْنــا(١١٣)

وبانتْ على بانات بدرٍ بُدورُهـــــا

ولاحَ لها في الليلِ بـــرقُ الحمى وَهْنا

وهامتْ مهاةُ الرّمْلِ فيها بفهمِـــها

وغنّتْ على المُغنى، لها عـــادت المعنى

وقد غمرَتْ ليلى به ربْعَ عامـــــرٍ

وقَـــضتْ لُبـــانات الغرامِ بها

وظلّت حَماماتُ الحمى في ظِلالهـــا

تُغنّي بها شــــجْوا على الرّوضة الغنّا

وكُـــلُّ مُحبٍّ شفّهُ كُلُّ حُبّـــها

وكُلُّ حَنينٍ في الغـــرامِ لها حنّا

ولا أبصرتْ عينٌ سوى حُسنِ وَجْهِها

ولا سمعتْ من غـــيرِ ألفاظهـــا أذْنــا(١١٤)

ولمّا تجلّى في الوجود جمالُهــــا

جلا في مَجالي الكونِ من حُسنِها حُسْنــا

وعنها بروحِ اللهِ عَبّر أمرُهـــــا

وعنها بـــروحِ القُدُسِ في كونها أكْنى

فإنْ أمْلَتْ كانتْ بكلّ جميلــــةٍ

وإنْ وجبــتْ جلّتْ عن الغرضِ الأدنى

هي العقلُ في العلمِ المحيطِ ورُوحها

محلُّ حياةِ الذّاتِ في المشــهدِ الأسنى

إليها انتهتْ آمالُ كُلِّ مُؤمِّـــلٍ

وفيها تفانى كُلّ مَن بـــالهوى يفنى

وإنْ جاءَ بالمعنى اللطيـــفِ مُحدّثٌ

[illegible](١١٥)

قتيل الهوى في كُلّ حيٍ قتيـــلُها
ومُضنىً بها في الحيِّ كـل فـتىً مُضـنى
وفي شخصِها كُلّ اللواحظ أشخصت
وكُلّ فؤادٍ ضلّ في فـــــيدِها وَهْنا
فريدة حُســـن في الملاح توحّدتْ
لراها بـعَين الجمع ليس سـوٍ لها مُثنى
سرَتْ في سرايا كُلّ سرٍ بســـرّها
وقـــــد جعلتْ في كُلّ سرٍ لها سُكنى
نأتْ عن عيانِ العين مَن عين قُربهـــا
وفي كُلّ عــينٍ للعيـــان لهـــا معْنى
فللّه مَن ألهتْهُ عن نفسه بـــــها
وقد أيقظت في اللهو مُقـلتُه الوسْنى
وكان فقيراً في الغـــنى بغيرهـــا
لغارتْ عليه منه في الفقـــر فاستغْنى
وشاء سواهــــا سُوء سَوءةِ ظنّـــه
ومن ضغطة الإشـجان اسـكنه سِجْنا
ورواها لمنْ ألهتهُ عنها برُغمـــــه
وظلّتْ غُنـون الوهــم فيهـا لـهُ فنا

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[الوافر]

سَبتْ منك العُقول من العيون
جمـالاً فيـــه مـــن كُلّ الفنـــونِ
ففي فيك الحياة لكـُـلّ نفسٍ
تُنافســـن في المُنى وَبســب المنـــونِ
يميلُ السّحرَ قد مُلئتْ لحُنفي
فتورُ المقــــــلتين مَن الفتونِ
موانـــــعُ كمْ حُسنكَ لي لحاظ
تُوبنا الموت ما بــــــــين الجفونِ
فَـــــيا لله كم بذلتْ نفـوس
نفائسها على الحُســـــنِ المصونِ
سكَنْتَ القلبَ يا غُصناً رَطيـــــا
تُحـرّكهُ النسيمُ مع السـكونِ[116]
تمــايلـــــهُ يميـلُ بكـــل صـبٍ
حـــــليم للتهتّكِ والجنونِ

ويُثني قــدّهُ لبـــنا فـــسيثني
عَليه البـــان ما بـــين الغصونِ
سَخيٌ بـــالبعادِ وبـــالتدان
ضَنينٌ فيه قـد خابـــتْ ظنوني[117]
يُهوّنُ بــــالعزيز إذا تـــولّى
هـوىً فيـه يهـونُ عليـه هـوني
هَوى بي في الهوان هَواهُ لـمّا
ركَنْتُ إليه أوفـــــعق رُكوني[118]
أصونُ عن الوشاةِ شؤونَ وَجْدي
فيغشـــيه وشـــاة من شــــؤوني
يـــذلُ الأسدَ ظبـــيٌ ذو دَلالٍ
كجُنحِ الليلِ في صُبْحِ الجبـــينِ
جَميلٌ ذو جلالٍ فيه بَسْطٌ
يُزيـلُ الحـدُّ في طـــيّ المجـونِ[119]
يُدينُ بقتلِ أهلِ الحبّ عَمْداً
بــــلا قَوَدٍ ويفتي بـــالفنونِ[120]
كأن عليهِ مَطْلَ الوعدِ دَينٌ
مـــؤذىً، ليـسَ وَعْدي كالديـــونِ
رهنْتُ على الوصالِ لهُ فؤاد
تمـــلّكهُ وانكـــرني رُهـــوني

وقال سامَحهُ الله ورضي عنا به:-

[كامل]

يا واحداً في كـُـلّ شيْ ظـاهـرٌ
وَهْو الّذي في كُلّ شــيء بـــاطنٌ
لكَ كـــُـلّ شيءٍ إنْ بطنْتَ منازلٌ
وإذا ظهرْتَ فكُلّ شـــيء ســاكنٌ
يـــامن يكونُ كـُـلّ كونٍ كونـــهُ
وهْو الـذي في كُلّ كـونٍ كائـــنٌ
سرٌ خفيٌ في وجـــودكَ ظاهــرٌ
عَمّنْ أصونُكَ والمصـونُ الصائـــنُ
يا مَن أحاطَ وما أحاطَ بغـــيره
والــغيرُ وَهْمٌ في وجـــودكَ واهنٌ
إنْ غبْتَ أبدا الغيرُ كُلّ قبـــحة
وَعلى الوجودِ إذا ظهرتَ محاســـنٌ

في كُلِّ شيءٍ حُسنٌ وجهِكَ مُطلَقٌ
والكُلُّ في قَيدِ الغرامِ رهائنُ
سرٌّ لإدراكِ البصائرِ فائتٌ
وجمالُ حُسنٍ للبصائرِ فاتنُ
يا مَن يُحرِّكُ بالغرامِ جَوانحي
ولَهُ فؤادي بالمحبّةِ ساكنُ
قَسَماً بحبِّكَ إنّ حُبّي صادقٌ
إلا سُلُوي في الصّبابةِ مائنُ(١٦٠)
وفّى غرامي بالصّبابةِ والأسى
والصّبرُ كالسُّلوانِ فيه خائنُ

وقال رضي الله تعالى عنه:–

[الكامل]

أدلُّ لِمَن عزّ الهوى فهوانُهُ
فيه يهونُ وشجنُهُ أشجانُهُ
يستسهلُ المستهولاتِ من الهوى
وَعَنا الهوى أعيا به أعيانُهُ
كبدٌ تكابِدُ جذوةً مَن وَجدِهِ
فيسيلُ ما أملا الهوى أجفانُهُ
نارُ الخليلِ تخلّدَتْ في مُهجةٍ
لم يطفها طرفٌ طفا طوفانُهُ
قلبٌ تقلّبَ في المحبّةِ والمُنى
بين التأسّي والأسى ديدانُهُ(١٦٢)
كيف القرارُ لذي فؤادٍ خافقٍ
جارتْ عليه باللوا جيرانُهُ
ومتى تألّقَ بارقٌ يا برقا
فعلى العقيقِ تبادرت عقبانُهُ
طلّتْ على أطلالِهِم عَبَراتُ مَن
قد طال بين ديارهم دورانُهُ
أبداً يُكابدُ كلّ كلٍّ ذو الهوى
ويشيبُ من هولِ الهوى شُبّانُهُ
وافى الوفاةَ وفاتَهُ البقيا وقد
أفتى بقتلِ فتى الهوى فتّانُهُ ومَتى يقالُ
من الغرامِ غريمُهُ
ويُفيقُ من خَبَلِ الهوى وَلْهانُهُ(١٦٣)

أتُرى يُرى زوراً زيارةَ طيفكم
طرفٌ يُسامِرُ سُهدَهُ سهرانُهُ؟
ومتى يرى طيفَ الكرى من طرفه
سهرانُ يسهرُ للسُّها إنسانُهُ؟
وجَبَ السُّهادُ عليه في حُكمِ الهوى
حتى استحالَ من الكرى إمكانُهُ
رِفقوا لصبٍّ راقَهُ رقُّ الهوى
ففكاكُهُ إلفٌ كما سلوانُهُ
صبٌّ لرامةَ قد صبا ومرامُهُ
ريمٌ مكينٌ في الفؤادِ مكانُهُ
يرمي الفؤادَ إذا رنا من ناظرٍ
سَلَبَ الكرى عن ناظري وسنانُهُ
ظبيٌ تمنّعَ في ظُبا ألحاظِهِ
وغدا على أسدِ الشّرى عدوانُهُ
منعَ الوصالَ، وصالَ دون صِلاتِهِ
صَوناً لأقرانِ الوغى فرسانُهُ
ربُّ الجمالِ إذا انثنى بينَ الرُّبا
سجدتْ لهُ مِن بانِها قُضبانُهُ
يهتزُّ في زينِ الجمالِ فيُزدري
بالبانِ تيهاً ما حوتْ أردانُهُ
جمعَ المحاسنَ وهْيَ منهُ تفرّقتْ
فالحُسنُ فرعٌ أصلهُ إحسانُهُ
عمَّ القلوبَ بحبِّهِ فمحلُّهُ
من كلِّ قلبٍ حيثُ حلَّ جنانُهُ
روحٌ يصوّرهُ الخيالُ توهّماً
معنىً ونورُ العينِ منهُ عيانُهُ
سرُّ الحياةِ سرى بروحِ حياتِهِ
فأسرُّ أسرارِ النُّهى سريانُهُ
عَرِفَتْ به عرفاً طوى في نشرِهِ
بسطاً ينكّرُهُ به عرفانُهُ
فلكلِّ روحٍ منه راحٌ مزجُها
روحُ الحياةِ وروحُها ريحانُهُ
دارتْ مع السّبعِ المثاني حسبما
في حالِها قد أعربتْ الحانُهُ

طافتْ على الأكياس لُطفاً كأسُها
فترى الورى كلاً يرى سكرانَهُ

إنْ لاحَ فالأشباحُ حضرةُ غيبه
أو لاحَ أشباحُ العُلا إعلانَهُ

قمرٌ تطلَّعَ في سَنا سُبحانه
قمرُ العقولِ بما أبانَ بيانَهُ

وضحَ الهدى وَضّاحُهُ ودليلُهُ
في تيهه، ودلالُهُ برهانُهُ(١٢٤)

نسبَ الجمالَ على جلالة خدِّه
بالمسكِ سطراً خالُهُ عنوانُهُ(١٢٥)

روضٌ بروضةِ خباءِ حياته
فتغننتْ بفنونه أفنانُهُ(١٢٦)

وبلابلُ الألباب فيه تبلبلت
فتمايلتْ طرباً به عيدانُهُ

نمّتْ بما نمَّ النسيمُ فنامها
مرجَ النُّهى إذ سُرّحت أرسانُهُ

وتنفّستْ أنفاسُهُ فتنافستْ
فيه نفوسٌ نُعْمُها نُعمانُهُ

هامتْ به فيه لأنّها الهوى
عنها به وَلها كذا هيمانُهُ

إنْ أنجدتْ لا مُنجداً أو أغورت
فمعَن الغوير يردُّها غيرانُهُ

تحنو لوادي المنحنى وحنانُها
لقريبِ مَن سادت به غربانُهُ

تهوى نعيمَ العيشِ في نعمانه
لا ما غداهُ وغدنها عَدنانُهُ

طابت به طوبى فطيبةُ فالرِّضا
في روضةٍ قد حلّها رضوانُهُ

ملكُ الجلالةِ والجمالِ كمالُهُ
فلذاكَ أربابُ النُّهى عبدانُهُ

ولَهُ على العلياءِ كلُّ مكانةٍ
وبحيثُ زالَ الكونُ كانَ مكانُهُ

وغلا على الأملاكِ لمّا أنْ بدا
في عينِ آدمَ مُعلناً إعلانَهُ

دالوا لمُسْبحةِ وَجهِهِ لمّا بدا
يومَ السجودِ كما يشا ديّانُهُ

جُمَلُ الجمالِ تجمّعتْ في خَلقه
ولخُلقه جمعَ الهدى فرقانُهُ

نظمتْ نثارَ الفضلِ منه مآثرٌ
ببيانِ جودٍ حيثُ جادَ بنانُهُ

فعليه فيضُ الفضلِ من رحماته
أبداً يدومُ كما يشا رحمانُهُ

وعلى صحابته وآلِ وَلائه
والتابعين وأمّهم إيمانُهُ

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[الرجز]

صَبٌّ صبا مع الهوى فُنونُه
مُذ دانَ في شرعِ الهوى بدينه(١٢٧)

تقدّمَ الوجدُ به وجودُهُ
فحانَ فيه حَيْنُهُ من حينه(١٢٨)

وجودُهُ ارهنهُ لموجِده
كيفَ به ينفكُّ من رُهونه؟

في حينه ما شكَّ حين حُبّه
أقرّهُ الحبُّ على يقينه

قبْلَ الهوى أصّلَ فوقَ وَصْله
ومَن لهُ بعدَ الهوى بدونه

ركونُهُ إلى الهوى أهوى به
فيه فما أهواهُ في رُكونه

يا ويحَ مَن غرامُهُ غريمُهُ
وشأنُهُ قد صينَ في شؤونه

وقلبُهُ مقلّبٌ مع الهوى
مُمكّنٌ بالوجدِ في تكوينه

غرامُهُ صديقُهُ، وصبرُهُ
قد خانَهُ ومات في يمينه(١٢٩)

أفتى الهوى في حُكمه فتولّهُ
وحبذا فناهُ في فنونه

والهاهُ مُذ وافى الهـــوى وفاتـــهُ

وفـــاتهُ المظنـــونُ مَن ظنونـــه

لما أثارَ الوَجدُ فيـــه جـذوةً

أجرى عيـونَ الدمـع مـن عيونـه

يا ساكناً في القـــلبِ وَهوَ خالقٌ

يطيرُ بـــالشوق إلى ســـكونه

خلي الخليُّ فالهـــوى حزينـــهُ

يـرى سُهـول الحُبِّ في حُزونـــه

مسكينـــهُ ساكنُـــهُ فخانـــهُ

ما ضرّهُ حنوا على مســـكينه[30]

مُـــعذّبٌ بنارهِ مُخـلّـــدٌ

مَن ضغطة الاشــجانِ في شـجينه

أليتُـــهُ لو أنـــهُ بصخـــرةٍ

لـلان صُم الصخـــرِ مـــن أنينـــه

وعندمـــا يحنو لوادي المُنــحنى

يُســـدي حنين الجذ ع من حَنينه[31]

يا ويحهُ والحـسبُ يقضي انـــهُ

نبـــلُ المُنى وقْفٌ علـــى مَنونـــه

يـــلومـــهُ لائـمُهُ في شاذنٍ

يصيـد لـيثَ الغـاب في عرينــه[32]

يتيهُ في عَذْنٍ عـــلى ولـــدانه

وتزدري أعيُنهُ بـــعينه

في وجنتيـــه للـــعيون جنّـــةٌ

تُسقى بعَينِ الشّهد من مَعينه تُسعى لشـــهد

لعمـرهِ لـــي خـدّه

نمّلٌ كلون الآسِ في لســــريته

خلع العـــذار في هوى عـــذاره

في شــرع أهل الحب من مسنونه

لـــؤلؤهُ المكنـــونُ في مَبْسَمـــه

تكـــوّنَ الالاءُ مـــن مكنونـــه

في فيه حان قهـــوةٍ من حينـــه

نشـــاها نشـوانٌ في شـــؤونه

يرمي الفؤادَ إنْ دَنا بنـــاظرٍ

فـتّانهُ يطـــر علـــى مفتونـــه

إذا انتضى ابيضَ من أســـودهِ

كـــأنهُ الكُمـــيُّ في كَمينـــه[33]

مـــاءُ الحياةِ ريقُـــهُ وإنّمـــا

مَصـــارعُ الـــعُشّاقِ في جفونـــه

فـــأمنهُ على القـــلوبِ خشنهُ

والخوفُ كُلّ الخـوفِ مـن أمينـه[34]

لأقسِمَنْ بالشمسِ مِن وضاحـه

وليلهِ فوق ضُحـــى جبـــينه

ما مالَ بين البانِ عَذْلٌ قـــدّهُ

إلا وقدُّ قـــدِّه من لينه

يُثني عليـــه بـــأنّهُ إذا انثنى

وتـــسجُدُ القضبـــانُ من غُصونه

قالوا: قرين البدرِ، هذا غلـــط

جمالـــهُ يجـــلُّ عـــن قرينـــه

صانَ الجمال عـــزّةً فصُونـــهُ

يُهتَكُ الأســـتارِ في فُتونه

قد ظلّ منه الرشد في ضـــلاله

وتاه منه العقـــلُ في جنونه

في تيهـــه يظلُّ رُشدي حـــائراً

فـــقد تاه منه الفكر في فنونه

عارضني في عـــارضيه ماحـــرٌ

هاروتهُ يســـطو على جبينه

أوحى لكـــلِّ نـــاظرٍ جمالُـــهُ

حـــلّ جلالُ اللهِ في تكوينه

وقال رضي الله تعالى عنا به:

[الطويل]

تحجّب عن طرفٍ نـــاء بمنامـــه

وحـــلّ فؤاداً في قـــيودِ غرامه[35]

ألـــام بقلبٍ في جَحيم جوى الـــهوى

على أنّهُ في بَرْدِهِ وســـلامه

وسارَ وقد أسرى بسائرِ مُغـــرمٍ

مقيـمٍ على عهد الهوى وذِمامه[36]

كأنَّ ركاباً فيهمْ مــــن نــأى بــه
أقـاموا بقـلـبٍ فيه دار مقـامهِ

إذا ما روى بـــرق المباســـم طرفُهُ
عن العين أزرى عبـثهم بـــجامهِ

فتىً صدقُهُ في الحــبّ مين مثلــودِ
وقـد صحَّ فيهِ وجْدُهُ بسقــامهِ

صَدوقٌ إذا مالتْ ظنونُ عذولــــه
فلـم يَلــوهِ للعــدلِ في مَلامهِ

لوى ا سُهد جفناً أطرف الدّمعِ طرفــهُ
وطافَ بـــه طيفٌ سَرَى بمنامه[١٣٧]

رَوتْهُ أحاديث الحمى نســـمة الصّبا
تُعنعنُها عن بـــانهِ وخُزامهِ

وقالتْ بعيد الدّار صــبٌّ مُتيّــمٌ
حمامُ الحمى ناحتْ بِقـربِ حَمامهِ

فـــآهٍ لصَبّ رامَ ريمـاً برامــةٍ
وما إذْ رنا من رامَهُ بــســهامهِ

أحَلَّ دمي لـــمّا احلّ بـــمُهجتي
جوىً، حلّهُ في حــكمهِ كحـــرامهِ

أرى دمعيَ القاني واسود ناظري
بخدّيه خالاً في احمرار احتشـــامهِ

متى أنكرتْ عيناه قتـــل مُحبّهِ
ففي وجنتيه شـــاهدٌ بـــاتّهامهِ[١٣٨]

لمن يلتجي صبٌّ تحكّــمَ خصمُهُ
عليه بـــلحظٍ جارَ في احـــتكامهِ[١٣٩]

يميناً لقد مانتْ أمانيـــه في المُنى
بـــريمٍ أبـــادَ الأُسْدَ دون غرامهِ

يصول إذا صالتْ ضبا اللحظ ظلمه
يجور إذا ما مال غدلُ قـــوامهِ

نشا نشأة النّشوانِ مَن خمر ثغــرهِ
لمن حــــسنه في فيهِ خارُ مُدامهِ

يهز الصّبا غُصناً يميسُ من الصـــبا
بـــه صبُّهُ قدْماً صبـــا لهيامهِ

تروحُ به ريحُ الصَّبـــا ثمّ ينثني
بـــراحِ الصّبا أو بـــارتياح لمامهِ[١٤٠]

يزين اهتزازُ الزّانِ زينَ اهـــتزازهِ
يحلّ انبرام البـــان حـــلو انبرامهِ

أحـــال ظلامُ الليل طرّةَ شعرهِ
وقـد أقـــمرتْ نوراً بـــبدرِ تمامهِ

تلا الليلُ منه والضّحى آيَ حُسْنِه
فظــلّ الهـدى في فجـرهِ وظلامـــهِ

جنى النحل في فيهِ وفيه حيـــاتنا
ولكنّهُ، من لي بـــلثْمِ لثامهِ؟!

ينظّـــمُ درُّ الثغرِ نثـرَ مقـــولــه
فيا حُســـــنهُ في نثْرهِ ونظامهِ

يُناجي فينجي مَن يناجي مَن الجوى
فكُلّ كليمِ بـــــرؤهُ في كَلامهِ

رحيقُ الثّنايا والمثاني تنفّثـــتْ
إذا قـــال عن فتحٍ يَطيب ختامه[١٤١]

على ظُلمه ظُلْم٤ أضبا لحظ ظبية
تُبـــيدُ أسُود البـــيد دون التثامهِ

كأنّ المـــــن ايا والمنى في فتـــورهِ
وفي رشْفِ ظَلْمٍ في ابتســـــامه[١٤٢]

فظالمنا باللحظ في الظُلمِ مُحسنٌ
وإحســـــانُهُ فينا ارتكاب أثامهِ

وقال رضي الله تعالى عنا به:—

[البسيط]

لمّا أراق دمَ المهجور ها جرُهُ
أراقَهُ في جلال الدّمـــعِ ناظـــرُهُ

يُريكَ عقداً من الياقوت منتظماً
بـــلؤلؤٍ في بهارِ الخدّ ناثرُهُ

يُنبي بأنَّ الهوى بالوَجْد أرسلَـــهُ
فأنذرتْ بـــالجوى فيهِ نوادرُهُ

صبٌّ يصبُّ صَباباتٍ يَنمُّ بهـا
دمـــعٌ بنميـــهِ مـــا صانـــت ضمائـــرُهُ

طوى عليه طوايا القلب منقبضاً
عن بَسطه والهوى بـــالدّمع ناشِرُهُ

كـــأنّما قلبُهـــا أجفـــانُ ناظرهِ
ودمعُهُ في أماقـــــيهِ خواطرهُ[١٤٣]

تبسُّم البرق أبكـــى مُزْنَ أعيُنـــه
وأشـــعل النار في الأحشـــاء ماطِرُهُ

ما أطرفَ الطرفَ ما أطفا تلهّبهُ
وطرفهُ أوردَ الطّوفانَ صادرهُ

سَلْ سائلَ الجفن: ما أسلا الجوى به
يُنبيكَ عن باطنِ الأحشاءِ ظاهرُهُ(١٤٤)

شؤونُه عبرتْ عن شأنه عبراً
بعَبْرةٍ سورها كالبحرِ زاخرهُ

حديثُ سقمي صحيحٌ عن قديمِ هوىً
يُسلسِلُ الدّمع مُرسولاً تواترهُ(١٤٥)

ياسائلاً سائلَ الأجفانِ كُفَّ كفى
من واكفِ الدمع ما اكفتْ محاجرهُ(١٤٦)

يقصّ قصّتهُ مَن قصّتْ سوابقُهُ
قصاذهُ الصدُّ لمّا طارَ طائرهُ(١٤٧)

أسرُّ سِرّ وجودِ الخلقِ كيفَ يشا
لسرّهِ فَوشى بالسّرِ سائرهُ

قامتْ عليه شهودٌ من شواهده
فما الهوى باعتذارِ الوهمِ عاذرهُ

فالشّوقُ مِن حسَراتِ القلبِ مكتنزٌ
والصّبرُ قد نفدتْ فيه ذخائرهُ

هل يجبرُ القلبَ فيه من تصدُّعهِ
وجْدٌ على صَدْعهِ في الحبِّ جابرُهُ

ألحى لحيَّ الحبِّ مُفتيهِ بقتلتهِ
في سَيرِ سيرته تبلى سرائرهُ

يظلّ يهديهِ في المهدِ الضّلالُ به
لرُشدهِ ورشيدُ الحبِّ حائرهُ

يموتُ في الحبِّ مَن يحيا به وبه
في الحشرِ يحشُرهُ للحَشْرِ حاشرهُ

ما دون دينِ الهوى دينٌ يدينُ به
صبٌّ صبا للهوى مُذ صارَ صائرهُ

أخلصتُ حُبّاً لربِّ الحُسنِ فاعتَرتْ
خواطرُ الحبِّ وانكفّتْ كوافرهُ

أمسكتُ صوماً عن السّلوانِ صونَ هوىً
عليه قد أفطرَ المشتاقَ فاطرهُ

أحييتُ ليلاً أماتَ النومَ في مُقَلٍ
عليه إنسانُها أبكاهُ ساهرهُ

بسَطتُ للسّقم جسماً فيه صحّتُهُ
تجوهرتْ بالضّنا فيهِ جواهرهُ

آياتُ حُسْنٍ أتتْ في أيِّ مُعجزةٍ
آثارُ سُقْمٍ به صحّتْ مآثرهُ

قد كنتُ في الجسمِ قبلَ السُّقمِ مُستتراً
شفّتْ بما شفّهُ عنّي ستائرهُ

الآن لا أينَ بعدَ العينِ أينَ به
والأينُ غيبٌ وعَينُ الأينِ حاضرهُ

نظرتُ بالوَجْدِ في عَينِ الوجودِ فما
وجدتُ ذا نظرٍ فيه أُناظرهُ

فحسبيَ اللهُ مما كنتُ أحسبُهُ
هوَ البقينُ إذا استهداهُ حائرهُ

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[البسيط]

إذا أباحَ دمَ المهجورِ هاجرُهُ
باحَ الحبُّ بما تُخفي ضمائرُهُ

أيكتمُ الحبُّ صبٌّ باحَ مدمعُه
لمّا جرى بالذي تخفي سرائرُهُ

كأنّما قلبُهُ أجفانُ ناظرهِ
ودَمعُهُ في أماقيهِ خواطرُهُ

يا جيرةَ الجزعِ هلّا جيرةٌ لفتىً
عليه في حكمهِ قد جارَ جائرُهُ

والحاهُ بالوَجْدِ أهواءٌ به كثرتْ
وخانهُ الصّبرُ لمّا قلَّ ناصرُهُ(١٤٨)

كفى بهِ من تباريحِ الهوى حَزَناً
بأنَّ عاذله في الحبِّ عاذرُهُ(١٤٩)

لو رامَ في الحبِّ إحصاءَ محنته
من الجفا، حيرةٌ جفّتْ محابرُهُ(١٥٠)

يصبو لدينِ الهوى بالنفسِ مُحتسباً
لمّا نهاهُ النُّهى، والحبُّ آمرُهُ(١٥١)

آهٍ وكم لي على خَطْبِ الهوى خُطَبٌ
مِنَ الغرامِ به تعلو منابرُهُ(١٥٢)

مُقلَّبُ القلبِ بين البانِ مكتئبٌ
مُبلبَلُ البالِ لي وَجْدٌ أسامرُهُ

طرفٌ سَهَا للسُّها في الليلِ بالفَهُ
سُهــادُهُ والـكرى فيــه يُنافـــرُهُ

أصادني بين بانات النّقى رَشَأٌ
من حـــاجرٍ أمرَتْ قـــلبي محاجرُهُ

فعارضتْ في فنا جسمي عوارضُهُ
تناظرتْ منه في قـــــتلي نواظِرُهُ

وجْداً به اسلفتْ قلبي سوالفُهُ
شغلاً بــــــه غادرتْ فيه غدائرُهُ

مستأنسٌ نفارٍ وهو مرتَعُهُ
حُشاشـــتي وفؤادي فيه حــاجرُهُ

يهزُّ لي كتفِ الكافور من هيـــف
غُصناً عليه فــؤادي طــارَ طائـــرُهُ

مهفهفٌ أبلجٌ، بــدرٌ على غُصـــنٍ
تخفى البــدور إذا لاحــت بــوادرُهُ

تستعطف البان من أين معاطفه
تُغــادرُ الــرُّشدَ في تيــهٍ غدائــرُهُ

مـــطرَّزُ الخدِّ بالرّيحان في ضرجٍ
مُوَرَّدٌ آسُهُ، تزهـــو ازاهـــرُهُ

كـــانَ قلبي بنــارٍ فوقَ وجنته
مجنونُ ليلـى وذاكَ الخـالُ عامــرُهُ

جبيُــــهُ مشرقٌ في ليلِ طُرّتــــه
يتلو الضُّحى ليلهُ، والليلُ كافرُهُ[154]

بالمسكِ خُطّت على كافـور جبهتهِ
من فوقِ نوناتِها ســـــيناً ظفائرُهُ

هاروتُ لو عاينتْ عيناهُ ناظـــرة
من سحــرهِ فتنتْ فيه سواحــرُهُ

يحوي من الشهد لي فيهِ مَراشــفُهُ
ياقـــــوتُها صدفٌ فيه جواهرُهُ

مُكمَّلُ الخلقِ ما تحصى خصـائصُهُ
مُنظِّرُ الحُسنِ قــد قــلّتْ نظائرُهُ

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[الكامل]

رفعَ اللثامَ فلاحَ تحتَ لثامــــه
قـــمرٌ تبـــدّى فوقَ غُصنِ قـــوامهْ

فـــــكانَ نورَ جبينه مَن شعرهِ
صبـــحٌ تبــــلّجَ تحتَ جُنحِ ظلامهِ

ويميلُ عَدلَ قوامهِ فكــــأنّهُ
ثملٌ سقـــــــاهُ الثغرُ كأسَ مُدامهِ

غصنٌ لهُ فرعٌ كليـــــلٍ مُقمِرٍ
مَن وجههِ يزهو بــــــدرِ تمامهِ

يثني عليه الـــــبانُ لمّا ينثني
ويَميلُ مُنكســــراً لعَدْلِ قــوامهْ

غصنٌ عليه كـــــلُّ قلبٍ طائرٌ
ريمٌ لديــه الأُسْد طــوعُ مَرامــهِ

كشفَ اللثام: بَدا بليلِ قوامهِ
بـــــرقٌ لطرفي منهُ نوءُ غمامهِ[155]

يفترّ عن حَبَبٍ فأنثرُ لؤلؤاً
من ناظرٍ يبـــكي على بــــسّامهِ

صَيّرتني وأنا القتيل بلحظهِ
وسقـــامُ جســـمي من بديعِ سقـــامهِ

ما الصَّبرُ بحلوٍ عن رضابٍ في فمٍ
حـــلوٍ يحلُّ العقـــد عقـــدَ لثامهِ[156]

صبرٌ يُصبرُ عن رَشاً في ثغــرهِ
راحٌ يُريحُ القـــــلبَ من آلامهِ

رشأٌ أحلَّ دمي وحرّمَ وصـــلَهُ
لم يَرْعوِ في حـــــلِّهِ وحَرامهِ[157]

إنسانُ مُقلتـــــه بقوسِ جَبينـــه
يرمي القلوبَ إذا رنا بســـهامهِ[158]

نائي المـــرامِ إذا رنــا فسهامُــهُ
أدنى لقـــلب الصَّبّ من أوهامهِ

قابلتُه فنظرتُ أسوَدَ ناظـــري
خالاً تشــــكّلَ في صفاءِ مَصافهِ

نارُ الخليلِ على توقدِ خـــدِه
مُتـــنعّمٌ في بردهِ وسلامـــهِ

خطّ الجمـــالُ على جلالةِ خدِّهِ
لله خـــطٌّ هـــاؤُهُ في لامـــهِ

والحُسنُ نـــصٌّ بنونهِ وبصادهِ
ظبيُ الهوى يســـطو على ضرغامهِ

يرنو بأكـــحلَ ناعسٍ مُستيقظٍ
حـــسَمَ الكرى عن مُقـــلتي بحُسامهِ

سَرَقَ الشقائقُ ناظري من خدّه

سرقتْ لواحظُهُ لذيذَ منامه

نسَخَ اختصارَ نُحول جسمي خصْرُهُ

وحاظهُ تُملي سقامَ عظامه

قالوا: ارقْتَ اسىً، فقلتُ ومَدمعي

اسفاً أرقتُ على الكرى ولمامه[59]

مات الكرى في مُقلتي فحميمُهُ

عبراتُ طرْفٍ حُمَّ يومَ حِمامه[60]

وقعدتُ في وَجدي وجُودي والهوى

أهوى بقلبي في هوانِ هيامه

وقال رضي الله تعالى عنّا به:-

[الكامل]

لَبسَ الجمالَ فلاحَ مَن أطواقه

قمرٌ فاخفى البدرَ في آفاقه

ويهزُّ بين البانِ بانةَ قدّه

فيَقدُّ قَدَّ البانِ من أوراقه

رفعَ اللثامَ فلاحَ فوقَ البانِ مَن

عطفيه بدرُ التمِّ في إشراقه[61]

قمرٌ تجلّى في جلالةِ حُسْنه

سبحانَ مُبدي الخلقِ من خلاّقه[62]

فتنَ العقولَ بطرفه فكأنّما

هاروتُ بثَّ السّحرَ في آماقه

أحداقهُ تحمي حدائقَ حُسْنه

يا حسرةَ الأحداقِ من أحداقه

من كان مَلْسوعاً بعقربِ صُدغه

فشفاهُ شَهْدُ الثغرِ من ترياقه[63]

مزَجَ المحبّةَ بالغرامِ وكيهِ

وأدارَها صِرْفاً على عُشّاقه

نَسَخَ الغرامُ به جميلَ تصبّري

فغرامُ قلبي فيه من مصداقه

حسبَ الغرام فجاءَ وفقي مثلما

حَسَبَ الجمالَ فجاءَ مَن أوفاقه

صادفتهُ فصدفتُ من نظري له

شُغلاً بما في القلبِ من أشواقه

أطرقتُ، أطرقَ، فزتُ منه بنظرةٍ

ياليتهُ لو دامَ في إطراقه

أطلقتُ دمعَ العينِ فهو مُسلسَلٌ

ما أعجبَ التقييدَ في إطلاقه!

قرّبتُ نفسي للخليلِ فديتُهُ

ما ضرَّهُ يحنو على إسحاقه[64]

كيف الخلاصُ وكيف يخلصُ مَن لَهُ

قلبٌ يُقلّبُ في وثوقِ وثاقه؟

أخذَ الغرامُ عليه ميثاقَ الهوى

فوثاقُهُ في الحبِّ مِن ميثاقه

والوَجْدُ أشفقُ من بقاءِ وجوده

فيه فأشفقَ فيه من إشفاقه

ذاقَ الهوى قبلَ الهوانِ جلالَهُ

فأذاقه من بعدِ مُرَّ مذاقه

ساقَ المنيّةَ للمحبِّ غرامُهُ

والحبُّ ما ساقَ الفتى لسياقه

غلقَ السُّلوَّ على العَنا اغلاقَهُ

فتحَ الهوى ما كانَ مَن إغلاقه

إنسانُ ناظرهِ غريقُ دُموعه

وفؤادُهُ يشكو جوى إحراقه

أجرى الدُّموعَ بما جرى إنسانُهُ

فكفاهُ ما أكفاهُ مِن مهراقه

فالوَجْدُ كلّ الوجدِ في شغفي به

والحُسنُ كُلّ الحُسنِ مِن أخلاقه

وقال رضي الله تعالى عنّا به:-

[البسيط]

تمكّنَ الحُبُّ منّي كيف أخفيهِ

والدمعُ يكتبُ والآماقُ تمليه

قد صحَّ عن سَقَمي ما كنتُ أكتمهُ

والدمعُ عن ناظري في الخدِّ يرويه

كانَ قلبي على التبريحِ أرّقَهُ

وجدٌ لمدمعي عليهِ فيه يُجريه

سرُّ الهوى قد سرى في كُلّ كائنة

فكُلُّ كونٍ بمعنىً فيه يُعنيه

لكُلِّ قلبٍ رسولٌ جـاء منـهُ لهُ

بـــــالحبّ للغيِّ فيه ظلَّ يَهديه[٦٥]

وكيف يُنكرُ عرفانَ الهوى وَلِهي

ورِبقَةُ الحُسنِ للأبـــصارِ تُوحيـه

فكُلُّ مَن مات فيــه دون مُنيته

بعيدةٌ للهوى بـــالوَجْد مُبــديه[٦٦]

فكيف يصحو لفؤادٌ من مَحبته

حيناً وساقـي حُمَيا الحان يسقيـه؟[٦٧]

أم كيف يطوي بساطَ الحبّ واجدُهُ

والحبُّ ينشـــرُهُ وَجْداً ويَطويه؟

يـــا مُنيةَ القلبِ قـلبي لي مَنيّتـه

مُقلَّبٌ، والهـوى ألهـــى تمنّيــه

هذا هيامي وهــذا في الهـوى وَلَهي

فـأيُّ هَوْلٍ مِنَ الأهــواءِ يُلهيـــه؟

آه وكم لي على خطبِ الهوى خُطَبُ؟

وفي خطوب الهوى مــا ليــس أُلهبــه[٦٨]

جلبابُ وَجدي جديدٌ إنما جَلَدي

تجديد وجْدي بســلوى الحب يبليه

يا لائمي في لَمى أحوى حوى حَوَراً

مَن ماتَ ظُلماً بـــه فالظُلمُ يُحـــييه[٦٩]

قال المُعنَّى تَفنى دون أعْيُنِـــــه

فقلتُ: عيْن حياة القلب في فيه

وقال رضي الله تعالى عنّا به:-

[الكامل]

رامَ الفؤادُ برامةٍ ربـــع الحمـــى

فحماهُ عنه حُماةُ فرقِ فريقـــــه

لـــولا بمشعرِهِ الحرامِ تحـلّلَتْ

مِن حُرمةِ الإحـرامِ عُقـدةُ ضيقـه

أخفى بخيفِ مِناهُ هَـديــــهُ

مِن هديهِ التغريبُ في تشريقـــــه

وطوى جوانحَهُ على جمـــــراتها

وأفاضَ عين عيونه خُلوقــــــه

وسعى لَمعلمه سعَاية عالـــــــمٍ

لصفاء وصف الصِدق في تصديقـــه

أبداً يطوفُ على لـــــطائفِ صُنعهِ

ويرى صنيعَ الحقِّ في تحقيقـــــــه

وسقاهُ لـــمّا زَمْزمَ الحادي بـــــه

كأساً بـكأسٍ صَبوحــه وغَبوقــه[٧٠]

نَفَحَتهُ من أرواحِ طيبةَ نفحـــــةٌ

طابـتْ لها من قبـــلِ روحِ عتيقـــه

وأمالَهُ للبانِ مِيلـــــةَ عاطـــفٍ

لعـــــاهُ يعطفُ رقّةً لرَقيقـــــه

فهداهُ بارقُ ثغـرِ دِ لَعينـــــه

فحـسباتُهُ لبروقـــه وبَريقـــــه

وردَ العُذيبَ على الثـــنايا وانثنى

نحو العقيقِ لرشـفِ راحِ رحيقـــه

فحيا بمــاءِ حياتـــهِ وَحياتـــه

وأراحَهُ مِن حرّ نار حَريقـــــــه

وأراهُ في مــرآةِ ريِّ روايـــــةٍ

مُســتغنياً في عين صاد صديقـــه

وقال رضي الله تعالى عنّا به:-

[الكامل]

حضَرَ الحبيبُ وغابَ عنهُ حَبيبُهُ

حَسْبي نعيمٌ زالَ عنه حسيبُهُ[٧١]

داوى فؤاد الوَصْلِ من أدوائــــه

طوبى لقـلبي والحبـيبُ طبيبُـــهُ

صـــدقَ المحبُّ حَبيبَهُ في حُبّـــه

لحَباهُ صدقَ الحبِّ منهُ حبيبُهُ[٧٢]

لبّاهُ لـــبُّ فـؤادِهِ فـأجابـَهُ

لمّا دعاهُ الى الغرامِ وَجيبـــــهُ[٧٣]

وهوانُ مَن يهواهُ فيــه عــــزّةٌ

أبداً، وفي إبعادهِ تقــــــريبُهُ

ركبَ المَنيةَ بالمُنى فقضى بهــــا

إرَباً فلا ريبُ المَنونِ يُريبـــهُ[٧٤]

أفناهُ تهذيبُ الهـــوى فوجودُهُ

أبقـاهُ بـــعد ذَهابــهِ تهذيبُـهُ

موتُ المُحبّ لهُ حيـــاةٌ حبّذا

حبٌّ عليه نَحيبُهُ ونَحيبُهُ

ولو رُبّما ربُّ الغرامِ قضى به

لأطاعهُ ليثُ الهوى وربيبـــــــــــهُ

ولجامعِ الأهواء فيّمل حبُّهُ

ولحسنه خطَبَ القلوبَ خطيبـــــهُ

قُل للحبيبِ إذا قلاكَ تجمُّلاً

هيهاتَ يَسْـــلو مَن هواكَ نصيبـــــهُ

سهمٌ أصابَ الصَّبَّ يوماً بالقلا

لابُدَّ يوماً بــــــــالوصالِ يُصيبُهُ

وقال رضي الله تعالى عنّا به:-

[البسيط]

ظبيٌ أتى من ظبي الألحاظ في حَرَسٍ

بـناظرٍ فتنَ الأبــصارَ ساحـــرةْ

نظرتُ ناضرَ خدّيه لينظُـــرَني

حـبّاً فعاجلَني بـــالحَين ناظرةْ[١٧٥]

فُـــورةُ فتنتْ قلباً يُقلّبُـــهُ

مِن جفنهِ بــالجوى في الحَرِّ كاســرةْ

واطرفُ الدّمعُ جفناً باتَ في ســهَرٍ

يبكي على ناعسِ الأجفان فاترةْ

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[الطويل]

روى البرقُ طرفي ما روى الحُسن عن علوى

فأروى مُزن الدمع في الحي مـــا أروى

وأعلن وُجدي عن وجودي تواجُدي

عن المعلم الأعلى بما أعلمتْ غلـــوى

وحدّثنـــي عنهـــا الحوادثُ إنّها

أقـــام بها العهدُ القـــديم على جزوى

وإنّ بليلى مَربعَ الكونِ عامـــرٌ

وإنّ هوى قـــيسٍ بـــه ربـــعها يهوى

وأشهدني في مَشهدِ الكشف شاهدي

بـــعينِ الرضا في كلّ أرضٍ لها رضوى[١٧٦]

ففي كُلِّ حيٍ حيُّهـــا غيرُ ميـّـتٍ

علـــى كُلّ مـــاءٍ عـــدّ مَن لهـــا مـــأوى

فهذا هو الوادي المقدّس مـــن طُوى

وهذا يمين الأمن من موضـــع النجـــوى

تبدّت بقـــاب القُرب دون دُنوّها

على المسجد الاقـــصى من الغاية القُصوى

فعبسُ الهوى تسري إلى كُـــلّ منزلٍ

بعشّاقـــها والوَجْدُ يحدو بها حذوا

تمثّلهـــا في كُـــلّ عَين مثالُـــــهُ

لهُ مَثلٌ، في كُلِّ قـــلبٍ له مثوى

ودونَ خباها في خبايا غَـــيبٍ مثالُهُ

لهُ مثلٌ، في كُلّ قـــلبٍ له مَثوى

تُعيرُ الصّبا نشرَ الغرارِ إذا سَـــرَتْ

فتسري بسرٍّ منهُ في نشـــرها تُطوى[١٧٧]

لها الليلُ فرعٌ والكواكبُ غـــرّةٌ

وشمسُ الضُّحـــى وجهٌ وبهجتها أضوا

تصيدُ بأحداقِ المـــها كُلَّ أصيدٍ

وتسبي عيونَ العين بـــالحَور الأحـــوى

خلصنا نجيًا والـــغرامُ سميرُنا

بـــليلٍ تناجي السّرُّ في السّرِّ والنجوى[١٧٨]

ولمّا لوانـــا للوَلاءِ ولاؤهـــــا

تولّى بـــنا في اللّيّ عن ليّهِ اللأوا[١٧٩]

وعرّفنا عُرْفَ المعارفِ عرفـــها

بنفحـــة روحِ الروحِ في نفحـــة الفحـــوى

علمنا بها في علمِ الهوى وهو مبهـــم

تبـــيّنَ ما بـــين البلابـــلِ والبلوى

ولمّا صَلحنا للعنايةِ لا الغنـــــا

بها الفتحُ المُـــــبين فما عنوا[١٨٠]

سترنا بعين الحُسنِ مَوْأةَ سَوءتـــنا

وواســـتْ بها حتى أســـأنا بها الأمْوا

وغبنا بها في الغيبِ عن كُلّ كائـــنٍ

وكُنا بحيثُ الكونُ في نشـــرِها يُطوى

وقال رضي الله تعالى عنّا به:-

[الكامل]

عَلِمَ الهوى قلبي وكـــان جَهولا

يـــا ليـــتهُ لـــو دامَ عنـــهُ غفـــولا

خطَبَ الوصالَ ودونهُ كم عاشقٍ

في الحيّ، أصبحَ بـــالهوى مَقـــتولا

سحتْ سحابُ جفونهِ لجوى الهوى

لغدا بها طـلَلُ الحمـى مطلـولا

صبٌّ صبا لصبا الأصيلِ صبابةً

فسقـتهُ مَن بُعْنِ الشمالِ شمولا(١٨١)

وروتْ لها في طيّ ريًا نشرِهـا

عرف الخزامِ عن الرُّبـا منقـولا

والبرقُ أنبا طرْفَهُ عـن مبتسم

شنبٍ فأمطرَ دمْعَهُ المرسـولا(١٨٢)

فاخضرَّ عشبُ الشِّعْبِ بعد جفافهِ

وغدا بوبْلِ جفونهِ مبـلولا(١٨٣)

يـا هـل لهاتيك المنازل عـودةٌ

وأرى عُرَيبـاً في الخيامِ نُزولا

أمللْ بـلا مَللٍ عليَّ فإنّ في

إمـلاءِ مـا تُملـي لنـا المأمـولا

حدِّثْ حديثاً عن قديمِ عُهودنا

إنْ كنتَ عن سرّ الهوى مسـؤولا

فلربَّما أهوى بأكنافِ الرُّبـى

ريماً ربيبـاً أغيداً مُكحـولا

ربمـا يُريك إذا رنا لكَ أبيضاً

من غمدِ أسودَ طرفِهِ مسلولا(١٨٤)

وكـأنَّ عسّالَ القوامِ إذا انثنى

ثملٌ سقـاهُ ريقُهُ المعسـولا(١٨٥)

ويُريكَ فوقَ جبينِهِ من شعْرِهِ

ليلاً على شمسِ الضُّحـى مسبـولا

ويريكَ نبتَ حولَ شهدةِ ثغرِهِ

نملاً غدا في نحلهِ موحـولا(١٨٦)

أرخى اللثامَ وقامَ يسعى خلفَهُ

نثراً علـى غُصـنِ النَّقا محمـولا

وحكى العذارُ على تورُّدِ خدِّهِ

مسكاً بماءِ شبابـهِ مفتولا

يهتزُّ مُتئداً برمحِ قوامـهِ

وإذا انثنـى للطّعـنِ كـانَ عجـولا

رشأٌ رعاهُ اللهُ يرعى في الحَشـا

ويحُلُّ منه حيـثُ شـاءَ حلولا

ريمٌ رمى ليثَ العرينِ بطرْفـهِ

فاقتـادهُ نحو الغرامِ ذَلولا

ربُّ الجلالةِ ذو جمالٍ حُسنُـهُ

بعـثَ الملاحةَ للعيونِ رسـولا

وقال رضي الله تعالى عنا به:-

[المجتث]

أهلاً بمن زار أهـلا أهلاً به ثمَّ سهلا

مَن عنهُ معناي يُعني، هو المُنى والتَّمنّي، لا زالَ يدنو ويُدنيحتّى دَنا فتدلّى

يا بُغيتي ومُرادي، ياعُمدَتي وعمادي، ملكْتَ منّي فؤادي منّي به أنت أوْلى؟

منحتني منكَ وَصْلا، وزدتني منكَ فـضْلا، حَللْتَ منّي مَحلاً ما فيه غيرك جَلا

ضلّتْ عُيونُ المعاني،عن فهمِ معنى عَياني،وكيفَ يدري مكاني مَن لا يرى لي ظلاّ؟

خلَفْتُ خلفيَ صَحْبي، وغبْتُ لي غاب قُربي، فَجَلَّ مَعنىً لقلْبي جمالُهُ قد تجلّى

ألفيتُ فيكَ فُنوني، ياأمنيتي ومنوني، وفيكَ حكمُ جُنوني قد صحَّ عقْلاً ونقلا

عن كُلِّ قولٍ وفعْلٍ، وكُلِّ فرْضٍ ونَفْلٍ، شُغلتُ فيك بشغلي قد طبت مرعاً واصلا

أثبت في البعد قربي واحيتـني بعد سلبي، فكل صـعب لقلبي(١٨٧) غدا بوَصلكَ سَهْلاً

نصبْتَ في الخَفْضِ رَفْعي، بوصْلِ همزةِ قطْعي،ألبتَّ في الفرقِ جَمعي حقَّقْتَ في القطْعِ وَصْلاً

ماللعذول ومالي؟، وفيكَ حالي حالي، يقـولُ لي أنت سالي(١٨٨) أقولُ حاشا وكلاَّ

يا لائمـي باسم سلْمى، كرِّرْهُ نثراً ونظْما، فكُلَّمـا زدْتَ ممّا تُملي به أتملاَّ

لله صَبٌّ أبرّا، وصصصبن صوالهُ تبرّا، فـجـرِّعْ الصَّبر صَبْـرا

ومن خلالهُ تحلّى

وجـدتُ في العزِّ عزما، وفي التخلّفِ حزما، ألفيتُ في الجهل حلْما وفيكَ بالعلمِ جَهْلا

وقال رضي الله تعالى عنا به:

[الرَّمَل]

غنَّ لي باسم فتاة وفتى
فهُما لي كمهاةٍ ورَشي[189]

هاتِ لي الرّاح ففيها راحتي
وَهْي شُرْبي وشرابي وذَوِيْ

خِلْقي من كُلِّ خِلٍّ قد خلا
من هوى ليلى وشُغْلٍ بمَي[190]

فنديمي كُلّ صَبٍّ قَدْ صبا
كصَبْوَتي وهو كهْلٌ وصَبِيْ

أيّ ريمٍ لي مَرامي وكَرَّهْ
ولَهُ في فِيَّ إلفي ايَّ فِيْ

ايّ خَوْدٍ خُلدها في خُلْدي
ولَها بين خَبايادُ خُبي[191]

أيّ راحٍ راحَتِ الرُّوحُ لَها
ولَها في الرُّوحِ نَشرٌ بعدَ طَيْ

ايُّ كيسٍ دون كاسٍ ومَيّ؟
يَجِدُ القلب هنا دونَ هُوَيْ

حانَ حَينُ الحَينِ للحانِ بها
هيَ للأهواء فيها هيْ هيْ

يامُديرَ الرّاحِ في الحانِ بِها
حَيّني جَهْراً وحَيِّ ثُمَّ حَيْ

واعشْ مَن أعشيْ عَنّا عن شُربها
واغشها في كُلِّ صُبْحٍ وعشيْ

كم روى البَرقُ لنا عن رَيِّها
فلقلبي منه ريٌّ بعد ريْ

مت بها في الحي سكراً فبها
من يمت في الحي سكراً فهو حيْ

فاعذروني في الهوى او فاعذلوا
خلياني منكما يا صاحبيْ

بي غزالٌ قد غزاني طرفُهُ
والظّبي ما بين أجفان الظُّبيْ

رشَقَ القلبَ رشيقٌ أهيفٌ
عادلُ القَدِّ وقد جارَ عَلَيْ

سكَنَ القلب وقد قَلَّبَهُ
بين بَينٍ ومُوالاةٍ وليْ

مالَ بين البانِ تيهاً وَبِه
مالَ عني، ليتَهُ مالَ إليْ

طرفُهُ أطرفُ طرْفي وبهِ
حُسنُهُ الناضرُ يسبي ناظِرَيْ

في طَوى طيِّ فؤادي يرتعي
يا رعاكَ اللهُ ما كثبانَ طيْ

ومهاةٍ تمتْ فيها وَلَهاً
وهْيَ في الحي معدٌّ وقصيْ

ظبيةٌ تسطو بلحظٍ وَبِه
صادت الأصْيَدَ مَن آل لؤيْ

كم أسيرٍ أسرَتْ ألحاظُها
وبها كم قتلَتْ في كُلِّ حيْ

برقعُ الحُسنُ بنورٍ وجْهَهَا
ولها منهُ خمارٌ وردَيْ

أتمنى ومُناي ودُّها
وأوَدُّ الودَّ لو دامَ لديْ

قال لي الواشي تشاها قلتُ قد
شئتُها مَن قبلِ ما قد كُنت شيْ

شاءها مني بشاني إنَّ اشا
فهيَ شاني ومشاني وأشيْ

فَهْي كائني ولولا كَوْنُها
لم أكنْها بين طينٍ ومُوَيْ

وبها مني لقلبي كانَ لي
ظَبْيُ أنسٍ فهوَ مني وإليْ

هُوَ نديمي ومُدامي ربِقُهُ
وابنُ قلبي وهُوَ للروحِ أُبيْ

ربِهِ خلَقتْ خلْقي خلْقُهُ
فتحلى عن خلالي، يا أخيْ

قال : إيْ هذا تفنى بالهوى
قلتُ إنْ لم أفنَ فيه فبأيْ[192]

فيه قد أفنى وجودي وجدهُ
ولَناني فيه وجْداً لا كَيْ[193]

خلِّ عنك الحبَّ إنْ كنتَ فتىً
خاليَ البـــــــال من الوَجْد شوي[١٤]

حرُّ نار الحبّ نـــزّاعُ الشوى
ولهُ في القـــلبِ شـــيءٌ أيُّ شـــي[١٥]

قالَ: ذا عيٌّ، وفي الـــعيِّ غياً
وكـــذاكَ الحُبُّ إنكـــاءٌ وكيّ[١٦]

قلتُ تأبى الحبُّ ولو كنتَ أبي
كنتُ أأبـــاكَ ولو كُنتَ بُنيّ[١٧]

جرّبَ الحبُّ في تجريبـــه
شابَ مَن شابَ وقـــد كانَ صُبيّ[١٨]

ليسَ بي عيٌّ ولا بي مَن غيـــاً
إنمـا عـــيٌّ لِمَنْ أهـــوى وُعـــي[١٩]

أيّ غيٍ أبتغي الـــرُّشدَ به
حبـــــذا الحبُّ برُشدٍ أو بغيّ

وبعد أن اثبت الناسخ الأخير من هذا الديوان وضع عبارة [تمّ وكمل] على يسار البيت، ثم أردفها بالعبارات الآتية:- [وهذا ما لُخّصَ من ديوان سيدي ومولاي السيد الكبير سيدي سيد محمد عمت بركتهُ ورضي الله تعالى عنا بـه آمين يارب العالمين].

كملَ الكلامُ لشيخنا كَنْز الوَفا
لو قستهُ بالراســـيات لَها وفى

يتلوهُ أقوالُ الكريم أخو الوَفا
لَمحاسن الأخلاق تَمّ إذْ وَفى

الهوامش

١. تنظر الصفحة الأولى من ديوانه، والصفحة الأخيرة من ديوان ابنه علي بن محمد بن وفا المتصدر لهذا التحقيق.
٢. الدرر الكامنة/٥/٤٩.
٣. نفسه.
٤. شــذرات الذهب /٦/ ٢٠٦ وتفاصيل أخرى تنظر مع ترجمة ابنه علي بن محمد بن وفا المتوفى سنة ٨٠٧هـ في ضوء اللامع /٦/ ٢١، ٢٢، ٢٣، وقد أشار السخاوي الى أن من ذكر في آباء ابن وفا الذي نحقـــق ديوانه هذا (محمداً) ثالثاً فقـــد وهم. ينظر: الضوء اللامع٦/ ٢١.
٥. ينظر الضوء اللامع/٦/ ٢٢.
٦. في أصول الأدب/١٦.
٧. الأدب وفنونه/٥.
٨. الأسس الجمالية في النقد العربي/٢١٤.
٩. جرس الألفاظ/٢٢٢.
١٠. الجمهرة/١/٩، وينظر: الخصائص/١/ ٥٨، وللتفصيل ايضا تنظر أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ(مقامات الحريري- دراسة لغوية/٣٦) وما بعدها- للمحقق.
١١. جرس الألفاظ/ ٢٦٨، التفليسية/٣٦٥.
١٢. الأسس الجمالية في النقـــد العربـــي/ ٣٦٨، وينظر: جرس الألفاظ/ ٢٦٦.
١٣. كراهة توالي الأمثال في ابنية العربـــية- ١٤٢، وينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ ١٥٨- ١٥٩.
١٤. العين/ ٨/ ٣٤٥.
١٥. العين ٨/ ٣٤٤، وينظر: أدب الكاتب/ ٥٢٠، الجمهرة / ٢/ ٢٦٧، شرح الفصيح اللخمي/ ٢٥٦.
١٦. الفرقان/٢٥/ ٢.
١٧. البقرة/ ٢/ ٢٨٠.
١٨. فسيح ثعلب/ ١٦٣، وينظر: اعراب القرآن/ النحاس/ ١/ ٢٤٤.
١٩. الخصائص/ ٢/ ٢٣٣.
٢٠. الخصائص/ ٢/ ٢٣٤.
٢١. ينظر: اعراب القـــرآن/ النحاس/ ١/ ٢٤٤، اللهجات العربـــية في التراث/ ٢٧٠.
٢٢. البيت من مقصورة حازم القرطاجني/ دراسات ادبية/٢٠٧.
٢٣. الأبيات لخالد الكاتب / ذيل الأمالي والنوادر /٨٩.
٢٤. مختار الصحاح/ ٧٦.
٢٥. المغني/٢ /٣٦٥.
٢٦. ائتلاف النصرة/ ١١٨، ١١٩، ١٢٠.
٢٧. بحث في صيغة أفعل بين النحويين واللغويين/ ٩٤.
٢٨. ينظر: مختار الصحاح على سبيل المثال الصفحات: [٧١٤- ودع- وصل] [٧٢٤- وشـــى وصف]، [٧٢٥-وصل] [٧٢٦- وضع] [٧٢٨- وعد] [٧٢٩- وعد]، [٧٢٧ وهب]....
٢٩. البقرة/ ٢/ ١٤٨.
٣٠. الكشـــف/ ٨٨- وللتفصيل في موضوع الشـــواذ اللغوية والمخالفات تنظر: اطروحة الدكتوراه الموسومة بـ(مقامات الحريري- دراسة لغوية) ١٠٤- ١٥١- [للمحقق].
٣١. في قوله (تلقف) اشـــارة الى قـــوله تعالى في ســـورة الأعراف/ ١١٧ (وأوحـــينا الى موســـى أن ألق عصاك فإذا هي تلقـــف ما يأفكون) واستعمال هذه المفردة بهذه الصورة أدى الى اختلال الوزن الشعري، ويستقيم بقوله (ستلقف) أو (وتلقف).
٣٢. بخط الناسخ (ترى) بـالألف، والصحيح أن يكون مجزوما بحذف حرف العلة لوقوعه جوابا للطلب من قوله (غب).

٣٣. صغر الشاعر اسمي التفضيل (أملح وأحلى) على سبيل التغزل والتحبيب. الخفر: شدة الحياء. الرضاب: الريق. الشنب: الحدة في الاسنان.

٣٤. في أصل المخطوطة (أواحنا) بسقوط حرف الراء.

٣٥. ورد قول الشاعر (حب من) على الصورة الآتية: حسبما وهو خطأ من الناسخ والصواب ما أثبتناه.

٣٦. هذا البيت فيه نظرة الى الموروث الأدبي وبالتحديد قول المتنبي في ديوانه/ ١٨٤ [الكامل]

جهد الصبابة أن تكون كما أرى
عين مسهدة وقـــــلب يخفق

٣٧. السبج: بفتحتين الخرز الأسود.

٣٨. الدَّعج: شدة سواد العين مع سعتها.

٣٩. القرقف: الخمرة السلسل: الصافي.

٤٠. وردت مفردة (قـالوا) في الشطر الأول بحذف الواو والألف وإثبات الضمة على اللام وهو خطأ من الناسخ، والصواب ما أثبتناه من الناحية الاملائية والعروضية إذ يتسبب في حدوث علة قبيحة في التفعيلة الثانية من بحر الطويل.

٤١. السيح: الماء الجاري. الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية وربما سموا العود رنداً. قاله الأصمعي.

٤٢. ما يدل عليه السياق في الشطر الثاني هو أن كلمة (النَّدي) تدل على النداوة والبلل وهي في الأصل أن تكتب بالدال المخففة والياء المشددة لكنه حذف الياء وشدد الدال لاستقامة الوزن وهذا غريب وخاطئ.

٤٣. الزَّرد: كالسَّرد وزناً ومعنى وهو تداخل حلق الدرع بعضها في بعض.

٤٤. الملد: الناعمة.

٤٥. السياق يقتضي أن تكون كلمة (فرائد) مجرورة بالإضافة، وبذلك تكون هذه المفردة غير صحيحة من الوجهة النحوية.

٤٦. في الأصل قدم الناسخ كلمة (شواهد) على (دلائل) وهذا سهو منه، والصواب أن تقدم الدلائل على الشواهد لاستقامة القافية.

٤٧. في الأصل (لحاته) والصواب ما أثبتناه لاستقامة الوزن والمعنى.

٤٨. البيت مختل الوزن في الشطر الثاني بزيادة على الخطأ النحوي الذي يقتضي أن تكون كلمة اليد منصوبة لا مرفوعة لمجاراة القافية ويستقيم الوزن بقولنا: فلذ علي متى تسالمه اليد. وأما معنى القلد ها هنا فهو العهد أو الذمة التي تكون في الرقبة مأخوذ من القلادة التي توضع في العنق.

٤٩. هذه القطعة أقرب للموشح مزج فيها الشاعر بين اللغة الفصحى واللهجة الدارجة.

٥٠. وقعت كلمة (مبشر) صفة لـ (بشر) فكان الأولى أن تكون منصوبة لا مرفوعة ولو قال (يبشر) لاستقامة السياق والوزن.

٥١. الأولى أن تكون كلمة (نيّر) صفة للوجه وحقها الجر لا الرفع، زيادة على أن الشطر مختل الوزن في كلمة (منار) ولو قال (منارة) لاستقام الوزن.

٥٢. في الأصل (تبدل) وهو خطأ، والأصح تبدل لمجيء كلمة (تقلب) و(تخرق) في البيتين التاليين.

٥٣. التقديم والتأخير في الشطر الثاني أربك السياق وجعل المعنى غامضا

٥٤. وضع الناسخ عبارة (عن لواحظ ناظر) تصحيحا للشطر الأول وعلى الجهة اليمنى من صفحة المخطوطة.

٥٥. على الرغم من أن الموشح قد كتب على احد تشكيلات البحر البسيط وهو المخلع إلا أن فيه عددا من الوقفات العروضية.

٥٦. جزم الفعل (تطيع) من غير أداة جزم.

٥٧. الطرس: الصحيفة.

٥٨. السّخم: الأسود.

٥٩. سلغ وكاظمة: موضعان.

٦٠. كان القياس أن يقول [محلق] لأنه مأخوذ من الفعل [أطلق] وقد سبقه بما هو مقيس وهي كلمة [كُمُقيّد]. العنل: الخضوع والذل. الركس: رد الشيء مقلوباً.

٦١. الصحيح (طال النوى).

٦٢. الفعل (كسا) متعد بنفسه، يقال: كسوته ثوباً كسوة بالكسر فاكتسى والظاهر أن الشاعر قاسه على الفعل (أعرى). وقد أثبت الناسخ في مقابل ذا البيت العبارة الآتية للشاعر: "قال رضي الله عنا به: أعرى البين كما المسمى هذا فعل النفي المسلب. والبين لغة بمعنى الوصل وبمعنى الفضل وهو هنا مستعمل بمعنييه، وأعرى بالمعنى الأول ما أكساه بالثاني". والبون بمعنى الفضل افصح من البين.

٦٣. اللعس بفتحتين لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً وذلك يستملح.. يقال لعساء وفتية ونسوة لعس.

٦٤. لقد جعل الشاعر اسم لا النافية للجنس منوناً خلافا للقاعدة النحوية التي تقتضي أن يكون اسمها غير منون، ولكن الوزن الشعري ألزمه ذلك. خنس: طال وتأخر.

٦٥. العقيق: واد بظهر المدينة. ذو سلم: موضع.

٦٦. عرف: العرف: الريح طيبة أو منتنة. الشذا: حدة ذكاء الرائحة. طيبة: من أسماء المدينة. الورس: نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه.

٦٧. كتب الناسخ كلمة [حماك] بالياء بدلاً من الكسر وهو غير جائز ولكنه استعمله لإقامة الوزن إذ ان أبقاء الكلمة بالكسر يخل بموسيقى البيت حيث تتحول تفعيلة (مستفعلن) الى (مفاعلن) وهي غير مستحبة في هذا الموضع. والملاحظ أيضاً ان الشاعر في هذه القصيدة قد استعمل ضربين من أضرب البحر البسيط هما الضرب المخبون (فَعِلن) بفتح الياء وكسر العين، والضرب المقطوع (فعْلن) بفتح الفاء وإسكان العين وهو استعمال غير مألوف. الحيا: المطر.

٦٨. جزم الفعل [يبـــذلون] من غير أداة جزم وهو غير جائز ويستقيم المعنى بقوله (تبذل).

٦٩. وضع الناسخ كلمة [إنني] في مقابل كلمة [خلني].

٧٠. تعبير غريب؟

٧١. لاستقامة الوزن مع سابقه وتاليه يجب أن يقول خفاء الياس ولعلها جاءت سهواً من الناسخ.

٧٢. أثبت الناسخ في قبالة الشطر الأول عبارة: الشف ما نصنا- كأنما بدل من كلمة القُدس.

٧٣. النكوص: الرجوع والإحجام.

٧٤. كتب الناسخ كلمة [فواته] والصواب فراته لاستقامة المعنى.

٧٥. المهامه: المفاوز البعيدة.

٧٦. الخرص: بضم الخاء وفتحها الحلقة من الذهب والفضة.

٧٧. الصواب (قبصا) مجاراة للقافية.

٧٨. عتاق: العتيق الكريم من كل شيء، والمراد هنا الجمال.

* التوجيه النحوي لكلمة عتاق ان تكون منصوبة على الحال بوصفها نكرة لا بوصفها نعتاً للهوج البوازل.

٧٨. الشطر الأول من هذا البيت مرّ في القصيدة السابقة.

٧٩. الصواب: اللقالق وهذا نوع من الإبدال الصوتي يجري في

اللَّعِين المِنْقَرِيُّ

حَياته وما بَقِي من شعره

جمع وتحقيق

عبد العزيز ابراهيم

المقدمة

اسمه منازل بن زمعة[١] وهو من بني منقر، بكسر الميم وفتح القاف، وهو منقر بن عبيد، بالتصغير، ابن مُقاعس وهو الحارث بن عمر بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم[٢]. وعند ابن قتيبة[٣] (منازل بن ربيعة) وأيده في ذلك المرزباني في معجمه[٤] وهو تحريف. وكنيته أبو أكيدر، مصغر أكدر[٥]. وذكر له المرزباني[٦] ابناً آخر يقال له (مسرد) لقيه الاصمعي (ت/٢١٦هـ) وأخذ عنه. وابناً ثالثاً يقال له (الهيردان)[٧].

أما لقبه فقد ذكر القيرواني في زهر الآداب[٨] ما نصه: وسمي اللعين لأن عمر (بن الخطاب رض) سمعه ينشد شعراً والناس يصلون، فقال: من هذا اللعين؟ فعلق به هذا الاسم)).

و(اللعين) لغة مصدر اللعن وتعني الطرد والإبعاد[٩] قال تعالى: ويلعنهم الله)[١٠] أي يباعدهم، وهذا المعنى دفع صاحب المذاكرة[١١] الى القول: اللعين المنقري إنما سمي اللعين لانه جنى جناية، فتبرأ منه قومه، وطردوه وباعدوه، لكيلا يؤاخذوا بجريرته. وعند العرب كل مطرود مباعد فهو لعين) دون أن يتثبت عن أصل التسمية. وللجوهري رأي طريف في أصل التسمية إذ يقول[١٢] والرجل اللعين شيء يُنصب وسط الزرع تستطرد به الوحوش).

ومنزلة اللعين المنقري في قومه أنه كان (من فرسانهم وشعرائهم)[١٣] ويزيد البغدادي في خزانته[١٤] قائلاً، واللعين شاعر اسلامي في الدولة الاموية) وهو بهذا التحديد الزمني من المخضرمين لكونه عاش العصر الراشدي والدولة الأموية.

ولعل الغرض الذي غلب على شعره هو الهجاء، وقد هجا الفرزدق وجريراً[١٥] ولكنهما لم يلتفتا اليه أيام أن علت شهرتهما. ويذكر ابن قتيبة[١٦] أنه قيل له: اقض بين الفرزدق وجرير، فقال:

سأقضي بين كلب بني كُليب ... وبين القين قين بني عقال

ويعلل اللعين المنقري اهمالهما له بقوله:

فلا نـقيا علي تركتماني ... ولكن خفتما صرد النبال

وإذا رد القدماء هجاء المنقري للفرزدق وجرير الى محاولته الشهرة عن طريقهما، فإني أرى أن الهجاء لم يكن ذلك دافعه الوحيد، بل ان الفرزدق كان قد هجا عمة اللعين (ظمياء) بقوله[١٧]:

واهون عيب المنقرية انها ... شديد ببطن الحنظلي لصوقها

بل هجا بني منقر قبيلة اللعين بقوله[١٨]:

سوى أن اعراف الكوادن منقراً ... قبيلى سوء باز في الناس سوقها

أما غيرهما فقد ذكر ابن رشيق في كتابه[١٩] ما نصه: كان يحيى جد مروان (بن أبي حفصة) يهاجي اللعين المنقري:

ولا يقف هجاء اللعين عند الشعراء المعاصرين له، بل يتجاوزهم عامة، فيذكر ابن قتيبة[٢٠] أنه (كان هجاءً للأضياف) ويستشهد بقوله:

وابغض الضيف مابي جلُ مأكله ... إلا تنفجه حولي إذا قعدا
مازال ينفخ كتفيه وحبنوته ... حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

أما ولادته ووفاته، فإن المصادر القديمة لم تسعفنا بسنة لهما، خلا أعلام الزركلي وهو مصدر تراجم حديث أخذ مؤلفه الجانب التقديري لسنة وفاته فحددها بـ(٧٥هـ) باعتبار أنه عاش في زمن الدولة الأموية معاصراً لشاعري النقائض جرير والفرزدق، وما ذكره المرزباني بأن الأصمعي (١١٢-٢١٦هـ) قد أخذ عن (مسرد) بن اللعين، فاذا حاولنا أن نوفق بين الروايتين وما نقله الرُواة عن معاصرته لعمر بن الخطاب (رض)، تكون ولادته أوائل الهجرة- اعتماداً على انشاده الشعر وهو حدث سهل تثبيت اللقب عليه (اللعين) ولا تخرج وفاته عن العقد الثامن الهجري، قياساً على ما ذكره المرزباني.)

إذا علمنا أنه لم يعرف عنه أنه كان من المعمرين.

شعر اللعين:

إن المقطعات القليلة التي ذكرتها المظان العربية له، اكثرها أبيات لا تشكل قصيدة يمكن للناقد خلال قراءتها

[illegible] وما ذكره [illegible]
[illegible] التي عرف بها، ولم تكن الفاطمة التي [illegible] خشنة ولا حضرية ناعمة [illegible]
[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] الكناني [illegible]
وإنا وجدت عسراً في هذا المجموع لقلته وتكرار [illegible] فضلاً عن أنني لم أدرج ضمنه ما نسب إليه من القصيدة الميمية التي مطلعها:

[illegible] والبيت يعرفه والحل والحرم

[illegible] نسبتها إليه وذلك لاختلاف [illegible] مقطعاته، فضلاً عن تداخل أبيات هذه [illegible] في قصائد أخرى لشعراء آخرين [illegible] معروفة بهذه النسبة أو مشهوراً بها إلا قليل [illegible] وقيل!

[illegible] الرواة في [illegible]

الأول [illegible] إلى أن قصائدنا هو الفرزدق[illegible] وهو الرأي المشهور. والثاني أنه الحزين الكناني[illegible] وهو أكثر حظاً، و[illegible] العين المنقري وداود بن سلم وخالد بن يزيد وأبو [illegible] وهؤلاء أقل حظاً. وإن كان هذا الرأي لا [illegible] واحد منهم، والثالث يكتفي بالقول: كقول [illegible] دون نسبة[illegible].

[illegible] فيه فالمشهور أنها قيلت في علي ابن [illegible] (رض) وقيل في عبد الله بن عبد الملك ابن [illegible] وقيل في قثم بن عبد الله بن العباس[illegible] وقيل في [illegible] الليثي[illegible]. هذا الخلط وتناقض الآراء يجعلني [illegible] نسبة القصيدة للعين لا سيما أن الذين مالوا [illegible] الشعر [illegible] من الغريب المشهور.

[illegible] المفارقة فإن الأصبهاني في أغانيه يداخل في النسبة [illegible] الفرزدق والحزين الكناني ولكنه لا يغفل ما يقال في [illegible] تنسب إليه غيرهما ولم يكن العين المنقري من [illegible] أو تذكر أبيات له منها. يضاف إلى ذلك أن المغاربة لم [illegible] أبياتاً له منها سوى تعليق القسم وأني في ختام [illegible] (ويقال: بل قالها في علي بن الحسين، اللعين [illegible]) ويقاربه قولا ابن رشيق.

وهذا موقف واضح الرواة اللعين المنقري به عرضاً [illegible] رواية شعبانة وصلت إليهم فأخذوا بها.

[illegible] في هذا الجمع:

[illegible] في المظان القديمة [illegible] من القديم [illegible] لابن حجر مثلاً. إن شعر اللعين المنقري

[illegible] رواية من الرواة أو عالم، وإن فات هذه المظان معرفته، فإن جمع فإنه لم يصل إلينا ويبقى موزعاً في المظان الأدبية، فآثرت أن أجمع ما تحصل [illegible] ما تمكنت لذلك وكانت [illegible] على وفق الآتي:

١. رتبت القوافي هجائياً وحسب حركة [illegible] (الفتحة، الضمة، الكسرة، السكون).

٢. أخذت بالرواية الأفضل دون [illegible] بتقديم المصدر لكونها أقرب صحة، أو درجته على نسبة النص للشاعر.

٣. حاولت ضبط الشكل قدر ما استطعت معتمداً على المصدر نفسه، أو المعجم في حالة فقده.

٤. قدمت للمقطعة، بحرها الذي نظمت أبياتها عليه.

٥. شرحت الألفاظ حسب أهميتها مستفيداً من تعليقات المحققين وشروحهم -إن وجدت- الذين أخذت النص عنهم، وأضفتها إن لم تكن موجودة.

٦. ولكون المجموع قليلاً لم أقسمه إلى ما صح له أو ما نسب إليه، إنما أشرت بعد التخريج إن كانت نسبة النص متداخلة بينه وبين غيره

{١}.

(طويل)

وما حل سعدي غريباً ببلدة فينسب إلا الزبرقان له أب

التخريج: كتاب سيبويه ٢/٣٢، خزانة الأدب ٣/٢٠٦، ٨/٥٤١، ٥٤٢ قال البغدادي في خزانته ٣/٢٠٧، الزبرقان، سيد قومه، [illegible] هم، فإذا تغرب رجل من بني سعد، وهم رهط الزبرقان، فسئل عن نسبه، ينتسب إليه لشرفه وشهرته. استشهد به سيبويه على نصب (ينتسب) بعد الفاء على الجواب مع دخول إلا بعده للإيجاب، لأنها عرضت بعد اتصال الجواب بالنفي ونصبه على ما يجب له.

{٢}.

(طويل)

[illegible] في [illegible] مناقيلة المواتح

التخريج:

الحروف الخليل بن احمد (ثلاثة كتب في الحروف) ٣٧/، البصائر ٢/٥٢٠، شرح القاموس (تاج العروس من جواهر القاموس) مادة خاء المستدرك ١٠/٤٣٢.

[illegible] في الحروف (لفظة نابية) بدلاً من (بجسمك) وكأنها بدل من كأنه في البصائر والشرح. والبيت من دون نسبة في البصائر وأنشد الخليل في الشرح

{٣}.

(البسيط)

١. وأبغض الضيف ما بي جل مأكله	إلا تنفخه حولي إذا قعدا
٢. ما زال ينفخ كتفيه وجنبته	حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

التخريج:

الشعر والشعراء ١/٤٩٩، عيون الأخبار ٢/٣٤٢، العقد الفريد

١٢/٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٨٥٦/٤، خزانة الأدب ٢٠٨/٣، ٢٠٩.

١. في العقد الفريد (لا تبعض) بدلاً من وأبغض. وفي الخزانة (عندي) بدلا من حولي

٢. في عيون الأخبار والعقد الفريد (ينفخ جبنيه) بدلا من (ينفخ كتفيه) وجنبيه بدلاً من كتفيه في شرح المرزوقي.

نسب البيتان في عيون الأخبار وشرح المرزوقي لآخر، وفي العقد الفريد لحميد الأرقط.

- قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: وكان اللعين هجاء للأضياف وهو القائل في ضيف نزل به.

-(٤)-

(طويل)

١. تنادوا فما حلّوا الحُبا وتعاونوا الى جارهم والجار يَحبى ويرفد

٢. ولم يوردوا ماء ولم يرو جارهم ولم يحلبوا للضيف والمال يورد

التخريج: معاني الشعر /١١٠

قال ابو بكر (محمد بن الحسن بن دريد): وانشدني عن التوزي (ابي محمد عبد الله بن محمد بن هرون ت/١٢٨هـ) للمنقري.

١. الحبا: جمع حبوة: وهو ان يجمع الإنسان بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، وقد يكون باليدين عوض الثوب ويقال الاحتباء أو الحباء حبطان العرب (عن هامش التحقيق)

-(٥)-

(الطويل)

١. دعاني ابن ارض يبتغي الزاد بعدما تَرامى حلامات به وأجارد

٢. ومن ذات أصفاء سهوب كأنها مزاحف هزلى بينها متباعد

٣. رأى ضوء نار من بعيد فأمها تلوح كما لاحت نجوم الفراقد

٤. فقلت لعبدي: اقتلا داء بطنه وأعفاجه العظمى ذوات الزوائد

٥. فجاء بخرشاوي شعير عليهما كراديس من أوصال أكدر ساقد.٦

فما نام حتى نازع الشحم أنفه وبتنا سعلي (......) بالوسائد.٧

فبات بشرٍ غير ضرٍ وبطنه يمجُّ عجيج المعصرات الرواعد

التخريج: معجم البلدان ٢٨١/٢، وكرر البيتين (١،٢) في ٩٩/١، النوادر في اللغة/١٧١ (١،٢)، الحيوان ٢٦٦/١ (٤،٥) وكرر الخامس في ٣١٩/١، ٢٢٢/٧، الوحشيات/٢٦٧ (١،٢،٤)، معجم مقاييس اللغة ٨١/١ (صدر البيت الأول).

- البيتان الاول والثاني مرفوعا الروي وما بقي من القصيدة مجرور رويه.

- ذكر ياقوت الحموي هذه الأبيات في مادة (حلامات) قائلا: قال أبو محمد الاعرابي، ونزل باللعين المنقري ابن أرض المري فذبح له كلباً. فقال (الأبيات): ويذكر الجاحظ رواية اخرى فيقول: وقال اللعين في بعض أضيافه، يخبر انه قراد لحم كلب، وقد قال ابن الأعرابي: انما وصف تيساً.

١. يروى البيت في الوحشيات:

اتانا ابن ارض يحلب الزاد بعدما ترامت به تيمومة وأجالد

وفي معجم مقاييس اللغة: أتانا بدلاً من دعاني.

٢. في الوحشيات يروى الصدر: ومن نفنف [illegible] كأنها

٤. في الحيوان يروى العجز: وأعفاجه اللائي لهن زوائد

وفي الوحشيات الرواية نفسها الا رواعد بدلاً من زوائد

٥. في الحيوان (أعقد) بدلا من اكدر

- الخرشاء: قشرة البيضة الداخل. [illegible] ١٦٨/٢. ويوضح الأستاذ عبد السلام هارون في [illegible] ص٢٢٢/٧ من الحيوان قائلا: كل شيء أجوف فيه [illegible] وخروق وتفتق. الكراديس: جمع كردوس، وهو [illegible] تام ضخم.

٦. (.....) كلمة نابية فضلت حذفها.

-(٦)-

(طويل)

رأى ام نيران عواناً تتقفها بأمراقها هوج الرياح الأعاصر

التخريج: نقد الشعر/١٦٢

قال قدامة بن جعفر: قول اللعين المنقري [illegible] وفسر ابن منظور في اللسان (مادة هوج ٣/٨٤٢) الهوجاء فقال: الريح التي تقلع البيوت، والجمع هوج، و[illegible] ابن الأعرابي: هي الشديدة الهبوب في جميع الرياح.

-(٧)-

[illegible]

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر

التخريج: الكامل ٧٩٣/٢، ١٠٩٥/٣، البيان والتبيين [illegible] جامع البيان ١٥٠/٧، كتاب سيبويه ١٧٤/٣-١٧٥، شرح شواهد المغني ١٢٨/١، المقاصد النحوية (شرح الشواهد الكبرى) ١٢٨/٤، المحكم والمحيط الاعظم في اللغة (شعث) [illegible] الأشموني ٤٥٤/٤، مغني اللبيب ٦٢/١، المقتضب [illegible] المستقصى/١٩٦، ضرائر الشعر/[illegible] هدية [illegible] خزانة الأدب ١٢٨/١١.

- نسبه المبرد في الكامل للعين المنقري، والجاحظ في الحيوان لأوس بن حجر، ووافقه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، وسيبويه للأسود بن يعفر ووافقه السيوطي في شرح شواهد المغني، والعيني في المقاصد النحوية، ولم يقطع البغدادي في خزانته بنسبة البيت للأسود بن يعفر أو للعين المنقري. أما بقية المصادر فلم تنسبه وانما اكتفت بلفظ قال الشاعر. أو آخر، او كقول... الخ.

أما محقق ديوان أوس بن حجر فقد اعتمد رواية الجاحظ الذي ذكر بيتين آخرين معه هما:

سائل بها مولاك قيس بن عاصم فمولاك مولى السوء ان لم يغير

لعمرك ما أدري أمن حزن محجن شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر

فما أنت بالمولى المضيع حقه وما أنت بالجار الضعيف المستر

وأشار في الهامش الى رواية الجاحظ [illegible] بأوس بن حجر (ديوانه/٤٩) أما نسبة الشعر فلم يشر [illegible]

المبرد في نسبته للعين، وانما اكتفى: بالقول: والنحاة ينسبون هذا البيت للأسود بن يعفر.)

والشاهد النحوي فيه حذف ألف الاستفهام ضرورة لدلالة أم عليها. والمعنى ان شعيث: حيّ من تميم، ثم من بني منقر فجعلهم أدعياء، وشك في كونهم منهم أو من بني سهم؛ حيّ من قيس. (هامش الاستاذ هارون. الكتاب ٣/١٧٥).

- يروى صدر البيت في البيان والتبيين (لعمرك ما أدري أمن حزن محجن). وهذه الرواية قريبة مما نسب للعين مع تغيير في نسبتها لأوس. ويذكر العيني في شرح الشواهد ١٢٩/٤ رواية الصدر بـ(ولو كنت) بدلاً من (وان كنت) ويعلق بقوله: وان كنت داريا وهو عطف مقدر تقديره ما كنت دارياً.

وتروى كلمة (بن سهم) (بن منقر) بهمزة ابن لاعتبارها. أي ابن. خبر أوليست صفة في رواية المبرد في المقتضب والمنكم وشرح الاشموني وسايرهم محققا المغني في رواية الشاهد.

-(٨)-

(طويل)

مكيث إذا استرخى كميش إذا انتحى على القرب الأقصى وشد له الأزرا

التخريج: نقد الشعر/٨١

المكيث: رزين لا يعجل. (معجم العين/مكث ٥/٣٥٣)

الكميش: عزوم ماض المصدر نفسه/كمش ٥/٣٠٠)

-(٩)-

(الطويل)

ترى منبر العبد اللئيم كأنما ... ثلاثة غربان عليه وقوع

التخريج: جمهرة اللغة (خرط) ٢/٢١٠

قال ابن دريد: هذا الشعر للعين المنقري يقوله لابراهيم بن عربي صاحب اليمامة (يعني يديه ورأسه) وكان ابراهيم أسود.

-(١٠)-

(بسيط)

١. بنيت خولة تهجوني فقلت لها ... يا حَول هل لك في الكبساء والخوق
٢. مثل الصلاية متآم إذا ولجت ... في مهبل صادفت ذات اللخافيق
٣. وفاسح كعمود الأثل يحفزه ... رجلا حصان ومتن غير معروق
٤. كأن أوداجه منه إذا انشخبت ... حلقوم شيخ من الحرمان مخنوق

التخريج: البرصان والعرجان والعميان والحولان/٤٨٨، ٤٩٠، تهذيب اللغة (خفق) ٦/٥٤١، ٥٤٢ (٢،٢)، لسان العرب (خفق) ١/٨٧٢ (٢،٣)، (لحق) ٣/٢٥٦ (الثاني فقط).

(٢)- في التهذيب واللسان يروى صدر البيت: مثل الهراوة مشتام إذا وقبت وفي العجز (داء) بدلاً من (ذات). ويروى البيت في اللسان (لحق):

كبساء خرقاء متآم إذا وقعت ... في مهبل أدكت داء اللخافيق

(٣)- في التهذيب (وركا حصان) بدلاً من (رجلا حصان) وفي اللسان (وركا حصان). ويروى في التهذيب واللسان (صلب) بدلاً من (متن).

-(١)- الكبساء: الكمرة الضخمة. والخوق هي ما استدار بالكمرة من حروفها.

(٢)- الصلاية: مدق الطيب. متآم ذات ازدواج بشقيها.

اللخافيق: الشقوق. عن معجم العين (لخق) ٤/١٥٢

المعروق: قليل اللحم (معجم العين/عرق/١/١٥٢)

(٤)- انشخبت: ما امتد متصلاً، أي سالت. (معجم العين/شخب ٤/١٧٢) .

-(١١)-

(وافر)

١. ساقضي بين كلب بني كليب ... وبين القين قين بني عقال
٢. بأن الكلب مرتعه وخيم ... وأن القين يعمل في سفال
٣. وقد حسر البعيث واقعدته ... لئيمات المآخر والسبال
٤. كلا العبدين قد علمت معد ... لئيم الأصل من عم وخال
٥. فما بقيا علي تركتماني ... ولكن خفتما صرد النبال
٦. فدونكما انظرا أهجوت أم لا ... فذوقا في المواطن من نبال
٧. وما كان الفرزدق غير قين ... لئيم خالة للؤم تال
٨. ويترك جده الخطفى جرير ... وينسب حاجبا وبني عقال

التخريج: خزانة الأدب ٣/٢٠٨ (١،٢،٥،٦،٧،٨)، طبقات فحول الشعراء ٢/٤٠٢،٤٠٤ (١،٢،٣،٨،٥)، الحيوان ١/٢٥٦ (١،٢، ٤،٥)، الوحشيات/٦٢، والشعر والشعراء ١/٤٩٩ ومعاهد التنصيص ١/٥٠، ولسان العرب (بقى) ١/٢٤٧، (الأبيات ١،٢،٥). والبيت الخامس في التربيع والتدوير/٧٠ ورسائل الجاحظ ٣/٩٨، والمقصور والممدود لابن السكيت/٦٢، واضداد السجستاني (ثلاثة كتب في الاضداد/١٢٧)، واضداد الأصمعي (ثلاثة كتب في الاضداد/٦٠، ومجالس ثعلب ٢/٦٥٥، والصحاح (بقي) ٦/٢٢٨٢، وتهذيب اللغة (صرد) ١٢/١٢٩، وأمالي المرتضى ١/٥٨٥، وجمهرة الأمثال ١/٥٨٥، وشرح ما يقع فيه التصحيف/٤٢٠، وأساس البلاغة (صرد)/٣٥٢، (بقي)/٤٧، والتنبيهات على اغاليط الرواة/٢١٩ ومبادئ اللغة/١٠٢، والذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ق٢/م٢/ ٧٢٥، ولسان العرب (صرد) ٢/٤٣٧، وعجز البيت في المعاني الكبيرة ٢/٧٦١ ومعجم العين (لعن) ٢/١٤١. المحاسن والمساوئ/٥١١

(١)- (ساحكم) بدلا من (سأقضي) في طبقات فحول الشعراء.

(٢)- يروى صدر البيت في الطبقات والحيوان والوحشيات والشعر والشعراء ومعاهد التنصيص ولسان العرب: فإن الكلب مطعمه خبيث.

(٥)- (فما رعيا) بدلاً من (فما بقيا) في المقصور والممدود. وفي الذخيرة (وما بقيا) تنسب هذا البيت في التربيع والتدوير ورسائل الجاحظ الى (اخويني منقر). والى (الصلتان) في اساس البلاغة/صرود و(لبيد) في بقي. ولم ينسب في المقصور والممدود ومجالس ثعلب والصحاح وأمالي المرتضى وجمهرة الامثال ومبادئ اللغة والذخيرة والمعاني الكبيرة ٢/٧٦١ ومعجم العين.

٢. سفال: السفالة نقيض العلاء. ينظرها هامش محقق الطبقات ٢/٤٠٢،٤٠٤

٣. حسر: أعيا وتعب، السبال: مقدمة اللحية

٤ـ حاجباً: حاجب بن زرارة وبه كان يفخر الفرزدق.
٥ـ أبقى عليه بقيا: أشفق عليه، صرد السهم: نفذ حده من الرمية.

والمعنى: خفتما وقع نبالي فيكما ونفوذها، فأظهرتما ترك الهجاء (يقصد جريراً والفرزدق). قال أبو عبيدة: من اراد الصواب قال: خفتما أن تصيب نبالي، ومن اراد الخطأ قال: خفتما إخطاء نبالكما. وأفاد الإسكافي في كتابه (مبادئ اللغة) أن السهم والنشاب والمنزع والنبل سواء، إلا أن النبل جمع لا واحد له من لفظه ويجمع نبال.

وقد ذكر البغدادي في خزانته قول أبي عبيدة: اعترض لعين بني منقر لجرير والفرزدق فقال الأبيات. وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: وقيل له، أقض بين الفرزدق وجرير، فقال الابيات.

-(١٢)-

(وافر)

سعمعة كأن بمخصميها ... وضاحي جلدها رُبا مؤالا

التخريج: كتاب الجيم ٧٠/١

سعمعة: ما يشبه الغول أو الذئبة. (معجم العين/ ٣٤٩/١)

المؤالي: الذي قد أغلى حتى صار خاثراً.

-(١٣)-

(بسيط)

١ـ إني أنا ابن حلا إن كنت تعرفني ... يا رؤب والحيّة الصمّاء في الجبل
٢ـ أبا الأراجيز يابن اللؤم توعدني ... إن الأراجيز رأس اللؤم والفشلِ
٣ـ ما في الدوابر من رجلي من عنت ... عند الرهان ولا أكوى من العقل

التخريج:

الوحشيات/٦٣، وشرح الشواهد الكبرى٤٠٤/٢، وذكر البيتان (١ـ٢) في الحيوان ٢٦٧/٤ وحماسة البحتري/١٣، وخزانة الأدب٢٥٧/١، والثاني في رسالة الصاهل والشاحج/٤٢٥،٤٢٤ وكتاب سيبويه١١٩/١، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي٣٦٩/١، ولسان العرب/ خيل٩٢٠/٦، والصحاح١٦٩٢/٤ وأمالي المرتضى١٨٤/٢، وشرح أبيات سيبويه للنحاس/٩٢، والثالث في أمثال العرب/٧٧، وتهذيب اللغة (عقل) ٤٠٢/٢، وجمهرة الأمثال٤٧٦/١، ولسان العرب (عقل) ٨٢٦/٢.

ـ نسب البحتري في حماسة البيتين الى المكعبر الضبي، وفي شرح السيرافي ولسان العرب الى جرير وبدون نسبة في الصحاح وأمالي المرتضى وشرح النحاس. أما في ديوان جرير فلا ذكر له ضمن الأصل إلا في اضافات المحقق عن كتب (الأدب واللغة والبلدان والتأريخ) وقد نقله عن لسان العرب مادة (خيل) وروايته: ديوان جرير ١٠٢٨/٢.

أبا الأراجيز يابن اللؤم توعدني ... وفي الأراجيز خلت اللؤم والخوز

والبيت للعين المنقري بدليل ما نقله الشيخ المحقق محمود محمد شاكر في حاشيته على الوحشيات عن مخطوطة فرحة الأديب بدار الكتب المصرية، فقال ما نصه: للعين يهجو رؤبة) اعتماداً على تصحيح أبي محمد الأعرابي. وما أضافه البغدادي في خزانته قائلاً: أنا ابن حلا، كما قال اللعين المنقري يهجو رؤبة بن العجاج؛

وهذا البيت ينشده النحويون على الغاء اعمال خال لتوسطها.

والصواب ما ذكرناها، فإن القصيدة لامية. إلا ان يكون في قصيدة اخرى رائية.

ويؤكده الصيني في شرح الشواهد الكبرى بقوله: اقول قائله هو اللعين المنقري واسمه منازل بن زمعة من بني منقر بن عبيد بن الحرث بن تميم يهجو رؤبة بن العجاج.

١ـ تروى قافية البيت في الخزانة بالرفع (والجبلُ). وقوله (يا رؤب) أصله يارؤبة. وهو ابن العجاج الشاعر.

٢ـ روي في شرح الشواهد (ابا الأراجيز) بدلاً من (أبا الاراجيز)، وفي الحيوان ورسالة الصاهل وشرح السيرافي والنحاس ولسان العرب والصحاح. علماً بأن البيت جاء ترتيبه الثالث في شرح الشواهد وعجزه يوافق الخزانة. (وفي الأراجيز خلت اللؤم والفشل). وفي الحيوان: جلب اللؤم والكسل.

وفي حماسة البحتري: رأس النوك والفشل. أما في رسالة الصاهل والكتاب وشرح الأبيات للسيرافي والنحاس ولسان العرب والصحاح وأمالي المرتضى فقد جاء: وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور. وزويت القافية في الخزانة بالرفع (والفشلُ) والبقية بالكسر وهو اقواء.

٣ـ يروى صدر البيت في شرح الشواهد: ما في الدواوين في رجلي من عقل) وترتيبه الثاني بدلاً من الثالث. وفي امثال العرب واللسان الدوائر بدلاً من الدواير. وفي امثال العرب وتهذيب اللغة وجمهرة الامثال واللسان (من عقل) بدلاً (من عنت). وفي الجمهرة (يوم الرهان) بدلاً من (عند الرهان) وفي الامثال والتهذيب واللسان (وما اكوى) بدلاً (ولا اكوى).

١ـ قوله: والحية الصماء، أي انا والحية الصماء.
٢ـ المراد: يا أبا الأراجيز: ويريد بقوله توعدني، اتوعدني باراجيزك، وأنت لا تحسن الشعر.
٣ـ العقل، قال ابن الأعرابي: هو نبات لحم ينبت في قبل المرأة. ينظر لسان العرب/عقل٨٢٦/٢. والشاعر يعرض برؤبة لأنه من بني مالك بن سعد بن زيد بن تميم وهم يدعون ببني العقلاء.. ينظر شرح الشواهد.

-(١٤)-

(هزج)

وتبلى وَفقاها كعراقيب قطاً طحل

التخريج: الفسر٣٢٣/١، لسان العرب (فوق) ١١٤٧/٢

ـ نسب في اللسان للفند الزماني سهل بن شيبان.

-(١٥)-

(طويل)

التخريج: /لسان العر (مدي) ١٠١٧/١

الصنوى: جمع صنوة وهي الحجارة. (معجم

[illegible] (صوتي) ١٧٤/٧)

(١٦)

(طويل)

[illegible] لها غاية تهوى وحظ منجزم

التخريج: [illegible] لسان العرب

[illegible]

(١٧)

(طويل)

[illegible] الكرام [illegible] دوارج حيريون قدح القوائم

[illegible] فلوما ولا مستنكر المحتالم

التخريج: البيان والتبيين ٦/٢٢٢

[illegible] ذكر الجاحظ أن اللعين المنقري قالها في آل الأهتم.

١. المساناة: المباراة. دوارج: جمع دارجة. منقرضة. [illegible] منسوبون إلى الحيرة (قرب الكوفة). القدح: العوج [illegible] في الأصل.

٢. الملصق: الدعي، أي ليس ثابت النسب. ينظر [illegible] المحقق ٢/٢٦٤

(١٨)

(طويل)

[illegible] فلم [illegible] كالنفس عظامي

[illegible] تمتع في ريقي حسر يق نصرام

[illegible] تراميه ما عرتني بحسرام

[illegible] وما بعض ما يزده غير شرام

[illegible] لقد ربيته [illegible] فلا دفر حسن بعدي أب بغلام

التخريج: الوحشيات/٢٤٠ الأبيات ١، ٢، ٥، ٦، شرح ديوان [illegible] المؤتلف والمختلف/٥١ (١، ٢، ٥، ٤)، [illegible] لسان العرب (خليج) ٨٧٦/٢، [illegible] ٢/١١٠ (الأول فقط)

[illegible] الأبيات في الوحشيات للعين في خليج ابنه، وفي [illegible] الحماسة للتبريزي إلى منازل بن فرعان. وفي المؤتلف [illegible] أخي فرعان. وفي اللسان [illegible] وفي عيون الأخبار بلا عزو.

[illegible] وإن كان تميمياً إلا أن [illegible] أن له ولداً يقال له [illegible] خليج)، وما ذكره التبريزي من قول (أبي رياش: كان منازل بن فرعان ابن يقال له خليج وهو من رهط الأحنف بن قيس، فعق خليج أباه منازلاً فقدمه إلى ابراهيم بن عربي والي اليمامة مستعدياً عليه) يدلل على أن نسبة هذه الأبيات للعين المنقري مشكوك فيها.

[illegible] بدلاً من (مالي) و(صارت) بدلاً من (كانت) في شرح ديوان الحماسة. و(كانت) في عيون الأخبار ولسان العرب.

[illegible] (الدفع) بدلاً من (البر) في شرح الحماسة. وفي المؤتلف [illegible] (وكنت أرجي) بدلاً من (وكيف أرجي).

٤. يروى صدر البيت: (تخيرته وازددته ليزيدني) في عيون الأخبار. ويروى: (تزوجتها فازددتها لتزيدني) في المؤتلف والمختلف.

٥. (وربيته من بعد ذا) بدلاً من (لعمري لقد ربيته) في المؤتلف والمختلف.

هوامش المقدمة

١. الاشتقاق ٢٥١/١ وينظر شرح ما يقع فيه التصحيف /٢٠٠، وشرح الشواهد الكبرى ٥٠٤/٢
٢. خزانة الأدب ٢٠٧/٢-٢٠٨ وينظر الأعلام ٢٤٠/٨
٣. الشعر والشعراء ٤٩٩/١
٤. معجم الشعراء /٤٨٨
٥. الشعر والشعراء ٤٩٩/١، وتنظر خزانة الأدب ٢٠٧/٣-٢٠٨
٦. معجم الشعراء/٤٧٨
٧. المصدر نفسه/٤٨٨
٨. زهر الآداب ١٠٦/١
٩. مختار الصحاح (لعن) ٥٩٩
١٠. البقرة/١٥٩
١١. الذاكرة في ألقاب الشعراء/٤٥
١٢. الصحاح (لعن) ٢١٩٦/٦ وينظر لسان العرب (المادة نفسها) ٢٧٥/٢
١٣. لسان العرب (لعن) ٢٧٥/٢
١٤. خزانة الأدب ٢٠٧/٢-٢٠٨
١٥. الاشتقاق ٢٥١/١، وينظر الأعلام ٢٤٠/٨
١٦. الشعر والشعراء ٤٩٩/١
١٧. المصدر نفسه ٤٧٢/١ وتنظر حكاية الهجاء في الشعر والشعراء ٤٧٢/١، ٤٩٩، وينظر معاهد التنصيص ٤٩/١
١٨. طبقات فحول الشعراء ٣٢٦/١ وينظر ديوان الفرزدق ١٣٢/٢ مع بعض الاختلاف في الرواية.
١٩. العمدة في محاسن الشعراء ٢٠٧/٢
٢٠. الشعر والشعراء ٤٩٩/١
٢١. ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر، أمالي المرتضى ٦٧/١، وديوان الفرزدق ط. الصاوي/٨٤٨، وط. حاوي ٣٥٢/٢، والمثل السائر ٢٢٦/٣، ووفيات الأعيان ٩٥/٦، وأنوار الربيع ٢٥/٤
٢٢. من المصادر التي نسبتها للحزين الكناني: الأخبار الموفقيات/٦٣٤، ونسب قريش/١٦٤، والمؤتلف والمختلف/٨٨، وتحرير التحبير /٤٨٢، وشرح شواهد المغني ٧٢٥/٢. أما غيره: ديوان الحماسة/٥٢٠، الأغاني ٢٢٨/١٥، زهر الآداب ١٠٦/١، العمدة ١٢٨/٢، سرح العيون/٣٩١.
٢٣. الشعر والشعراء ٦٤/١-٦٥
٢٤. الأغاني ٢٢٥/١٥، ديوان الفرزدق ٣٥٢/٢، وفيات الأعيان ٩٥/٦، أنوار الربيع ٢٥/٤.
٢٥. الأغاني ٢٢٢/١٥، نسب قريش/١٦٤، المؤتلف/٨٨، الأخبار/٦٣٤، تحرير التحبير/٤٨٢.
٢٦. الأغاني ٢٢٧/١٥، العمدة ١٢٨/٢، زهر الآداب ١٠٥/١
٢٧. ديوان الحماسة/٥٢٠.

ثبت المراجع والمصادر

١. الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار. تحقـ؟ د. سامي مكي العاني. رئاسة ديوان الأوقاف. مطبعة العاني. بغداد/١٩٧٢م

٢. أساس البلاغة لأبي القاسم الزمخشري. دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٣. الاشتقاق لأبي بكر بن دريد تحق. عبد السلام هارون. منشورات مكتبة المثنى بغداد ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤. الأعلام. خير الدين الزركلي بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ط٣

٥. الأغاني. لأبي الفرج الاصبهاني تحقـ لجنة باشراف محمد ابو الفضل ابـــراهيم. نســـخة مصورة عن ط. دار الكتب المصرية، مؤسسة جمال بيروت.

٦. أمالي المرتضى. للشريف المرتضى. تحقـيق. محمد ابـو الفضل ابراهيم دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م ط٢

٧. امثال العرب للمفضل الضبي. تح. د. احسان عباس دار الرائد العربي بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ط٢

٨. انوار الربيع في انوار البديع لابن معصوم تحقيق. شاكر هادي شكر النجف الاشرف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٦م ط١

٩. البرصان والعرجان والعميان والحولان. الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون. وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨٢م

١٠ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. للفيروزآبادي. تحقـيق محمد علي النجار. المجلس الاعلى للشـؤون الاسـلامية. القاهرة/١٣٨٥هـ.

١١ البيان والتبين للجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي القاهرة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ط٥

١٢ التحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن ابي الاصبع تحقيق د. حفني محمد شرف. المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية. القاهرة/ ١٣٨٣هـ.

١٣ التربيع والتدوير للجاحظ تحقـيق شارل بلات. المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٥م

١٤ التنبيهات على اغاليط الرواة لعلي بن حمزة. تحقـيق عبد العزيز الميمني (ضمن كتاب المنقوص والممدود) دار المعارف بمصر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م سلسلة ذخائر العرب.

١٥ تهذيب اللغة للأزهري تحق. ج١ محمد علي النجار ج٦ محمد عبد المنعم. الدار المصرية للتأليف. القاهرة

١٦ ثلاثة كتب في الاضداد (للاصمعي والسجستاني وابن السكيت) تحقيق. اوغست هفنر دار الكتب العلمية بيروت

١٧ ثلاثة كتب في الحروف (للخليل وابن السكيت والرازي) تحقيق رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. ط١

١٨ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري. شركة البابي الحلبي مصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ط٢

١٩ جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري. تحقيق محمد ابو الفضل وقطامش دار الجيل بيروت ١٩٨٨م ط٢

٢٠ جمهرة اللغة لابـن دريد مطبـعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ١٣٤٥هـ ط١

٢١ كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني تحقيق ابراهيم الابياري. القاهرة/ ١٣٩٤م - ١٩٧٤م مجمع اللغة العربية.

٢٢ الحماسة البصرية. تحق. رقي لويس شيخو دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ط٢

٢٣ الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون. المجمع العلمي العربي بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م ط٢

٢٤ خزانة الأدب ولب لباب العرب لعبد القادر البغدادي تحقـ. عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٦م

٢٥ ديوان أوس بن حجر تحقيق د. محمد يوسف نجم دار بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

٢٦ ديوان جرير. تحقـــيق د. نعمان محمد دار المعارف بمصر ١٩٦٩م سلسلة ذخائر العرب.

٢٧ ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق د ج. عبد المنعم احمد. وزارة الثقافة والاعلام بغداد. ١٩٨٠م

٢٨ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام تحقيق د. احسان عباس دار الثقافة بيروت/١٩٧٥م

٢٩ رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٠ رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري تحقيق د. عائشة عبد الرحمن دار المعارف بمصر ١٩٧٥م

٣١ زهر الآداب وثمر الألباب لأبي اسحاق القيرواني تحقيق د. زكي مبارك ومحيي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت

٣٢ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري تحقيق محمد ابو الفضل. المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٦م

٣٢ شرح ابيات سيبويه لأبي سعيد السيرافي تحقيق د. محمد علي هاشم مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ١٩٧٤م.

٣٤ شرح أبيات سيبويه (كتاب) لأبي جعفر النحاس تحقيق زهير غازي زاهد مطبعة الغري النجف ١٩٧٤م

٣٥ شرح الاشموني على الفية ابن مالك تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد شركة البابي الحلبي القاهرة ١٩٤٦م

٣٦ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق احمد امين وعبد السـلام هارون مطبـعة لجنة التأليف والترجمة القـاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥١م ط١

٣٧ شرح ديوان الحماسة للتبريزي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى القاهرة.

٣٨ شرح ديوان الفرزدق تحقـيق عبد الله الصاوي. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة.

٣٩ شرح ديوان الفرزدق تحقيق ايليا حاوي دار الكتاب اللبناني. مكتبة المدرسة بيروت ١٩٨٣م ط١

٤٠ شرح شـواهد المغني للسـيوطي تصحـيح محمد محمود الشنقيطي منشورات مكتبة الحياة بيروت.

٤١ شرح القـاموس (تاج العروس) للزبيدي، المطبـعة الخيرية مصر ١٣٠٦هـ ط١

٤٢ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي احمد العسكري تحقـيق عبـد العزيز احمد شـركة البابـي الحلبي القـاهرة ١٣٨٣هـ ١٩٦٩م ط١

٤٣ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق احمد محمد شاكر دار الكمعارف ١٩٨٢م (سلسلة ذخائر العرب)

٤٤ الصاحبي لابن فارس تحقـيق السـيد احمد صقر مطبـعة

البابي الحلبي القاهرة ١٩٧٧م
٤٥الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لابن حماد الجوهري تحقيق احمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين بيروت ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م ط٣.
٤٦ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي تحقيق السيد ابراهيم محمد دار الاندلس بيروت ١٩٨٠م ط١
٤٧طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة ١٩٧٤م.
٤٨العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي تحقيق محمد سعيد العريان دار الفكر بيروت ١٣٧٢هـ=١٩٥٤م.
٤٩العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيي الدين دار الجيل بيروت ١٩٧٢م
٥٠العين (معجم) للخليل بن احمد الفراهيدي تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨١-١٩٨٥م
٥١عيون الأخبار لابن قتيبة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٧٢م.
٥٢الفسر (ديوان أبي الطيب) تحقيق د. صفاء خلوصي دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٨م
٥٣الكامل في اللغة والأدب للمبرد تحقيق محمد احمد الدالي مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
٥٤الكتاب (كتاب سيبويه) تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٨م ط٣.
٥٥لسان العرب المحيط لابن منظور. اعداد يوسف خياط دار لسان العرب. بيروت.
٥٦مبادئ اللغة للخطيب الاسكافي تصحيح السيد محمد النعساني مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٥هـ
٥٧المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحيق د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة دار الرفاعي الرياض ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م ط٢
٥٨المحكم والمحيط الاعظم في اللغة لابن سيدة تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار شركة البابي القاهرة سنة ١٩٥٨م
٦٠المذاكرة في القاب الشعراء لأبي المجد الأربلي تحقيق شاكر العاشور دار الشؤون الثقافية بغداد سنة ١٩٨٨.
٦١المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة. تصحيح سالم الكرنكوي دار النهضة الحديثة بيروت
٦٢معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد عالم الكتب بيروت (صورة عن ط١٩٤٧م)
٦٣معاني الشعر للاشنانداني تحقيق عز الدين التنوخي وزارة الثقافة دمشق ١٢٨٩هـ=١٩٦٩م
٦٤معجم البلدان لياقوت الحموي دار صادر بيروت ١٩٥٥م-١٩٥٧م.
٦٥معجم الشعراء للمرزباني تصحيح د. ف كرنكو دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ط٢
٦٦معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٣٦٦هـ
٦٧المغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام تحقيق د. مازن المبارك ومحمد على حمد الله. مراجعة الافغاني دار الفكر بيروت ١٩٨٥م.
٦٨المقاصد النحوية في شرح شواهد الالفية (شرح الشواهد الكبرى) للامام العيني بهامش كتاب خزانة الأدب للبغدادي دار صادر بيروت.
٦٩المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة. المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٢٨٨هـ.
٧٠المقصور والممدود لابن السكيت تحقيق د. محمد محمد سعيد مطبعة الامانة القاهرة ١٩٨٥م.
٧١المؤتلف والمختلف للآمدي. تحقيق كرنكو دار الكتب العلمية ١٩٨٢م (مع معجم الشعراء للمرزباني)
٧٢نسب قريش لابن مصعب الزبيدي تحقيق د. بروفنسال (دار المعارف القاهرة ١٩٨٢م
٧٣نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية بيروت.
٧٤همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للسيوطي تصحيح السيد محمد النعساني دار المعرفة للطباعة بيروت.
٧٥الوحشيات (الحماسة الصغرى) لأبي تمام تحقيق عبد العزيز الميتمي/ ومحمود محمد شاكر دار المعارف ١٩٦٣م.
٧٦وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق د. احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٢م

قصيدة الحمى للمتنبي
دراسة تحليلية في خطاب الذات

د: نصيرة أحمد

كثيرة هي الأسئلة التي تراود المتلقي الأول عند شروعه بقراءة نص شعري،وتتكاثر الأسئلة وتتوالد أثر البحث في المكون المدرك الشامل للنص ومبدعه وطريقة الابداع،ولسنا بصدد البحث في مستلزمات القراءة الأولى ذات المستوى الواحد التي تخص نمطا معينا من الناس إذ نطلق عليها((قراءة اللذة)) التي تقوم بالمفترضات الأولى التي من عملية التحسس عند المعاملة مع النصوص الشعرية،هذه القراءة تفترض تحريك مرتكزات الاستجابة في الذهن بعد امتلاك مجال الاحتواء الخاص إذ يستوعب آلية معينة لاجتلاب المحفوظ من التجارب الانسانية التي تؤول بالفرد الى متذوق لمادة الفن ونخص هنا مادة النص الشعري ،فمن غير الممكن ان تفرض التجاوب الذهني والروحي مع هذا النص على شخص يفتقر الى المكونات الاولى للتعامل مع هذه المادة الفنية من لغة وموسيقى ورغبة عارمة في السماع تخلقها لغة التطابق او التقاطع في الانساق الدلالية،او لذة التتابع والتكرار الذي ينطق بمستويات المعنى المتداعية تباعا،والتراكيب الصورية المتأججة التي يغيب جزء فيها ليتسع المجال الدلالي لجزء آخر يضمه كيانه وفي أحيان أخرى يتقاطع معه ليتم بناء صورة النص الشاملة بالكيفية التي رسمها الشاعر واختطها فكره واحساسه الذي بني تاريخيا بالارتباط والتوالد مع بنيات مركبة أفقيا وتعامديا فكرية نفسية وبيئية وسياسية ودينية وما الى ذلك،والمفترضات التي يحسها الشاعر عبر حياته ويمدها بأسباب الغنى والتكاثر والانثيال عبر نماذج استلها من موروثه الثقافي والفكري والفني الخالص.إن هذه الأسس تشكل المادة الاولى للانطلاق نحو القراءة التي نقصدها وهي(قراءة الممارسة)(١) التي تستدعي وجود مرتكزات أخرى غير التي نوهنا بها وهي الالمام باللغة ومستويات النحو والصوت والموسيقى الشعرية ومفترضات المعنى المكثفة، والقدرة على تركيب وتفكيك النصوص إلى مفرداتها الأولى،أو استبدالها واغنائها بنصوص أخرى،وتشفير العلامات المحددة في بنيات النص أو فك شفراتها..وأقصد بالمرتكزات الأخرى هنا موهبة((اختبار النصوص)) وذلك يبدأ من مفردات التحكيم الأولى التي أطلقها النقد العربي القديم القائم على السماع والانشاد وتذوق مادة الشعر واستيعابها إذ تكشف عن مفردات تقويم النص نجاحا أم فشلا قدرة أم ضعفا،انسيابا مترتبا لانساق الأداء أم التباسا ومعاضلة.قد يصفنا متحذلق بالتخلف والانجراف وراء أحكام حدية لا تخضع لها مادة الشعر التي من سماتها الأولى نسبية التخليق والانفلات عن كل قانون ومقياس يضعه النقاد أو اللغويون أو النحاة أو المفكرون،ولكننا بإزاء مكون وموقف المفردة الأولى فيه الإعجاب والدهشة والشعور بلذة السماع لشيء نجهله أول وهلة فهو تراكم أدائي يجبر المتلقي المنفعل بمادة الفن أن يدلي برأيه ويقول هذا رائع وذلك رديء وعلى النقد المعاصر أن يبحث في مفردات الروعة واستواء النص على هذا التركيب المتآلف من أجزاء متآلفة ومتناقضة في الصوت والمعنى ومفردات التصوير وانثيال اللغة ومفرداتها بالتضافر الفاعل مع انساق صوتية متعادلة تحقق العذوبة في النغمة المصورة عبر التراكيب المتداخلة المكونة للمنظور العلائقي الشامل للقصيدة كلها،ولا يكون لزاما عليه البحث في مفردات الفشل في نص أجهز عليه صانعه في خطأ او ضعف في إحكام ربط الصور ومعادلتها مع أنساق اللغة،والاخفاق في تركيب بنيات السياق المعنوي والفكري المتهيئ للمثول الفني. هكذا يعود الناقد الى المسلمات الاولى في النقد التي تتضمن مفردات القراءة الاولى التي أطلقنا عليها(قراءة اللذة)، ولا مناص من تضمن هذه المسلمات مرتكزات حكمية تقطع بفرادة النص وتميزه او بإخفاقه وفشله، النص هنا((الموجود الأدبي في مادته التي هي اللغة في عناصره المكونة له،في حركية هذه العناصر في العلاقات التي تولدها الحركة في الدلالات الناهضة في فضاء العلاقات))(٢)

وقد أجمع النقد العربي قديما وحديثا على ان نص الشاعر المتنبي هو النص الشعري الاول الذي اجتمعت فيه صفات الفرادة والتميز والبراعة والقدرة على الاخذ بلباب الناس ومشاعرهم[١]. وهناك أقوال كثيرة جعلت الشعر العربي يبدأ بامرئ القيس ويختم بالمتنبي، وهذه الأقوال التي رسمت مكانا في الاذواق خاصا يثير الاستفهام حول سر ذلك التميز الذي جعل من ديوان هذا الشاعر المستوى الناضج في تاريخ النتاج العربي، بل إن الشعر العربي لم يزل متتبعا لخطواته متقيلا لمفرداته واساليبه في الوقت الذي خفتت فيه حدة تلقي الشعر وسماعه في عصر الألة وتسلطها على مدركات الفرد في العالم أجمع، فضلا عن المعضلات الاقتصادية والفكرية والدينية والسياسية وما الى ذلك من مفردات هذا العصر التي تشد الانتباه وتمضي بالفرد بعيدا عن الفطرة والغنائية والعذوبة في التحسس لمفردات العالم الكثيرة، كل ذلك يجعل من الذات الملجأ الآمن الذي نلوذ به مرة ونفر منه اليه، وهذا قد يكون واحدا من الأسباب الرئيسة التي منحت نص المتنبي مادة الخلود والبقاء، أي الحاجة إلى نص يستوعب الظرف ويوازي الحدث ويضم شتى مفردات الحياة بأداء يحمل مقومات الحداثة والنضج (الحداثي) في بنية التعبير ومستويات الخطاب، فضلا عن تنوع هذه المستويات وغناها. ولا نجافي الحقيقة إن قلنا إن للمتنبي قدرة خاصة وأداء عاليا في مستوى التعبير والتأثير في (خطاب الذات)، ونقول من دون الولوج في تفاصيل عملية أن الشاعر خرج عن خصوصية مآسي الفرد ومشكلات التعامل مع مفردات الحياة فكأننا بإزاء واعظ خبر الحياة طويلا، او قائد ألهمته التجارب حكما ووصايا لأجيال متتابعة او - وهذا أليق به - فيلسوف يبحث عن مدينته الفاضلة، بل انه يحاول تخليقها وتركيبها بمادة الفن، قوامه الخطاب والمقول الذي تخطى مفردات الصياغة والأساليب الاعتيادية او المتوقعة، ومضى بخطاب لا يحده شيء، بجدوى أو بلا جدوى، بأمل أو من دونه.

-٣-

وعلى هذا فإن عملية ((اختيار النص)) ستقع على نص يعلو فيه مستوى خطاب الذات المنفعل، بل لا نغالي إذا قلنا إنها تغطي النص أكمله. ولم يجئ ذلك عبثا، بل كان لعدة أسباب منها ما يخص بنية النص ومستويات أداء المعنى فيه. ولذلك سنعمد إلى اجراء تحليل مفرداته ومكوناته ومكنة الشاعر في توجيه الخطاب ورفده بكل مقومات النضج والمثول الفني المتحضر. أما السبب المهم فهو يخص (توقيت النص) وذلك مؤثر وظاهر في بنية الأداء الفني والمضموني للنص. والنص الذي نقصده هو قصيدة (الحمى) إذ يحسم الشاعر الرأي بالرحيل عن مصر وحاكمها (كافور) بعد أن أحس بثقل البقاء ولا جدواه، وها هو ذا يعرض بكافور الحاكم البخيل، فضلا عن أن الشاعر كان يمر بظروف صحية شقت عليه كثيرا، يقول صاحب الديوان: ((ونالت أبا الطيب بمصر حمى كانت تغشاه إذا اقبل الليل، وتنصرف عنه إذا أقبل النهار بعرق، فقال يصف الحمى ويذم الأسود [يعني كافورا] وعرض بالرحيل، فشغف الناس بها بمصر وأنشدت الأسود فساءته))[٢]

ويبدو أن هذه القصيدة هي قبل الأخيرة في كافور، والأخيرة هي البائية التي انشدها له ولم يلقه بعد ذلك إنما قال فيه هجاء بمقطعات معروفة، ومطلع البائية هو:

منى كنّ لي أن البياض خضاب
فيخفى بتبييض القرون شباب

ذلك ما عدا القصيدة الدالية المعروفة التي قالها قبل رحيله من مصر بيوم واحد:

عيد بأية حال عدت يا عيدُ
بما مضى أم لأمر فيه تجديد

-٤-

سنعمد إلى استقراء آراء القدامى والمحدثين في هذا النص ونبدأ بالقاضي الجرجاني (٣٦٦هـ) في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) إذ يصف القصيدة بقوله: ((وهذه القصيدة كلها مختارة لا يعلم

لأحد في معناها مثلها، والأبيات التي وصف فيها الحمى أفراد، قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها فجاءت مطبوعة مصنوعة وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤيس))[٦]

وعلى الرغم من إعطاء الجرجاني القصيدة حقها في الوصف إلا أنه يورد قصيدة لشاعر عباسي هو عبد الصمد بن المعذل[٧] تتضمن وصفا دقيقا للحمى ولها موسيقى خاصة بنيت على مقطع ساكن (رة)، يقول الجرجاني في وصفها: ((وقد أحسن عبد الصمد بن المعذل في قصيدته الرائية التي وصف فيها الحمى... وكأن أبا الطيب قصد تنكب معانيها فلم يلم بشيء منها))[٨]

.ونورد من القصيدة الأبيات الآتية[٨]

وبنت المنية تنتابني
هدوا وتطرقني سحره
إذا وردت لم يدع وردها
عن القلب حجب ولا ستره
كأن لها ضرما في الحشى
وفي كل عضو لها جمره
إذا لم ترح أصلا في العشي
فأقصى مواعدها بكره

ونلحظ أن التشابه بين القصيدتين كان في مقطع وصف الحمى الذي بلغ عند المتنبي تسعة أبيات في حين أنه استوعب قصيدة ابن المعذل كلها إذ بلغت أبياتها (١٤) بيتا، ومقطع وصف الحمى في قصيدة المتنبي جزء من عدة مقاطع تضمنتها القصيدة. ويعود الجرجاني إلى التعليق على نص ابن المعذل مع مقارنة بسيطة بين القصيدتين فيقول: ((فأحسن وأجاد وملح وأتسع إذا قست أبيات أبي الطيب بها على قصرها وقابلت اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى، وكنت من أهل البصر، وكان لك حظ في النقد تبينت الفاضل من المفضول. فأما أنا فأكره أن أبت حكما أو أفضل قضاء، أو أدخل بين هذين الفاضلين وكلاهما محسن مصيب))[٩]. ويبدو أن الجرجاني مضى على منهجه في هذا الكتاب فلم يخرج عنه في البت برأي حاسم في القصيدتين لئلا ينال من مكانة المتنبي وقدرته الشعرية. ومع هذا نجده يصرح بتقبل المتنبي خطى ابن المعذل في فكرة القصيدة ومعانيها بقوله: ((وكأن أبا الطيب قصد تنكب معانيه فلم يلم بشيء منها)) إلا أن الجرجاني نأى بنفسه عن الوقوع في مأزق كهذا إذ يخرجه ذلك عن هدفه الذي وضعه في كتابه في الرد على من حاول الاساءة إلى المتنبي والنيل منه. والأمر جدير بالنظر فعلا فالمتنبي تقصد تكرار بعض الدلالات التي طرقها ابن المعذل، ومنها أن الحمى تراوده لي لا فهل يأتي ذلك لتشابه المرض ام لتشابه الدلالة وتكررها؟ كذلك عدها مصيبة من مصائب الدهر (بنت المنية) وقد كررها المتنبي بسياق مؤثر يجتذب الاسماع ويخلب الألباب:

أبنت الدهر عندي كل بنت
فكيف وصلت أنت من الزحام[١٠]

ولم يكتف المتنبي بالإفادة من نص ابن المعذل، بل إنه يتمثل بيتا لشاعر يورده النيسابوري في شرحه لبيت المتنبي لم يذكر قائله[١١]:

أتيت فؤادها أشكو إليه
فلم أخلص إليه من الزحام

والتماثل بين النصين وارد ولاسيما في الشطر الثاني، فضلا عن دلالات أخرى طرقها النصان ومنها جعل الحمى شيئا يتحرك كالروح وما شابهها داخل الجسد:

(كأن لها ضرما في الحشى
وفي كل عضو لها جمره)

وفي هذا يقول المتنبي:

يضيق الجلد عن نفسي وعنها
فتوسعه بأنواع السقام

كذلك قضية التوقيت إذ يطرقها ابن المعذل:

إذا لم ترح أصلا في العشي
فأقصى مواعدها بكره

ويتناول المتنبي قضية التوقيت المتشابه ولكن

بسياق جديد فاعل:

كأن الصبح يطردها فتجري
مدامعها بأربعة سجام

هكذا يكون التماثل المضموني واردا بين النصين وذلك لا يقلل من شأن قصيدة المتنبي فالموارد التي يأتيها الشاعر في هذا النص متماثلة ولكن الشاعر المبدع هو الذي يستطيع النهوض بالأنساق المفردة المتكررة ليقدم لنا نصا يعلو بالسياق ويمضي به لتأويل مختلف وتأثير دقيق في الذهن وفي الإدراك،وذلك ما فعله المتنبي إذ إنه((لم يسر على مذهب معين،ولم يحاك أحدا من الشعراء أو يقلده تقليدا تاما، وإنما اجتمعت في شعره كثير من خصائص الشعر العربي القديم والحديث وكان شعره في ذلك أصداء لحياته ونغمات نفسه))[٤٠] .ويمضي بعضهم في هذا الرأي ويرى أن الشعر العربي الحديث مازال متعلقا بإنتاج المتنبي الشعري،ولم يستطع الخروج عنه، يقول الدكتور شكري محمد عياد:((وقفت القصيدة العربية التقليدية.فنيا.عند المتنبي فلا نعرف بعده إضافة جديدة لهذا الشكل الفني وإنما نعرف تقليدا ،منه المتقن ومنه الفاخر،فإن أريد بعث هذا الشكل فلا بد من أن يدخل في طور جديد))[٤١] .ونترك الآراء التي تخص قضية التقليد جانبا ونعود إلى قصيدة(الحمى) والآراء التي قيلت فيها ونطرق هنا رأي الدكتور طه حسين فيها،إذ إنه عمد إلى تحليلها في كتابه(مع المتنبي) وفيها يقول:((وهذه الميمية التي قالها حين أصابته الحمى في مصر سنة ثمان واربعين من أرق الشعر العربي وأعذبه وأرقاه وأشده استثارة للحزن،وتحريقا للقلوب الحساسة الشاعرة))[٤٢] ،ويمضي في التعليق على بنائها وقيمتها الفنية:((وما أشك في أنها لم تكلف الشاعر من الجهد والعناء ما تعود أن يتكلفه في غيرها من قصائد وإنما فاضت بها نفسه وانطلق بها لسانه وجرى بها قلمه في غير تكلف ولا عسر))[٤٣] .والغريب أن الدكتور طه حسين ترك تحليل مقطع الحمى وعلق على ذلك قائلا:((وأنا أدع وصفه الرائع للمرض والحمى،فقد كثر فيه حديث القدماء))[٤٤] .

وما أظن ذلك عذرا مقنعا يبيح له الترك،فالنص الأصيل يخلل باعثا قويا للقول والتحليل مهما تعدد المقول وكثر .ويمر الدكتور عبد الوهاب عزام على القصيدة مرورا سريعا في كتابه(ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام)[٤٥] ،إذ يعرض لبعض أبياتها بتعليق مجتزء،وأما النعمان القاضي في كتابه(كافوريات أبي الطيب/دراسة نصية) فيتعرض للقصيدة بدراسة مضمونية، نقتطف منها:((يمضي الشاعر فيصور في مرارة بالغة ما آل إليه حاله في محبسه وما صار يجده حوله من سوء خلق الناس ونفاقهم وريائهم وما يظهرونه من الود الزائف والابتسام الخادع وكيف أصبح يجاريهم فيسلك سلوكهم ويجزيهم ودا زائفا بود زائف وخداع بخداع...))[٤٦] ،وأما أنعام الجندي في كتابها(المتنبي والثورة)[٤٧] ،فقد ربطت دلالات القصيدة بالثورة كما مضت على كتابها كله.ومن الدراسات العلمية الرصينة التي تناولت شعر المتنبي دراسة الدكتور محمد فتوح أحمد الموسومة(شعر المتنبي قراءة أخرى) وهي دراسة نقدية تحليلية طرقت نصوصا مختارة تبين بعض أنماط الاسلوب لدى المتنبي ،ويتعرض الدكتور محمد فتوح في دراسته هذه لقصيدة الحمى وبالتحديد للمقطع الذي يشبه فيه الشاعر نفسه بالجواد:((وما في طلبه أني جواد...))،إذ يقول:((لأننا...إزاء جواد كسير مضرور،وقد نذهب فنلتمس تفسيرا لذلك في قسوة الفترة التي قضاها الشاعر في رحاب كافور التي نظم خلالها تلك القصيدة...فهذا الجواد لم يقعد بذاته وإنما قيدته قوة لا قبل له بها، فلا هو في فسحة من رباطه حتى يرعى ولا هو في السفر حتى يحتلف مما في مخلاته من زاد،ولا هو في اللجام حتى يتهيأ له الحيل من شؤون...إنك إزاء فارس...أو جواد،فلا فرق،محاصر ،لا هو قانع بما يريده حتى يقيم ولا هو في حل من أمره حتى يرحل))[٤٨] .

وأما الدكتور علي كاظم أسد فيتعرض لهذه القضية من دون تحليل في دراسته الموسومة(البناء الشعري عند المتنبي)[٤٩] ،وذلك في تقريبه للمقدمات إذ يضعها ضمن القصائد التي افتتحت بذكر العاذلة أو العذل بمعية

قصائد أخرى ويعدها قصيدة ذاتية من دون الولوج في تفاصيل فنية. وتبقى لدينا دراسة أخيرة للدكتور شكري عياد ضمن الدراسة الموسومة (اللغة والإبداع) وهي دراسة تحليلية عمد الشاعر فيها إلى تقسيم القصيدة على ثمانية اقسام بحسب رؤية الشاعر لمعاني القصيدة وسياقاتها الفنية ويكشف لنا الناقد أنه اعتمد في تقسيمه هذا (طريقة الفصول) التي اقتبسها من حازم القرطاجني يقول في بداية تحليله للنص: ((وسنفرزها على طريقة (الفصول) التي اقتبسناها عن حازم القرطاجني في تعليقه على قصيدة المتنبي ايضا وهي بائيته (أغالب فيك الشوق والشوق أغلب)..))[39]، وسنورد تقسيمه بذكر اول البيت:

١ـ ملومكما ٢ـ عيون رواحلي ٣ـ ولما صار ود الناس ٤ـ أقمت بأرض مصر ٥ـ وزائرتي ٦ـ ألا ليت شعري ٧ـ يقول لي الطبيب ٨ـ فإن أمرض

وكفعل طه حسين في القصيدة يهمل الناقد تحليل مقطع الحمى ويلجأ إلى وصف عام سريع من دون تحديد للانساق أو لمستويات أداء المعنى يقول في تعليقه على مقطع وصف الحمى: ((نشعر أننا وصلنا إلى قمة القصيدة حتى ولو كنا لم نسمع بها من قبل فبعد راحة الشكوى يأتي تأمل الموقف بشيء من السخرية... وفي هذا الموقف المتأمل المتباعد، الساخر تتشابه الأضداد وتصبح الحمى كالمعشوقة المواظبة ونفضها كرعشة الاتصال الجنسي...))[40]، وعلى الرغم من قصر هذه الدراسة إلا أن الناقد نفذ إلى أعماقها برؤية دقيقة ولكنها تبقى شخصية في بعض دلالاتها.

هكذا يجتمع في هذا النص: المرض واليأس من كافور، وحسم الأمر بالرحيل عن مصر، والمواقف الثلاثة مثيرات ادراكية تعبث بالذات بل يعلو فيها الإحساس بالذات وتكون هي المنطلق الأول لمستويات المعاني التي يبلغها الشاعر في نصه.

ـ ٥ ـ

النص[41]

:عدد الأبيات:

الروي	الميم المكسورة
البحر:	الوافر
مقطع اللائم:	بيت واحد
مقطع الرحلة:	أربعة أبيات (٢ـ٥)
ذكر الذات:	أربعة أبيات (٦ـ٩)
حكمة:	بيت واحد (العاشر)
ذات:	٣ أبيات (١١ـ١٣)
حكمة:	٣ أبيات (١٤ـ١٦)
ذات مع تقديم لوصف الحمى	أربعة أبيات (١٧ـ٢٠)
وصف الحمى:	تسعة أبيات (٢١ـ٢٩)
ذات:	أربعة أبيات (٣١ـ٣٤)
المرض مع الذات (الخاتمة):	ثمانية أبيات (٣٥ـ٤٢)

ـ ٦ ـ

يلحظ المتلقي أول وهلة أن النص مكون من مقاطع ثلاثة هي:

١ـ اللائم ٢ـ الرحلة ٣ـ الذات.

وهذه هي المقاطع الرئيسة في القصيدة إذ حاول الشاعر تصنيفه المقطعين الأول والثاني من أية دلالات إضافية تدعم المنظور الدلالي العام للمقطع في حين أنه عمد إلى بث دلالات تتضافر مع دلالة المقطع المركزي وهي (ذكر الذات) ونقصد بذلك مقاطع الحكمة ومقطع (وصف الحمى) كذلك التعريض بالرحيل والابتعاد عن مصر أرض كافور. هنالك سؤال يحاول المثول عند تأمل هذه المقاطع المؤلفة لبنية النص هو: لماذا عمد الشاعر إلى افتتاح القصيدة بذكر (اللائم)؟ وقبل هذا لماذا يعمد الشاعر إلى البناء التقليدي الموروث باختيار ثلاثة مقاطع مهمة في تمثيل سياق النص وهي: اللائم والرحلة ووصف الذات؟ في حين أن المتنبي استطاع تقديم نقلة نوعية في بنية القصيدة العربية بعد زمن طويل استوعب خلاله محاولات التغيير والتجديد كافة لبناء نص نموذجي يناسب العصر

ويحتمل شتى مفردات التطور في الصياغة وفي الاسلوب وفي بنية اللغة الشعرية فضلا عن تنوع مستويات المعاني وطرق تقديمها. يقول الدكتور علي كاظم اسد: ((إن مضمون المعاناة الأليم يفتح للشاعر افق الرؤيا الابداعية ليستوحي عالمه الفني اذ ان ما تسناه في نصوص ابي الطيب يدل دلالة واضحة من بعض الوجوه على اثر المعاناة الحقيقية في بناء النص. فبدت نصوصه من دون تمهيد لامتلائه بمضمونه القادر على التعبير ثم تراوح اداؤه بين اعتماد الصيغة التقليدية المتضمنة المعروفة والابتداء من دونها بغرضه الرئيس، ولعل اعتماده لصورة الهيكل القديم كان استحضارا لتفصيلات التراث الفني ليعقد مقارنة خفية غير منظورة بين استحضار مستلزمات الموروث القديم ومعاناة من التزمها من الشعراء من جهة، ومعاناته العميقة الرئيسة من جهة اخرى، ليتبين مدى عمق تجربته بالاضافة إلى سذاجة تجارب الآخرين المقلدين، والأمر الذي يولد تضاربا في المحليات النفسية جراء المقارنة التي تضخم من أمر تجربته وتهوين ما عداها ليكفل هذا دخوله قويا في عالم الابداع))[٣٠]، وعن تأثير انتقاله للشكل الفني في المرحلة الفنية التي يبلغها الشاعر بحسب مؤثرات واقعه وظروفه يقول الدكتور أسد: ((توارت هذه المراوحة بين مستلزمات التقليد وحالة استحضار ومعاناة الذات لتحل محلها دوافع الشروع للعمل الفني باستحضار واقعه وتفصيلاته كلها أيا كانت بعد ان استتبت لديه قدرته المعروفة على التعبير لتستقر لديه الصورة النهائية التي تفرد بابتداع مناهجها وهو يعيش في مرحلة حلب وبعدها مرحلة مصر ولاسيما الأخيرة التي توسعت فيها قاعدة الالتزام الصارم بشروطها التي تفرض على النص الالتزام الحاد ببنية الافتتاح الذي يحجم بنية الحدث ليعبر عنها فاتاح الفرصة لتطور مذهب بنائي فرضته خصوصيات المرحلة الواقعية التي عاش فيها))[٣١]. وهكذا فإن المقاطع الموروثة التي يفترض الشاعر تقليدها خرجت عن سياقها القديم الى سياقات مغايرة جعلت أكثر مما تحتمل ففاضت إلى دلالات رمزية تنوء بالاشكال القديمة وتكون حدود مضامينه فضلا عن سياقاتها المعبرة.

-٢-

لقد وقع اختيار الشاعر على افتتاح ((اللائم)) وهناك من يطلق عليه ((العاذل)) او ((العاذلة)) بحسب صيغة ورودها في الافتتاح إن كان عذلا او لوما وذلك يمضي بنا الى سؤال هو: لماذا يلجأ الشاعر العربي الى هذا المكون الدلالي الذي ندعوه باللائم؟ نقول: إن الشاعر العربي قد يفتتح قصيدته بهذا المقطع او النسق البنائي، وفي أحيان أخرى يلوح به في مقاطع أخرى غير الافتتاح، والحديث مع اللائم او العاذلة يأتي لردع الشاعر او منعه عن اختيار قسري او معين كالرحلة في ممدوح او التمادي في التداني بخمر او اكرام ضيفه... ان هذا المكون بالتفاتة بنيوية ينصرف الى دلاليين متضادين: بنية السلب وبنية الايجاب، الرفض والقبول، والفعل واللافعل، كل سياق يمضي خلاف الآخر، ويبدو ان دلالات هذا المكون قد تحددت في الشعر الجاهلي بصيغ ودلالات معينة تخص موضوع الكرم بصورة خاصة إلا انها تطورت في مراحل تالية الى موضوعات أخرى ولاسيما مفردة الشيب التي يخاطب بها الشاعر في مقاطع الشيب او انه يشكل القصيدة مثلما ذكرنا ويرى المرحوم الدكتور محمود عبد الله الجادر ان في القضية بواعث نفسية تخص العلاقة بين الرجل والمرأة في الشعر الجاهلي على الاخص: ((ان الشاعر الجاهلي لا يجد سبيلا الى البوح بهواجسه هذه الا باسقاطها على رمز العاذلة التي تمثل الصوت المرفوض لذ يمنح نفسه فرصة الرد من خلال التمسك بالقيم المعرفية الموروثة))[٣٢]. ويواصل الدكتور الجادر الكشف عن جوانب هذا المكون الافتتاحي بقوله: ((ولعل اختيار الزوجة بوجه خاص كان يقوم في وعي الشاعر الجاهلي على أساس من رصده لطبيعة رؤية الأسرة وحرصها على أن تضمن الحياة المطمئنة لحياتها. وبالتالي رفضها لما يحرص عليه الشاعر من قيم كرم وشجاعة قد تشكل تحديا خطيرا لما تحرص عليه... وكما كانت التضحية بالمال باعث التي تؤول فيه العاذلة إلى الصمت كفا عن

اللجاجة، كانت التضحية بالنفس باعث حوار في نماذج الفرسان في مثل قول عنترة:

((بكرت تخوفني الحتوف كأنني
أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل))[٢٨]

ومهما تعرض هذا المكون الدلالي لمقتضيات التطور الفني في النص العربي فإن سمة الرفض تبدو هي الغالبة بل إن الشاعر يمضي بموقف الرفض إلى فعل سمته التحدي والقوة ويكون هو الاختيار الصحيح والمقنع بحسب رؤية الشاعر.

-٨-

ويبدو أن اختيار المتنبي لمكون (اللائم) أن يكون افتتاحا في هذه القصيدة يأتي لأن المتنبي يعرض فيها بالرحيل عن مصر فيأتي العاذل او اللائم لردعه عن الرحيل، وهكذا يفتتح الشاعر النص به:

١- ملومكما يجل عن الملام
ووقع فعاله فوق الكلام

لقد كان (اللائم) المفتاح السياقي الأول لهذا النص بل لمكون اللائم وبصيغة (ملومكما)، وكان بالامكان أن يزيد الشاعر من عدد اللائمين فيقول: (ملومكم) ولكنه آثر ثنائية اللائم فضلا عن تنكير فعل اللوم أي أن فعل اللوم يقوم به اثنان[١١] علما أن فعل اللوم إن كان جماعة كان أشد وأقوى في مقابل فعل الشاعر الذي يعمد إلى اظهار قوة فعله فيكون فعل السيطرة أظهر وأوضح، ولاسيما في موقف شبيه بموقف المتنبي في حاله هذه، إلا أنه آثر الثنائية فتمضي الموازاة في السياق الدلالي على المكون الدال على اللائم ويكون صوت الشاعر بين الصوت والصدى محققا كيانا سمته التأرجح بين ثنائية اللائم الذي يقوم فعله على سياق الكلام. فاللوم ملفوظ صوتي ردعي يسير في نسق مضاد لموقف الشاعر الذي يحاول الرد بسياق لفظي صوتي لاسكات الطرف المضاد، كاشفا عن مادة الدليل فماذا يفعل المتنبي بإزاء موقف كهذا؟. لم يكشف المتنبي عن مادة الردع او لماذا يعمد اللائمان للومه بصورة واضحة في البيت الأول إلا أنه يلجأ إلى الرد الحاسم (صوتيا) وباللفظة او المكون الخاص بموقف اللوم (ملومكما) وهذه لا تؤديها الصيغة إن جاءت لمعنى جماعي (ملومكم) مثلا، فكأن مجيء الميم والألف (ما) جاء لرد اللائمين وردعهما بسرعة بأداء صوتي رافض للوم حاسمة حتى قبل أن يفهم المتلقي سبب اللوم، مع تغلغل دلالي واضح لصوت الشاعر في اللفظة ذاتها لاضعاف صوت الردع واللوم وذلك تضعف عن أدائه لفظة (اللائمان) او (أيها اللائمان) بالخطاب التقريري الموجه، هكذا فإن الشاعر يسميهما باسمه او بدلالة وجوده ليكون دخوله قويا مفروضا: (ملومكما) فضلا عن الخلاص من موقف التأرجح بين محوري اللائمين فيتسلط برد موحد يؤديه الفعل القوي (يجل) لاسناد النسق الرافض الذي قام به الحرف الرافض (ما) المرتبط سياقيا بفعل الردع (ملوم) الوارد بهيأة اسم واصف لفعل اللوم، أي أن الشاعر عمد إلى تركيز الثنائية في موقف اللوم المتأرجح بفعل واحد، فضلا عن دلالة الفعل (يجل) القوية بمضمونها وسياقها المعنوي فالشاعر يجل عن دلالة اللوم: (يجل عن الملام)، ولم يستعمل الشاعر الاسم المصدري القوي الدال على اللوم بل عمد إلى لفظة (الملام) وهي أضعف سياقيا عن لفظة (اللوم) المركزة ليستمر في مد دلالات عامل الرفض او الرد المقابل للوم وهكذا يتركز فعل الشاعر في أشياء ثلاثة يستوعبها الشطر الأول:

١. وجود الشاعر وتغلغله في موقف الردع (ملومكما) مع الكشف عن ثنائية مزدوجة في موقف اللوم.
٢. (ما) المرتبطة بكيان الردع او الرفض المتعلقة بذات الشاعر.
٣. دلالة الفعل (يجل) وايراده مباشرة بعد مكون اللوم.
٤. الكشف عن مادة اللوم بصيغة الاسم المؤدية للفعل (الملام) وهذه تضعف من كفة طرف اللائم.
٥. فضلا عن هبوط السياق الدلالي بمادة اللوم إذ تقوم لفظة (الملام) المكسورة نظير قوة الفعل المرفوع (يجل) الخاص بموقف الشاعر، فكأن الشاعر يحسم الأمر دلاليا

وصوتيا في التسلط على موقف اللائمين ومن الشطر الأول.يبقى شيء يختص بالانساق الدلالية الصغرى المرتبطة بالمنظور الشامل للنص،وهو توارد حرف الميم وتسلطه على السياق الدلالي للشطر الأول،فضلا عن الدلالات التي نوهنا بها سابقا في اسناد موقف الشاعر الرافض لعامل الردع واللوم الذي قام به الحرف القاطع(ما):

(مـ... مُـ... مـا.مـ... م...)

هكذا يتكرر صوت(الميم) وبحركات مختلفة خمس مرات:الفتح، والضم، والمد، والفتح، والكسر، وذلك يأتي لاستيعاب المضمون الدلالي الصوتي بأوجهه كافة،ولا ننسى النغمة الصوتية الحزينة المنكسرة لهذا الحرف فكأننا بإزاء بكائية يقدمها الشاعر بهيأة أنين متواصل لا ينقطع، كشف عنها الشاعر في الشطر الأول مع اعطائها بعدا صوتيا ارتكازيا يستند اليه شطرا البيت بسياق التصريع القائم بالميم المكسورة(الملام... الكلام) فكأن الشاعر - فضلا عن الدلالات المكثفة الأخرى - يلوح بمقطع المرض أي وصف الحمى الذي يتوسط القصيدة إذ يمنحه الشاعر تسعة أبيات بعد تخليصها من الدلالات المتعلقة الأخرى قبلها وبعدها،إذ إن المقطع يبدأ بالبيت(٢١) وينتهي بالبيت(٢٩)، فالمقطع مسبوق بعشرين بيتا،يتبعه اثنا عشر بيتا وذلك يبعث قوة متسلطة لمقطع الحمى بخطابها الحزين الحاد، ولا يتم ذلك إلا بإيراد مادة صوتية يقوم بها النص كله، إذ يقع على كاهل صوت الميم المنكسر وهو صوت أنين المريض بصورة عامة مستمرا على مدى زمن غير معروف،فضلا عن عمومية المكان، فعلى الرغم من اظهار الشاعر لصوت المكابرة والرفض إلا أن ذلك يجيء بصحبة صوت داخلي بهيأة أنين مستمر لا ينقطع على الرغم من دخول دلالة المريض وأنينه واقعا ماديا حقيقيا مفروضا الذي يحتاج لصوت الأنين، فضلا عن إدخال سياق(التصريع) الذي يوازي الدلالة في مرتكزي الشطرين في الجزء الأخير من كل سياق بما يناسب مادة الدلالة التي يقوم بها البيت الاستهلالي فـ(الملام) ملفوظ صوتي مثلما ذكرنا،لابد من أن يقابل برادع صوتي مناسب لئلا تقوى دلالة(اللائم) وتشتد على الشاعر فناظرها بمادة دلالية من جنسها وهي(الكلام) وهذا يضاف إلى عوامل الاضعاف التي يمارسها الشاعر بالتتابع على مكون اللائم فضلا عن دلالة المعنى التقابلية بين اللفظتين(الملام - الكلام) يتم إسناد موقف الشاعر بالادلة الصوتية المناسبة وهي(الميم المكسورة) القائمة بالتصريع،وبهذا يتسلط موقف الشاعر ويعلو بالفعل(يجل) وبمعية الانساق السائدة الاخرى التي نوهنا بها،إذ توسط الشطر الاول:

(ملومكما - يجل - عن الملام).

ولم يفارق الشاعر السياق الصوتي في الشطر الثاني الذي ارتكز على المكون الصوتي(التصريع) المرتبط بمرتكز الشطر الاول وخاتمته(الملام) فلجأ إلى دعم الدلالات المعنوية التي توحي بقوة الصوت والفعل فجاء بالسياق الاول في افتتاح الشطر وهو خاص بموقف الشاعر:(ووقع فعاله)،ولفظة(وقع) توحي بدلالة الصوت التي تمنح موقف الشاعر قوة اضافية تناسب وتناظر القوة الممنوحة له في الشطر الاول:يجل عن... ووقع فعاله ولفظة(وقع) مكتفية دلاليا،فهي توحي بالصوت الهابط بقوة وهي مرتبطة بلفظة(فعاله) التي تكشف عن ذات الشاعر المميزة بصورة عامة،إلا أن الشاعر يردف السياق بظرف مكان يعلي من(وقع الفعال) ويرفعه عن مقول الملام وهو كلام خاو لا يقف أمام وقع الفعال:ووقع فعاله..(فوق)...الكلام.كذلك فإن مقول الملام تدل عليه لفظة الكلام التي ختمت البيت بميمها المكسورة،إذ تسلط عليها الظرف ونهض بفعل الشاعر وموقفه.

-٩-

في البيت الثاني يغلق الشاعر بنية(اللوم) ليتخلص من دون النأي عن الموروث من بنية القصيدة العربية إلى بنية(وصف الرحلة)،وبهذا يكشف الشاعر عن مادة اللوم وسببه وهو الردع عن الرحيل والارتحال إلى الفلاة والمفازة الخالية،وقد كان المفتاح السياقي للولوج إلى هذه البنية فعل متعلق باللائمين هو الفعل(ذر) الموجه اليهما بصيغة المثنى(ذراني) مما يحقق فعلا رادعا قويا

يختم بنية اللوم وبتسلط واضح لموقف الشاعر الردعي المحقق للثنائية بين الضعف الذي تنوء به بنية اللاثمين والقوة المسيطرة التي يدل عليها موقف الشاعر.تلك الثنائية التي مازالت واردة في أول الشطر الاول من البيت الثاني،إذ يقطعها الشاعر بالدلالة النهائية القاطعة التي يؤديها الفعل (ذراني) بإسناد مباشر بعد اللفظة الاولى من واو المعية التي تفسح المجال لبث الدلالات السياقية الخاصة ببنية الرحلة:

٢-ذراني والفلاة بلا دليل

ووجهي والهجير بلا لثام

هنا يعمد الشاعر إلى سياق التقسيم الذي يورد الاشياء موردها ويمد النسق الكائن في البيت الاول الخاص بتميز الشاعر وقدرته:(يجل..ووقع فعاله فوق الكلام) بدلالات اضافية.

وها هي ذي فعال الشاعر تتغلغل وتسيطر على سياق المعنى ودلالاته التي يبثها الشاعر بترتيب وتناسب غامض القصد والغاية:

والفلاة ---> بلا دليل

ذراني[**] ياء المتكلم وجهي ←

والهجير ← بلا لثام

فما دام إشعاع الفعل (ذراني) المتعلق باللوم مازال ماثلا،مؤديا لسلطته الخاصة بسياق اللوم احتاج السياق إلى بنية ثنائية متساوية سياقيا وصوتيا بالحرف الرافض ونسقه المنكسر ليغطي بنية اللوم بدلالات المعنى واجراءات السياق التي عادل الشاعر اجزاءها بمكونين متعامدين يقفان بوجه ثنائية اللوم التي يطرقها المتلقي في أول البيت:

- ذراني -

الفلاة (بلا دليل) + وجهي والهجير (بلا لثام)

وليعمد الشاعر إلى تقوية كل مكون من ثنائية موقف الشاعر بازاء ثنائية فعل اللوم،ومع تعلق المكونين بعضهما ببعض،لأن السير في الفلاة معرض لهجيرها،لجأ الشاعر إلى الفصل بين المكونين بـ(التقسيم) ليكون كل مكون طرفا قائما بنفسه مكتملا وقادرا على المواجهة.كذلك ليستوعب اطراف البنية الصورية ومتعلقاتها،فالسير في الفلاة يحتاج إلى دليل والشاعر يرفضه،والوجه الذي يواجه الهجير يحتاج إلى لثام والشاعر يرفضه أيضا،إلا أن المتلقي قد يطرق باله الضعف الذي يواجه الشاعر بدلالة الرفض هذه،إن ترك الفلاة وحيدا بلا دليل ومع الهجير القاسي بلا لثام وهنا احتاج الأمر لبيت يتلافى فيه الشاعر دلالة الضعف الجديدة مع المضي في أسلوب التقسيم الذي يعادل بين المواقف ويناظر بين السياقات المتناقضة ليضمها البيت الثالث وحده متكاملة:

٣-فإني أستريح بذي وهذا

وأتعب بالإناخة والمقام

فهذا البيت متعلق بسابقه غير مكتف بذاته قائم بالمقابلة بين بنيتين موزعتين على سياقي الشطرين:بنية التعب وبنية الراحة،فالشطر الأول قائم على سياق التقسيم الثنائي المتعادل المتعلق بالمكونين اللذين حاول الشاعر تخليقهما في البيت السابق ولتحقيق استيعاب شامل لدلالة المكونين لجأ الشاعر إلى اسمي الاشارة(ذي...هذا) ليعادل القوة ويستوعب المكونين بصورة كاملة من دون حاجة إلى اعادة السياق بدلالات مضافة:

ذي الفلاة بلا دليل (قوة)

الراحة

هذا وجهي والهجير بلا لثام (قوة)

فالناتج من مواجهة الفلاة بلا دليل ووجهه والهجير بلا لثام،الراحة التي ينشدها الشاعر،التي هي دليل قوة وتسلط ماثلة بوضوح تام،هنا : لا يمكن للشاعر أن يفارق بنية الراحة التي يحسم فيها موقف اللوم ويمضي يمد دلالات القوة الخاصة بالشاعر،إنما احتاج السياق إلى بنية تقابلية لإثراء المعنى(وكعادة الشاعر العباسي)،وسياق التقابل هذا يتحقق بمزدوج تناقضي يعادل بين شدة الراحة المتمثلة بالشطر الاول وشدة التعب التي يمثلها الشطر الثاني:

التعب   الاناخة والمقام

هذا الشطر ذاته استوعب بنية تناقضية بين موقف الراحة وموقف التعب فالراحة تكون بالتعب، هذا في الشطر الاول، لكنها تنقلب فجأة في الشطر الثاني، فيكون التعب بالراحة.

الراحة = السفر في الفلاة بلا دليل + الوجه والهجير بلا لثام (التعب)

التعب = الاناخة والمقام   (الراحة)

فكأن الدلالات المتناقضة تتقابل ولكن سياقاتها تصب الواحدة في الاخرى بلا نهاية قاطعة مشروطة، فالراحة تؤدي إلى التعب والتعب يؤدي إلى الراحة وهكذا، ولا يترك الشاعر تقسيم الادوار للمحاور التي ابتنى بها سياقي البيتين الثاني والثالث في الكشف عن البنية الصورية الخاصة بالمقطع لتدخل (الراحلة) رفيقة السفر طرفا جديدا في معادلات الانساق الدلالية التي يتمها الشاعر في البيت الرابع. إن الشاعر العربي يتخلص إلى مقطع الرحلة بإشارة واضحة في الأعم الأغلب إلى قوة راحلته التي تمكنه من قطع المفاوز والفلوات لمواصفاتها الخاصة، إذ يكشف عنها في بداية المقطع، فهذه الأمكنة المقفرة والسفر الطويل يحتاج إلى راحلة قوية تتحمل مشاق السفر المنهك ليتمكن من الوصول إلى ممدوحه، وذلك تعبير عن العناء الذي يتكبده الشاعر وهو في طريقه إلى هذا الممدوح الذي لابد له من أن ينظر باهتمام إلى هذه المشاق، فيكافئ الشاعر بما يستحق... وهكذا يدخل الشاعر (الراحلة) او (الفرس) في مقطع الرحلة للكشف عن مواصفاتها العالية التي تتحمل الاجهاد المستمر.

وكعادة المتنبي في اجراء تغيير سياقي ودلالي شامل على البنى المؤلفة للقصيدة العربية، مضى على ذلك في هذه القصيدة، فلم تقدم (الراحلة) مفردة لتنهض بالمقطع الخاص بها، وبسبب تغلغل خطاب الذات في بنى القصيدة كلها، تضافر السياق الدال على مكون الشاعر مع السياق الدال على مكون الراحلة لبناء هذه الوحدة الخاصة في مقطع الرحلة، وها هو ذا يدمج فعل الراحلة بفعله ومواصفاتها بمواصفاته لانتاج مكون أقوى وأشد تأثيرا في تقديم السياق الدال على (الرحيل والنأي) مما لو قدم بالشكل المقلد في الاتيان بالراحلة وبمواصفاتها بمعزل عن أداء الشاعر وفعله معها حتى أن زاد الشاعر في الأبيات الدالة على السمات القوية للراحلة فضلاً عن الاتيان بقصة (أتان)، أو (ثور الوحش) او (البقرة الوحشية) لبلوغ مستويات أعلى في الكشف عن المواصفات الخاصة للراحلة، كفعل الشاعر الجاهلي في ذلك ومن تقيله من الشعراء المتأخرين.

فعيون الشاعر (المتنبي) لم تكن تعمل مفردة في ارتياد المفاوز والطرق المقفرة، بل دمج فعلها بفعل عيون رواحله ليشتد النظر ويقوى، إذ تسنده عيون هذه الرواحل التي خبرت السفر الطويل والشاق إن أحس الحيرة في تحديد مساره ووجهته، وجاء بها جمعا (رواحلي) ليكون الفعل جماعيا قادرا على النهوض بالدلالة التي تعلي من موقف الشاعر واختياره الشخصي في الرحيل والسفر بلا رجعة.

بل أن الدمج الاجرائي في مفردات الدلالة بين طرفي المكون: (الشاعر - الرواحل) يصل إلى أقصاه في الشطر الثاني من هذا البيت فيلتبس فعل الرواحل بفعل الشاعر كناية عن وحدة الفعل وقوته فلا يمكن تمييز فعل الشاعر من فعل الرواحل لمستوى الالتباس بين المكونين حتى أن بغام هذه الرواحل وهي ترزح في سفر طويل تحت أحمالها أصبح بغامه هو ولا تطلق الرواحل أصواتها إلا وهي على جادة الطريق تواصل السير والارتحال الشاق:

٤. عيون رواحلي إن حرت عيني
وبغام كل رازحة[11] بغامي

فليس هناك متسع للراحة او التأني فلا بد من بلوغ المقصد والأمل الذي ينأى عن الأفق ويتطلب بذل الجهد مفردا من دون دليل لخصوصية الهدف وسريته:

عيون رواحلي - إن حرت ← عيني
بغام كل رازحة ← بغامي

هكذا يمضي الشاعر في رباعيته المتناقضة المؤتلفة لتحقيق مكون يصمد أمام طرف ثنائي مقابل:

عيون رواحلي إن حرت عيني

← المفاوز المقفرة+ الفرار من مصر

بغام رازحة   بغامي

إن هذا الالتباس يحقق السرية في رحلته التي يبغيها ويخطط لها فضلا عن تحقـــيق القـــوة ومع ادلتها في مواجهة الصعاب فيما يخص عملية الارتحال والفرار من عدوه،بتقسيم سياقي رباعي يجعل السيطرة لذات الشاعر فقد انتثرت الانساق المعبرة عن ذات الشاعر وموقفه على مدى الشطرين ولاسيما خاتمة الشـــطرين إذ يرتكز الصوت والمعنى والدلالة النهائية:

(عيون....عيني)-(بغام...بغامي)

رواحلي ← الياء

حرت ← التاء

عيني ← الياء

بغامي ← الياء

أما دليل (الحيرة) الذي بثه الشاعر في الشطر الاول وتوسطه سياقه،فهو متعلق بالشاعر وخوفا من توارد دلالات الضعف في موقـــف الشـــاعر لم يأت هذا النسق مباشرا قاصدا ذاته،إنما ورد بصيغة الشرط الذي يجري على هيأة هذا التوقع والافتعال:(إن حرت) لا على سبيل الحدوث القطعي،ومع هذا حوصر هذا الدليل المتأرجح بنسقين متحدين لبث موقف القوة والتسلط الذي تقـــوم بـــه ذات الشـــاعر بم تعلقاتها كافة[٣٣].

(عيون رواحلي)-إن حرت-(عيني)

قوة   قوة

↑___   ↑___

+

-١٠-

بعد أن تخلى الشاعر عن قوى معاضدة تنشد موقـــفه وذاته التي مضت في اختيارها بالرحـــيل ومتعلقاته من اختيار موقف رفضي لواقع موبوء يضعف فعل التغيير بـإزائه،إلى إعلاء لذات لا يناسبها الموقـــع الذي وضعت فيه،إلى تحديد طريق البحـــث بجدوى او بلا جدوى والبدء من جديد...نراه يسلسل القوى السائدة التي تخلى عنها:

- اللائم الذي يلومه ويمنعه عن السفر (يطالبـــــه بالاقامة)

- دليل الرحـــلة الذي يسنده في رحـــلته ويكشـــف له الطريق.

- اللثام الذي يمنع عن وجهه الهجير وأذى الرحلة.

- الاكتفاء بفعل الرواحـــل في النظر واطلاق الصوت لرد الوحشة ثم السيطرة على فعل الرواحـــل وتغلل ذاته في فعلها وأدائها.

- التخلي عن الهادي الذي يدله على طريق وجود المياه والغمام في البيت الخامس.

٥- فقد أرد المياه بغير هاد

سوى عدّي لها برق الغمام

فالعرب((إذا عدو للغمامة مائة برقة لم يشكوا في أنها ماطرة واثقين من أنها سقت،وربما ساروا خلفها عشرا أو أقل أو أكثر)).

فالشـاعر لا يحتاج إلى هاد لمعرفة مواقـع المياه،بـل يعتمد في هذا على بـدويته ودرايته بـالمفاوز المقـفرة وطرق ارتيادها،وبـهذه يتخلى الشـاعر عن القـوى المعاضدة والسـاندة في رحـلته تبـاعا لبلوغ مقـاصده المجهولة،ويتخلص الفعل لأداء الذات المتسلطة المنفردة بخطاب يقـوى ويشتد في البـيت الانتقـالي السـادس ليصفو السـياق لمفردات قـوة المجابـهة في فعل الذات بـدليلين حاسمين:(ربـي سيفي) استبقـاهما الشـاعر وقـطع بـهما الخطاب المتأرجح في بـنية اللائم وبـنية الرحـلة ليهيئ السـياق لبـنية جديدة وهي (خطاب الذات) المباشر في البيت السادس:

٦- يذم لمهجتي ربّي وسيفي

إذا احتاج الوحيد إلى الذمام

هنا يعود الشاعر إلى سياق(الشرط الدال على استثناء الحال) الذي طرقه في البيت الرابع:(إن حرت)،والبيت الخامس الذي جاء استثناء خالصا:(سوى عدّي لها برق الغمام)،ويأتي في هذا البيت بالنسق الآتي:(إذا احتاج

الوحيد) ويأتي هنا للكشف عن مفردات القوة في موقف الشاعر على الرغم من اختياره لقوتين ساندتين (ربي، سيفي) أن السامع يظن. إن اكتفى بالشطر الأول. إن الشاعر قطع تنازلاته المتتابعة عن القوى السائدة باختياره قوتين تمثلا اختياره النهائي في رحلته التي تحفها المخاطر: (ربي + سيفي).

ولكنه يفاجئ المتلقي بالسياق ليستكمل به السياق التوالدي المتتابع في التخلي عن القوى السائدة في رحلته: (إذا احتاج الوحيد إلى الذمام).

فالعرب تذمم في السفر فتجعل فلانا في ذمة فلان من الناس[٣٧]، فالشاعر جعل نفسه في ذمة ربه وسيفه إلا أنه يعود ليستثني نفسه فما به حاجة إلى ذلك على الرغم من كونه وحيدا، ويبدو أن هذا الأمر لم ينفعه قط في ارتحاله إذ يقال ((انه لما رجع من عند عضد الدولة وبلغ الأهواز أحضر خفراء العرب وقاطعهم على الخفارة فوقع النزاع بينه وبينهم... سألوه على بذل لهم فلم يجبهم اليه وضرب فرسه وهو ينشد هذا البيت: يذم لمهجتي ربي وسيفي... فقتل عند دير العاقول)).

-١١-

الآن يصفو السياق للكشف عن مفردات الذات بعد أن قطع الشاعر شوطا في ابتناء انساقها بعد تجريدها من متعلقات التقديم، وفي المقطع الذاتي الأول (من البيت السادس حتى البيت التاسع) تصبح ذات الشاعر قادرة على اختيار الخطاب وتوجيه اللوم والانتقاد للواقع الذي تجابهه بمفردها كذلك ينجح الشاعر في بث مواصفات هذه الذات بين الانساق المؤلفة لهذا المقطع الذي بدأ بالبيت السادس، وهي في الأعم الأغلب مواصفات ايجابية تسمو على مفردات الواقع الذي بدا سيئا قاتما في عين الشاعر:

المكون-١-

٦- يذم لمهجتي ربّي وسيفي
إذا احتاج الوحيد إلى الذمام

٧- ولا أمسي لأهل البخل ضيفا
وليس قرى سوى مخ النعام

٨- ولما صار ود الناس خبا
جزيت على ابتسام بابتسام

٩- وصرت أشك فيمن اصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنام

ويتعلق الشاعر بصيغة الاستثناء فيكررها في البيت السابع إلا أنه (استثناء غير متحقق) يعمد اليه الشاعر كثيرا، فهو يرفض أن يحل ضيفا على أهل البخل الذين يمتنعون عن قراه لا لفقرهم بل لأنهم بخلاء إذ حدد صفتهم في الشطر الثاني، ومضى في مد الفكرة بالقوة ومستلزمات الاقناع في الشطر الثاني: فهم لا يملكون قرى سوى (مخ النعام) ولا مخ لها، وذلك السياق يأتي للحط من شأنهم ويأتي أيضا على سبيل الهزء والسخرية من هؤلاء الذين لا يؤدون مقتضى الضيافة.

وبعد توجيه النقد إلى البخل والبخلاء، يصفو السياق إلى قضية النفاق والخداع إذ صار جماعيا غطى على سلوك الناس فاضطر الشاعر إلى مواجهته بالمثل، فالقرى أصبح بخلا والود صار خبا وخداعا والنتيجة أنك تواجه النفاق بالنفاق:

القرى ← البخل

الود ← الخب

الابتسام (مصطنع) ← الابتسام (مصطنع)

ويختم الشاعر مقطع الذات الاول ببيت متعلق بسابقه يخص النفاق:

٩- وصرت أشك فيمن اصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنام

وهنا يكون بإمكان الشاعر استخلاص سياق حكمي يتوج به دلالات السوء التي غطت على دهره وأناسه في البيت العاشر:

١٠- يحب العاقلون على التصافي
وحب الجاهلين على الوسام

فهو قادر الآن على تحديد موقع الخطأ والسوء إذ تفاقم الخداع والنفاق في علاقات الناس التي اصبحت تبنى على الجهل والخطأ.

يكرر الشاعر المكون ذاته أي المقطع الذاتي الذي

يعقبه مقطع حكمي لكشف مفردات أخرى تغني مستويات الدلالة،وأبيات المقطع الذاتي هي(١١، ١٢، ١٣) وأما المقطع الحكمي فهي(١٤، ١٥، ١٦)،وذلك متماش مع السياق التقديمي لدلالات المعنى الذي مضى عليه في مقطع الذات السابق المختوم ببيت حكمي.

المكون ـ ٢ ـ

١١ـ وأنف من أخي لأبي وأمي
إذا ما لم أجده من الكرام

١٢ـ أرى الأجداد تغلبها كثيرا
على الأولاد أخلاق اللئام

١٣ـ ولست بقانع من كل فضل
بأن أعزى إلى جد همام

وهنا يكون السياق الدلالي مهينا لتقديم مقطع الحكمة الذي استخلصت مفرداته من المقطع الذاتي السابق:

١٤ـ عجبت لمن له قد وحدّ
وينبو نبوة القضم الكهام

١٥ـ ومن يجد الطريق إلى المعاني
فلا يذر المطيّ بلا سنام

١٦ـ ولم أرَ في عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

وبمقارنة بين دلالات مقطع الحكمة في المكونين السابقين نجد أن الشاعر يحقق تطورا توالديا في استخلاص مفردات المعنى الخاصة بكل مقطع فضلا عن التعادل السياقي بين مقطعي الذات ومقطعي الحكمة،فالشاعر في المكون الاول(ذات ـ حكمة) يبدو رافضا لواقعه كاشفا لمواقع السلب والخطأ في علاقات الافراد وفي سلوكهم الشخصي، معليا من مستوى مواصفاته التي نأت عن الخطأ الوهم والسوء(بحسب ما يراه هو)،أما في المكون الثاني فيبدو أن مفردات المعاني استقرت لديه فضلا عن التنسيق المقصود للسياق الدلالي الخاص بالبنى المقطعية المصغرة والمكبرة،ولذا نجد خطابه في المكون الثاني ينأى عن الرفض والانتقاد السلبي،ويجنح نحو النقد الايجابي لظواهر المواقع التي يختار منها مفردات جديدة تختلف عن الظواهر التي حددها في المكون الاول،وهنا نجده يقدم الحلول والاختيارات الايجابية بمنطق الخبير بمواضعات الواقع وعلاقات أناسه بعضهم ببعض،وبخطاب ناصح موجه،وذلك في مقطع الحكمة الأخير المكون من أبيات ثلاثة.

ـ ١٢ ـ

هنا ينتهي القسم الاول من النص إذ توحد بين أجزائه وتسم البنى المقطعية بسماتها قوة موقف الشاعر وتسلط(خطاب الذات) وعمق التأثير فيما حولها بالدلالات التي تنبسط عبر سياق النص فقد حاول الشاعر بثها في مقاطع:اللائم والرحلة ومقطعي الذات والحكمة.

في البيت(١٧) وإذ يبدأ القسم الثاني من القصيدة ،يتحول الخطاب إلى مستويات جديدة في المعنى تختلف تماما عن مفردات المعنى في القسم الأول،يصاحبها تغيير شامل في نبرة الخطاب الذاتي،إذ يتحول من موقف القوة والتسلط والرفض ومحاولة التغيير إلى خطاب متداع يطغى عليه سياق الحزن والحسرة والضياع واللاجدوى وذلك يتم بمقطع ذاتي مكون من أربعة أبيات،ينذر فيها بالمقطع الأصيل في النص وهو:(مقطع وصف الحمى)،إذ يستشعر المتأمل لهذه الأبيات الاربعة التقديمية .إن صح التعبير ـ لمقطع الحمى أن(مكون الذات) في طريقه إلى التداعي والانثيال الحزين فضلا عن تقديم مؤشرات تلمح بالمقطع القادم تخص(المرض) والاقامة التي تنتج عن المرض،بل إنها تؤول اليه في حال الشاعر ووضعه .علمنا أن الشاعر في القسم الاول أدخل مقطع الرحلة في السياق البنائي للنص وجاء ثانيا بعد مقطع(اللائم) الذي استغرق بيتا واحدا فقط،وكان الغالب على خطاب مقطع الرحلة(إيثار الرحيل على الاقامة) والحلول والاناخة،وذلك يعد دليلا قاطعا على اختيار الشاعر

الرحيل عن مصر ورفض الاقامة فيها.

وهكذا يكون عامل رفض الاقامة وايثار الرحيل مؤثرا في القسم الاول ولهذا كان موقف الشاعر متسلطا في هذا القسم فضلا عن خطاب القوة والرفض الذي اضطلعت به مفردات تقديم الذات سياقيا في البنى المقطعية لهذا القسم، في حين نجد أن الخضوع للاقامة في أرض مصر تكون نتيجة سلبية في خطاب القسم الثاني المتداعي وموقف الشاعر الذي بدا ضعيفا منهكا،ولهذا يفتتح الشاعر هذا القسم باختيار الضعف وهو (الاقامة) وما آلت اليه ولا بأس في أن يصرح الشاعر بالدلائل والعلامات التي تكشف عن واقعه وعن مساوئ الاقامة فيه:

١٧ـ أقمت بأرض مصر فلا ورائي
تخب بي الركاب ولا أمامي

هنا يكون المفتاح الدلالي لبلوغ المعاني الجديدة الفعل (أقمت) وفعل الاقامة يناقض فعل الرحيل الذي ينفيه الشاعر بقوة بحرفين مكررين رافضين:

لا ورائي- لا أمامي

وبذلك تنفى علامات الرحيل فلا هو أول الركب ولا آخره فقد اختار الاقامة في أرض مصر إذ صرح بمكان الاقامة الذي مضى على انتقاده في سياق القصيدة كلها إذ يكون هو منطلق السوء والغدر والنفاق والبخل والجبن،تلك المفردات السلبية التي يبثها على صعيد النص كله.

ولكن الشاعر لا يفاجئ المتلقي بهذه المفردات التي طرقها بتفصيل دقيق في القسم الاول،إذ لم يسمّ المكان حينها، بل يرجئ قضية المكابرة والترفع عن البوح قليلا ،وينطلق الى المفردة الرئيسة في هذا النص وهي المرض ولكنه لم يصرح به بعد بل بمتعلقه وهو (الفراش) فالاقامة في مصر أورثت الاقامة الطويلة في الفراش الى الحد الذي يمل الفراش في هذا الجسد الذي أطال الاقامة فيه ،في حين أنه كان يطرقه لماما ،لطغيان داعي الرحيل عن الأمكنة التي لا تستحق أن يقيم بها الشاعر:

١٨ـ وملني الفراش وكان جنبي
يملّ لقاءه في كلّ عام

وماذا ينتج عن تلك الاقامة وهو طريح الفراش والمرض والهموم في هذه الارض التي لم تعطه حقه ومكانته، إذ يتعالى ويعلو عليها:

١٩ـ قليل عائدي سقم فؤادي
كثير حاسدي صعب مرامي

وبتقسيم سياقي لانساق تقوم بها صيغ المبالغة يكشف عن مفردات الجزع وقسوة التعامل التي يفرضها المرض،وذلك في الشطر الأول،إلا انه يستذكر مفردات القوة التي تنوء بها الذات في الشطر الثاني ويلوح بها إيذانا بالثورة على مفردات المرض ومتعلقاته:

كثير حاسدي.... صعب مرامي

إلا انه يرجئ أمر الرفض فمازال البوح في أوله ومازال الكشف عن دليل المرض والضعف في أوله ولهذا يختم هذا المقطع بعودة سريعة إلى الكشف عن سمات حاله المريضة إذ يصرح بعلته وما آلت إليه الحال في أثنائها، من دون التخلي عن التقسيم القائم بالأوصاف المتكررة بزنة (فعيل):

٢٠ـ عليل الجسم ممتنع القيام
شديد السكر من غير المدام

فكأننا بإزاء أنشودة تقديمية تحمل نبرة الحزن والضعف للمقطع الكشفي القادم:

عليل الجسم ← ممتنع القيام← شديد السكر (من غير المدام)

ونلحظ أن الشاعر يعمد إلى التصريع بين الشطرين تحقيقا لمعادل صوتي بين مفردات المعنى والسياق الدلالي وكأننا بإزاء افتتاح جديد لبنية قائمة بذاتها، على الرغم من كونه الأخير في هذا المقطع الذاتي التقديمي، فضلا عن تتبع الشاعر لمفردات سياق المرض وبصورة تتابعية تطورية تبدأ من كون الجسم كله عليلا (عليل الجسم) وذلك يؤول إلى الضعف بل الامتناع عن القيام (ممتنع القيام) وذلك ينتج عن سكرة المرض والنحول الذي يفتك بالجسد فيفقد الإنسان وعيه من دون مدام:

(شديد السكر من غير المدام).

وهذه المفردات لصيقة جدا بالمرض الذي أنهك الشاعر ،وأقعده الفراش وهي الحمى التي تراوده في الليل بحسب ما يقول الرواة،ولا أعلم نوع هذه الحمى التي فتكت بالشاعر... أهو مرض تنتج عنه الحمى؟ أم أنها نوع من الحمى الميكروبية اصابته في مصر؟ أم أن الشاعر يعارض بعض الشعراء في وصفهم للحمى بعد أصابته بها ولاسيما الشاعر (عبد الصمد بن المعذل) إذ جعل الحمى تزوره في الليل وقت الرقاد أيضا؟.

- ١٣ -

يمنح الشاعر مقطع وصف الحمى تسعة أبيات بخطاب موجه قاصد تكشف عنه صيغ الأفعال ليتمكن من ملاحظة مستويات المعاني ومفردات الوصف الدقيق لهذا العارض الذي يراوده في أوقات محددة يعلم بها الشاعر.

إن هذا المقطع يتوسط القصيدة(٢١-٢٩) المكونة من اثنين وأربعين بيتا فيكون وقعه في الذهن ثابتا ومؤثرا،وقد سبق بمقطع تقديمي ذاتي(١٧-٢٠) ،وألحق بمقطع ذاتي استخلاصي يستمد مفرداته الدلالية من مقطع وصف الحمى الذي يسبقه.

يعمد الشاعر إلى تقسيم هذه البنية على أقسام ثلاثة، يخص القسم الأول(الشطر الأول من البيت الأول٢١،٢٢، ٢٣، ٢٤) المكون من شطر وثلاث أبيات بوصف الحمى وتأثيرها بجسده ويختص القسم الثاني(الشطر الثاني من البيت ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧) المكون من شطر وثلاثة أبيات أيضا لتحديد وقتها أي وقت مراودتها له،ويختص القسم الثالث(٢٨، ٢٩) المكون من بيتين بخطاب ذاتي متعلق بالحمى إذ كانت الدليل الرئيس لمفرداته الخطابية.

نلحظ أن البيت الاول(٢١) قسم على بنيتين خطابيتين، بنية وصف الحمى وتقديمها ،وبنية توقيت ورودها،إلا أن هذا التقسيم والمنازعة لا تؤثر في وحدة السياق الدلالي التي ينهض بها البيت(٢١):

٢١-وزائرتي(كأن بها حياء) فليس(تزور) إلا في الظلام

إذ يفتتح البيت بمكون يشي بمعنى التوقيت والمراودة(زائرتي) فالزيارة تعني اللقاء والمعاودة في زمن يعلمه الطرفان الزائر والمزار، ولمحو أثر المفاجأة وانعدام التوقيت ألصق الشاعر ياء المتكلم باسم الفاعل،فالياء تأتي لمنح الشاعر العلم بالموعد والتوقيت ليس إلا، فضلا عن تحديد القصد والوجهة الخاصة بالزائرة،أي تزوره هو ليس شخصا آخر،أما النسق:(كأن بها حياء) فتتسع دلالته للارتباط بالشطر الثاني إذ يكون جزءا من مكون التوقيت فهذه الزائرة التي ألبست لبوس الآدميين وتصرفت تصرفهم(باستعارة مجردة مرشحة) يغلف سلوكها الحياء والخشية من مراقبة العيون في النهار ولهذا استقر الاختيار في توقيت الزيارة أن يكون ليلا إذ يحل الظلام ويغطي الوجود فيتحقق الستر والخفاء من أعين الرقباء للتي تؤثر الحياء في الزيارة واللقاء.

هنا ترتبط البنيتان بأنساق دلالية تخص الطرفين،ولا يفوت الشاعر أن يدخل فعل الزيارة في الشطر الثاني(تزور) ليلتحم المنظور الأدائي لمستويات الدلالة المكونة للبنيتين (بنية الزائرة وبنية التوقيت).

إلا أن الشاعر لا يوغل كثيرا في(التشخيص) الذي منحه لهذه الزائرة،إذ يضع فاصلا بين المكونين بالمفتاح السياقي التقارني(كأن) إذ يتبع لفظة(زائرتي) فتتهيأ الحدود بين صفات الأنساق وصفات الحمى في الشطر الأول، ولا بأس من دمجها في الشطر الثاني:(فليس تزور إلا في الظلام) إلا أن الشاعر يرجئ قضية التوقيت والشروع في مفرداته ومؤثراته إلى البنية المقطعية الثانية، ولا يتخلى الشاعر بذلك عن دقة الترتيب والم عادلة بين أقسام السياقات التي يبتني بها معانيه فضلا عن كسب التأثير في الذهن وسحب هواجس التلقي وامتلاكها شيئا فشيئا بسياقات التقديم المقطعي وتنسيق مراكز البث الدلالي في هذا النص بل في شعره عامة، وهنا يجعل البيت الثاني من هذا المقطع يخص

وإن قال قائل إن الشاعر لا يقصد معارك حقيقية تعرض لها الشاعر خاضها فاستهدفته السيوف والسهام فملأت جسده بالجراح؛إنما هي معارك مع دهره وأناسه،وهذا حق إلا أن الشاعر آثر دلالة الحرب للكشف عن الصراع الذي يخوضه الشاعر مع واقعه المريض فلا مجال إلا للمواجهة والرد بقوة ،ولكن النتيجة تكون سيئة للذي يصارع مفردا من دون سند وأعوان،وعلى الرغم من ذلك فإن سياق القوة الذي يستخلص من تتبع الدلالات النهائية للبيت انتثرت مفرداته لا لتظهر مرة واحدة بل لتشع في فضاء المقاطع القادمة.

- ١٤ -

لم يغادر الشاعر في المقطع الجديد المكون من خمسة أبيات(٣٠-٣٤) الأجواء التي أثارها مقطع الحمى فليس من السهل مغادرتها او الانقطاع عنها، ولهذا كان هذا المقطع محملا بمفردات خطاب الذات ولكن بدلالات جديدة استغرقه مقطع الحمى إذ ينهك الشاعر المرض ويثقل عليه ويمضي في صراع معه إلى نهاية المقطع السابق،وهنا يكون السياق مهيئا لولوج مكون الأمنيات والأحلام التي تعن للمريض إن طال مرضه ،وبعد أن كان المفتاح السياقي للمقطع السابق مفردة الاقامة(أقسمت) التي آلتالى المرض او آل اليها، يكون المفتاح السياقي في هذا المقطع:(ألا ليت).

أي دلالة التمني إذ تشع على فضاء المقطع ،وهنا لا بد للشاعر من خلق مفردة في هذا المفتاح السياقي تناقض المفردة الدلالية التي كانت في المقطع السابق وهي دلالة(الاقامة)،فكان عليه ـ لعجزه الجسدي عن الفعل والاجراء الحقيقي ـ أن يأتي بمفردة(الرحيل والسفر) إذ تشكل الأمنية الأولى التي يناقض بها مفردة الاقامة التي هتكت به واحالته إنسانا عاجزا مكبل اليدين عن الفعل،مكبل الجسد عن الحركة فكأنه يكشف للمتلقي بجرأة واضحة أن الفعل الاول الذي يفترض القيام به بعد الشفاء وقهر المرض: الحركة والانطلاق عن أرض السوء والضياع والنفاق،وهنا يكشف الشاعر عن قرار الرحيل القاطع عن مصر إذ أورثته الاقامة فيها العجز والضعف وقلة الحيلة وانقطاع الأمنيات وفي هذا يكمن خلاصه الكامن في الارتحال المستمر لبلوغ القصد:

٣٠ـ ألا ليت شعر يدي أتمسي
تصرّف في عنان أو زمام

٣١ـ وهل أرمي هواي براقصات
محلاة المقاود باللغام

٣٢ـ فربتما شفيت غليل صدري
بسير أو قناة او حسام

٣٣ـ وضاقت خطة فخلصت منها
خلاص الخمر من نسج الفدام

ونلحظ أن دلالات المرض مازالت ماثلة حيية في هذا المقطع فالحركة والرفض والانتقال مازالت أمنيات غير متحققة تلوح في الأفق،إلا أن الشاعر يحاول استخلاص الفعل من سياق التمني والمثول المتخيل بجهد وانهاك يكشف القوة في موقفه ومكونه(دلالة الشاعر) التي قطعها مضمونيا وليس أدائيا في البيت الأخير(٢٩) من قطعة الحمى:

جرحت مجرحا....

وذلك يتجلى في البيتين الأخيرين من هذا المقطع:

وضاقت خطة ← فخلصت منها.

وفارقت بلا وداع = وودعت بلا سلام.

- ١٥ -

وهنا ينطلق الشاعر بقوة للخلاص من دلالات المرض ليتجسد هاجس القوة ويخلص له وحده إذ يختم الشاعر القصيدة بمقطع ينشطر فيه خطاب الذات إلى قسمين متساويين،الأول يعمل فيه الشاعر على الخلاص من دلالات المرض بانساق مكشوفة ويستغرق هذا القسم اربعة ابيات(٣٥-٣٨) والثاني يحاول الشاعر فيه الوقوف بقوة مقابل تسلط المرض بخطاب ردعي يبدو الشاعر فيه وقد غادره المرض حقيقة أم استعارة،ويستغرق هذا القسم ابياتا اربعة ايضا(٣٩-٤٢) .هكذا يوحد الشاعر بين دلالتي الخلاص من المرض إذ يتضمنها سياقا المقطعين،ولكن نمط الخطاب يختلف في كلا القسمين بحسب المنظور النهائي

زائرته (الحمى) ويخص سلوكها ومواصفاتها.

إذ يتخلى عن (التشخيص) وآدميتها ويمضي إلى المكون المرضي ولاسيما في الشطر الثاني من هذا البيت (٢٢)

٢٢ - بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت في عظامي

فالشطر الأول مازال متعلقا (دلاليا) بالزائرة المجهولة الخافية عن أعين الناس، المعروفة بالنسبة إلى الشاعر إذ يهيئ لها مكان السكن والاستقرار من فرش واغطية، هكذا يصدق الشاعر أو يحاول التصديق بأنها امرأة ترغب في مكان سكينتها إلا أنها تكذب أمانيه وتعود إلى ماديتها وقصدها في الاستقرار في عظامه لأنها (حمى) وليست شيئا آخر. ولمنح أثر وقعها في عظامه قوة، يبني السياق بالفعل (باتت) الذي يشي بثقل الفعل فضلا عن دلالة التوقيت إذ تمضي الليل كله مستقرة في عظامه. وتستغرق الحمى ماديتها بتأثيرها المنهك لجسد الشاعر إذ يتهيأ المقام لبث مواصفاتها وفعلها بتفصيل دقيق من الشاعر في البيت القادم (٢٢).

فبعد تأثيرها وفعلها في عظامه مستقرها الأول يتغلغل فعلها في الجزء الأهم الذي تؤثر فيه بعد العظام وهو الجلد، وفعل الحمى يرتبط ارتباطا وثيقا بالجلد إذ تظهر للمستكشف السخونة فيه أولا، إلا أنها تكون أشد وأقوى إن أصابت العظام إذ ينحل الجسد عن الحركة ويؤثر الاقامة والمكوث في الفراش:

٢٣ - يضيق الجلد عن نفسي [٢٤] وعنها
فتوسعه بأنواع السقام

هنا يهول الشاعر من أمرها إذ تبيت خبيئة الجلد مع نفسه إذ يضيق الجلد الذي يحتوي الجسم بهما، فكأنها استحالت نفسا أخرى تتصارع مع مثيلتها وتكون الغلبة لها إذ تبث أذاها في الجلد الذي يحوطهما فتتسلط وينهك الجسد بفعلها الذي تعدى النوع الفرد إلى أنواع كثيرة من السقام، ويمضي الشاعر في امتلاك دقة الوصف في حال مفارقتها له بعد ليل شهد صراعا طويلا بين الجسد وهذه الحمى.

ومن الطبيعي أن يتعرق الجسم بعد ذهاب الحمى مفارقتها له، ولكنه يعود إلى السياق التقارني في الشطر الثاني بعودة مفاجئة لسياق التشخيص، فالتعرق بعد مفارقة الحمى لا يكون اعتياديا لثقلها عليه فكأنه اغتسل بفعل لقاء ساخن بامرأة:

إذا ما فارقتني غسلتني
كأنا عاكفان على حرام [٢٥]

ونلحظ أن الشاعر يساوي بين فعلي الحمى والشاعر إذ يتصارع جسده معها فتغلبه في الشطر الثاني ولأن الحمى هي الفاعلة المؤثرة في جسده نأى بنسق وجوده بارتباطه معها إلى سياق تقارني يقف مقابل الحقيقة ولا يكون الحقيقة ذاتها، (كأنا عاكفان على حرام) ولهذا ولقوة فعلها وتأثيرها تكون الحمى في مستوى التسلط وموقف التسلط وموقف القوة في مجال التنازع إذ يمنحها الشاعر فعل الغسل الذي تقوم به لجسده: (غلستني).

هكذا يعمل الفعل (غسلتني) على سياقين دلاليين، سياق الأداء المادي الحقيقي لفعل الحمى وهو التعرق، وسياق التشخيص والاستعارة والمكون كله استعاري من بداية المقطع إلا أن الفعل غسلتني مجاز لأنه نسب الفعل إلى غير فاعله إذ يمنحه الشاعر بعدا اجرائيا في الشطر الثاني الذي يقوم بالسياق التقارني (كأنا عاكفان....) وذلك يضعف من المكون المجازي الذي يقوم به الفعل (غسلتني).

وهذا السياق التقارني الذي يحاول الشاعر (النأي به عن نفسه) يشي بالممارسة الجنسية إذ يلوح بها الشاعر في الأنساق الآتية:

زائري	←	الزائرة امرأة اعتادت زيارته
بها حياء	←	تخشى من كشف سلوكها
تزور في الظلام	←	تؤثر الستر في اللقاء
بذلت لها المطارف والحشايا	←	مكان الممارسة
غسلتني	←	بعد انقضاء الممارسة
عاعفان على حرام	←	فعل الممارسة وصفته

وما دام الشاعر افتتح المقطع (وزائرتي) بهذا المكون

فلا بأس من الايغال به لمد مستويات الدلالة الخاصة بالحمى إلى أقصى حد، فالممارسة الجنسية صراع وهياج وحمى،لكنها لذيذة،ولنفي هذه اللذة وقطعها بصورة حاسمة وجعل ورود الحمى ومفارقتها مؤذية مؤلمة يختم السياق التقارني بتقويم أخلاقي يقطع بالرفض والمنع بلفظة تختم السياق وتختم القسم الاول كله: (حرام).

وهنا ينفتح السياق ودلالته لقضية التوقيت (في البيت ٢٥) إذ تراوده في الليل وتفارقه في الصبح وقد طرق الشاعر قضية المفارقة في اختتام القسم الاول وها هو ذا يشرع فيمد قضية التوقيت بالدلالات اللازمة والصور السائدة في هذا القسم إذ يوغل في صورة تغلغل نفس أخرى في جسده بصراع منهك مؤذ فيلتبس فعلها بفعل نفسه وتكون الغلبة لفعلها هي، إذ يثير المدامع فتسكب ماءها بغزارة بل إنها استقرت في المدامع بعد العظام والجسد والجلد. والتبست بها فأثارتها بانسكاب ساخن غزير على الرغم من أن الصبح كان دليل الذهاب والمفارقة فضلا عن توقيت المفارقة:

٢٥ ـ كأن الصبح يطردها فتجري
مدامعها بأربعة سجام

ولا تفاوت في فعل الصبح وفعل المدامع، والمفارقة كامنة في الاثنين، فالتعرق والدمع رديف حلول الحمى ورحيلها فكأن الطرد والرفض يؤدي إلى الدمع والبكاء لثقل وقع الفراق ووقع تأثيرها إذ يكون بالطرد.

وهنا يسحب الشاعر دلالة (الصبح)، ودلالة (الطرد) ليعمد إلى بناء سياق يكشف فيه عن توقع التوقيت المقابل بالرفض والكره والمنازعة من الشاعر:

٢٦ ـ أراقب وقتها من غير شوق
مراقبة المشوق المستهام

ولكن النسق المعترض يضعف من دلالة الترقب، إذ قد توحي باللذة والارتياح فتكسر دلالة السياق على الرغم من صغر النسق المعترض بإزاء دلالة الترقب، إلا أنها تقوى بالبيت القادم إذ تتسع لتستغرق احساس الشاعر كله وحاله إذ ينتظر ويتوقع زائرا يفي بوعده دائما إلا أنه زائر ثقيل مكروه يلقي بمضيفه بالمصائب والكرب:

٢٧ ـ ويصدق وعدها والصدق شر
إذا ألقاك في الكرب العظام

وهنا يعلو صوت الشاعر ويرتقي سياق الخطاب في محاولة حوارية للخروج من مكون الحمى، الزائرة المفروضة، وبتحول في سياق الخطاب إلى مكونه الذاتي يشرع الشاعر في بناء المقطع الثالث إذ يضمه في كنف مقول الذات وتقويمها لهذه المصيبة التي شأنها شأن المصائب الأخرى التي تعن للشاعر بل تفتك بروحه وجسده معا، ويرتقي الشاعر بخطابه الحمى إذ يبلغ بسياق الاستفهام مستوى دقيقا ومؤثرا ما أظن أن شاعرا بلغه قبله:

٢٨ ـ أبنت الدهر عندي كلّ بنت
فكيف وصلت أنت من الزحام؟

وهنا يلوح بقوة موقفه إذ يعلو ويتعالى على مصائب الدهر إذ تحيط به كجيش عرمرم استوت أطرافه فلا مجال لنوائب أخرى من التغلغل، وهنا يساوي بين مصيبة الحمى ومصائب أخرى تعرضت له وذلك يأتي لإضعاف سلطتها في مقابل عزيمة الشاعر وقوته إذ تصمد أمام هذه المصائب.

ولئلا يخرج الشاعر عن سياق التداعي والبوح إذ يغلف مفردات مقطع الحمى، فيفاجئ المتلقي برد سريع لا مكان له الأن (إلا أن يمهد له ويهيئ الخطاب لذلك) والشاعر مازال متعلقا بمقطع وصف الحمى، إذ نجده يختم القسم الأخير من مقطع وصف الحمى ببيت استسلامي ينم عن قوة فريدة تتكشف بين ثنايا دلالاته على الرغم من أن المنظور النهائي لفكرته يحمل معنى الضعف والاستسلام والتداعي الذي يغلف خطاب الشاعر:

٢٩ ـ جرحت مجرحا لم يبقَ فيه
مكان للسيوف ولا السهام

فلماذا يستهدف شخص مثل هذا (بحسب رؤية الشاعر) إن لم يكن له شأن في الشجاعة الفريدة والبسالة المميزة التي يتسم بها الابطال الاسطوريين؟ مع هذا تكشف انساق البيت عن ضعف وتداع في موقف الشاعر.

لكل مقطع إذ تتدخل رؤية الشاعر في تحديد أنماط الخطاب بأداء متسلسل ضمن سياق التراكب المقطعي للنص كله.

وهنا يكون افتتاح القسم الاول متعلقا بالمفردة الأخيرة التي لم تثر إلى الآن وهي مفردة (الطبيب) وعلاجه، وتأتي هنا لا لمد سياق البوح والشكوى والوهن بمفردات القوة والثبات، بل تأتي لبلوغ سياق (الرفض والمجابهة) بقوة لأن عهد الشكوى والبوح بالضعف قد مضى والسياق في تحول هنا فلا بد من ترتيب أنساق الخطاب بما يماثل المستوى المتوصل اليه من رؤية الشاعر بعد انتقالات مستمرة تصاعدية في الاحساس والادراك. ونرى أن التوحد في سياق الخطاب يمضي على هذا القسم بتعلق واضح بمفردة المرض إذ ينقض عليها ويحيلها عدما:

٣٥- يقول لي الطبيب: أكلت شيئا
وداؤك في شرابك والطعام

٣٦- وما في طبه أني جواد
أضر بجسمه طول الجمام

٣٧- تعود أن يغبر في السرايا
ويدخل من قتام في قتام

فالشاعر هنا لا يتخلى عن دلالة الحركة والارتحال إذ يكررها ويقدمها بديلاً ناجحا من علاج الطبيب الذي إن كان نافعا لعامة الناس إلا أنه لا يكون نافعا للشاعر ،لأن مرضه الحقيقي ليس في جسده ،بل في روحه التي ما فتأت تواجه النوائب والخطوب بكبرياء فريد ،فالسكون إذ يعبر عنه الشاعر بـ (طول الجمام) سبب المرض والضعف فلا بد من أن يكون الضد هو العلاج ،وذاك مرتبط بمفردات مقطع الرحلة (المصطنع) في المقطع الثاني من القصيدة ولكن نسق (طول الجمام) لم يكن كافيا للتعبير عن كنه (السكون والاقامة الطويلة) ،وعلى الرغم من تكرار ورودها في مقاطع القصيدة ،ولكن الشاعر بإزاء موقف المجابهة والرد لقطع سيل التداعي في هذا القسم ،فيمضي القسم إلى انشطار ثنائي في خطابه كل خطاب يستغرق بيتا ،الاول:

يعمل على الكشف عن سياق المرض والحركة ،والثاني:

يعمل على تقوية سياق الحركة والرفض لعامل المرض ،ويتقدم المكونين (ما) النافية الرافضة لمكون (الطبيب وعلاجه): (وما في طبه)

↓

←

١- جواد يغبر في السرايا + يدخل من قتام في قتام

←

طول الجمام (المرض والاقامة) أمسك (لا يطال له فيرعى. لا هو في العليق. ولا اللجام)

ونلحظ أن الشاعر هنا يقدم مكونه (الشخصي) بسياق التشبيه او المقارنة بـ (الجواد) وذلك تحول في السياق الذي مضى عليه في القصيدة في تقديم شخصه إذ يغلب عليه التقرير والخطاب المباشر ،وتم ذلك في الأبيات الثلاثة من هذا القسم ويأتي لمواجهة مفردة المرض بكل مفردات القوة والمجابهة في مستوى الصراع بين المكونين (المرض/ الشاعر) ،والجواد مفردة من مفردات الحرب ،إذ تبث معنى القوة والمثول الحقيقي الرافض لمكون الشاعر ،ويعمل على استغراق هذه المفردة بدلالاتها الايجابية التي تسند موقف الشاعر فلا يتركها لبيت واحد (٣٦): (وما في طبه أني جواد) ،بل يمدها إلى بيتين آخرين لاستغراق متعلقاتها كافة بما يوازي مكون الحركة والقوة والرفض القاطع للإقامة والسكون ،إذ يتم بمؤد جديد يسند فعل الشاعر وخطابه:

٣٧- تعوّد أن يغبّر في السرايا

٣٨- فأمسك: لا يطال له فيرعى + ولا هو في العليق + ولا في اللجام.

ونلاحظ القيود التي يكشف عنها الشاعر (بدلالة الجواد) إذ تتولد عن مفردة الامساك التي تعادل الاقامة والمكوث بلا فعل ولا جدوى.

وينقضي هذا القسم بانتهاء صورة الجواد الذي أمسك فلا حركة تمضي به إلى ساحات الوغى او تمنحه مادة الحياة للاستمرار فيها.

وهنا يتمكن الشاعر من امتلاك المفردات والانساق التي تبنى له موقف القوة وتقطع بخطاب حاد مؤثر يقطع به خطاب التداعي والضعف الذي غلب عليه من دون حاجة إلى وسيط بل يمسك الشاعر بزمام الخطاب يواجه تسلط المرض بمنطقه ورده هو تسنده في هذا أدوات التوكيد والنفي بـ(ما) و(لا) ويحسم الصراع بنتيجة منطقية مادية في البيت الأول وبمواجهة مباشرة مع المرض:

٣٩ـ فإن أمرض فما مرض اصطباري
وإن أحمم فما حمّ اعتزامي

٤٠ـ وإن اسلم فما أبقى ولكن
سلمت من الحمام إلى الحمام

ولكن منطق الذي خبر الدهر وظروفه وحوادثه يتغلب على خطاب ذات الشاعر إذ تسلط على المرض ومقوله، وقدم البدائل ومضى عليها، فالحوادث الصعبة تشحذ همة الشاعر وتقوي عزيمته على الاستمرار والتجلد في مواجهة الآتي، فلم ينقص المرض او الحمى شيئا من عزيمته، بل ها هو ذا يستخلص شيئا عظيما ينفع الناس، يديم فيه خطاب الحكمة واستخلاص العبر (بسياق التأني والتواضع)، فما زال متحددا بمواضعات الاقامة في مصر ع

لى الرغم من تلويحه بمفردات التهديد والوعيد:

٤١ـ تمتّع من سهاد أو رقاد
ولا تأمل كرى تحت الرجام

٤٢ـ فإن لثالث الحالين معنى
سوى معنى انتباهك والمنام

ذلك هو نص المتنبي الذي حاول استيعاب خطاب الذات المتطرف إذ جاء على سجيته من دون جهد وتعب على رأي الدكتور طه حسين بل فاضت به روحه فتهيأ لها مقوله وتحسب إذ علا على كل خطاب ومقول فظل خالدا يستوعب حوادث الدهر وصروفه وهواجس النفس وانفعالاتها على مر الزمن.

قصيدة الحمى

١ـ ملومكما يجل عن الملام
ووقع فعاله فوق الكلام

٢ـ ذراني والفلاة بلا دليل
ووجهي والهجير بلا لثام

٣ـ فإني استريح بذي وهذا
وأتعب بالإناخة والمقام

٤ـ عيون رواحلي إن حرت عيني
وبغام كل رازحة بغامي

٥ـ فقد أرد المياه بغير هاد
سوى عدّي لها برق الغمام

٦ـ يذم لمهجتي ربّي وسيفي
إذا احتاج الوحيد إلى الذمام

٧ـ ولا أمسي لأهل البخل ضيفا
وليس قرى سوى مسخ النعام

٨ـ ولما صار ود الناس خبا
جزيت على ابتسام بابتسام

٩ـ وصرت أشك فيمن اصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنام

١١ـ وانف من اخي لأبي وأمي
إذا ما لم أجده من الكرام

١٢ـ أرى الأجداد تغلبها كثيرا
على الأولاد أخلاق اللئام

١٣ـ ولست بقانع من كلّ فضل
بأن أعزى إلى جسد همام

١٤ـ عجبت لمن له قد وحدّ
وينبو نبوة القضم الكهام

١٥ـ ومن يجد الطريق إلى المعاني
فلا يذر المطي بلا سنام

١٦ـ ولم أرَ في عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

١٧ـ اقمت بأرض مصر فلا ورائي
تخب بيَ الركاب ولا أمامي

١٨ـ وملني الفراش وكان جنبي
يملّ لقاءه في كلّ عام

١٩ـ قليل عائدي، سقم فؤادي
كثير حاسدي، صعب مرامي

٢٠- عليل الجسم ممتنع القيام
شديد السكر من غيـــر المدام
٢١- وزائرتي كأنّ بها حياء
فليــس تزور إلا فــي الظلام
٢٢- بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت فــي عظامـــي
٢٣- يضيق الجلد عن نفسي وعنها
فتوسعه بأنــــواع الســــقام
٢٤- إذا ما فارقتني غسلتني
كأنا عاكفان علـــى حـــرام
٢٥- كأن الصبح يطردها فتجري
مدامعها بـــأربعة ســجام
٢٦- أراقب وقتها من غير شوق
مراقبـــة المشـــوق المســتهام
٢٧- ويصدق وعدها والصدق شر
إذا ألقـــاك في الكرب العظام
٢٨- أبنت الدهر عندي كل بنت
فكيف وصلت أنت من الزحـــام؟
٢٩- جرحت مجرحا لم يبقَ فيه
مكانٌ للسيوف ولا الســهام
٣٠- ألا ليت شعر يدي اتمسي
تصرف في عنان او زمـــام
٣١- وهل أرمي هواي براقصات
محـــلأة المقاود باللغام
٣٢- فربتما شفيت غليل صدري
بســـــير أو قناة او حسام
٣٣ -وضاقت خطة فخلصت منها
خلاص الخمر من نسج الفدام
٣٤- وفارقت الحبيب بلا وداع
وودعت البــلاد بـــلا ســـلام

٣٥- يقول لي الطبيب: أكلت شيئا
وداؤك في شرابـــك والطعام
٣٦- وما في طبه أنـــي جواد
أضر بجســـــمه طول الجمام
٣٧- تعود أن يغبر في السرايا
ويدخل من قـــتام في قـــتام
٣٨- فأمسك لا يطال له فيرعى
ولا هو في العليق ولا اللجام
٣٩- فإن أمرض فما مرض اصطباري
وإن أحــمم فما حــمّ اعتزامي
٤٠- وإن اسلم فما أبقى ولكن
سلمت من الحمام إلى الحمام
٤١- تمتع من سهاد أو رقاد
ولا تأمل كرى تحـــت الرجام
٤٢ -فإن لثالث الحالين معنى
ســوى معنى انتبـــاهك والمنام

الهوامش

(1) راجع القصيدة الكاملة في آخر البحث.

(2) انظر: الخطاب الشعري رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة نصيرة أحمد، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٣م.

(3) في معرفة النص: يمنى العيد، منشورات الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت، ١٩٨٥، ص٥٩.

(4) وذلك سبب الكلام الذي نوهنا به في مقدمة البحث.

(5) ديوان أبي الطيب المتنبي، تقديم: د. عبد الوهاب عزام، دار الزهراء، بيروت، ١٩٧٨م، ط١، ص٣٧٨.

(6) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٦٦هـ)، تحقيق وشرح: محمد ابو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٦٦م، ص١٢١.

(7) عبد الصمد بن المعذل من شعراء الدولة العباسية ولد ونشأ في البصرة تو في نحو (٢٤٠هـ).

(8) م.ن، ص١٢١.

(9) ن، ص١٢٢/١٢١.

(10) م.ن، ص١٢٢.

(11) ديوان المتنبي شرح أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٨٦هـ)، طبع بالاوفسيت مكتبة المثنى ببغداد، ص٦٧٩.

(12) قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم، د. وليد قصاب، المكتبة الحديثة، العين، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٦٤/١٦٣.

(13) جماليات القصيدة التقليدية، د. شكري محمد عياد، مجلة فصول، تصدر عن الهيأة المصرية العامة للكتاب، المجلد السادس، العدد الثاني ١٩٨٦م، آذار، ص٦٩.

(14) مع المتنبي، د. طه حسين، دار المعارف بمصر، ط١١، ١٩٧٦، ص٣١٩.

(15) م.ن، ص٣١٩.

(16) م.ن، ص٣٢٠.

(17) ذكرى ابي الطيب بعد ألف عام، د. عبد الوهاب عزام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٥٤م، ص١٢١.

(18) كافوريات ابي الطيب دراسة نصية، النعمان القاضي، مركز كتب الشرق الأوسط، ١٩٧٥م، ص١٨٧.

(19) المتنبي والثورة، انعام الجندي، دار الفكر اللبناني، ص١٨١/١٨٠.

(20) شعر المتنبي قراءة أخرى، د. محمد فتوح احمد، دار المعارف، ١٩٨٢، ص٣٦/٢٥.

(21) البناء الشعري عند المتنبي، علي كاظم أسد، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٣م.

(22) اللغة والابداع، د. شكري محمد عياد، ط١، ١٩٨٨م، ص١٣٢.

(23) م.ن، ص١٢٧.

(24) ستعتمد الدراسة ديوان أبي الطيب، تقديم: عبد الوهاب عزام.

(25) كافوريات المتنبي دراسة تاريخية وفنية، د. علي كاظم أسد، دار الضياء، النجف الاشرف، ٢٠٠٢م، ص١٥٣.

(26) م.ن، ص١٥٤/١٥٣.

(27) دراسات نقدية في الأدب العربي، د. محمود عبد الجادر، مطابع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م، ص٢٦.

(28) م.ن، ص٢٥.

(29) ولا ننسى أن صيغة التثنية في الخطاب الموجه شكل موروث في الشعر العربي وترد في خطاب (اللائم) كذلك في خطاب الطلل، وقد وردت في القرآن الكريم أيضا، منها الآية الكريمة: ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. ق/٢٤.

(30) ذراني: ((يقال ذر ذا، ودع ذا، ولا يقال: وذرته ولا ودعته، وأما في الغابر فيقال: يذره ويدعه وأصله وذره يذره.. ولا يقال: واذر ولا وادع، ولكن تركته فأنا تارك. وقال الليث: العرب قد أماتت المصدر من يذر والفعل الماضي، فلا يقال: وذره ولا واذر، ولكن تركه فهو تارك، قال: واستعملته في الغابر والأمر وإذا أرادوا المصدر قالوا: ذره تركا، ويقال هو يذره تركا)). لسان العرب، مادة (وذر).

(31) رزح: ((الرازح والمرازح من الإبل: الشديد الهزال الذي لا يتحرك الهالك هزالا... وأصله من رزاح الإبل إذا ضعفت وألصقت بالأرض فلم يكن بها نهوض)) لسان العرب، مادة (رزح).

(٢٢) لا بد لنا من أن نورد تفسير بعض شراح ديوان المتنبي لهذا البيت وكلهم متفقون على معنى واحد تغلب عليه السطحية في بعض جوانبه،ويكرر أغلبهم رأي ابن جني في هذا البيت(٤) وسنورد هنا شرح الواحدي،ص٦٧٦- له: ((قال ابن جني إن حارت عيني فأنا بهيمة مثلهن وعيني عينها وصوتي صوتها،كما تقول إن فصلت فأنت حمار،وأنت بلا حاسة وزاد ابن فورجه لهذا بيانا فقال يريد أنه بدوي عارف بدلالات النجوم بالليل فيقول إن تحيرت في المفازة فعيني البصيرة عين راحلتي ومنطقي الفصيح بغامها،وقال غيرهما: عيون رواحلي تنوب عن عيني إذا ضللت فأهتدي بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحي ليقوم مقام صوتي وإنما قال بغامي على الاستعارة)).ديوان المتنبي، شرح الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، ص٦٧٦.والرأي ذاته في شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري(ت٤٤٩هـ)،تحقيق:د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، ١٩٨٨م، ج٤، ص١٣٦.

م والذمة: ((الحق والحرمة والجمع أذمة،والذمة: العهد والكفالة، وجمعها ذمام... وفي الحديث ذكر الذمة والذمام وهما بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وسمي أهل الذمة ذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم)) ،اللسان،(ذمم).

(٢٤) وردت نفسي ونفَسي بالوجهين،والأولى (بسكون الفاء) بحسب ما يكشف التحليل.[٢٣]

يقول الواحدي في شرحه لهذا البيت: ((يريد أنه يعرق عند فراقها فكأنها تغسله لعكوفهما على ما يوجب الغسل وإنما خص الحرام لحاجته إلى القافية ،وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الغسل)). شرح الواحدي،ص٦٧٨ .أما ابو العلاء فيقول فيه: ((إن هذه الزائرة إذا ما فارقتني غسلتني بالعرق فكأنا كنا مقيمين على حرام فغسلت له،وخص الحرام لأن الزائرة تكون أجنبية دون زوجته)). شرح أبي العلاء المعري،ج٤، ص١٤١ .وأظن أن شرح أبي العلاء أقرب وأوجه.

الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه للصفدي

د. عباس هاني الجراخ

يعدّ كتاب (الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه) للصفدي (ت ٧٦٤هـ) من كتب التشبيهات المهمة، بل هو أوسع كتاب في الوصف والتشبيه وصل الينا، وقد جمع فيه مصنفه المئات من المقطعات والنتف لحشد كبير من الشعراء منذ العصر الجاهلي الى عصره، وأثبت فيه ما له من شعر كذلك، وقد استقى مادة كتابه من المصادر التي سبقته وعينها صراحة فضلاً عن دواوين الشعراء التي حصل عليها، والمجاميع الاخرى، وكذلك المختارات التي صنعها لبعض الشعراء، ممن كان قد أوردهم في (تذكرته) الشهيرة.

رتب الصفدي كتابه هذا على مقدمتين ونتيجة؛ المقدمة الاولى اشتملت على فصول تتعلق بالتشبيه، وضمت عشرة فصول، والمقدمة الثانية احتجنت التشبيه وأقسامه وتشعب ضروبه، وفيها أربعة وعشرون فصلاً، أما النتيجة فتضم انواع التشبيهات نظماً في أربعة وستين فصلاً مما وصل الينا، فيما قاله الشعراء في السماء والمجرة والزلازل والهواء والنباتات والثمار والحمام والاطيار المترنمة ..الخ

وهذا هو منهج الصفدي في كتبه التي اطلعنا عليها وخبرناها، إذ تكون النتيجة هي الأمثلة التطبيقية لما مهد له من أمور نظرية سبقتها.

وتبدو قيمة الكتاب من انه يستدرك على أكثر من أربعين ديواناً مطبوعاً أو مخطوطاً، أو يقدم روايات جديدة لبعض القطع، أو يعزو عدداً منها الى شعراء آخرين او يعزز نسبتها الى بعضهم كما انه منهل يستقي منه من يشرع بصنع دواوين جديدة. أو لمن يبتغي البحث في موضوع التشبيه ومتعلقاته.

اما مخطوطة الكتاب فغير كاملة من نهايتها، وأصلها في المكتبة الوطنية بباريس، برقم ٣٣٤٥، في ١٦٧ ورقة، انتهى السيد هلال ناجي من تصويرها عام ١٩٧٤م، واستفاد منها في صنع دواوين الناشئ الاكبر والاخيطل الاحوازي والببغاء والقاضي التنوخي، كما استفاد منها في استدراكاته على دواوين ابن طباطبا وابن رشيق وعبيد الله بن عبد الله بن ا

طاهر ... وقد اشار اليهم جميعا وهو يقوم بتحقيق الكتاب، الذي قدمه الى الطبع في منتصف عام ١٩٩٩م[1]، وتم نشره في هذه السنة، ضمن سلسلة اصدارات (الحكمة)، ليدز، بريطانيا، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ووقع في ٥٢٠ صحيفة في طباعة ممتازة، كثرتها الأخطاء المطبعية.

ومن المؤسف ان الناشر السعودي وليد بن أحمد الحسين الزبيري وضع اسمه الى جانب المحقق العراقي، بل سبقه بلقب (دكتور) مع العلم أن هلال ناجي لم ينل هذه الدرجة العلمية.

ومنذ ان حصلت على نسخة من هذا الكتاب من محققه في آذار عام ٢٠٠٠م وأنا اكتب التعليقات[1] هنا وهناك في جذاذات خاصة لما فات المحقق من امور أو اخل بها عمداً، خلاف النهج العلمي في التحقيق، ذلك ان معايشة المحقق لمخطوطة الكتاب طوال نحو عقدين. كما يقول في خاتمة المقدمة، وصنعه. منها الدواوين والاستدراكات توحي باهتمامه به، إلا انني رأيت اوهاماً كثيرة ونقصاً شديداً في التخريج مع اخطاء في التراجم والقراءة لذا رأيت ان اكتب بهذا كله في هذه الصفحات الموثقة المدققة المركزة.

أولاً: مقدمة المحقق

كتب هلال ناجي مقدمة لعمله (ص٥-٢٥) عن المؤلف وآثاره[2]، ثم وصف المخطوطة.

أ. آثاره

حاول المحقق احصاء آثار الصفدي وقسمها الى: المطبوعة فالمخطوطة فالمفقودة وفيما يأتي ملاحظاتنا واستدراكاتنا على هذه القائمة.

أ. المخطوطة

ا. تحفة ذوي الألباب.

طبع الكتاب ثانية بتحقيق احسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، في بيروت، دار صادر ودار البشائر بدمشق ١٩٩٩م في جزء واحد، ٦٧١ صحيفة.

٢. تشنيف السمع بانسكاب الدمع.

اشار الى طبعته الاولى في القاهرة ١٣٢١هـ-١٩٠٣م وهي ليست في مكتبته فيما أعلم. ولانه لم يثبت عدد صفحاتها.

أقول: طبع اضافة الى ذلك، وحقق على النحو الآتي.

١. لذة السمع في صفة الدمع، تحقيق محمد عبد المجيد لاشين، رسالة ماجستير: كلية اللغات، جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا.

٢. تشنيف السمع بانسكاب الدمع. لذة السمع في صفة الدمع، تحقيق أ. د. محمد علي داود، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٠م، ١٦٠ ص من دون فهارس، لأن التحقيق طبع بعد وفاته.

٣. تشنيف السمع في انسكاب الدمع. تحقيق محمد عايش، الاوائل، ط١، دمشق، ٢٠٠٤م ٢٥٦ صحيفة.

ومن الكتاب نسخ خطية كثيرة. ويقوم بتحقيقه عليها عبد الرحمن بن محمد بن عمر العقيل.

وقد اختصره علي بن محمد البلاطنسي (ت ٩٣٦هـ). باسم (مختصر لذة السمع): ومنه مخطوطة في ليدن ٥١٩.[٥]

- جنان الجناس

أشار الى طبعة الجوائب، ١٨٨١م.

قلت: حقق بعد ذلك في:

١. تحقيق سمير حسين حلبي، بيروت ١٩٨٧م، و١٩٩٢م.

٢. تحقيق علاء عبد اللطيف النجار، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة طنطا، ١٩٩٦م.

٣. تحقيق هلال ناجي، مجلة الذخائر، العدد الثالث والرابع، السنة الاولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. وذكر ان عمله ينشر أول مرة وهذا غير صحيح. ولم يرجع الى النشرات الثلاث السابقة.

رشف الزلال في وصف الهلال

ذكر أنه في الاعلام ٣٦٥/٢ مطبوع ويظن انه غير مطبوع، وأشار الى مخطوطة برلين.

قلت: الذي ذكر هذين الأمرين هو بروكلمان في كتابه ٦(١٠-١١) /١١٩.

وهناك نسخة اخرى نفيسة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٣١٣٥ وعندي صورة منها. ويقوم بتحقيق الكتاب السيد احمد عبد العزيز الربعي.

- نصرة الثائر على المثل السائر

اشار الى تحقيق محمد علي سلطاني، القاهرة، دمشق، ١٩٧٢م.

قلت:

حققت مناهل فخر الدين جزءاً منه، ضمن رسالتها للماجستير كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٦٩م.

- نكت الهميان في نكت العميان.

ثمة تحقيق آخر قام به الطنطاوي، دار الطلائع، القاهرة، ١٩٩٨م.

- الوافي بالوفيات

نشر معظمه المعهد الالماني، بيروت، فيسبادن منذ عام ١٩٣١م، وبقيت منه اجزاء قليلة.

وقد فاته جزءان هما:

- الجزء الخامس والعشرون باعتناء محمد الحجيري، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- الجزء التاسع والعشرون[٦] باعتناء ماهر جرار، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

مع ملاحظة ان دار احياء التراث العربي في بيروت نشرت الكتاب كاملاً وبضمنها الاجزاء التي لم تظهر من اصدارات المعهد الالماني، في ستة عشر جزءاً متناً، من دون هوامش التحقيق!!

- لوعة الشاكي ودمعة الباكي.

حققه محمد عايش، في دمشق، دار الاوائل، ط١، ٢٠٠٣م، وذكر انه (منسوب له).

وحققه عبد الملك بن احمد الوادعي، دار المناهل، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

- فض الختام عن التورية والاستخدام.

طبعه د. المحمدي عبد العزيز الحناوي في القاهرة ١٩٧٩م، في نشرة رديئة جدا، واسقاط كثيرة خاصة في نهاية الكتاب، واهمها ابيات الصفدي. وحققه تحقيقا علمياً بالرجوع الى مخطوطتين منه.

ب- واورد في: المخطوطة الكتب الآتية:

- اختراع الخراع.

حققه د. فاروق اسليم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.

وحققه محمد عايش، دار عمار، الاردن، ٢٠٠٢م.

- اعيان العصر واعوان النصر.

حققه د. علي ابو زيد ود. نبيل محمد عمشة ود. محمد موعد ود. محمود سالم محمد، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م. في ستة أجزاء.

وحققه فالح احمد البكور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، في أربعة أجزاء.

- ألحان السواجع بين البادي والمراجع

حققه محمد عبد الحميد محمود سالم، اطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م، وطبع الجزء الأول منه بدار العروبة، ط١، القاهرة، ١٩٨٥م و٢٠٠٥م.

وحققه ابراهيم صالح، دار البشائر، دمشق ط١: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. بجزءين.

- الحسن الصريح في مئة مليح.

حققه د. احمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- رشف الرحيق في وصف الحريق

تحقيق سمير الدروبي، مجلة البلقاء، مج٢، العدد الاول، نيسان، ١٩٩٢م، ثم أعاد د. الدروبي نشر العمل منفرداً في عمان، الاردن مؤسسة الرسالة، دار البشير، ٢٠٠٢م.

- الروض الناسم والعرف الباسم.

حققه د. محمد عبد المجيد لاشين بعنوان (الثغر الباسم والعرف الناسم) دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- صرف العين.

حققه محمد عبد المجيد لاشين. جزءا من اطروحته للدكتوراه، جامعة عين شمس وطبع في دار الافاق العربية، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، بجزءين.

- كشف الحال في وصف الخال.

صدر بتحقيق سهام صالان، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

وهي نشرة رديئة وناقصة، والمحققة لا تعرف اوليات التحقيق على الاطلاق.

وحققه عبد الرحمن بن محمد بن عمر العقيل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. بالاعتماد على أربع مخطوطات.

- نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم.

حققه أحمد مفرح احمد السيد، جزءا من رسالة الماجستير، بجامعة الزقازيق.

- الهول المعجب في القول بالموجب

تحقيق ودراسة د. محمد عبد المجيد لاشين، دار الافاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

ج- ومن مصنفاته المفقودة.

الفضل المنيف في المولد الشريف.

والصحيح انه غير مفقود، ومنه مخطوطة في مكتبة جامعة برنستون، برقم ٢٥٧٠، بخط الصفدي، ورجح السيد عبد الرحمن العقيل انه أحد اجزاء (التذكرة الصفدية)[٤].

بقي ان أشير الى أمور مهمة:

١. أحال مرات كثيرة على:

بروكلمان: الترجمة الألمانية، وكان الأولى الاحالة عليه مترجما، إشراف المحقق د. محمود فهمي حجازي، القاهرة، ١٩٩٥م، ق٦(١٠-١١) /١٢٦١١١٤، ويذكر مكان وجود المخطوطة ورقمها. فعلى سبيل المثال ذكر (نسخة الصداق. ذكرها بروكلمان).

وكان عليه ان يقول: ذكرها بروكلمان في القاهرة ثان ٤ب/٨٤.

و: الهول المعجب في القول بالموجب: منه مخطوطة في دار الكتب المصرية وذكرها بروكلمان.

اقول: ذكر بروكلمان مخطوط القاهرة ثاني ٢٢٨٢، ومكتبة الدحداح ١٩٩.

اما مخطوطة دار الكتب المصرية فرقمها ٤٢٥/ بلاغة وهي بخط الصفدي.

كما ان المحقق رجع الى مخطوطة الجزء الثاني من (المنهل الصافي) لابن تغري بردي، في حين ان ترجمة الصفدي وردت في الجزء الخامس منه. وهو مطبوع بتحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة الكتاب، ١٩٨٨م.

فقد ورد عنده: جر الذيل في وصف الخيل، في حين ان اسمه ورد في المنهل الصافي ٢٤٢/٥ : جر الذيل في أوصاف الخيل.

لقد ثبت عندي ان السيد هلال ناجي لم يرجع الى كتابي بروكلمان وابن تغري بردي، بل نقل ما ورد فيهما من أصحاب القوائم الذين حققوا كتب الصفدي، من دون أدنى إشارة الى ذلك، وخاصة من قائمة السيد الشرقاوي في تقديمه تصحيح التصحيف، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢. اورد ضمن المخطوطات منتخبات بالأرقام ٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ وذكر في اربعة هوامش له عبارة: لم يذكرها أحد من محققي كتبه)).

أقول: هذه ليست كتبا منفردة كي تفرد بأرقام خاصة، بل هي اجزاء من (تذكرة الصفدي)

٣. ذكر-ص ٢٤- ان مصنفات الصفدي ((تدور في حدود الخمسين مصنفاً))، ولكنه أورد له ٦٧ مصنفا، ولم يسترع انتباهه هذا العدد الزائد عما رآه وذكره ان هذه الزيادة جاءت من ذكره اربعة كتب من الاختيارات ويضاف اليها: المختار من شعر ابن دانيال الحكيم المطبوع في الموصل ١٩٧٩م. علاوة على كتب اخرى يشك انها للصفدي، منها: شرح الشجرة النعمانية في الدولة العثمانية وخلع العذار في وصف العذار ولوعة الشاكي ودمعة الباكي وقهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة...

٤. كثير من المخطوطات التي ذكرها لها نسخ اخرى، لم يشر اليها، اعرضنا عن ذكرها، خشية الاطالة، ولأن بعضها طبع فيما بعد.

ب- المصنفون في التشبيهات

تحت هذا العنوان أورد المحقق اسماء عشرة كتب ألفت في موضوع التشبيهات، وقد فاته ما يأتي:

١. يحيى بن حميد الازدي الحلبي (ت٦٢٧هـ)، في كتابه (التنبيه على محاسن التشبيه).

٢. ابن ابي حجلة التلمساني (ت٧٧٦هـ)، وكتابه هو: (التنويه في محاسن التشبيه).

٣. شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي (ت٧٢٥هـ). له: التشبيه، ومنه نسخة مخطوطة في جامعة البصرة، رقم ١٠٨/العباسية.

ج- ملاحق اخرى.

تحدث المحقق عن اهمية الكتاب.

١. في الصفحات ٤٢-٤٥ اورد ثبتا طويلا بفصول النتيجة استغرق اربع صفحات، ولا داعي لذلك، لأنه اورده كاملا أيضا في فهرس الموضوعات ٥٢٥-٥٢٠.

٢. ذكر أن كتاب (مباهج الفكر) للوطواط الكتبي مخطوط.

والصحيح أن جزء الحيوان منه حققه د. عبد الرزاق أحمد الحربي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠م.

أما (روح الروح) فقد حققه ابراهيم صالح.

٣. وردت بعض الاخطاء اللغوية والنحوية في اسلوب المحقق، ففي ص٤١ قال: ((والمقدمتان شغلتا من الكتاب واحداً وخمسين ورقة)).

والصواب: احدى وخمسين ورقة.

وفي ص٤٦ قال: ((كان الشعراء المشهورين بالتشبيهات الجيدة يستأثرون))

والصواب: المشهورون

وفي ص٤٧ قال: ((غير أن الايام والسنون)). الصواب: السنين

فضلاً عن قوله: ((سأظفر بجزءه المفقود)).

والصواب: بجزئه.

وفي ص٢٠ قال: ((ذكره الحافظ الذهبي في معجم المختص)).

والصواب: في (المعجم المختص): وهو مطبوع بتحقيق د. محمد الحبيب بن الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف،١٤٠٨هـ. ومنه نسخة خطية في المكتبة الناصرية بالهند، برقم ١٥٤.

وفي ص٤٧ قال((واليوم يسعدنا ان نظهر كتابنا هذا)).

والصحيح ان نظهر كتاب الصفدي هذا، او، تحقيقنا هذا. لأن الكتاب ليس لهلال ناجي، بل من تحقيقه فقط.

- اورد المحقق اربعة نماذج مصورة من المخطوطة، ولم يذكر ارقام اوراقها، أو سبب اثباتها بعينها، على انني لاحظت انه لم يثبت صفحات مهمة منها، واعني بها صفحة ورقة العنوان، والصفحة الاخيرة منها لما لذلك من دلالة علمية، ولمعرفة ما عليها من تعليقات وامور اخرى تخص التحقيق.

ثانياً - النص المحقق

يبدأ النص المحقق من الصحيفة ٥١ وينتهي في الصحيفة ٤٣٢، ومن المؤسف سقوط ورقتين من الاصل المخطوط، وحلت محلهما صفحتان من المطبوع مكررتان، اذ سقطت الورقة ١٢٤أ، وحقها ان تطبع في الصحيفة ٣٢٩، لكن هذه الصحيفة اخذت محلها مكررة، لانها وردت على الصواب ثانية - في ٣٢٩.

كذلك سقطت الورقة ٤٨أ التي كان من المفروض ان تطبع في الصحيفة ١٤٨ لكن هذه الصحيفة هي تكرار للصحيفة قبلها ١٤٧.

ان سقوط ورقتين من النص المطبوع خسارة كبيرة لديوان الادب العربي وللصفدي نفسه.

قام المحقق بضبط نصوص الكتاب بالشكل، ووضع ارقام اوراق المخطوطة في المتن وخرّج ما استطاع تخريجه من القطع الشعرية والآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة..

ان منهج هلال ناجي عند عدم استطاعته قراءة بعض الكلمات أن يضع الكلمة غير المقروءة داخل قوسين فارغين، ويشير في الهامش الى ذلك.

لكن الاطلاع على الاصل المخطوط، أو مراجعة المظان - وبعضها بين يديه - تكشف امكانية قراءة تلك الكلمات.

فقد ورد في ص٨٧.

يقطع بالسكين بطيخة ضحى

على طبق في مجلس (...) صاحبه

كشمس ببرق قد شمساً أهلة

لدى هالة في الأفق (...) كواكبه

واشار في هامشين له في الموضع كلمة غير مقروءة في عجزي البيتين.

اقول: قراءة عجز الاول:

على طبقٍ في مجالس لأصاحبه

وقراءة عجز الثاني.

لدى هالة في الأفق بين كواكبه

وهما في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٢١٨ فوات الوفيات ٢/ ٣٧، وهما من مصادر المحقق وهو لأبي طالب المأموني في: حسن المحاضرة ٢/ ٤٣٠

- ص١١ : وما احسن قول:

...((ومطارح الجوزاء فيه مطارحي))

اقول: قراءة الصدر هو:

بيتي ستور العنكبوت مستورة

وهو في: المنازل والديار ٤٠٤.

- ص١١٢ : "النبطة بضمّ النون بياض تحت ابط الفرس ( ) ويقال فرس أنبط".

اقول: الكلمة التي لم يستطع قراءتها هي: الأشقر.

وينظر: ديوان المعاني ١/ ٣٥٥ . وعجز لبيت ابن المعتز نفسه.

- ص ٢٠٤ :-

تأمل الى الزهر في دوحه

( ) من ملاح الفنون

وقال: ((في الموضع كلمة غير مقروءة)).

والصحيح أنها أكثر من كلمة، فالبيت كاملاً بعد ضبطه، هو:

تأمل الى الزهر في دوحه

ومَن زاره من ملاح الفنون

وهو في: فوات الوفيات ٢/ ٢٠١ ، اعيان العصر ٢/ ٥٥٢ مسالك الابصار ١٦/ ٢٨١.

التخريج:

أكد المحقق في أكثر من عمل له ضرورة الرجوع الى مصادر المؤلف في التخريج، فضلاً عن تخريج المقطعات والابيات على دواوين اصحابها لا على المصادر التي اوردتها،

لكنه في هذا الكتاب خالف منهجه وما دعا اليه، على النحـو الآتي:

١. اهمال الرجوع الى مصادر المؤلف.

- ص٦١: ((حكى ابن رشيق وغيره أن لانما ....)).

اقـول: كان على المحقـق ان يرجع الى العمدة ٢/٢٣٦-٢٣٧، فالنص فيه.

- ص٧١: ((قـال ابـن الاثير الجزري في ((المثل)) وقـد اورد بيت البحتري

وتراه في ظلم الوغى فتخاله

قمراً يكر على الرجال بكوكب

وفي هذا تشبـيه ثلاثة بـثلاثة فإنه شـبه العجاج بالظلمة، والممدوح بالقمر، والسنان بالكوكب)).

اقول: النص في المثل السائر ٢/١١٦.

- ص١١٨: ((وزعم قدامة ان افضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثر [من انفرادهما] حتى يدني بهما الى حالة الاتحاد. انتهى.

وعلق المحقق: ((القول لقدامة بـن جعفر في العمدة ١/١٨٩ مع اختلاف قليل

اقول: الصحيح ان يرجع الى (نقد الشعر) لقدامة بـن جعفر، لا: العمدة. والنص في نقـد الشـعر ١٠٩(ط. كمال مصطفى)، و: ١٢٤("ط. خفاجي) وضرورة وضـع النـص داخل اقواس تنصيص.

أوهام إيقاعية

وقـعت في الكتاب بـعض الاخطاء التي اخلت بإيقـاع الأبيات الشعري، ما ادى الى كسـر الوزن، أو برسـم بـعضها بصورة غير صحيحة على الشطرين. منها:

- ص٩٤:

شقائق في اغصان روض كأنها

خدود فيها عوارض من شعر

والصواب:

خدود بدت فيها، ليستقيم الوزن على الطويل.

- ص٢٧٩:

أيهـا المحتـج للـورد	بـزور ومحـال
ذهب النرجس بالفضل	فـانصف في المقال
لا تقاس الأعين النجـل	بـأسرام البغـال

اقول: الابيات من مجزوء الرمل، لكنها لم ترد مدورة على الشطرين، فالصحيح ان يلحق حرف الدال من (الورد) في عجز الاول، ويحول حرف اللام، من (الفضل) الى العجز في الثاني، وفي البيت الثالث ينقل حرف اللام من (النجل).

مع ضرورة اثبات الهمزة في (فأنصف) في عجز الثاني.

- ص٢٩٣

أحسنت برحلة فصل الشتا

فجاءت وقـد قلبت فروهـا

والصواب (الشـتاء) باثبـات الهمزة، والبـيت من المتقارب. و(فجاعت) صحيحها (فجاءت).

- ص٢٦٦:

وقد شابت من الأيك النواصي

فـذلك الشيب داعية للتصابي

والصواب: (فذاك)، ليستقيم وزن الوافر.

- ص٣٨٨:

جاء مثل السياط او كالمساو

يك وبعض يحكي عمسن الرعـاء

وصواب البيت:

جاء مثل السياط او كالمساوي

ك وبعض يحكـي عصي الرعـاء

- ص٤٢٢:

وبلابل الروضات مثل أئمة الخ

لفـاء تبـدو في السواد وتظهــر

أقول، التدوير خطأ، والصواب ان ينتهي الصدر بـ(أل) فقط، كي يستقيم وزن الكامل.

وفي الكتاب امثلة اخرى للخطأ في التدوير.

التدخل في النص

تدخل المحقق في النص المحقق مرات كثيرة، بالحذف والتعديل، بـل خطأ المؤلف من دون وجه حـق، وفي هذا مخالفة صريحة للتحقيق والامانة العلمية. فمن ذلك:

أ. جاء في ص٢٢٧: (([أوس بن حجر]:

دان مسف فويق الأرض هيدبه

يكـاد يدفعـه من قام بالراح

فعلق في الهامش: الا((في صل المخطوط: عبـيد بـن الأبـرص وهو وهم من الناسخ فالبـيت لأوس بـن حـجر في ديوانه ص١٥)).

أقول: لا يصح تخطئة المؤلف، ما لم تكن هناك قـرينة قاطعة على ذلك، ومن قال أن الناسخ هو الذي اثبت البيت لعبيد بن الابرص وليس الصفدي المؤلف؟

أن ما قام به المحقق غير صحيح، لأن البيت لعبيد بن الابرص أيضاً، وهو في ديوانه.

- ص١٩٠:

كنون [يسطرها] كاتب

بماء النضار على صحـن مينـا

فعلق، ما بين العضادتين زيادة يقتضيها السياق)).

أقول:

كان الأولى وضع نقاط دلالة الكلمة الساقطة وإثبات ما يراه مناسباً في الهامش، اذ من يقول ان ما أثبته هو الصحيح الذي أراده الشاعر!

اقول هذا لان الكلمة الساقطة هي: [يحسنها]، في رشف الزلال في وصف الهلال ٧٤.

- ٢٠٧:

[اخر]:

انظر هلال الشهر في أفق السما

لـما تبدا جـانحاً للمغرب

يحكي محيا غادة زنجية

لاثت عليه خمار خز مذهب

اقول: الكلمة التي زادها المحقق قبل البيتين غير صحيحة، وهذا دليل عدم المتابعة، لأن البيتين للصفدي، وهذا منهجه في نهاية كل مبحث. ومما يؤكد هذا ان بداية البيت الاول تشبه بداية البيت الاول في نهاية الصفحة السابقة، بل ان البيتين يشبهان البيتين الواردين في الصحيفة ٢١٥، وقد صرح الصفدي انهما له في الصبح.

ودليل ثالث ان البيتين للصفدي في: رشف الزلال في وصف الهلال الورقة ٥٩ ب لذا فان كلمة [آخر] خطأ، صوابها :[وقلت أيضاً].

ب. الزيادات:

-ص ٣٠٢ :مجير الدين محمد بن تميم [مضمناً] (....)).

ان هذه الزيادة لم يقل بها الصفدي، وان كان البيت الثاني مضمناً، لأن في الكتاب ابياتاً واشطراً مضمنة لكنه لم يذكر كلمة [مضمناً] قبلها، (تنظر الصفحات:٢٢٤، ٤٣٣. الشطر الاخير).

-ص ١٢٤ : ((قال [ابو] المحاسن الشواء))،

وعلق بالقول: ((ابو المحاسن يوسف بن اسماعيل الشواء الحلبي الكوفي (ت٦٣٥هـ)،وفي الاصل المخطوط: محاسن الشواء، وهو خطأ فصوبناه)).

وكذلك زاد كلمة [أبو] في الصفحات ١٤٧، ١٧٢، ٢١٠ ؛ ٢٥٥، ٣٦٦.[١٠]

قال عباس الجراح:

أقول: ليس في الأمر خطأ، بل ان الصفدي يسمي هذا الشاعر (محاسن الشواء)، بل ترجم له في الوافي بالوفيات ١٥١/٢٥ تحت اسم: (محاسن)، ولو كان المحقق على علم بهذه الحقبة ومطلعا على مؤلفات الصفدي لعرف انه لا يجوز تخطئة المؤلف، لأن هذا ما أثبته في مؤلفاته الاخرى التي اطلعنا عليها[١١] وكذلك أثبته هكذا ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ) الذي التقى به[١٢]، وشهاب الدين الحلبي (ت٧٢٥هـ) استاذ الصفدي[١٣]، ثم النواجي (ت٨٥٩هـ)[١٤]، والسيوطي(ت٩١١هـ)[١٥].

وعلى هذا فإن الزيادة غير صحيحة على الاطلاق.

والامر نفسه حدث في ص٢٤١، اذ ورد [ابن] دفتر خوان] بزيادة (ابن)، مع العلم ان المحقق لم يزد الكلمة المزعومة في الصحيفتين ٩٠ و ١٥٩ قبلها.

ان الهامش مجال رحب للمحقق يبين وجهة نظره، لا ان يتدخل في متن المؤلف كيفما يحلو له.

وفي ص٢٩٤ شهاب الدين احمد ابو جلنك [الحلبي] زيادة منه ولكن في الصحيفة ٣٠٥ لم يزد هذه الكلمة.

الحذف :

ص٩٦ اورد المؤلف في الاصل بيتين لابن سناء الملك الا ان المحقق حذفهما بحجة (فحشهما).

اقول: ان الامانة العلمية تلزم المحقق بإثبات النص كاملاً، ما دام يعود الى فترة وضعه وليس الى وقتنا الحاضر، وليس من الحق حذفه، اما وقد فعل المحقق هذا، فكان حريا به تخريج البيتين على ديوان الشاعر، لكنه لم يفعل.

وفي الصفحات ٩١ ؛ ٩٢، ٢٩١ وردت كلمات اخرى حذفها المحقق للسبب نفسه. ولو أبقاها لما ضره شيء، لأن القارئ يعرفها بسهولة[١٦]!

وفي ص١٧٦ ورد :[السري الرفاء]:

كأن الثريا راحة تشبر الدجى

لتعلم طال الليل ام قد تعرضا

فليل تراه بين شرق ومغرب

يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وعلق المحقق: ((في الاصل المخطوط: ابن ياقوت، وهو وهم من الناسخ، والصواب أنهما للسري الرفاء في ديوانه٢/ ٢٤٦ ...)).

أقول: هذا تدخل آخر في النص أساء اليه وخرج على قواعد التحقيق، فالصفدي يقول ان البيتين لـ(ابن ياقوت)، وهو أعرف من المحقق في هذا، لأنه ينقل من كتب ومجاميع بين يديه، أما المحقق فحذف اسم الشاعر وحل محله (السري الرفاء) بدليل وجود البيتين في ديوانه، وبعد الفحص تبين لي ان الذي دله على هذه النسبة الجديدة هو ابن ظافر الازدي في كتابه (غرائب التنبيهات)، فاليه يعود الفصل، وإلا فان المحقق لا يحفظ شعر السري الرفاء ولم يقلبه الا اذا اشار اليه المؤلف.

اعود فأقول: أن ما فعله المحقق لا يصح، لأنه غير نسبة البيتين من دون وجه حق، وما يؤكد كلامي ان الصفدي قال بعد ذلك مباشرة.

((وقال أيضا:

كأن الثريا في أواخر ليلها

بنان امرئ قد مدها لسؤال)).

فعلق المحقق بـ وقد سقط في يده: ((لم نجده في ديوان السري الرفاء)).

اقول: طبعا، لأن البيت هذا أيضا لابن ياقوت، وليس للسري الرفاء كما اعتقد المحقق، ثم ان البيتين الضاديين في ديوان كشاجم ص٢٩٧، فلماذا وضع (السري الرفاء) ولم يضع (كشاجم)، وهو لم يحفظ شعر كشاجم ولا رجع الى ديوانه إلا اذا نص المؤلف على نسبة الابيات اليه.

كان الصحيح في قواعد التحقيق الإبقاء على الاسم الذي وضعه المؤلف وعدم التدخل في النص.

ثم رأيت البيتين في الدر المصون المسمى بسحر العيون ٤٧/٢. وفيه انهما لياقوت المستعصمي.

ب. عدم الرجوع الى الدواوين

القاعدة التحقيقية تقول يخرج الشعر من ديوان

شـــاعره المحقق أو المخطوط، ولكن هلال ناجي خرج على هذه القاعدة التي أقرها بنفسه[٩] وهو يخرج بعض القطع على (نهاية الارب) واللسان من دون الرجوع الى الدواوين، ومن ذلك.

- ص٥٨: ورد شطر بيت لامرئ القيس

خرجه على: لسان العرب، والصحيح ان يخرجه على ديوانه.

- ص٢١٦ ورد بيتان لابن الرومي، اولهما:

خيري وردأتاك في طبقة

قد ملأ الخافقين من عبقه

خرجهما على نهاية الارب ٢٧٣/١، استسهالاً. في حين انهما واردان في ديوانه ١٧١٤/٤.

- ص٣٦٦ وردت مقطعة لابن قسيم الحموي، أولها:

ومحمرة من بنات الغصو

ن يمنعها ثقلها ان تميدا

خرجها على نهاية الارب. كذلك. وكان عليه ان يخرجها على ديوانه، ٤٢.

- ص١٦٢: ورد بيتان لابن شرف القيرواني، خرجهما على غرائب التنبيهات.

ولم يرجع الى شعره المجموع ضمن كتاب: (النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف) المرحوم عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٣٤٣هـ.

فضلاً عن عدم رجوعه الى ديوان البحتري ص٢١٢، وابن المعتز ص٣٠٦، والميكالي ص٣٠٠، وعلي بن الجهم ص٢٨٤، وظافر الحداد ص٢٨٠ و٢٩٩، إذ صرح المؤلف بهم، عدا حالات كثيرة وردت فيها الابيات لهم ولغيرهم بلا عزو، فلم يرجع الى دواوينهم.

ج. الادعاء بعدم وجود الابيات في الديوان

ص١٤٢: قال جميل:

اريد لأنسى ذكرها فكانما

تمثل لي ليلى بكل سبيل

فعلق: لم نجده في ديوان جميل بثينة...) يعني الذي حققه د. حسين نصار.

اقول: الصحيح ان البيت وارد في ديوانه، تحقيق د. حسين نصار، ص٨٥.

- ص٢١٩، ورد بيتان لمجير الدين ابن تميم، أولهما:

من قال ان الورد كالمنثور في

عظم المكانة جد في تعنيفه

فعلق: اخل بهما ديوان مجير الدين بن تميم وملحقه.

والصحيح انهما وردا في ديوانه اختيار الصفدي (المخطوط). الورقة ١٣١، والمطبوع بتحقيق هلال ناجي ود. ناظم رشيد ص٦٢ (البيتان ٤٠٢، ٤٠٣).

- ص٤١٦ ورد بيت بدر الدين يوسف الذهبي:

وبلبل الدوح فصيح على ال

أيكة والشحرور تمتام

فقال في الهامش: ((اخل به ديوانه))[٩] الذي جمعه د. حسين علي محفوظ، بمجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد١١، ١٩٦٨م.

والصحيح ان البيت وارد فيه ص٦٦.

اهمال التخريج وضعفه

سعة الاطلاع وحفظ الابيات وحضور الذهن ومراجعة المصادر والبحث فيها من دون عجلة، من أهم صفات المحقق، لكنني وأنا انظر في صنيع هذا التحقيق أرى ان المحقق أهمل قدراً كبيراً من المقطعات والابيات الواردة في الكتاب في حين أنها مثبتة في مصادر بين يديه[١٠] واخرى مشهورة...!!

وسأكتفي. هنا. بايراد تخريجات قليلة لما فات المحقق تخريجه من تلك المقطعات، حتى صدور كتابه عام ١٩٩٩، خشية الاطالة والملل.

- ٦٤ قول الأول:

وما زالت القتلى تمج دماءها

بدجلة حتى ماء دجلة أشكلا

اقول:

البيت مشهور لجرير، في ديوانه، برواية تمور دماءها.. أشكل.

ص٧٦، بيت لأخر على قافية العين. هو في. الغيث المسجم ٢٤٦/١.

- ص٧٦ك وقال آخر:

رب ليل كأنه أملي فيك (م)

وقد رحت عنك بالحرمان

البيت: لابن طباطبا العلوي، في: شعره ١٠٢:

- ص٧٩، أخذه الآخر فقال:

اسفر ضوء الصبح عن وجهه

فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده

ساعة هجر في زمان الوصال

اقول:

هما لابن المعتز في ديوانه ٢٤٠/٢.

- ص٩٤ بيت اسامة بن منقذ في: نزهة الأنام٩٩.

- ص١١٥ قول أنوشروان في النرجس، في: حلبة الكميت ٢٢٩.

ثم ورد بيتان لقائل، اولهما

ونرجس قابل في مجلس

ورداً غلا في وصفه الناعت

اقول: هما للشبلي في نزهة الانام٧٨، ولابن الشبلي البغدادي في حلبة الكميت ٢٢٩، مطالع البدور ١٢٠/١.

- ص١٢٠: كقول الشاعر.

ذهبت بعقلي بعده أيدي النوى

وبمهجتي عن طاعتي عصيان

لا طيفه يسري ولا سنة الكرى

فكأن عيني مالها اجفان

هما لسيف الدين المشد، ديوانه ٤٥٦ (بتحقيقي، بابل، ٢٠٠م).
ص ١٢٠.
خفيت على شرابها فكأنهم
يجدون ريّا من إناء فارغ
هو في: ديوان المعاني ١/ ٣١٠، بلا عزو.
- ص ١٢٠: قول أبي نواس:
وزنا الكأس فارغة وملأى
فكان الوزن بينهما سواء
وذكر المحقق: اخل بها (كذا) ديوانه.
قلت: البيت بلا عزو في نهاية الارب ٤/ ١١٤، ديوان المعاني ١/ ٣١٠.
- ١٢١: كقول القائل
فان يك سيّار بن مكرم انقضى
فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
اقول: البيت مشهور للمتنبي، في: ديوانه ١٨٦.
- ص ١٢٤: بيتان لآخر اولهما:
وكأنما القمري ينشد مصرعا
من كل بيت والحمام يجيز
اقول: هما لظافر الحداد، ديوانه ١٦١.
١٣٢: قول بشار بن برد:
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض
على الماء خانته فروج الاصابع
وقال: "اخل به ديوان بشار".
قلت: هو للامام علي بن أبي طالب في ديوانه ٤٦٩، برواية ومن يصحب.
١٣٨ - ١٣٩ بيتان لآخر، أولهما:
أشبه ما بين القواديس صوتها
ومن كل وجه ماؤها يتحدر
هما في حلبة الكميت ٢٨٧
- ص ١٥٩ بيتا دفتر خوان البانيان في سرور النفس ١٦٠
- ص ١٦٢ ورد بيتان لآخر:

والجو صاف قد حكى	بأنجم فيه غرز
جام زجاج أزرق	قد نثرت فيه درر

اقول: هما للحسن بن علي الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي، في ديوانه، بتحقيق هلال ناجي، ط١، بيروت، ١٩٩٦م: ١٢٥، ط٢، بغداد ١٩٩٨م، ١٦١.
فاذا كان المحقق لا يحفظ بيتين جمعهما للشاعر، ونشر ديوانه مرتين، فلا نعجب بعد ان لا نراه يخرج أبياتاً لغيره.
- ص ١٦٤: آخر
وبنات نعش يستدرن كأنها
بقرات وحش خلفهن جآذر
وهو لابن هرمة، في ديوانه ١١٤.
- ص ١٧٦: ورد بيتان لآخر.

وكأنما نجم الثريا	اذا تعرض كالوشاح
كأس بكف خريدة	تسقي المسابيد لصباح

في: معاهد التنصيص ٢/ ٢١.
- آخر:
كأن الثريا في أواخر ليلها
قناديل رهبان دنت لخمود
هو بلا عزو في: فصول التماثيل ٤٥، الطراز ١/ ١٧٥ برواية كأن الثريا والهلال يكذها
- بيتا السري الرفاء، هما لكشاجم في: ديوانه ٥٩٧، وللطائي في: فصول التماثيل ٤٦، واخل به ديوانه، وبلا عزو في: حلبة الكميت ٤٣٦
والبيت اللامي بعدهما في: فصول التماثيل ٤٦، بلا عزو.
- ص ١٧٧، بيتا الخباز البلدي، هما لابن المعتز في: شعره ٢/ ٦٨.
- ص ١٨٤، آخر
أراعي نجوم الليل وهي كأنها
نواظر ترنو من براقع سندس
كأن الثريا فيه باقة نرجس
وما حولها منهن منثور نرجس
أقول: هما لأبي هلال العسكري، في: شعره ١١٤ (تحقيق د. محسن غياض)،
- ص ١٧٧ البيتان الأخيران لآخر، هما لأبي عون الكاتب في: سرور النفس ١٣٥ - ١٣٦، معاهد التنصيص ٢/ ٢٤.
ص ١٩٦ ورد بيتان لناصر الدين حسن بن النقيب على قافية الكاف.
هما له في: الوافي بالوفيات ١٢/ ٤٨ فوات الوفيات ١/ ٣٢٦ حلبة الكميت ٣٣٤. كلها من مصادره، ص ٤٠٢ أبيات عبد العزيز بن مهذب في: المغرب في حلى المغرب (مصر) ٣١٨، غرائب التنبيهات ١٦٧.
ص ٢٠٥ ورد بيتان على قافية النون لجمال الدين يوسف الصوفي.
هما له في: اعيان العصر ٢/ ٢٤٨ فوات الوفيات ٤/ ٢٤٦ - ٢٤٧، الدرر الكامنة ٥/ ٢٢٠، الوافي بالوفيات ٢٩/ ٢١٢.
ووردت بعدهما اشعار للصفدي. هي له في: رشف الزلال في وصف الهلال ٦٣ب. ص ٢٠٥ - ٢٠٦ أبيات الصفدي في: اعيان العصر ٢/ ٣٤٨، فوات الوفيات ٤/ ٢٤٧، الوافي بالوفيات ٢٩/ ٢١٢، ٢١٣
- ص ٢١٤: آخر:

مات الظلام بليل	أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح	يعيش كان تنفس

أقول:
هما لسيف الدين المشد، ديوانه ٢١٢.
- ص ٢١٧، آخر:
والشمس حيرى خلف غيم عارض
فكأننا في ضوء ليل مقمر
اقول:
هو للغدير المهلبي في: شعره، مجلة المورد، مج ٢، ع ٤،

١٩٧٣م: ١٥٤، وهو أحد مراجع المحقق!
- ص٢٢٥ اشعار من الرجز على قافية الدال لآخر.
أقول: هي في التذكرة الفخرية ٢٥٨.
- ص٢٣١: بيت ابن المولى:
فأصبح يرمي بالرباب كأنما
بأرحلـه فيهـا نعـام يعلق
أقول:
هو في: ابـن المولى وما بقـي من شعـره، مجلة البـلاغ، ع٩٦، ١٠، ١٩٨٠م: ٢٣، والقافية: (معلق)
اما بيت حسان بن ثابت قبله، فهو لابنه عبد الرحمن بن حسان، في: ديوانه ٣٠٤.
- ص٢٣٦، ثلاثة ابيات لمحمد بـن المؤيد الاصفهاني، أولها:
أرقت للبرق يحنو ثم يأتلق
يخفيه عنك ويبديه لك الافق
أقول: هي للعتابي، في شعره ٤٠٨.
- ص٢٤٦، بيت الغزي:
والسحب من برد تسخ كأنما
ترمي البسيطة عن قسيّ البندق
في ديوانه الورقة ٦٦ ب.
- ص٢٤١ بيتان على قافية الباء للاصفهاني. اقول: هما لابي هلال العسكري في، شعره ٦١.
- ص٢٤٦، قول القائل،
واذا رميت بفضل كأسك في الهوا
عادت عليك مـن العقيق عقـودا
وترى عتاق الطير في وكناتها
تحتـار حـرّ النـار والسفـودا
اقول:
هما لابـن الرومي في: سرور النفس ٢٠٢، من مقطعة، واخل بـه ديوانه، وهو في مستدركنا عليه. بـرواية واذا ارتميت... في الهوى... رجعت عليك
ورواية الثاني. وترى طيور الجو في أرجاته
- ص ٢٥٧ بيتان لآخر على قـافية اللام: قـافية الأول: (البالي)، وقافية الثاني(الأذيال).
هما لسيف الدين المشد، ديوانه ٤٧٨.
- ص٢٥٨ بيتا الصفدي.
ياطيب نشر هب لي من ارضكم
فأثار كامن لوعتي وتهتكي
أهدي تحيتكـم وأشبه لطفكـم
وروى شذاكم ان ذا نشر ذكي
هما له في: الحان السواجع ١/١٤٨، تعريف ذوي العلا ١٤١، ١٤٢.
وبيتاه اول ص٢٥٩ في: تعريف ذوي العلا ١٤٢.
- ص١٧٥، آخر،
ولاحـت لرائيهـا الثريـا كأنهـا
لدى الجانب الغربي قرط مسلسل

هو: للشماخ في: فصول التماثيل ٤٦، واخل به ديوانه.
والأشهب بن رُميلة في: شعره (شعراء أمويون) ٤/ ٢٣٢.
- ص١٨٦: ابن المعتز:
أو ما رأيت هلال شعرك قد بدا
في الأفـق مثل شعيرة السكين
اقول: هو للسري الرفاء في: ديوانه ٢/ ٢٨٧
ولمحمد بن عبيد الله البلدي في: تتمة اليتيمة ١/ ٥٢.
ص٢٦٤-٢٦٥ بيتان لآخر، قافية الاول (همه) وقافية الثاني: (همه).
اقول: هما لبدر الدين يوسف الذهبي في شعره، جمع د. حسين علي محفوظ ٦٢.
- ص٢٦٥ بيتان لآخر على قافية الراء (مستهترا).
هما لشـرف الدين في: الوافي بـالوفيات ٦/ ٢٣١، فوات الوفيات ١/ ٥٨، المنهل الصافي ١/ ٢١٢ وفي حلبة الكميت ٢٤٧ بلا عزو.
- ص٢٦٥ بيتان لآخر على قافية الضاد: (راض)
اقـول: هما لمجير الدين ابـن تميم، وسـيعيد المؤلف ذكرهما في ص٢٦٥، فكان على المحقق ان ينتبه الى هذا.
- ص٢٧٢ بـيتا شـهاب الدين ابـن دمرتاش في: فوات الوفيات ٢/ ٢٨٢، مسالك الابصار ١٦/ ٢٠١
- ص ٢٧٩ ابيات ابن الرومي في: سكردان السلطان ٢٢١، صرف العين ٢/ ١٨ مقامات السيوطي ٤٥، بهجة النظر ٢٦٢
- ص٢٨٣، آخر، بيتان قافية الاول: الغمض
هما لابن المعتز في، شعره ٢/ ٦٠٩- ٦١٠.
- ص٢٩١، بيتان لآخر على قافية اللام.
هما لابـن الحجاج في: حسـن المحاضرة ٢/ ٢٠٤، ولابـن سكرة في: أحاسن المحاسن ٩١.
- ص٢٩٣ بيتان، اولهما:
قد اقبل الصيف وولى الشتا
ومـن قليـل نسأم الحـرا
هما: لتاج الدين محمد بـن عبـد المنعم بـن الحواري الحنفي في: عيون التواريخ ٢٠/ ٤١٠.
- ص٢٩٣، بيتان لآخر، أولهما:
غصون الخلاف أتت فانبرت
لهـا الطيـر شاكية شجوها
أقول هما للطغرائي في: ديوانه ٤١١- ٤١٢.
٣٠٦ بيتا ابن الرومي اللذان أخلّ بـهما ديوانه هما له في: ديوان المعاني ٢/ ٢٥.
- ٣٠٧ قول ابن المعتز:
وكأن البنفسج الغض يحكي
اثر القرص في خدود الجواري
وعلق المحقق ((نسـب البـيت في غرائب التنبـيهات ص٨٥ لابـن المعتز ولم نظفر بـه في ديوانه وهو في نهاية الارب ١١/ ٢٢٨ لأبي هلال العسكري)).
اقول، بيد المحقق مفتاح مهم لم يحسن استخدامه فلم يرجع الى، شعر ابي هلال العسكري والبيت فيه ص٥٣،

برواية (العذارى) في القافية.

- ص٢١٤: آخر.

تراه من قطع المرجان في قضب

زرق الشوابير أمثال الدبابيس

أقول: هو لمجير الدين ابن تميم في مستدركنا على الديوان، في نقد التحقيق ٢٢٧.

وبلا عزو في: نهاية الارب ١١/٢٢٥.

- ص٢٢٩، بيتا ابن الرومي اللذان اخل بهما ديوانه: هما في: ديوان الميكالي ١٤٥.

- ٢٢٠: شاعر، ثلاثة ابيات في الياسمين على قافية الباء.

هي في: حدائق الانوار ٢٢٦، بتحقيق هلال ناجي، وكذلك الحال مع القطعتين في أول الصحيفة ٢٤٤، فهما في الحدائق ٢٤٢، ٢٤٨ بيتان للزاهي. الثاني للسري الرفاء في ديوانه ٢/٨١٤.

- ص٢٤٨، آخر.

نارنجة حمراء أبصرتها

في كف ظبي مشرق كالقمرْ

كأنها في يده جمرة

قد أثرت فيها رؤوس الابرْ

أقول: هما للسري الرفاء في: احاسن المحاسن ١١١، مع ثالث.

ص٢٤٣ بيتان للزاهي على قافية القاف.

هما للمريمي واخل به شعره، جمع هلال ناجي.

ص٢٧٦ آخر، بيتان على قافية الدال، خرجهما المحقق على شعر ابن المعتز ٣/٢٧٢.

اقول: وهما للصاحب بن عباد، في: ديوانه ٢١٥.

ص٣٢٨ آخر، بيتان، اولهما

وأنربون أتاك في طبقة

كالمسك في لونه وفي عبقه

اقول: هما لابن المعتز في: شعره ٣/٢٣٦

- ص٤٠٥، بيتان لآخر في الفقاع، أولهما:

ومسجون بلا قفص جناه

له سجن بباب من رصاص

اقول: هما للقاضي ابي غانم عبد الرزاق بن ابي حصين المعري، في: خريدة القصر (الشام) ٢/٦٥.

- ص٣٦١ ورد بيتان لآخر، خرجه المحقق على غرائب التنبيهات لمجهول.

اقول: هما لابن المعتز في شعره ٢/٢٤١.

- ص٤٠٧ بيتان كتبهما على جرن حمام السلطان.

هما للصفدي في خزانة الأدب ٣١٦، فض الختام ١٢٤.

- ص ٤٠٠ البيتان النونيان في: النقانق.

في: الوافي بالوفيات ١٢/٤٧٩.

- ص٤٠٥ ثلاثة ابيات اولهما:

ومنزل اقوام اذا ما تقابلوا

تشابه فيه وغده ورئيسه

اقول:

هي لعبد العزيز بن احمد بن السيد بن مغلس الاندلسي البلنسي، في: الوافي بالوفيات ١٢/٤٦٦، مع رابع. ورواية صدر الاول: اذا ما اغتدوا.

ص٤٠١ مقطعة للصفدي، أولها:

ظننت العبد عن مصر تسلى

فأهدى جودك الوافي بسلا

أقول: هي له في: الوافي بالوفيات ١/٢٢٧ اعيان العصر ٥/٢٢٤، فض الختام. مخطوطة مكتبة الازهر. الورقة ١٤٥ - ١٤٦.

- ص٤٠٩، البيتان اللاميان في السرو. الوافي بالوفيات ٦/٤٠٢.

- ص٤٠٩ البيتان النونيان لـ(آخر)، هما للوداعي في: فوات الوفيات ٢/٢٠١ مسالك الابصار ١٦/٢٨١.

- ص٤١٧ ثلاثة ابيات لـ(أخر) أولها:

وتناشدت أطيارها ما بينها

بلغاتها كتناشد الشعراء

اقول: هي لمجير الدين ابن تميم في: المقتطف من أزاهر الطرف ١٥٢.

- ص٤١٧ بيتان لآخر، قافية الاول: صدرها.

اقول: هما لابن دفتر خوان في الوافي بالوفيات ٢١/٤٦٧.

الى هنا أمسك القلم عن تبيان بقية التخريجات التي تركها المحقق غفلاً.

وفي الكتاب عدد من التضمينات لم يشر اليها المحقق أو يعرف باصحابها ويخرجها على مظانها:

- ص٢٢٤.

وسد علينا الجو نشر ضبابه

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

أقول: لم يضع المحقق العجز داخل قوسين، ولم يذكر انه صدر بيت مشهور لبشار بن برد في ديوانه ١/٣١٨، وعجزه:

واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

- ص٢٤٤ بيت الصفدي:

فانظر الى عجب السحائب انها

سال النضار بها وقام الماء

اقول:

هذا العجز حاله كحال سابقه: فهو عجز بيت للمتنبي، ديوانه ١١٦.

- ص٢٩١ بيت مجير الدين ابن تميم

ترفق فما هذي دموعي التي ترى

"ولكنها نفسٌ تذوب فتقطر"

أقول: العجز لمجنون ليلى، في ديوانه ١٣٤، ونسب الى بشار بن برد، في ديوانه ١/٥٢٤ والى أبي حية النميري في شعره، مجلة المورد، ١: ١٩٧٥م، ١٤٧، وصدره: وليس الذي يجري من العين دمعها.

- ص٣٢٠ بيت مجير الدين ابن تميم:

الا فانظروا منه بنانا مخضباً

وليس لمخضوب البنان يمين

أقـول: العجز لكثير عزة، ديوانه ١٨٦، ونسب الى قـيس بن ذريح، في: شعره ١٥٠، وصدره: وان حلفت لا ينقض النأي عهدها.

-ص٤٣٢: الصفدي

كلّ علا غصناً وكل حديقة

فيهـا امـير المؤمنـين ومنبـر

أقول:

العجز هو عجز بـيت للمسـاور بـن هند، في الحماسـة ((عسيلان)) ٢٥٢/١، الحماسة برواية الجواليقي.

١٣٦، وصدره: وتشعبوا شعباً فكل جزيرة.

كما يحسن وضع عجز البـيت الوارد في الصحـيفة ١١١ داخل قوسين، لأنه لعنترة بـن شـداد: (وخلا الذبـاب بـه فليس ببارح).

ملاحظة أخرى

١- البـيتان الرائيان لمجير الدين ابـن تميم في ٢٢٢، ٢٢٣، سبق ان وردا في ص٩٨، والبـيتان الضاديان ص٣٠٤ وردا من قبـل في الصحيفة ٢٦٥، وبـيت ابـن بابـك المفرد في ص٢٨٧ أعاده المؤلف ثانياً في الصحيفة ٢٩٠. ولم يشر المحقق الى هذا التكرار من المؤلف.

٢- في الكتاب كلمات بحاجة الى تفسـيـر، الا ان المحقـق غضّ النظر عن التعريف بـــهـا، وهذا واضح في ص٢٩٦: الكماج، السكردان. وفي ص٣٩٩: اسفيذ ناجة وفي ص٤٠١: بسلا وفي ص ٤٠٢: طلطماج ....الخ.

٣- ص٣٧٢:

كـأنما العناب في دوحـه

لـمّا تناهـى حسنــه واستتـم

أقراط ياقوت تبدّت لنا

أو انمـلا قـد طرّفـت بـالعنـم

أقـول: ورد في عجز الثاني (انملا) بـالنصب، وحـقّها الرفع. وينظر: نهاية الارب١١/١٤٢، مصدره.

-ص٣٧٨: ((أحمد المتفتل(كذا))).

قال عباس الجراخ:

صواب اللقب: (المتفتل). وهو عبد العزيز بن خيرة.

أما (احمد) الذي يسبـق اللقـب، فأصله: (ابـو احمد)، على عادة الصفدي في حـذف كلمة [ابـن] او [ابـو] من الكنى. وهو أمر فات هلال ناجي، ولو عرفه لوضع [ابـــو] داخل عضادتين.

كما فاته انه هو نفسه: (ابن خيرة) الوارد في الصحيفة ٤٠٠

٤- ص ١٧٦

كأن الثريا في أواخر ليلها

بنان امرئ قـد قدهـا لسؤال

أقول: (قدها) خطأ، الصواب: مدها.

-ص٢٤١: ورد بـــيتان في الرعد والبرق (للأصفهاني)، فعلق المحقق: "لم يفصح المصنف عن اسـم الاصفهاني هذا، ولم اجدهما في ديوان ابن طباطبا، الأصفهاني.

اقول: هو محمد بـن المؤيد الاصفهاني الوارد قبـل ذلك في ص٢٣٦، وله ثلاثة أبيات في البرق.

-ص٤٠٢: "محمد بن علي التميمي".

فعلق المحقـق: "هكذا في الأصل، ولعل الصواب: محمد بن علي بن تميم".

قال عباس الجراخ:

بل صواب الاسم: علي بـن محمد التميمي، وهو شـاعر مصري، اورد الصفدي في الكتاب نفسه في الصفحـات ١٦٠، ١٦١، ١٩١، ٢٧٦ قطعاً من شعره.

ولا أدري كيف جاز الأمر على المحقـق، وهو يترجم له في ص ٤٦٧، ولم ينتبه الى ترجيحه غير الصحيح ؟

-ص ٢٩١:

وبورانية طبخـت بليـل

(بيـاض أصـل المـخطـوط)

قـلت: لا يصح اثبـات تعليق المحقـق في عجز البـيت، فمكان التعليق في الحاشية، وكان بإمكانه كتابة هذه العبارة هناك، وليس في المتن.

-ص ١٢٥: "والاشتراك في كيفية ملموسة كتشبيه اللين بالخز، والخشن بالمسح".

فعلق المحقق: "المسح: كذا في الأصل".

أقول:

وكأني بـــه ينكر رسـم الكلمة ومعناها، وهذا غريب جداً، اذ انّ معناها واضح من سياق النص المثبت وكذلك في البيتين اللذين اوردهما المؤلف لشاعر في هجاء اللحية.

المسح: قطعة كبيرة وغليظة من شعر الماعز او الحمار ووبر الجمل، ونسيج من صوف غليظ خشن.

ينظر: لسان العرب: مسح.

-ص ٢٩٣ وردت ثلاثة ابيات لعلم الرؤساء، اولها:

وافى الصيام فوافتنا قطائفه

كما تستمت الكثبان من كثب

وذكر المحقق في هامشـه ان البـيت الاول انفردت بـه مخطوطة الكشف والتنبيه.

اقول: الابيات كلها في: النجوم الزاهرة في حلى حضرة ((القاهرة)) ٢٦٦ وهو أحد مصادر المحقق!!!

تراجم الاعلام

بـعد انتهاء النص اثبـت المحقـق تراجم الاعلام في الصفحـات ٤٣٢- ٤٩٤، وفيه ترجم لـ(٢٠١) علماً بـذكر سـنة الولادة والوفاة وشيء من حـياة العالم وآثاره وديوانه ومن حققه واين طبع. ثم يختم ذلك بمصادر الترجمة.

وهذه التراجم قد تكون موجزة جداً، او طويلة جداً.

ويلاحظ عليها:

١- التكرار، سبـق لهلال ناجي ان ترجم لسـتة عشـر علماً في حواشي النص المحقق، ثم عاد هنا فكرر تراجمهم، من دون منهج محدد.

والاعلام هم:

- ابن أبي عون والحاتمي وابن ظافر الازدي والثعالبي. ص٥٢.
- الوطواط، ص٥٢.
- ابن البواب وابن نفاذه، ص٦٧
- العتبي، ص٦٨
- ابن النحوية والرماني، ص١١٧
- ابن سعيد المغربي، ص٦٩
- ابن مماتي، ص١٢٨.
- المنازي، ص١٢٩.
- شهاب الدين محمود، ص١٧٠.
- الهروي، ص١٧٧.
- ابن الطراوة، ص٣٠٦

لقد كان الاولى بالمحقق عدم وضع تراجمهم في الهوامش، والاكتفاء بإثباتهم في نهاية النص.

٢. الخطأ في ايراد المعلومات عن آثار المترجم له.

ففي ص٤٣٣ ترجم لأبي هلال العسكري وذكر أن من مؤلفاته (المصون).

أقول: هذا وهم، فالكتاب لأبي أحمد العسكري، وهو مطبوع بتحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٠م.

في ص٤٥٧ ترجم لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وقال نشر شعره د. قحطان عبد الستار في مجلة كلية آداب البصرة سنة ١٩٨٢، واستدركت عليه كثيراً ينظر كتابنا ((المستدرك على صناع الدواوين أقول: الصحيح أن د. نوري القيسي استدرك عليه في مجلة المجمع العلمي العراقي مج ١، ج٤، ١٩٩٠م، وقد اخذ هلال ناجي هذا المستدرك الذي ضم ١١ قطعة في ٢٣ بيتاً وادعاه لنفسه في كتابهما المشترك: المستدرك على صناع الدواوين، وليس كتابه وحده.

- ص٤٤٥ ذكر أن شعر ابن الحجاج مازال مخطوطاً.

أقول: حقق د. علي جواد الطاهر (درة التاج من شعر ابن الحجاج)، باختيار بديع الزمان الاصطرلابي، ضمن اطروحته للدكتوراه في السوربون، ١٩٥٢م.

وحقق د. نجم عبد الله مصطفى (تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج) باختيار ابن نباته المصري (ت٧٦٨هـ)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، ط١، ١٩٩٨م.

- ص٤٧٦ ذكر ان من مؤلفات ابن طباطبا المفقودة: (المدخل في معرفة المعمى من الشعر).

قال عباس الجراخ: الصحيح ان الكتاب موجود وقد حققه د. محمد بن عبد الرحمن الهدلق، في مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٦م، ص٦١-٩٩ بعنوان (رسالة في استخراج المعمى) وسبق ان نشرت على انها باب في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الاصفهاني، بغداد، ١٩٦٧م، دمشق ١٩٦٨م.

- ص٢٩٣، في ترجمة الجزار، ذكر ان كتابه (فوائد الموائد) مخطوط.

أقول: حققه د. ابراهيم السامرائي، ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢٧، ١٩٧٦م ٢٠٤-٢٢٥، مج٢٨، ١٩٧٧م، ١٥٣-١٧١، واعاد نشره في كتابه: رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ٢٠١-٢٦٨.

إهماله نشرات اخرى للدواوين

- ص٤٧٩ ذكر ديوان الشاب الظريف، طبعة ١٩٦٧م بتحقيق شاكر هادي شكر.

أقول: طبع ثانية في بيروت، ١٩٨٥م، وهي افضل من الاولى.

- ص٤٥٠ ذكر نشرة حسن كامل الصيرفي لديوان المنقب العبيدي.

واهمل تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

- ص٤٥٦ ذكر تحقيق د. يونس السامرائي لشعر ابن المعتز ببغداد.

أقول: طبع ثانية في بيروت ١٩٧٩م. وهناك نشرة اخرى بتحقيق د. محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧-١٩٧٨ بجزءين.

التعريف بالمشهورين

من المعروف بين المحققين الاكتفاء بتراجم المغمورين من الاعلام، وعدم التعريف بالمشهورين.

قال بذلك جمع من مقعدي قواعد التحقيق في كتبهم، ومنهم د. صلاح الدين المنجد[17] وعبد السلام هارون[18] و د. الصادق الغرياني[19] و د. يحيى الجبوري[20] و د. حسام النعيمي[21] ...الخ بل قال بذلك هلال ناجي نفسه في ارجوزته[22]:

وعرف المجهول من أعلام

واعزف عن المشهور في المقام

الا انه خالف هذا المنهج الذي اختطه هؤلاء الاعلام، ودعا اليه بنفسه، تعقيداً وتطبيقاً، اذ ترجم لجميل بثينة وامرئ القيس والحطيئة وأبي تمام وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وعبد الله ابن عباس والجاحظ وعنترة بن شداد والاخطل والأعشى والبحتري... الخ. في مجافاة للمنهج العلمي الذي دعا اليه، بل نقد عدداً من المحققين الذين فعلوا هذا، وكل هذا لزيادة حجم الكتاب.

الاطالة في الترجمة

الترجمة العلمية تكون موجزة جداً، الا ان هلال ناجي أطال فيما لا داعي له على الاطلاق، فقد ترجم ص٤٦١-٤٦٢ لعلي بن الجهم ترجمة طويلة جداً، وكذلك ترجم في ٤٧١-٤٧٢ للجاحظ، وكذلك الحال مع ضياء الدين ابن الاثير (ص٤٩١). والقاضي التنوخي (ص٤٦٨-٤٦٩)... الخ.

وهذا ما يناقض المنهج السليم في الترجمة المكثفة.

مع العلم ان بعض هذه التراجم فيها خروج على المادة نفسها، فحين ترجم للمنازي ذكر ان ذلك نسبة الى منازجرد، ثم كتب سطرين لا علاقة لهما بالترجمة تحدث فيهما عن جده عبد الوهاب الذي كان ضابطاً في الجيش العثماني!!!

الخطأ في اثبات سنة وفاة المترجم له

١ـ ذكر في ترجمة الباخرزي انه توفي سنة ٢٤٧هـ. والصواب ٤٦٧هـ.

٢ـ ذكر في ترجمة علي بن عبد العزيز الجرجاني انه توفي سنة ٣٦٦هـ. والصواب ٣٩٦هـ.

أوهام أخرى

ـص ٤٢٤ في ترجمة ابن قرناص، انه ابراهيم بن محمد الحموي، توفي سنة ٦٧١هـ.

أقول: هذا خلط بين شاعر آخر لم يرده الصفدي؛ فالصحيح انه محيي الدين بن قرناص. توفي سنة ٦٨٥هـ. ترجمته في: بدائع الزهور ٦١/١ /٣٥٦

٢ـ ص ٤٦٠ ان له كتاباً عن الببغاء صدر عن دار الغرب الاسلامي.

الصواب: صدر عن عالم الكتب.

٣ـ ص٤٢٢ في ترجمة ابن سهل المغربي قال ان اكمل طبعات ديوانه صدرت عن ((دار الغرب الاسلامي في بيروت بتحقيق.)). ولم يذكر اسم المحقق.

اقول: هو محمد فرج دغيم.

٤ـ ص٤٩٤ ذكر ان لابن زيلاق رسائل مفقودة.

أقول: الصواب ابن زبلاق. بالباء الموحدة. وهو ماأثبتة عند جمعي شعر الشاعر وله رسالة في: مسالك الابصار ١٦ الورقة ٨١ـ ٨٢ المطبوع ١٢٧/١٦ـ ١٢٨.

٥ـ ص٤٩٠ قال: صنع د. محمد قاسم مصطفى وسناء طاهر محمد ذيلا مهماً على ديوان الخبزارزي بمجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٦.

أقول: هذا كلام غير دقيق، فالعمل ليس مستدركاً على الديوان، بل هو الرجوع الى المظان التي حوت شعراً للشاعر والرجوع كذلك الى مخطوطة الديوان، بل ان الجامعين نبها في مقدمة عملهما الى انه ليس استدراكا.

اهمال ترجمة عدد من الاعلام

اخل هلال ناجي بترجمة جمع من الاعلام المهمين، وبعضهم مشهور باللقب فقط، فلم يعرفهم، لأنه ليس على اطلاع بهذه الحقبة كما أسلفت. وهم:

١ـ جمال الدين يوسف الصوفي (ورد ص٢٠٥).

هو: يوسف بن سليمان بن ابراهيم الشافعي. ولد سنة ٦٩٣هـ، شاعر مجيد في المقاطيع توفي سنة ٧٥٠هـ.

ترجمته في: اعيان العصر ٢٤٦/٢، فوات الوفيات ٣٤٣/٤، الدرر الكامنة ٢٢٩/٥٥، الوافي بالوفيات ٢٠٨/٢٩، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٩٣/١٠.

٢ـ العفيف التلمساني (ورد ص٢٥٥).

هو: سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، متصوف، شاعر، اتهم برقة الدين ونسب الى الزندقة. حقق ديوانه د. يوسف زيدان، الجزء الاول منه، مصر، ١٩٨٩م. توفي سنة ٦٩٠هـ. ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٤٩/١٥، فوات الوفيات ٧٢/٢، تذكرة التنبيه ١٤٧/١، المنهل الصافي ٢٨/٦، شذرات الذهب ٧٧/٦.

٣ـ العلم المرصنص (ورد ص٢٩٢)

هو: يوسف بن عبد العزيز بن شداد الهمذاني المصري. شاعر توفي بحلب سنة ٦٢٨هـ.

ترجمته في:

قلائد الجمان ٤٧٧/١، المغرب (قسم مصر) ٢٧٩، الوافي بالوفيات ٢٥٢/٢٩، الاعلام ٢٣٨/٨.

٤ـ ابن خيرة (ورد ص٤٠٠)

هو: عبد العزيز بن خيرة القرطبي، المشهور بالمنفتل المغربي، من رجال القرن الخامس الهجري.

ترجمته في: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١، ج٧٥٤/٢، الوافي بالوفيات ٤٧٩/١٨.

٥ـ شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز (ورد ص٤٠٧)

هو: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الدمشقي، المشهور بابن الرفاء ولد سنة ٥٨٦هـ.

قرأ على الكندي، وروى عنه الدمياطي وبدر الدين بن جماعة. له ديوان كبير حققه د. عمر موسى باشا، في القاهرة.

ترجمته في: الذيل على الروضتين ٢٣١، ذيل مرآة الزمان ٢٢٩/٢، تالي كتاب وفيات الاعيان ٩٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٥٨/٨، فوات الوفيات ٣٥٤/٢، الوافي بالوفيات ٥٤٦/١٨، شذرات الذهب ٣٠٩/٥.

ـعبد العزيز بن مهذب (ورد ص٨٦ و ٤٠٢).

هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن مهذب اللغوي، من شعراء الدولة الفاطمية. له كتاب في اللغة.

ترجمته في: إنباه الرواة ١٨٤/٢، بغية الوعاة ١٠١/٢.

ـاحمد بن سليمان بن وهب (ورد ص٤٠٩)

هو: ابو الفضل احمد بن سليمان بن وهب بن سعيد، بغدادي، تقلد النظر في جباية الاموال. له ديوان شعر وديوان رسائل.

توفي سنة ٢٨٥هـ.

ترجمته في: معجم الادباء ٥٤/٢، الوافي بالوفيات ٤٠١/٦، الاعلام ٢١٣/١. وقد جمع شعره د. يونس احمد السامرائي ضمن كتابه (آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي، بغداد مطبعة المعارف، ط١، ١٩٧٩م: ٢٢٤ـ ٢٣٧.

ـعبد القاهر بن طاهر التميمي (ورد ص٢٨٢)

هو: ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفقيه الشافعي، له مؤلفات كثيرة منها (التكملة) وله أشعار. توفي سنة ٤٢٩هـ.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢٠٣/٢، البداية والنهاية ٤٤/١٢، يتيمة الدهر ٤١٤/٤، الوافي بالوفيات ٤٥/١٩، فوات الوفيات ٣٧٠/٢.

ـزين الدين عبد الكريم الشهرزوري (ورد ص ٢٨٢)

هو: عبد الكريم بن علي الشهرزوري القوصي، نظم الشعر والزجل، كان ضامن الزكاة بقوص، توفي نحو سنة ٧١٠هـ.

ترجمته في: الطالع السعيد ٣٢٤، اعيان العصر ٣/١٣٧، الدرر الكامنة ٢/١٤، الوافي بالوفيات ١٩/١٠٢.

- هاشم بن الياس المصري (ورد ص ١٦٢، ١٦٦، ٢٠٤).

من شعراء المئة الخامسة.

ترجمته في: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢١٢، عنوان المرقصات ٦٤، الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية ٥٩٢.

مع ملاحظة أنه ورد في: الكشف والتنبيه ١٦٢: (هشام) وهو خطأ لم ينتبه له المحقق.

- الشهاب عبد المنعم (ورد ص ٢٩٤)

هو: ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الخيمي، ولد سنة ٦٠٢هـ. صوفي، شاعر محسن، توفي سنة ٦٨٥هـ.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/٥٠، فوات الوفيات ٣/٤١٣، ٤٢٤، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٠٦، ٢٠٩، العبر ٥/٣٥٤ - ٣٥٥، شذرات الذهب ٥/٣٩٢.

- ابن أبي الثنا[ء] النصراني المعروف بكاتب قيصر (ورد ص ٢٢١).

هو اسحاق بن أبي الثناء، من اعيان النصارى المصريين، سكن القاهرة، اشتغل بالاعمال السلطانية.

ترجمته في: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٠١

- علم الملك (ورد ص ٣٠١)

هو: ابراهيم بن أبي الثناء، شقيق السابق، لقبه ابن سعيد المغربي.

ترجمته. النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٠١، ٢٠٢

الجلال ابن مكرم (ورد ص ٢٦٥)

هو: جلال الدين مكرم بن ابي الحسن بن احمد بن ابي القاسم بن حبقة الخزرجي، ولد في القاهرة، عمل لدى الملك الكامل.

ترجمته في: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٢٢، ٢٢٣.

الخاتمة:

وقفنا - في الصفحات السابقة - على بعض الملاحظ، النظرات النقدية الخاصة بتحقيق كتاب (الكشف والتنبيه) للصفدي، وقد رأينا خروج محققه هلال ناجي على قواعد التحقيق التي وضعها عدد من الباحثين، بله تلك التي كتبها بنفسه ونشرها في بعض كتبه ومقالاته الاستدراكية على الآخرين، وكان الأولى أن يسير عليها هو، لا أن يبتعد عنها، كما نبهنا على ما في تحقيقه من اضطراب وخبط في القراءة والتعليق، وتقصير شديد في تخريج القطع والنصوص النثرية الأخرى بشكل لافت للنظر، لعدم استفادته من مصادر رجع اليها صراحة، فضلاً عن تدخله في النص بالحذف والتعديل، خاصة في نسبة الأبيات الى الشعراء بشكل غير مقبول في المنهج العلمي، وما في الكتاب من أخطاء مطبعية أثرت سلباً فيه.

الكتاب - بعد هذا بحاجة الى تحقيق جديد، يعيد إليه نضارته ويعطيه حقه من التحقيق السليم المبني على القواعد العلمية المتبعة في تحقيق المخطوطات بعيداً عن اللهوجة والتسرع.

الهوامش

(١) ينظر: الكشف والتنبيه ٥١٦ أذ ذكر ان اخر عدد من مجلة المورد صدر هو العدد الثاني ١٩٩٩ م، وكان ذلك في تموز.

(٢) كنت قد اعلنت عن ملاحظاتي النقدية على هذا الكتاب في كتابي: في نقد التحقيق، بغداد ٢٠٠٢م: ٢٢٠.

(٣) اعاد المقدمة كلها في مقدمة كتابة: جنان الجناس للصفدي، العدد الثالث، ٢٠٠٢م: ٢٣-٤٨.

(٤) ينظر: تاريخ الادب العربي ٦(١٠-١١)/١٦٩.

(٥) لنا ملاحظات نقدية الى هذا الجزء نشرت في مجلة (العرب)، ج٣-٤، ٢٠٠٢م.

(٦) ينظر: كشف الحال في وصف الخال، بيروت، ٢٠٠٥م: ٤٢.

(٧) ولكنه نسي ان نريدها في اول ورود اسم الشاعر في الصحيفة ٨٦ ولم يترجم له فيها!!!

(٨) ينظر: الغيث المسجم ١/ ١٢٨، ٢٦٢، ٢٧٤، ١٨٢، ٢/ ٢٩٤، ٤٠٥، ٤٤٢، كشف الحال في وصف الخال ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٩٠، ١٠٤، ١٠٢، ١١٤، ١١٩، تشنيف السمع بانسكاب الدمع ٥٧، ٨٩، اختراع الخراع ٢٤، ٤٢، ٧٧، الختام عن التورية والاستخدام ١٠٨، رشف الزلال ٣٩ب.

(٩) قلائد الجمان ٦/٦٣.

(١٠) حسن التوسل الى صناعة الترسل ٢٠٦.

(١١) مراتع الغزلان - الورقة ٦٧، صحائف الحسنات ٦٩.

(١٢) المحاضرات والمحاورات ٢٨٠، كوكب الروضة ٢٧٢.

(١٣) في جمعه شعر احمد بن ابي طاهر ضمن اربعة شعراء عباسيون ٣٢١ أبقى الكلمة الفاحشة على حالها، وله خارج التحقيق ديوانان مملوءان بالفحش هما هذا (حيني زرعك يا سامري) و(الكشف والبيان عن حاتم البهلوان).

(١٤) كان هلال ناجي أحد المحققين الذين شاركوا في لجنة وضع قواعد تحقيق المخطوطات المنعقدة في بغداد عام ١٩٨٠م، باقرار هذه القاعدة. وينظر ماكتبه هو في مجلة المورد، مج ١٢، العدد الثاني ١٩٨٣م: ٢٥٠، مجلة العرب ج١-٢، ٢٠٠٧م: ٧٧.

(١٥) اعتمد على هذا القول المخلوء د. وليد محمد السراقبي في مقال

استدراكي له بمجلة العرب ج٥-٦، ٢٠٠٧م: ٢٨٧، من دون الرجوع الى شعر الذهبي، نقلا منه بكلام هلال ناجي.

(١٦) انتقد هلال ناجي في كتاب: المستدرك على صناع الدواوين ٢/٥١-٥٤ المرحوم د. كامل مصطفى الشيبي لانه لم يحسن الاستفادة من مصادر عنده، لكنه وقع في الأمر نفسه !!

(١٧) قواعد تحقيق المخطوطات ١٧.

(١٨) تحقيق النصوص ونشرها ٧٦.

(١٩) تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ١٠٨.

(٢٠) منهج البحث وتحقيق النصوص ١٥١.

(٢١) تحقيق النصوص بين المنهج والاجتهاد ٧٠.

(٢٢) موضحة الطريق الى اصول مناهج التحقيق، مجلة المورد، ع ٢، ١٩٨٦م: ١٨٠. وينظر مقاله في مجلة العرب ج١-٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ٦٤-٦٦.

ثبت المصادر والمراجع

في الصحائف ٤٩٥-٥١٩ صنع المحقق ثبتا بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب، ورتبها على وفق حروف المعجم، مع اهماله (أبو) في هذا الترتيب.

ويلاحظ عليه.

١- اورد في حرف الكاف: (كتاب التشبيهات) لابن أبي عون و(كتاب التشبيهات) من اشعار أهل الاندلس) للكتاني.

والصواب ان لا ينظر الى كلمة (كتاب)، بل يضعهما في حرف التاء.

٢- ديوان الراعي النميري تحقيق نوري القيسي وهلال ناجي، بغداد

الصواب ان يوضع في حرف الشين، لان اسمه: شعر الراعي النميري.

٣- ديوان ابن زبلاق الموصلي.

الصواب: ديوان الشهيد ابن زبلاق الموصلي.

٤- ديوان الطغرائي، حققه يحيى الجبوري وعلي جواد الطاهر.

الصواب تقديم علي جواد الطاهر.

٥- ديوان ابن قلاقس.

لم يذكر اسم المحققة وهي د. سهام الفريح.

٦- ديوان ابي نواس، بتحقيق احمد عبد المجيد الغزالي.

أقول: الأولى ان يرجع الى طبعة ايفالد فاغنر، او الى ديوان أبي نواس برواية الصولي، بتحقيق د. بهجة عبد الغفور الحديثي. فهما طبعتان علميتان.

٧- قدم (ديوان الاسود بن يعفر) على (ديوان ابي تمام)، وهذا خطأ في الترتيب المعجمي.

٨- كثير من المصادر المثبتة لم يذكر المعلومات الكاملة عنها، اسم المحقق ومكان الطبع وسنته... الخ من المعلومات البيلوغرافية.

منها: جامع الترمذي، الجامع الصحيح، طبعة المدينة المنورة! اين، متى؟

والجامع الصحيح البخاري طبعة مصرية.

فهل يجوز هذا.

وامتد الأمر الى عدد من اعماله: (ديوان الناشئ الاكبر) ذكر انه نشر في مجلة المورد من دون ذكر الاعداد والمجلدات والسنة و(التوفيق بالتلفيق) المشترك مع د. زهير غازي زاهد، اذ لم يذكر اين طبع ومتى

١- في الصحيفة ٥١٦ اورد (مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد) ثم ((مجلة المجمع العلمي العراقي)) ثم ((مجلة المورد)) ذاكرا اول عدد صدر من هذه المجلات وآخرى وهذا لا يجوز اذ لم يرجع اليها كلها فضلاً عن ان المواد التي اعتمد عليها ونشرت فيها ذكرها في الثبت.

وبعد فقد ورد في: الغيث المسجم في الكلام على الهلال ١/٥٢ ((وقد ذكرت الشواهد على هذه التشبيهات في مقتضب لي مسمى بالتنبيه على التشبيه)) ونظن ان (الكشف والتنبيه) هو مصنف آخر لا علاقة له بـ(التنبيه على التشبيه) الدرر الكامنة ٢/١٧٦، هدية العارفين ١/٢٥١.

في التصحيح اللغويّ والكلام المباح

كتاب
للدكتور خليل بنيان الحسّون

الدكتور طه محسن
جامعة بغداد - كلية الآداب

نشطت في العصر الحديث حركة التصحيح اللغوي، وها نحن أولاء نرى مؤيديها قد تنوعت ثقافتهم الأدبية، واختلفت مشاربهم اللغوية، وتفاوتت أساليبهم في البحث والاستقراء. فمنهم العارف المختص باللغة، ومنهم دون ذلك اختصاصا ومعرفة وتمكنا من التصويب. فلا شك والحال هذه في أن يرافق البحوث شيء من التشدد في قبول الكلم، والخطأ في النقد، والتسرع في الأحكام. وتخطيء ما هو صحيح، فينتج عنه اضطراب وضرر على العربية من حيث يقدر هؤلاء أنهم يخدمونها.

(وإذا كانت الغيرة على اللغة تحمل على تنزيهها من كل خطأ يشوب صفاءها فإن من مقتضيات هذه الغيرة ومن لوازمها إنصاف الصحيح منها وتبرئته من شبهة الخطأ ومن معرّته)[1]

وكان هذا دافعاً للدكتور خليل بنيان الحسون الأستاذ في جامعة بغداد إلى الانتصاف لما وسم بالخطأ وهو صحيح، واستبعد من الاستعمال وهو جدير به، فقدم آراءه في كتابه (في التصحيح اللغوي والكلام المباح) الذي نشرته في ١٩٩ صفحة مكتبة الرسالة الحديثة في عمان سنة ١٤٢٧ الهجرية الموافقة لسنة ٢٠٠٦ الميلادية.

اشتمل الكتاب على مقدمة وتمهيد وثلاثة أقسام وخاتمة سجل فيها خلاصة الفكرة التي انطلق منها والدوافع لتحقيق درسها.

تضمنت (المقدمة) حديثه عن أهمية التصحيح اللغوي، وجهد أصحابه وموارد مادتهم اللغوية، ونتاجهم، والتنبيه على إقدام طائفة منهم على تخطئة ما هو سليم قد وردت له أمثلة في كلام العرب الفصحاء واللغويين البلغاء، ويجيزه قياس العربية وتؤيده شواهدها.

واستهلّ (التمهيد) بالحديث عن نزوع اللغة إلى الجديد من القول بعد أن يضمحل قسم منها ويستهلك، فيهرع الناس إلى المستحدث الذي قد يقع فيه الخطأ. ثم تحدث عن العلماء الذين نبهوا على مواضع الإخلال منذ عهد مبكر من جمع اللغة ووضع ضوابطها، فانصرفوا إلى رصد ما يقع فيه العامة من الجنوح عن الصواب. ولكن سرعان ما انتقل الخطأ إلى الخاصة، فطفق العلماء ينبهون على أخطائهم واضعين زمناً محدداً لما يحتج به من الكلام هو منتصف القرن الثاني الهجري.

ويستغرب الباحث الفاضل من وضع هذا التأريخ حداً فاصلا بين مايقبل من القول في الاحتجاج وما لا يقبل، إذ لا دليل على أن كل ما قيل قبل هذا التأريخ انما هو من الصحيح السوي، وأن كل ما جاء بعده لم يسلم من الضعف. وله بعد هذا تنبيهات على وهن هذا الحكم ومسوغات لإنكاره.

ومع هذا فإن الحاجة إلى التصحيح اللغوي لم تنقطع في ما سلف، ولن تنتفي أبداً لتوفر أسباب وقوع الخطأ في الألفاظ والتراكيب والصيغ ما دام هناك كلام وكتابة في مكان وزمان.

ويتتبع المصنفات الأولى المنبهة على الأغاليط، فيخبر أنها متواترة منذ القرن الثاني الهجري. ويضع سرداً لما صنع في هذا الشأن تعداده(١٣) كتاباً بدءاً بأبي الحسن الكسائي ت١٨٩هـ وحتى أبي العباس ثعلب ت ٢٩١ هـ. وهو إرث غير قليل يصنف في هذه الحقبة في موضوع محدد.

وتواصل هذا الجهد بعد القرن الثالث، فامتد إلى عصرنا. وكثرت تصانيفه خلال القرنين الماضيين كثرة ظاهرة كان لأصحابها فضل في تنقية الأساليب مما يشوبها من الاستعمالات غير الصحيحة، إذ غدا الوقوع في الخطأ أفشى. وقد عزاه إلى أمور جاء في مقدمتها اتساع النشر في الصحف وغيرها من وسائل الإعلام، وتأثر الكثير من الكاتبين بما يقرؤون مكررين الخطأ، وتسرُّع الذين تلقوا علومهم باللغات غير العربية في النشر مع قلة تحصيلهم بها، زيادة على ما يسببه إغراء النشر في الاندفاع إلى الكتابة قبل الاكتمال والتمكن من ناصية القول الفصيح.

ويرى الباحث أن التصدي للتصحيح اللغوي، مع ما تأكد من فائدته، ينطوي على قدر كبير من المجازفة، إذ ليس من اليسير منع بناء أو تركيب لغوي استناداً إلى ما توافر لدى المانع من الشواهد، فاللغة باتساعها زماناً ومكاناً ومادة موروثة لا تسهل الإحاطة بكل دقائقها.

وعلى هذا وضع ضوابط وأصولاً استنبطها من تراث العربية، ومما تركه علماؤها في طرائق الاستدلال، وما

توصل إليه من تجربته، ورأى الأخذ بها قد يجنب المصحح العثار. وفي الآتي خلاصة لها[٢]:

الأول: أن ما خالف القياس في نظائره وشاع استعماله في اللغة لا سبيل إلى إنكاره. إذ إن رسوخه في الاستعمال يكسبه شذوذ وقبولا. وهذا ما أشار إليه سيبويه ت ١٨٠هـ[٣] ونص عليه أبو الفتح بن جني ت ٣٩٢هـ[٤].

الثاني: أن منع استعمال صيغة بحجة عدمها في القرآن الكريم إنما هو تشدد لا موجب له؛ فليس لأحد أن يقول إن القرآن قد استوعب كل ما نطق به العرب وإن غير الموجود فيه لا وجود له.

الثالث: أن ما ينكره عالم من العلماء ويفتي بمنع استعماله لأن العرب لم تتكلم به ينبغي أن تؤخذ فتواه في هذا الشأن بحذر وتمحيص.

الرابع: أن الاحتكام إلى المعجمات في ما يصح استعماله وما لا يصح لا يجري دائما؛ فإن المعجمات لم تستوعب كل المسموع وكل الوارد في النصوص الشعرية والنثرية المعتبرة. وقد استدرك المستدركون على المعجمات الكثير من الأبنية بدلالات أخلت بها.

الخامس: أن ما ثبت استعماله في مصنفات علماء اللغة الكبار والأدباء والشعراء المبرزين والمبدعين منذ القرن الثاني الهجري وما بعده لا سبيل إلى إنكاره.

السادس: أن ما خالف أصل دلالته في الاستعمال يحسن أن يحمل على أنه من قبيل التطور الدلالي إن كان ثمة وشيجة بين ما كان يؤديه في الأصل وما آلت إليه دلالته في الاستعمال ولاسيما إذا كان هذا الاستعمال يمتد إلى عهود سابقة.

السابع: ليس كل ما يوصي المصحح بوضعه موضع اللفظ المخالف للصواب يمكن أن يقبل، إذ إن كثرة استعمال اللفظ تجعله مأنوسا فتألفه الألسن والأسماع بخلاف البديل الذي يبدأ غريبا عند تقديمه على أنه الأصح. وعلى هذا ينبغي أن يكون اللفظ البديل في صيغة تيسر حلوله محل اللفظ المرفوض.

الثامن: لا يلزم من يكتب في العلوم البحتة التي تتوخى الإفهام من أي سبيل التقيد بما يتقيد به عالم اللغة والكاتب في الإبداع الأدبي.

ولذا فالمؤلف يتقبل ممن يكتب في الكيمياء وغيرها من العلوم أن يعطف على المضاف قبل استكمال المضاف إليه حين يقول: (كبريتات والومنيات الكالسيوم) لأن (هذا وارد في كلام العرب نثرا وشعرا). وفي مقابل هذا يوجب التشدد بمنع هذا الضرب من التعبير في الأساليب الأدبية، إذ لا يصح عنده القول: (نظرت في أغراض ومعاني شعر المتنبي) فهي، على ما يرى، صياغة نابية في هذا المقام يلزم تخطئتها وإنكارها وتبرئة الأساليب الأدبية واللغوية منها لمخالفتها ما تقرر فيها من أحكام اللغة[٥].

ولا أوافقه في هذا المذهب لما فيه من اختلاف في القول ومجانبة للعرف القائم على التزام الجميع بمراعاة قوانين اللغة، لأن الموقف منها لا يمكن أن يتجزأ بين طائفتين. نتقبل من إحداهما تركيبا نقيم النكير على أخرى استعملته، ونوجب التشدد عليها بمنع هذا الضرب من التعبير؛ لأنها صياغة نابية يلزم تخطئتها وإنكارها.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية إن العطف على المضاف قبل استكمال المضاف إليه تركيب صحيح وأسلوب فصيح له أدلة سأدونها في موضعها المناسب من خاتمة هذه الدراسة.

أعود إلى القول: إن الدكتور الحسون راح يناقش على وفق القواعد المتقدم بيانها ما وجده من تخطيء الكاتبين للكلام الصحيح، ويستدل على أن قدراً منه لا يعدم الشاهد والدليل. واختار من بين مصنفاتهم أو ما تقرر على السنتهم ثلاثة مصادر وزع الحديث عنها في ثلاثة أقسام جعلها تحت باب (الكلام المباح) وهي:

القسم الأول: (المباح مما منعه الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص). والكتاب من أشهر ما ألف في الموضوع. وقد أباح الباحث استعمال واحد وعشرين لفظا كان القاسم الحريري ت ٥١٦هـ يعدها من الأوهام وحظر النطق بها.

القسم الثاني: (المباح مما منعه الدكتور مصطفى جواد في قل ولا تقل). وهذا الكتاب هو من أشيع ما ألفه المعاصرون في موضوعه. وقد أباح الباحث استعمال سبعة عشر لفظا وتركيبا نهى الدكتور جواد عن استعمالها في القول.

وأشير هنا إلى الأستاذ صبحي البصام الذي أصدر كتابه (الاستدراك على كتاب قل ولا تقل) عام ١٩٧٧. وله فضل السبق في رد أربعة عشر تصحيحا من مقالات الدكتور جواد، وختم كتابه بالتصحيحات التي كان مسبوقا إليها صاحب (قل ولا تقل). وكنت أود لو خصه الدكتور الحسون بالذكر في صدر القسم الثاني ونوه بكتابه دون الاكتفاء بذكره في ص ٩٢، مع أنه اعترف له بالفضل لتقدمه في تصحيح قولهم (هادنه وفق شروط) من دون (على) التي أوجب الدكتور مصطفى جواد تقديمها على (وفق)[٦].

القسم الثالث: (المباح مما منعه المانعون). وهم عدد من الذين جروا على إنكار طائفة من الأبنية والدلالات والتراكيب وهم يتصدرون للمناقشات العلمية في اللغة والأدب وغيرهما. واختار الباحث اثنتين وعشرين لفظة رأى وجه الصواب في استعمالها بعد إذ وصموها بالخطأ. وبذا كمل عدد المسائل في الكتاب الستين.

إن موارد هذا القسم تختلف من حيث التوثيق عنها في القسمين المتقدمين اللذين جاء فيهما القول عن عالمين مشهورين في كتابين معروفين.

دأب الباحث في الأقسام الثلاثة على أن يسجل لفظ التصحيح ويردفه بكلام المصحح واستدلاله على خطأ التركيب ثم يعقب عليه ويبين وجه الخطأ بالأدلة.

وفي مقدمة هذه الأدلة (السماع)، وهو على ما يقول

جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ: (ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته. فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن وكلام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا)[7].

ولكن السماع لدى الدكتور الحسون أوسع وأشمل، لأنه لا يأخذ بما تواضع عليه اللغويون من تحديد زمن الفصاحة بمنتصف القرن الثاني الهجري، فهو يرى (أن ما ثبت استعماله في مصنفات علماء اللغة الكبار والأدباء والشعراء المبرّزين والمبدعين منذ القرن الثاني الهجري وما بعده لا سبيل إلى إنكاره)[8].

وبهذا اتسعت دائرة الأخذ بالنصوص لتشمل اللغويين والأدباء وما روي عن الفصحاء في كتب المتأخرين. فكان يحتج بما اشتملت عليه كتب الخليل بن أحمد "ت ١٧٠هـ" وأبي العباس المبرد "ت ٢٨٥هـ"، والحسين بن خالويه ت ٣٧٠هـ وعبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ، وأبي البركات الأنباري ت ٥٧٧هـ، وجمال الدين بن مالك ت ٦٧٢هـ، وأبي الحسن الأشموني ت ٩٢٩هـ، ومحمد بن محمد الدلائي ت ١٠٨٩هـ، ومحمد مرتضى الزّبيدي ت ١٢٠٥هـ.

والمقدم من الشواهد هو (القرآن الكريم) الدليل الفصيح الصحيح. ومواضع الاحتجاج بآياته كانت عنده قليلة بالاضافة[9] إلى أنواع الشواهد الأخرى، ذلك أن المصححين وهم يصوبون الأساليب كان هو مصدرهم الأول قبل غيره يتحرونها فيه ما امكنهم، ومع هذا الحرص والتحرّي ندّت عنهم مواضع منه جاءت على خلاف ما حكموا به. فكان للدكتور الحسون أن استدركها في بضع مسائل[10].

ويأتي بعده من أدلة السماع (الحديث الشريف) وما يجري مجراه من كلام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم الوارد في مصادر الحديث والخطب، وفي كتب الأدب والبلاغة.

فقد رجع إلى (المسند) لأحمد بن حنبل[11] وإلى (الموطأ) لمالك بن انس[12] وإلى صحيح مسلم[13]) وإلى سنن النسائي[14] وإلى (نهج البلاغة)[15].

ومن أنواع النثر الأخرى أقوال الفصحاء العرب وحكمائهم، منه: عمرو بن كلثوم[16] وعمرو بن سعيد بن العاص[17]، وعمر بن أبي ربيعة[18]، ومطرف بن عبد الله العامري[19]، وأبو حمزة الخارجي[20].

وسبق القول إن شواهده لا تقف عند زمن هؤلاء، بل تعدتهم إلى أقوال العلماء، والخلفاء البلغاء والأدباء الذين خلفوا مؤلفات في العلوم العربية بدءاً بالخليل بن أحمد وحتى محمد مرتضى الزّبيدي. وبلغ ما أورده من النثر (٢٤٠) شاهد[21] على (٢٥) مسألة.

وللشعر حضور جليّ في الكتاب. وقد كثر الاحتجاج به حتى إنه لتزيد شواهده في المسألة الواحدة أحياناً على العشرين. وبلغ ما احتج به على (٢٥) مسألة و(١٢٤) شاهد جُلّها للشعراء الجاهليين والإسلاميين، ولم يتجاوز عدد المتأخرين أصابع اليد، منهم: أبو طالب المأموني ت ٣٨٥هـ[22] وابن سهل الأندلسي ت ٦٤١هـ[23] وجمال الدين بن مالك في خلاصته الالفية[24].

وهذه النصوص المختلفة لم يجرِ إيرادها على سنن واحد في المسائل فمن التراكيب ما تأيدت صحته بآيات القرآن الكريم وحدها[25]، مثل مجيء لفظ (أحد) في الموجب من القول[26]، ومجيء (بصُر) مضموم الصاد لما يُرى بالعين[27].

ومنها ما تأيد بالنثر وحده، مثل مجيء (الحث) بمعنى (الحضن)[28]، وصحة تركيب (نفس الأمر) وما يشبهه[29] وتركيب (عدة كتب) وما يشبهه[30].

ومنها ما تأيد بالشعر مثل صحة مجيء (التواتر) بمعنى (التتابع)[31] ومجيء تركيب (قتله الحب) بمعنى (اقتتله)[32].

ومنها الذي جاء مؤيدا بالقرآن والنثر معا مثل مجيء (خاصة) منصوبة على الحال[33]، أو مؤيدا بالنثر والشعر معا، مثل صحة قولهم (فضلا عن)[34] ومجيء (لعل) لغير معنى الترجي[35].

ومنها ما جاء الاستدلال له بنصوص القرآن والنثر والشعر مجتمعة، مثل صحة تقديم (الصادر) في قولهم (الصادر والوارد) خلافاً لما أوجبه الحريري من وجوب تأخيره عن (الوارد)[36].

هذه خلاصة لمجاميع الشواهد التي كونت العمود الفقري لإجازة الدكتور خليل الحسون استعمال ما حظروه من صحيح اللفظ، وهو جهد يكشف عن بحث مكين.

على أن في الكتاب مسائل لم يؤيدها بشيء من السماع[37]، إمّا لعدمه في موروثنا الفكري، وإمّا لأنه استعاض بأدلة الترجيح الأخرى حين رأى قلة جدوى إثبات شواهدها لوضوح صوابها. وإمّا لأن الرد قام على إصلاح ما وهم فيه المصحح اللغوي، أو قام على استدراك ما قصر فيه من مراجعة أصول اللغة وقواعد الإعراب والصرف.

ومن الغريب أن بعض المصححين تعجل في إنكار صيغ ثبت ورودها في (المعجم) لذلك استدرك الباحث عليهم طائفة منها بعد مراجعاته الدقيقة في المعجمات، وبلغ ما ذكره منها (١٥) استدراكاً، وهو عدد غير قليل يشير إلى قلة الاحتياط وعدم التحفظ لدى قسم من أهل التصحيح. وهذه التنبيهات قرنها بالشواهد وبأدلة أخرى عززت صحتها.

من ذلك[38] أن الحريري عدّ من الأوهام أنهم (يقولون للمتتابع متواتر فيوهمون فيه، لأن العرب تقول: جاءت الخيل متتابعة إذا جاء بعضها في إثر بعض بلا فصل، وجاءت متواترة إذا تلاحقت وبينها فصل)[39].

وضعف الدكتور هذا الرأي بشواهد الشعر التي اتبعها بقوله: (وفي المعجمات يفسر التواتر بالتتابع. أما الفصل وعدم الفصل فإنه يكون مع كل منهما وذلك مرهون بالسياق الدال عليه).

ومن ذلك تصحيحه قول الحريري: (ويقولون: أزمعت على المسير ووجه الكلام: أزمعت المسير). إذ أثبت عبارة (لسان العرب) و (تاج العروس) وهي: (قال الفراء: أزمعته وأزمعت عليه، مثل أجمعت وأجمعت عليه). ثم عزز القول بشواهد ثبت فيها التركيبان. فهما عنده جائزان، ولا دليل على ترجيح أحدهما على الآخر.

ومن العلل التي استند إليها (القياس) و (مراعاة النظير). فقد استعمل الأول في رده قول الحريري (ويقولون في جواب من مدح رجلاً أو ذمه: نعم من مدحت، وبئس من ذممت والصواب أن يقال: نعم الرجل من مدحت، وبئس الشخص من ذممت).

ولم يقدم الدكتور شاهداً على إجازته. لكنه ذكر (أن سياق الكلام واشتمال الجواب على ((من)) الدال على العاقل... يغنيان عن ذكر الفاعل المذكور في قول المادح أو الذام) وأكد الجواز قياساً ما أجازه النحويون من مجيء ((ما)) بعد (نعم) و (بئس) (ففي قولنا: نعم ما الوفاء وبئسما الغدر يكون التقدير عندهم: نعم شيئاً الوفاء أو: نعم الشيء الوفاء. وقد تأتي ((ما)) اسماً موصولاً كأن يقول قائل كلاماً أو يفعل فعلاً فتعقب عليه قائلاً: نعم ما قلته. أو: نعم ما فعلته.

و ((نعم ما قلته)) في غير العاقل كـ ((نعم من مدحت)) مع العاقل المذكور سابقاً، وهو الرجل في مسألتنا... فالوجهان ماثلان مثولاً ظاهراً في الجملتين ومتوافقان توافقاً تاماً على التقديرين).

أقول: وربما كان محل الإشكال عند الحريري أن (نعم) لا يليها عند اللغويين (من) لعدم الشروط التي وضعوها لفاعلها. وإذا لم يقدم الباحث شاهداً عليها فإن تعزيز ما ذكره من دليل هو قول الشاعر:

وكيف أرهب أمراً أو أراع لـه

وقد زكأت إلى بشر بن مروان

ونعم مزكأ من ضاقت مذاهبه

ونعم من هو في سـر وإعلان

ومن مواضع توجيهه الصيغ على (مراعاة النظير) مسألة حذف (لا) من (لا سيما) حملاً على نظيره في آيات الذكر الحكيم. منها قول الله تعالى: (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين). والتقدير: لا تفتأ. والمسوغ لحذف (لا) دلالة (تفتأ) عليها لملازمتها إياها. (وإذا كانت الملازمة الدالة هي المسوغ الحذف، فإن حذف ((لا)) من ((لا سيما)) جائز بمقتضى هذا التوجيه. ولعله أجوز، وذلك لأن ملازمة ((لا)) لـ ((سيما)) أمتن من ملازمة ((لا)) [illegible]

قال المؤلف: هذا [illegible] من الشواهد التي [illegible] فيها (سيما) من دون (لا) خلافاً للأوجه [illegible]

وليست الأصول المتقدمة هي كل ما اعتمده في الاحتجاج فقد مضى يضاعف حججه بأمور [illegible] مثل غيرها

منها [illegible] (كثرة الاستعمال) أو (الأغلب في الاستعمال) أو (الرسوخ في [illegible]) أو (الشيوع في الاستعمال) وهي علة استند إليها اللغويون في ضبط القواعد وتوجيه المشكل من الصيغ توسيعاً على العربية، وتنشيطاً في إغناء تراكيبها.

فقد جوز صيغة (تتابع) بالباء الموحدة في ما هو من قبيل [illegible] أو المنكر خلافاً لما أوجبه الحريري من تخصيصها بما يكون في الصلاح والخير ويكون (التتابع) بالياء المثناة لما يختص بالمنكر والشر.

وأورد شواهد من الحديث والشعر على هذا التجويز [illegible] التقارب بين اللفظين، وجريان المجاز في الفعل مع مراعاة السياق. ثم خلص إلى القول: (وهذا التوافق بينهما في اللفظ والمعنى مع كثرة الاستعمال واحتمال التصحيف... إلى أن يستتب الأمر للفعل (تتابع) في الحالين دون ((تتايع))، إذ هو أكثر استعمالاً لدلالته على التتالي والتوالي، فأغنى عنه لذلك).

وجوز استعمال (عمم) ومصدره (التعميم) بمعنى جعله عاماً خلافاً لمن منع استعماله بناء على أنه لم يرد بهذا المعنى في معجماتنا، وأن الذي يحل محله هو (أعم) ومصدره (الإعمام). واحتج لمذهبه بما وجده من ورود هذا الفعل ومصدره كثيراً في أساليب العلماء، ثم صرح بعد أن أورد نصوصاً من كلامهم قائلاً: (يتضح مما أثبتناه أن ((أعم وعمم)) متوافقان في الدلالة على التعميم، وهما سواء في أداء هذا المعنى، وإن كنا نؤثر [illegible] استعمال ((عمم)) المضعف لسببين:

1. أننا وجدنا من النصوص ما يوثق استعماله، ولم نجد في مقابل ذلك نصوصاً اشتملت على ((أعم)) بهذه الدلالة.

2. إن عممه تعميماً هو الاستعمال الأكثر [illegible] في الاستعمال على نطاق الوطن العربي في [illegible]، بل هو وحده المستعمل بهذه الدلالة. فهو لذلك أولى بالاستعمال. والألفاظ كما هو معروف تكتسب بالشيوع قوة وترجيحاً).

ونوقف [illegible] الغفلة عن إمكان [illegible] الألفاظ عن دلالته اللغوية في تركيب الكلام كثيراً من المصححين حين خطأوا ألفاظاً صح استعمالها في سياق الجملة. وللدكتور الحسون تنبيهات مفيدة حين ربط مراعاة بين حقيقة الكلمة ومجازها أو تطور دلالتها.

من ذلك أن الحريري ذكر [illegible] يقولون: [illegible] من [illegible] رق. وكلام العرب [illegible] رق، أي من حيث ضعف).

ولم يستدل الحريري بشاهد تأييدا لقوله، كما لم يستدل الدكتور الحسون بشاهد وهو يعقب عليه، ولكنه رأى أن (الاشبه ان يكون ذلك قد نجم عن ابدال فغدا لغة لقوم، إذ الرقيق والركيك مارق ولان، والقسطع من جهة مارق كالقطع ساطعة... وإذا كان كل مارق ورك يتجاوز دلالته الاصلية فيكتسي دلالة مجازية في نحو قولنا: هو رجل رقيق الحال. وهذا قول ركيك فما الذي يمنع أن يستعمل أحدهما بمعنى الأخر محمولا على وجه المجاز مع التوافق الحاضر في دلالتهما؟)[٦٠].

ومن مسوغات الجواز (أمن اللبس) ذكره مؤيدا صحة (قيمه) بالياء بمعنى قدر القيمة أو حدد السعر، مع أن صوابه: قوم. فهو مثل: جوز وكون ولون: (والحجة التي تحمل على إجازته إنما هي تحاشي اللبس، لأن الأظهر في دلالة ((قوم)) أنه بمعنى عدل وأصلح، أو جعله قائما، في حين أن ((قيمه)) ادل على قدر قيمته وعرف قدره)[٦١].

والذي أراه وجوب استعمال (قوم) لا (قيم)، لأن أصله الواو لا الياء، ولا لبس في ذلك، والسياق كفيل بدفعه إن وجد، ولا شاهد يؤيد استعماله بالياء.

ومنها (إصالة اللفظ في العربية) اعتل به في ترجيح لفظ (التهريب للبضاعة) على (البهرجة) التي وضعها الدكتور مصطفى جواد بديلا عنه[٦٢]. إذ (ليس ثمة وجه للمفاضلة من أي سبيل بين استعمال ((التهريب)) اللفظ العربي الأظهر في الدلالة على ما وضع له واستعمال بهرج يبهرج المشكوك في اصالته في اللغة)[٦٣].

ومنها (أصل المعنى) رد به قول الحريري: (ومن توهمهم أيضا أن ((هوى)) لا يستعمل إلا في الهبوط، وليس كذلك، بل معناه الإسراع الذي قد يكون في الصعود والهبوط)[٦٤].

ورأى الدكتور الحسون (أن استعماله في الهبوط وحده لا يعد وهما إذ هو أصل معناه، وقد جاء في القرآن بهذا المعنى فقط... والاكتفاء بأحد معاني اللفظ لا يعد وهما إذا كان مستعملا على الوجه الصحيح)[٦٥].

ومن علل الاختيار (مراعاة الخفة) وتحاشي الثقل في اللفظ. رجح بها صحة استعمال (السائل) لمن يسأل الناس أو يكثر السؤال مقابل (سئال) التي اوجبها الحريري[٦٦] بسبب ثقل الهمزة ثم زيادة ثقلها بالتضعيف لما لا داعي له ولا موجب لحمل الناس على النطق بها مضعفة[٦٧].

ومثلها اختيار (الشرفة) لأنها أخف من (المستشرف)[٦٨]. واختيار لفظ (الرجعي) بفتح الراء لما فيه من الخفة (ما يفسر رسوخه في الاستعمال دون الرُجعي، بضم الراء، والرجوعي: بدليل شيوعه على السنة الناس: إذ غدا من المصطلح السياسي الثابت... ولا وجه للعدول عن الأخف الثابت الفاشي بين الناس إلى الأثقل)[٦٩].

ولم ينس المؤلف ما للسياق من أثر في التفسير الصحيح للفظ. فقد عزز به أدلة أخرى.

من ذلك إشارته إلى أن المعجمات تفسر (التواتر) بالتتابع فيستعملان بمعنى. ومعرفة ما بينهما من فرق دقيق مرهون بالسياق الدال عليه[٧٠].

ومثل هذا لفظا (بصر وأبصر) فكل منهما، على ما دلت عليه النصوص، بمعنى ما يدرك بالعين وما يدرك بالذهن، والشأن في ما بينهما من فرق دقيق مرتهن بالسياق وبمضامة المجاز إلى كل منهما[٧١].

وللجانب الاجتماعي والنفسي اثر في إقرار اللفظ: فمما فسره على وفق ذلك جواز إطلاق لفظ (سائل) للمحتاج الذي يكثر من السؤال دون (سئال) الذي أوجبه الحريري[٧٢] بل تقديمه عليه، لما في (سائل) من اللطف معه. إذ يوصف بما يوصف به الآخرون من السائلين، ولا يكون علما عليه، ولا سيما إذا كان مدفوعا للمسألة بدافع شدة الحاجة أو لعائق في نفسه أو بدنه[٧٣].

ويستحسن الدكتور الحسون زيادة الفاء مع (حسب) في قول أبي حيان التوحيدي: (ولما كانت الأمور ملتبسة بالدين والدنيا لم يجز للعاقل الحصيف والمدبر اللطيف أن يعمل التدبير بها من ناحية الدين فحسب ولا من ناحية الدنيا فقط)[٧٤]. قال (ولعلك قد عراك شيء من الأنس بحسن التوافق بين (الدين فحسب) و (الدنيا فقط) وهو ما لا تحظى به لو كانت العبارة (الدين حسب) و (الدنيا فقط)، فالنبوة فيه حاصلة، والجفوة عليه بادية)[٧٥].

قال هذا خلافا لمن منع إدخال الفاء على (حسب).

يتضح مما تقدم أن الدكتور الحسون ولج ميدان التصحيح وتصحيح التصحيح وقد أحكم العدة، وخبر قواعد العربية، وبصر بنحوها وصرفها، ونظر في معجماتها فأمكنه ذلك من الاستدراك في الصيغ ودلالات الألفاظ وضوابط الإعراب، وتمكن من الاستعانة بقواعد الاستدلال والعلل التي غاب أكثرها عن بال المصححين، وكان يستعين احيانا بأكثرها في المسألة الواحدة اذا اقتضى الأمر، على ما مر من الأدلة وأمثلتها. أو يختصر الدليل لانه قائم على اصلاح وهم المصحح إذا وقع في خطأ ظاهر مخالف لقواعد اللغة ودلالة المعجم وضوابط الصرف والنحو الصريحة المجمع عليها[٧٦].

وامكنه هذا من أن يكون قسم من عباراته قواعد في الأصول ومن أمثلتها الآتي:

- القلب والإبدال لا يغيران من صورة الفعل في حالي التعدية واللزوم[٧٧].
- العدل [لا] يوجب الاستغناء عن المعدول عنه[٧٨].
- الاكتفاء بأحد معاني اللفظ لا يعد وهما إذا كان مستعملا على الوجه الصحيح[٧٩].
- أن يكون الثلاثي بمعنى محدد لا ينفي أن يكون للمضعف منه معنى أخر بعيد منه[٨٠].
- وجود ما هو أعلى لا يمنع من استعمال ما هو دونه مع

وجود الدليل على صحته[٨١].

- الألفاظ تكتسب بالشيوع قوة وترجيحا[٨٢].

- تخطيء الصحيح إنما هو بمنزلة استعمال الخطأ؛ لأن كلا منهما مخل باللغة مسيء إليها[٨٣].

ويتجاوز أحيانا إجازة الممنوع إلى الحكم بوجوبه لتوفر الدواعي. وقد ورد هذا في ثلاثة مواضع أسجل خلاصتها في الآتي لأهميتها:

الأول: يمنع المصححون تكرير (بين) في مثل (المال بين زيد وبين عمرو)، والصواب عندهم حذف الثانية. ويرى المؤلف ان تكريرها جائز. وقد يكون واجبا (إذا طال الفصل مضافة الى الاسم الظاهر إذا تخلل الكلام عطف قبل العطف عليها كما في قولنا: لسنا نرى ما يحول دون التوفيق بين هذا المذهب الذي تأيد من الدلائل والشواهد التي تحمل على قبوله وإقراره وبين ما ذهب إليه الأخرون بالحجج التي استدلوا بها)[٨٤].

الثاني: يمتنع ربط الجواب بعد (لئن) بالفاء بناءاً على ما تقرره القاعدة النحوية التي مؤداها: إذا اجتمع الشرط والقسم فالجواب للمتقدم. وفي (لئن) القسم هو المتقدم باللام الموطئة له، فلا يربط جوابه بالفاء لأنها تربط جواب الشرط.

وصرح أن الربط بالفاء يكون لازما حين يطول الفصل بين (لئن) والجواب، أو حين يكون الجواب المتأخر مما لا يقترن باللام إذا كان منفيا، كقولنا: (لئن انجرفت عن السبيل القويم في سلوكك مع الناس ولم يزعك وازع من ضمير أو دين ومضيت سادرا في غيك فلست بواجد لك ناصرا أو مُعينا منهم)[٨٥].

الموضع الثالث: منع المصححون إدخال (ال) على (بعض وكل) فأجاز ما منعوا، وزاد أنه (يلزم ذلك في مواضع: حينما يكون مدار الكلام لفظة ((بعض)) أو لفظة ((كل)) فلا بد حينئذ من تعريفهما لسبق ذكرهما... كذلك يلزم تعريفهما بـ ((ال)) حينما يكون المراد بيان مدلول كل منهما)[٨٦].

هذه السجايا التي بها تميز الكتاب، المتمثلة في النظرات الدقيقة، المستندة إلى قواعد التأصيل لا تمنع إيراد ماله حاجة إلى التقويم لعله يزيد شيئا إلى منافعه. فمن ذلك:

أولاً: الأمثل عند المؤلف في قولهم: (لسنا بحاجة إلى ذلك) هو : (ليست بنا حاجة)[٨٧].

والذي وجدته لدى الفصحاء هو حرف اللام في موضع الباء. والأصل في التركيب أن تقع اللام مع مجرورها خبراً عن لفظ (حاجة) أو يقعا خبر ناسخ قبلهما، ويتعلق بلفظ (حاجة) مجرور آخر بالباء أو بـ (إلى) أو بـ (في) فيصير التركيب (ليس لنا حاجة بذلك، أو: إلى ذلك، أو: في ذلك). والأكثر أن يتقدم ما يتعلق بـ (حاجة) عليها فيقال: (ليس لنا بذلك أو الى ذلك أو في ذلك حاجة). وقد يحذف المتعلق.

والشاهد عليه كثير تكرر منه في أول (الجزء السابع) من (صحيح البخاري) فقط النصوص الآتية:

الأول: عن علقمة رضي الله عنه قال: (كنت مع عبد الله [بن عمر] فلقيه عثمان بمنى فقال: ياابا عبد الرحمن إن لي إليك حاجة. فخليا. فقال عثمان: هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكرا تذكرك ما كنت تعهد؟ فلما رأى عبد الله أن ليس له حاجة إلى هذا أشار إلي فقال: ياعلقمة...)[٨٨].

الثاني: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: (... فقام رجل من أصحابه فقال: يارسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها)[٨٩].

الثالث. قال انس بن مالك رضي الله عنه: (جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها قالت: يارسول الله، الك بي حاجة؟)[٩٠]

الرابع. في تفسير قول الله تعالى: (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او أكننتم في أنفسكم)[٩١] (قال عطاء: يعرض ولا يبوح، يقول: إن لي حاجة وأبشري)[٩٢].

الخامس. عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه (أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها فقال: مالي اليوم في النساء من حاجة)[٩٣].

ثانيا: خطأ الحريري تكرير (بين) في قولهم (المال بين زيد وبين عمرو)[٩٤] فعقب عليه الدكتور الحسون قائلا: (وهو محق فيما نبه عليه؛ فهذا موضع لا يحسن فيه تكرير "بين"[٩٥]).

ولكنه أفاض في إيراد النصوص على جواز تكريرها، وجعله لازما إذا طال الفصل بينها وبين الأولى، واحتج بواحد وعشرين شاهداً من النثر وستة وعشرين من الشعر.

فكيف يحق للحريري تخطئة ما تؤيده هذه الشواهد؟ وكيف يعطيه الحق في المنع وقد أورد سبعة وأربعين شاهداً تكررت فيها (بين) مضافة إلى الاسم الظاهر وهو الذي أجاز ما يؤيده شاهد وشاهدان؟

وشبيه بهذا انه اثبت بالأدلة والشواهد جواز اضافة لفظ (نفس) إلى ما يصلح أن يكون توكيداً له في مثل قولنا: (نظرت في نفس الأمر) ثم مالبث في آخر المسألة أن يستثني من الجواز ما لا مبرر له ولا حاجة تدعو إليه فيقول: (وإذا شئنا أن نمنع فالأولى أن يقتصر المنع على إضافتها إلى العاقل تحاشيا لما قد ينشأ من اللبس وإباحة إضافتها الى ماتؤكده في غير ذلك)[٩٦].

أقول: ولا لبس ينشأ من مطلق إضافتها، والسياق كفيل في إيضاح ما يرمي إليه المتكلم.

ومثله أيضا تعقيبه على قول الدكتور مصطفى جواد: (قل: نقص المبلغ ثلاثة أفلس أو اربعة أفلس... ولا تقل في الفصيح: ثلاثة فلوس ولا أربعة فلوس)[٩٧]، إذ يقول: (نعم، وهو محق في ذلك لأن من المناسب استعمال جمع القلة مع

العدد القليل وجمع الكثرة مع العدد الكثير)[٩٨].

لكنه يورد عليه بعد شاهدا من القرآن وآخر من شعر عمر بن أبي ربيعة اشتملا على إضافة العدد المفرد الى صيغة جمع الكثرة مع توفر جمع القلة منهما، ثم يقول: (الا أن الحجة الملزمة والتي هي الأقوى هاهنا إنما هي الشاهد القرآني، فهو كثير وإن كان واحدا)[٩٩].

فكيف يكون محقاً من يخطئ صيغة ورد مثلها في القرآن الكريم؟

ثالثا: انكر الدكتور الحسون على الأدباء استعمال التركيب المتضمن عطفا على المضاف قبل استكمال المضاف إليه في مثل: (دراسات في أغراض وشعر المتنبي) إذ رأى أنه (لا بد من التشدد بمنع هذا الضرب من التعبير في الأساليب الأدبية... فهي صياغة نابية في هذا المقام... فيلزم لذلك تخطئتها و إنكارها وتبرئة الأساليب الأدبية واللغوية منها لمخالفتها ما تقرر فيها من أحكام اللغة)[١٠٠].

وأحسب هنا تضييقا للتعبير في غير مكانه، فالتركيب عربي صحيح يؤيده جمهور من العلماء اللغويين، ونصوص فصيحة قال فيها المؤلف الفاضل: (ومثل هذا وارد في كلام العرب نثرا وشعرا)[١٠١].

وقد عد الخليل بن أحمد وسيبويه التركيب من باب، الفصل بين المضاف والمضاف اليه، واجازاه في الشعر، وذكرا له شاهدا قول الأعشى[١٠٢]:

ولا نقاتل بالعصي

ولا نرامي بالحجاره

الا علالة أو بدا

هة قارح نهد الجزاره[١٠٣]

ثم قال سيبويه: (ويجوز في الشعر على هذا: مررت بخير وأفضل من ثم... وقال الفرزدق[١٠٤]:

يامن رأى عارضاً أسر به

بين ذراعي وجبهة الأسد[١٠٥]

وأجازه علي بن حمزة الكسائي وابو زكريا الفراء ت ٢٠٧هـ وجعلاه من باب حذف المضاف اليه من الأول لدلالة الثاني عليه. وقال أبو بكر بن الأنباري ت ٣٢٨هـ: (قال هشام[١٠٦]: حكى الكسائي عن العرب: اللهم صل على محمد كأفضل وأطيب ما صليت على نبي من أنبيائك، على معنى: كأفضل ما صليت واطيب ماصليت، فاكتفى باضافة الثاني من إضافة الأول... قال الفراء: وزعم الكسائي أنه سمع: برئت إليك من خمس وعشري النخاسين، على معنى: من خمس النخاسين وعشري النخاسين، فاكتفى باضافة الثاني من إضافة الاول)[١٠٧].

واحتج الفراء لهذا التركيب ببيتي الأعشى والفرزدق المتقدمين ثم قال: (وسمعت ابا ثروان العكلي يقول: قطع الله الغداة يد ورجل من قاله. وإنما يجوز هذا في الشيئين يصطحبان، مثل اليد والرجل. ومثل قوله: عندي نصف أو ربع درهم، وجئتك قبل أو بعد العصر. ولا يجوز في الشيئين يتباعدان، مثل الدار والغلام، فلا تجيزن: اشتريت دار أو غلام زيد، ولكن عبد أو أمة زيد، وعين أو أذن، ويد أو رجل، وما أشبهه)[١٠٨].

ولم يمنع المبرد هذا التركيب وعده من باب حذف المضاف إليه وشبه به قولهم: ياتيم تيم عدي: بالنصب[١٠٩] وكذا جاز الله الزمخشري ت ٥٣٨هـ رأى انه على حذف المضاف إليه من الأول[١١٠]. وأجازه جمال الدين ابن مالك الذي احتج له بالشعر ثم قال: (ولا يختص هذا النوع من الاستعمال بالشعر بل يجوز في النثر)[١١١]. وصرح به في باب الإضافة من (الألفية) فقال[١١٢]:

ويحذف الثاني فيبقى الأول

كحاله إذا به يتصل

بشرط حذف وإضافة إلى

مثل الذي له أضفت أولا

وتابعه شراحها، واعتمدوا شواهده. ومن هؤلاء: بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦هـ[١١٣] وحسن بن قاسم المرادي ت ٧٤٩هـ[١١٤] وابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ[١١٥].

وهذا الفصل أو قل الحذف من الأول صار مأنوسا منتشرا استعماله في عصرنا، نتحدث به ونكتب. وما ذلك إلا لسهولته وإيجازه، وتؤيده النصوص الفصيحة المذكورة آنفا ونصوص أخرى أذكرها في الآتي:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم. ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي صلى الله عليه وسلم)[١١٦]

- قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها: (وكنا في دار او أرض البعداء البغضاء بالحبشة)[١١٧]

- وقال مجاهد بن جبير رضي الله عنه: (يقال: أبين من فرق وفلق الصبح)[١١٨].

- وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (هلك أبي وترك سبع أو تسع بنات)[١١٩].

- وأنشد ابن مالك قول الراجز[١٢٠]:

قبل وبعد كل قول يغتنم

حمد الإله البر وهاب النعم

- وأنشد قول الشاعر[١٢١]:

أمام وخلف المرء من لطف ربه

كوالئ تزوي عنه ما هو يحذر

- وانشد قول الشاعر[١٢٢]:

سقى الأرضين الغيث سهل وحزنها

فنيطت عرى الآمال بالزرع والضرع

- وأنشد قول الشاعر[١٢٣]:

نعيم وبؤس العيش للمرء منهما

نصيب ولا بسط يدوم ولا قبض

رابعاً: قال الدكتور مصطفى جواد (قل بالإضافة إلى الشيء، أي بالنسبة إليه والقياس عليه. ولا تقل: بالاضافة إليه بمعنى زيادة عليه ومضافاً إليه) ثم ساق نصوصاً تؤيد المعنى الذي قصده.

وعقب الدكتور الحسون عليه بحديث أكد فيه أن (بالإضافة إليه) قد يفيد (الزيادة) قال في أوله: (وقد شاع في أساليب المحدثين الأدباء والباحثين استعمال ((أضاف)) بمعنى ((زاد)) وإن كان المحققون والمدققون الذين يفزع إليهم لتمييز الصحيح من الخطأ ينكرون هذا الاستعمال أشد الإنكار ائتماماً بما نبه عليه الدكتور مصطفى جواد).

أقول: لم ينكر الدكتور جواد (استعمال "أضاف" بمعنى "زاد"). فكيف يأتم هؤلاء بما لم يقل؟ وأراه بريئاً مما نسب إليه.

وحين تكشف للدكتور الحسون (أن "أضاف" بمعنى "زاد" إنما هو مما أخلت به معجماتنا) شرع في إيراد ما توافر لديه من نصوص ورد فيها ما يسد هذا الخلل، فذكر شاهدين اشتملا على لفظ (نضيف) و (أضاف) ليرد فهما بقوله: (وقد توالى بعد ذلك إستعمال "أضاف" بمعناه الذي أنكره الدكتور مصطفى جواد في أساليب العلماء).

وأكرر القول إن الدكتور مصطفى لم ينكر "أضاف" بمعنى "زاد" لأن صيغة العبارة التي صححها هي (بالإضافة إلى) ليس غير.

ثم بعد إيراد الدكتور الحسون مثالين آخرين لأبي الفتح بن جني اشتملا على (يضاف) و (مضافاً) يكرر نقده قائلاً: (وإذا كان الدكتور مصطفى جواد قد اتخذ مما جاء في نص لأبي حيان التوحيدي حجة لاستعمال "بالاضافة إليه" بمعنى "بالنسبة إليه" في معرض إنكاره لاستعماله بمعنى "زاد عليه" فإنا قد وجدنا أن أبا حيان نفسه يستعمل "أضاف" بمعنى "زاد").

ومع ما بين (بالاضافة اليه) و (اضاف) من اختلاف لا يسوغ الاعتراض يستمر الدكتور الحسون في ذكر نصوص بلغت تسعة عشر ضمت الصيغ (أضيف ومضافاً وأضاف وانضاف، وينضاف) وليس فيها (بالاضافة إلى) ما عدا واحداً هو قول ابن سنان الخفاجي ت ٤٦٦هـ: (والشعراء من المتقدمين بالإضافة إلى من ليس بشاعر جزء من ألوف).

وابن سنان لا يعني (الزيادة) إنما يعني ما رآه الدكتور جواد من معنى (بالنسبة الى من ليس بشاعر).

ويستطرد الدكتور الحسون وهو يتحدث عن (انضاف) فيورد مثيلاً لصيغتها لفظ (انخرط) ونظيرها لفظ (انضم) ليسلمه التمثيل عليهما الى القول: (ومن الطريف أن الدكتور مصطفى جواد مع إنكاره استعمال "أضاف" بمعنى "زاد" يفاجئنا هو باستعماله بهذا المعنى في ثلاثة مواضع من كتابه "قل ولا تقل").

والمواضع الثلاثة ورد فيها لفظ (يضاف إلى) مرتين، و (نضيف إلى) مرة. وأزيد أنا موضعاً رابعاً هو لفظ (مضافاً) سجله جواد في أول مسألتنا هذه حين قال: (ولا تقل بالإضافة إليه بمعنى زيادة عليه ومضافاً إليه).

ومع تكرار ما نسبه إلى جواد تابع المؤلف القول: (وليس الدكتور مصطفى جواد رحمه الله بدعاً في ذلك، فقد وقع عدد من اللغويين من أسلافه فيما وقع فيه. إذ ينكرون استعمالاً ويخطئونه ثم تجده في ما يكتبون) ويذكر نصوصاً عمن وقع عليهم هذا القول، ومنهم: إسماعيل الجوهري ت ٣٩٧هـ، وعبد الرحمن بن الجوزي ت ٥٩٧هـ والفيروز أبادي ت ٨١٧هـ، ومحمد مرتضى الزبيدي.

خلاصة القول في المسألة أن عبارة الدكتور جواد محددة. وهي أن (بالاضافة إلى الشيء، أي: بالنسبة إليه والقياس عليه) ليست (بمعنى زيادة عليه ومضافاً إليه). والنصوص التي ساقها تؤيد كلامه، وما لم يذكره منها أكثر. والدكتور الحسون لم يقدم في اعتراضه شاهداً على استعمال (بالاضافة الى الشيء) بمعنى (زيادة عليه) وإنما أثبت صيغاً فعلية واسمية مفردة لا صلة لها. بمنطوق التركيب، وهي (أضاف ونضيف وأضيف ويضاف وانضاف، وينضاف ومضافاً)، ونسب مرات إلى الدكتور جواد (إنكاره استعمال (أضاف) بمعنى "زاد") الذي لم يصدر عنه. إذ ليس له حديث عن هذه الصيغة، وقد تقدم انه هو نفسه استعمل لفظ (يضاف إلى) و (نضيف إلى) بمعنى (الزيادة) في كتابه (قل ولا تقل)، وجعل لفظ (زيادة عليه) بمعنى (مضافاً إليه) وقرنهما في جملة واحدة وهو يصحح التركيب في مسألتنا نفسها فقال: (ولا تقل بالإضافة إليه بمعنى زيادة عليه ومضافاً إليه) فهل وصل به الأمر إلى أن يبيح لفظاً ويخطئه في جملة واحدة؟ علاوة على انه أقر وهو يتحدث عن الموضوع بأن (شواهد استعمال "إضافة" بغير باء لأداء المعنى المراد متعارفة. منها ما ورد في كتاب "الحوادث" في أخبار سنة ٦٣٩هـ قال مؤلفه: وفيها رد النظر في نهري الملك وعيسى إلى حاجب باب النوبي تاج الدين علي بن الدوامي إضافة إلى ما يتولاه من أمر الشرطة والعمارة. وورد في حوادث سنة ٦٨٧هـ: وفيها رتب نجم الدين محمد بن أبي العز مدرساً بالنظامية... إضافة إلى القضاء. وهذا التعبير وان كان مولداً فهو قريب من الجملة التي أفسدت باستعمالها لغير معناها).

ويشبه هذا، أعني النسبة الى الدكتور جواد ما لم يصدر عنه التعليق على قوله: (قل هادنه على وفق شروط، ولا تقل هادنه وفق شروط) فإنه بعد الشواهد التي ساقها الدكتور الحسون تأييداً لجواز حذف (على) قال: (ولسنا نرى وجهاً لتقييد استعمال "وفق" بحالة إعرابية واحدة وهي جره بحرف جر واحد، فهو مصدر متصرف صالح لأن يأتي مرفوعاً ومنصوباً على المصدرية أو على الحالية أو على غير ذلك أو أن يجر بغير "على" من حروف الجر).

وبعد تأييده بأقوال العلماء والأدباء قال: (نخلص من هذا

كله إلى القول إن استعمال "وفق" منصوبا ليس خطأ كما قال الدكتور مصطفى جواد، وإنما الخطأ هو تقـــييده بحالة إعرابية واحدة هي جرّه بحرف جرٍ واحد، إذ هو مصدر متصرف شأنه في ذلك شأن المصادر المتصرّفة الأخرى في ما يجري عليه من وجوه الإعراب)[٢١].

ونفهم من هذا أن الدكتور مصطفى جواد أوجب قـــصر استعمال (وفق) مجرورة بـ (على) حسب، ولا يجيز غيره. وهو غير صحيح. فإن في حديثه عن المسألة نفسها استثناءا مما قرّره، وتفريقا بين استعمالين. فقد عقب على تصحيحه المتقدم بعد الأمثلة قائلا: (أما استعمال "الوفق" بغير حرف جرٍ فله موضع آخر ومعنىً آخر، يقال: كسب فلان وفق عياله، أي: قدر كفايتهم لا فضل فيه. و: هذا المقدار من المال وفق لكثرة حاجاتهم. وقال سويد بن كراع العكلي:

وإن كان نارا فهي نار بملتقى
من الريح تشبـــيها وتصفقها صفقـــا
لأم علي أو قدتها طماعـــة
لأوبة سفر أن تكون لهم وفقــــا

...ومصداق الصحة في استعمال "الوفق" المجرور بـ "على" هو أن يجيء بمعنى "على حسب كذا وبحسب كذا" واستعمال غير المجرور أن يأتي بمعنى "قدر ومقدار")[٢٢].

فالدكتور جواد لم يقيّد (الوفق) بحالة إعرابية واحدة، ولم يخطئ استعماله منصوباً. كيف وقد أتى بأمثلة فيها اللفظ مرفوعا مرتين على أنه خبرُ المبتدأ ومنصوبا مرة ثالثة؟

خامساً: وقع في الكتاب أخطاء قليلة لم أجد حاجة إلى التنبيه عليها ما عدا أربعة يترتب على بقائها مخالفة علمية أو نسبة قول إلى من لم يقله. ومواضع هذه الأخطاء وردت في الآتي:

١. جاء في ص ١١٦ نقلاً عن الدكتور مصطفى جواد: (قل نقص المبلغ ثلاثة أو أربعة أفلس). والصواب هو: (قل نقص المال ثلاثة أفلس أو أربعة أفلس)[٢٣] بإثبات (أفلس) الأولى؛ لأن سقوطها يؤدي إلى العطف على المضاف قبل استكمال المضاف إليه، وهو ممنوع لدى الدكتور الحسّون في الأساليب الأدبية واللغوية.

٢. في ص ١٥٦ نفى الدكتور الحسّون ورود (فعّل) المضعّف من الفعل (عمّم) بمعنى جعله عاماً في معجماتنا ثم أتبع ذلك قائلاً: (ففي التاج: يقال: معمم، إذا كان يعم الناس ببرّه وفضله ويعمهم). والصواب هو: (يقال معمٌّ وملمٌّ إذا كان يعمُّ الناس ببرّه وفضله ويلمهم)[٢٤].

وبقاء (معمم) محرّفاً يثبت ما نفى وروده في معجماتنا، فيصير استناداً إلى تلك العبارة حجة على جواز قولهم: عمّم تعميماً فهو مُعمّم، بمعنى: جعله عاماً، وهو مما منعه المصححون.

٣. نقل في ص ١٦٧ قول بهاء الدين الإربلي ت ٦٩٢هـ: (ولو تصدّى متصدٍ لذكر هذا النمط فحسب لملأ به بطون الدفاتر، واستنفد به أنقاس المحابر)[٢٥] والصواب (أنقاس) بالقاف المثناة، جمع (النقس) وهو الذي تمدّ به الدّواة ويكتب به[٢٦]. والتصحيف هنا يكثر وروده لدى الكتاب لغرابة اللفظ. وقد خفي على محققي (التذكرة) الأمرُ فسجلوه بالقاف أيضا.

٤. ثبت في ص ١٦٢ و ١٦٤ نسبة كتاب (الإيضاح في علل النحو) إلى ابن خالويه ت ٢٧٠هـ. والصحيح أنه لأبي القاسم الزجاجي ت ٣٣٧هـ.

وبعد فمع هذه الملاحظ يبقى كتاب (في التصحيح اللغوي والكلام المباح) حلقة محكمة في سلسلة المؤلفات التي صنفها العلماء وهم يبغون تنزيه اللغة الكريمة من كل كدرٍ يشوب صفاءها، وإنصاف الصحيح منها وتبرئته من شبهة الخطأ.

الهوامش

١) في التصحيح اللغوي ص ١٧.
٢) في التصحيح اللغوي ص ١٩ ـ ٢٤.
٣) الكتاب ٢/٤٠٢.
٤) الخصائص ١/٩٩.
٥) في التصحيح اللغوي ص ٢٤.
٦) قل ولا تقل ص ٧٠، والاستدراك على كتاب قل ولا تقل ص ٢٦، وفي التصحيح اللغوي ص ٩٢.
٧) الاقتراح في علم أصول النحو ص ٢٠.
٨) في التصحيح اللغوي ص ٢١.
٩) أعني بلفظ (بالإضافة إلى) معناه في اللغة وهو المقابل (بالقياس إلى) أو (بالنسبة إلى).
١٠) ينظر المسائل المبدوءة في الصفحات ٤٦ و ٥٢ و ٨٧ و ١١٦ و ١٣٩.
١١) في التصحيح اللغوي ص ٤٩ و ٥٨.
١٢) في التصحيح اللغوي ص ٥٨.
١٣) في التصحيح اللغوي ص ٧٦.
١٤) في التصحيح اللغوي ص ٧١.
١٥) في التصحيح اللغوي ص ٢٢ و ٤٥ و ٥٤ و ١٤٨.
١٦) في التصحيح اللغوي ص ٥٥.
١٧) في التصحيح اللغوي ٥٤.
١٨) في التصحيح اللغوي ص ٤٢.
١٩) في التصحيح اللغوي ص ٢٤.
٢٠) في التصحيح اللغوي ص ٥٤.
٢١) هذا العدد يخصُّ ما جاء مؤيداً اللفظ الذي هو عنوان المسألة، ولا يدخل فيه ما ذكر استطراداً أو خروجاً عنها.
٢٢) في التصحيح اللغوي ص ١٦٣.

٢٣) في التصحيح اللغوي ص ٩١.
٢٤) في التصحيح اللغوي ص ١٦٧.
٢٥) أقصد بـ (وحدها) هنا بالإضافة إلى أدلة السماع. وإلا فما سأذكره اجتمعت معه أدلة أخرى غير السماع سيأتي بيانها.
٢٦) في التصحيح اللغوي ص ٤٦.
٢٧) في التصحيح اللغوي ص ٤٧. وينظر المسائل المبدوءة في الصفحات ٧٢ و ٨٧ و ١١٦.
٢٨) في التصحيح اللغوي ص ٧٠.
٢٩) في التصحيح اللغوي ص ١٢٥.
٣٠) في التصحيح اللغوي ص ١٢٢. وينظر المسائل المبدوءة في الصفحات ١٢٤ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٨ و ١٦٠ و ١٦٥ و ١٦٧.
٣١) في التصحيح اللغوي ص ٣١.
٣٢) في التصحيح اللغوي ص ٦٤. وينظر المسائل التي تبدأ في الصفحات ٤٤ و ٦٧ و ٦٨ و ٨٣ و ٨٤.
٣٣) في التصحيح اللغوي ص ١٣٩.
٣٤) في التصحيح اللغوي ص ١٤٩.
٣٥) في التصحيح اللغوي ص ١٥٢. وينظر المسائل المبدوءة في الصفحات ٣٢ و ٤١ و ٤٨ و ٥٤ و ٥٧ و ٦٣ و ٩١ و ١١٤ و ١٢٩ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٤٤ و ١٦٢ و ١٧٩.
٣٦) في التصحيح اللغوي ص ٥٢. وينظر: درة الغواص: ١١٧.
٣٧) ينظر المسائل التي تبدأ في الصفحات ٥١ و ٥٢ و ٥٩ و ٦١ و ٦٣ و ٧٧ و ٧٩ و ٨١ و ٨٣ و ٨٥ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١١٢ و ١٢٠ و ١٥٥ و ١٨٥.
٣٨) ينظر غير ما سأذكره: المسائل التي تبدأ في الصفحات ٥٧ و ٦٢ و ٦٣ و ١٢٩ و ١٣٢ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٥٢ و ١٥٤ و ١٥٥.
٣٩) درة الغواص: ٧.
٤٠) في التصحيح اللغوي ص ٣٣.
٤١) درة الغواص: ٦٧.
٤٢) في التصحيح اللغوي ص ٤٤.
٤٣) ينظر غير ما سأذكره الصفحات ٧٨ و ١٠١ و ١٦٥ و ١٨٠ و ١٨٦.
٤٤) درة الغواص: ١٤٤.
٤٥) في التصحيح اللغوي ص ٥٩.
٤٦) في التصحيح اللغوي ص ٦٠.
٤٧) شرح التسهيل ١/٢١٣ و ٢/٢٤٤، وشرح عمدة الحافظ ص ٧٩٠، ومغني اللبيب ١/٣٦٦ و ٢/٤٨٦ و ٤٨٨ و ٤٨٩.
٤٨) زكأ: لجأ.
٤٩) سورة يوسف ١٢/٨٥.
٥٠) في التصحيح اللغوي ص ١٦٢.
٥١) في التصحيح اللغوي ص ٥٠.
٥٢) في التصحيح اللغوي ص ٧٧.
٥٣) في التصحيح اللغوي ص ٨٦.
٥٤) في التصحيح اللغوي ص ٩١ و ١٥٨ و ١٧٧ و ١٧٨.
٥٥) درة الغواص: ٧٧.
٥٦) في التصحيح اللغوي ص ٥٠.
٥٧) في التصحيح اللغوي ص ١٥٨.
٥٨) ينظر غير ما سأذكره الصفحات ٤٨ و ٥٠ و ٦٣ و ٧٢ و ٧٥ و ٨٤ و ١٠١ و ١٠٢ و ١١٤-١١٦.
٥٩) درة الغواص: ١٠٨.
٦٠) في التصحيح اللغوي ص ٥٢.
٦١) في التصحيح اللغوي ص ١٨٥. وينظر ص ٢٤ في الاستدلال على وجوب تكرار (بين) المضافة إلى الاسم الظاهر.
٦٢) قل ولا تقل ص ٥٠.
٦٣) في التصحيح اللغوي ص ٨٥. وينظر ص ٧٨ في ترجيح لفظ (الشرفة) على (الروشن).
٦٤) درة الغواص: ١٩٨ و ١٩٩.
٦٥) في التصحيح اللغوي ص ٧٢. وينظر ص ٧٩ في ترجيح لفظ (الشرفة) على (الجناح).
٦٦) درة الغواص: ٨٨.
٦٧) في التصحيح اللغوي ص ٥١.
٦٨) في التصحيح اللغوي ص ٧٧.
٦٩) في التصحيح اللغوي ص ٨٣.
٧٠) في التصحيح اللغوي ص ٣٣.
٧١) في التصحيح اللغوي ص ٤٨. وينظر ص ٥٩ في إجازة تركيب (نعم من مدحت) و ص ١٠١ في إجازة لفظ (يتفانى) بمعنى (يفنى).
٧٢) درة الغواص: ٨٨.
٧٣) في التصحيح اللغوي ص ٥١. وينظر ص ٩٩ في ترجيح استعمال (الشذوذ الجنسي) بدلاً من (الانتكاس النوعي).
٧٤) الإمتاع والمؤانسة، للتوحيدي ٢/١١٧ نقلاً من (في التصحيح اللغوي) ص ١٦٦.
٧٥) في التصحيح اللغوي ص ١٦٦.
٧٦) ينظر الصفحات ٣١ و ٥٢ و ٥٦ و ٦١ و ٧٢ و ٨٣ و ٨٧ و ٨٩ و ١١٤.
٧٧) في التصحيح اللغوي ص ٤٥.
٧٨) في التصحيح اللغوي ص ٦١.
٧٩) في التصحيح اللغوي ص ٧٣.
٨٠) في التصحيح اللغوي ص ٨٩.
٨١) في التصحيح اللغوي ص ١٥٦.
٨٢) في التصحيح اللغوي ص ١٥٨.
٨٣) في التصحيح اللغوي ص ١٨٧.
٨٤) في التصحيح اللغوي ص ٣٣.
٨٥) في التصحيح اللغوي ص ١٤٤.
٨٦) في التصحيح اللغوي ص ١٨٠-١٨١.
٨٧) في التصحيح اللغوي ص ٩.
٨٨) صحيح البخاري ٧/٢. وتكرر التركيب في هذا النص ثلاث مرات حذف في الثانية لفظ (حاجة).
٨٩) صحيح البخاري ٧/٨. وينظر ٧/١٩ و ٢١ و ٢٢.
٩٠) صحيح البخاري ٧/١٧.
٩١) سورة البقرة ٢/٢٣٥.
٩٢) صحيح البخاري ٧/١٨.
٩٣) صحيح البخاري ٧/٣٤. وفي نسخة من البخاري: بالنساء.
٩٤) درة الغواص: ٦٠.
٩٥) في التصحيح اللغوي ص ٣٣.
٩٦) في التصحيح اللغوي ص ١٢٩.
٩٧) قل ولا تقل ص ١٧٤.
٩٨) في التصحيح اللغوي ص ١١٧.
٩٩) في التصحيح اللغوي ص ١١٧.
١٠٠) في التصحيح اللغوي ص ٢٤.
١٠١) في التصحيح اللغوي ص ٤٢.
١٠٢) الكتاب ١/١٧٩ و ٢/١٦٦. والرواية في ديوان الأعشى ص ١٥٩.

ولا براءة للبري
ء ولا عطاء ولا خفاره
إلا علالة أو بدا
هة سابح نهد الجزاره

يلي هذين أربعة أبيات بعدها:

لسنا نقاتل بالعصي
ولا نرامي بالحجارة

١٠٣) العلالة: البقية من الشيء. البداهة: المفاجأة. نهد الجزارة: ضخم القوائم. يعني: لا يكون بيننا إلا مفاجأة فرس طويل العنق

والقوائم يستنفد القتال العلالة الباقية من نشاطه.

١٠٤) ديوانه ١/٢١٥. وهو بيت مفرد منقول من كتاب سيبويه. ج.١

الكتاب ١/١٨٠. العارض: السحاب يعترض الأفق. ذراعا الأسد: كوكبان.

١٠٦) هو هشام بن معاوية الضرير ت ٢٠٩هـ.

١٠٧) المذكر والمؤنث ص ٥٩٧، ٥٩٨.

١٠٨) معاني القرآن ١/٢٢١، ٢٢٢.

١٠٩) المقتضب ٤/٢٢٧، ٢٢٩.

١١٠) المفصل في النحو ص ٤٣.

١١١) شرح عمدة الحافظ ص ٥٠٤.

١١٢) متن الألفية ص ٢٨.

١١٣) شرح الألفية ص ١٥٧.

١١٤) توضيح المقاصد والمسالك ٢/٢٧١.

١١٥) أوضح البخاري ٤/١٢٢المسالك ٢/ ٢٢٤.

١١٦) صحيح البخاري ٤/٢٢.

١١٧) صحيح البخاري ٥/١٧٥.

١١٨) صحيح البخاري ٦/٢٢٢.

١١٩) صحيح البخاري ٨/١٠٢.

١٢٠) شرح التسهيل ٢/١١٣. وينظر: ارتشاف الضرب، لأبي حيان ٢/١٥٧.

١٢١) شرح التسهيل ٢/١١٣، وشواهد التوضيح والتصحيح ص ٩٣.

١٢٢) شرح التسهيل ٢/١١٤، وشواهد التوضيح والتصحيح ص ٩٢.

١٢٣) شرح التسهيل ٢/١١٥.

١٢٤) قل ولا تقل ص ١٠٤.

١٢٥) في التصحيح اللغوي ص ١٠٢-١١٢.

١٢٦) في التصحيح اللغوي ص ١٠٢.

١٢٧) في التصحيح اللغوي ص ١٠٤.

١٢٨) سر الفصاحة ص ٢٧٦.

١٢٩) في التصحيح اللغوي ص ١١٠.

١٣٠) في التصحيح اللغوي ص ١١٠.

١٣١) قل ولا تقل: ص ١٠٥.

١٣٢) قل ولا تقل ص ٧٠.

١٣٣) في التصحيح اللغوي ص ٩٣.

١٣٤) في التصحيح اللغوي ص ٩٥.

١٣٥) قل ولا تقل ص ٧١-٧٢.

١٣٦) قل ولا تقل ص ١٧٤.

١٣٧) تاج العروس (عمم) ٨/٤٠٩.

١٣٨) التذكرة الفخرية ص ٤٠.

١٣٩) مختار الصحاح ص ٧٠٠.

مصادر

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ، تحقيق الدكتور أحمد النحاس، القاهرة ١٩٨٧.
- الاستدراك على كتاب قل ولا تقل، صبحي البصام، بغداد ١٩٧٧.
- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، تحقيق أحمد صبحي فرات، إستانبول ١٩٧٥.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط٥) بيروت ١٩٦٦.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥هـ، مصر ١٣٠٦هـ.
- التذكرة الفخرية، بهاء الدين الإربلي ت ٦٩٢هـ، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٨٤.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، حسن بن قاسم المرادي ت ٧٤٩هـ، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة ١٩٧٦.
- الخصائص، أبو الفتح بن جني ت ٣٩٢هـ، تحقيق محمد علي النجار (ج٢) مصر ١٩٥٢.
- درة الغواص في أوهام الخواص، أبو محمد القاسم الحريري ت ٥١٦هـ، ليبزيك ١٨٧١م.
- ديوان الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق الدكتور محمد محمد حسين، مصر ١٩٥٠.
- ديوان الفرزدق (شرح عبد الله الصاوي)، مصر ١٩٣٦.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي ت ٤٦٦هـ، شرح عبد المتعال الصعيدي، القاهرة ١٩٦٩.
- شرح ألفية ابن مالك، بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦هـ، بيروت ١٣١٢هـ.
- شرح التسهيل، جمال الدين بن مالك ت ٦٧٢هـ، تحقيق محمد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، بيروت ٢٠٠١م.
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، جمال الدين بن مالك، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد ١٩٧٧.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، جمال الدين بن مالك، تحقيق الدكتور طه محسن، بغداد ١٩٨٥.
- صحيح البخاري، القاهرة ١٣٧٧هـ.
- في التصحيح اللغوي والكلام المباح، الدكتور خليل بنيان الحسون، عمان ٢٠٠٦هـ.
- قل ولا تقل، الدكتور مصطفى جواد، أشرف على طبعه عبد المطلب صالح، (من دون ذكر مكان الطبع وتأريخه).
- الكتاب، سيبويه ت ١٨٠هـ، تحقيق عبد السلام هارون (ج٢)، القاهرة ١٩٦٨.
- متن الألفية، جمال الدين بن مالك (ط٤) القاهرة (من دون تاريخ).
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي ت ٦٦٦هـ، مصر ١٩٥٠.
- المذكر والمؤنث، أبو بكر بن الأنباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنابي، بغداد ١٩٧٨.
- معاني القرآن، أبو زكريا الفراء ت ٢٠٧هـ، تحقيق محمد علي النجار (ط٢) القاهرة ١٩٦٦.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دمشق ١٩٦٤.
- المفصل في النحو، جار الله الزمخشري ت ٥٣٨هـ، كريستيانيا ١٨٤٠م.
- المقتضب، أبو العباس المبرد ت ٢٨٥هـ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٨٥هـ.